

صِيْلَةُ الْفِرْقَانِ  
فِي تَفْصِيلِ الْقُرْآنِ

الجزء الأول

الكتاب الأول في بيان الأحكام الشرعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





**ضياء الفرقان**  
**فی**  
**تفسير القرآن**  
**مجلد ۱۵**

لِـمُؤَلِّفِهِ سید محمد تقی النّـقوی



سرشناسه : نقوی قائنی، محمد تقی، ۱۳۰۸.  
 عنوان و نام پدیدآور : ضیاء الفرقان فی تفسیر القرآن / لمؤلفه محمد تقی نقوی قائنی.  
 مشخصات نشر : تهران: قائن، ۱۳۹۶.  
 مشخصات ظاهری : ۱۸ ج.  
 شابک : دوره 7-24-978-964-8981-59-9؛ ج. ۱۵: 978-964-8981-59-9  
 وضعیت فهرست نویسی : فیبا.  
 یادداشت : عربی.  
 موضوع : تفاسیر شیعه قرن ۱۴.  
 موضوع : Qur'an - - Shiite hermeneutics - - 20th century  
 رده بندی کنگره : ۱۳۹۵ ض ۹/۷۹ BP  
 رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۹  
 شماره کتابشناسی ملی : ۴۴۰۴۹۵۲

## ضیاء الفرقان فی تفسیر القرآن مجلد الخامس عشر

المؤلف: محمد تقی نقوی قائنی

الکمية: ۱۰۰۰

الطبعة: الأول

تاریخ الطبع: ۱۳۹۶ ش. - ۱۴۳۹ ق.

تنسيق الصفحات: محسن نقوی

لیتوگرافی: لوح محفوظ

المطبعة: گوهر اندیشه

انتشارات: قائن

تلفن: ۰۹۱۲۳۱۷۳۵۵۰

مرکز التوزیع: تهران - شارع انقلاب - بازارچه کتاب - رقم ۱۰ - دارالکتب الاسلامیة

جميع الحقوق محفوظة لمؤلف

شابک: ۹ - ۵۹ - ۸۹۸۱ - ۹۶۴ - ۹۷۸

شابک دوره: ۷ - ۲۴ - ۸۹۸۱ - ۹۶۴ - ۹۷۸

٧ .....	الجزء الرابع والعشرون
٩ .....	سُورَةُ الزَّمَرِ
٥٩ .....	سُورَةُ الْمُؤْمِنِ
١٤١ .....	سُورَةُ فَصَّلَتْ
٢٠٧ .....	الجزء الخامس والعشرون
٢٢٣ .....	سُورَةُ الْأَنْعَامِ
٣٣١ .....	سُورَةُ الْأَرْحَافِ
٤٠٩ .....	سُورَةُ الدُّخَانِ
٤٣٧ .....	سُورَةُ الْجَاثِيَةِ
٤٤٧ .....	الفهرست



**الجزء**

**الرابع والعشرون**





فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ  
بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى  
لِّلْكَافِرِينَ (٣٢) وَ الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَ  
صَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُمْ مَا  
يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤)  
لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَ  
يَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ  
(٣٥) أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَ يُخَوِّفُونَكَ  
بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ  
هَادٍ (٣٦) وَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ  
أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ (٣٧) وَ لَئِنْ  
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضَ  
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ  
اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ  
ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ  
رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ  
الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى  
مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَنْ  
يَأْتِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ  
(٤٠) إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ

فَمَنْ أَهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ  
 عَالِيَهَا وَ مَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٤١) اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ  
 مَوْتِهَا وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ  
 الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَ يُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ  
 إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ  
 يَتَفَكَّرُونَ (٤٢) أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ  
 شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَ لَا  
 يَعْقِلُونَ (٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ  
 السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤) وَ  
 إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا  
 يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ إِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ  
 إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥)

## ◀ اللغة

مَتَوًى: المتوًى المقام.

أَسْوَأُ: أفعال التفضيل من ساء يسوء.

مُمْسِكَاتُ: بضم الميم إسم فاعل من الإمساك و هو في الأصل الحفظ.

قال في المفردات إمساك الشيء التعلق به وحفظه و أما في المقام فهو كناية عن  
 البخل.

اشْمَأَزَّتْ: الإشمئزاز التنفر و الإنضجار.

## ◀ الإعراب

الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ الَّذِي هُنَا جِنْسٌ لَأَنَّ خَبْرَهُ جَمْعٌ وَهُوَ قَوْلُهُ  
أُولَئِكَ فَلَا يَرَادُ بِهِ وَاحِدٌ مَعِينٌ لِيُكَفِّرَ اللَّامَ مِنْ صِلَةِ قَوْلِهِ، لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ  
رَبِّهِمْ، وَقِيلَ هُوَ لَامُ الْقَسَمِ وَالتَّقْدِيرُ وَاللَّهُ لِيُكَفِّرَنَّ، فَحَذَفَتِ النَّوْنُ وَكَسَرَتِ اللَّامُ.

## ◀ التفسير

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ  
فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ

أَظْلَمُ إِفْعَلُ التَّفْضِيلُ مِنْ ظَلَمَ ظَلَمًا، وَإِنَّمَا جِيءَ بِهِ فِي الْآيَةِ لِدَلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْكَذْبَ  
عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَقْبَحُ وَأَشْنَعُ مِنْهُ عَلَى غَيْرِهِ وَلَأَجَلَ هَذَا عَدَّ مِنْ مَبْطَلَاتِ الصُّومِ  
بِخِلَافِ الْكَذْبِ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِمَبْطَلٍ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: وَكَذَّبَ  
بِالصِّدْقِ قِيلَ الْمُرَادُ بِالصِّدْقِ الْقُرْآنُ أَيْ وَكَذَّبَ بِالْقُرْآنِ إِذْ جَاءَهُ بِإِنْكَارِهِ أَنَّهُ كَلَامُ  
اللَّهِ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْكَذْبَ عَلَى اللَّهِ وَإِنْكَارَ كِتَابِهِ مِنْ أَعْظَمِ مُضَادِّيقِ الْكُفْرِ وَمَأْوَاهُ  
جَهَنَّمُ وَبُشُّ الْمَصِيرِ وَلِذَلِكَ قَالَ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِي، أَلَيْسَ فِي  
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ<sup>(١)</sup>  
فَالْجَوَابُ بَلَى أَنَّهُ يَكْفِيهِ وَفِي الْمَقَامِ بَلَى أَنَّ مَثْوَاهُ جَهَنَّمُ.

وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ  
أَمَّا قَوْلُهُ: وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ فَهُوَ النَّبِيُّ قَطْعًا لِأَنَّهُ جَاءَ بِهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَ  
عَلَيْهِ قَاطِبَةُ الْمَفْسَرِينَ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ فَقَدْ اِخْتَلَفُوا فِيهِ فَالْمَشْهُورُ أَنَّ الْمُرَادَ (مَنْ  
صَدَّقَ بِهِ مِنَ الْأُمَّةِ) وَقَالَ فِي التَّبْيَانِ نَقْلًا زَجَّاجٌ أَنَّ الَّذِي هَاهُنَا وَالَّذِينَ بِمَعْنَى،

واحد يراد به الجمع و قال لأنه غير موقَّت، و قيل الَّذِي جاء بالصدق هو النَّبِيُّ من قول لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ و صدَّق به هو النَّبِيُّ أيضاً.

ثم قال الشَّيْخ والصَّحِيح أَنَّ قوله: وَ صَدَّقَ بِهِ من صفة الَّذِينَ جاءوا بالصدق لأنه لو كان غيرهم لقال و الَّذِي صدَّق به و قوله: أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ يعني من جاء بالصدق و صدَّق به هم الْمُتَّقُونَ عن معاصي الله خوف عقابه و أنما جاء بلفظ، الَّذِي واحد لأنه أراد به الجنس و معناه الجمع كقوله: وَ الْعَصَى، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ<sup>(١)</sup> إنتهى كلامه رفع مقامه.

أقول ما ذكره مَنْ لا بأس به لأنه أحد الأقوال في المقام و أمّا إستدلَّ به من الآية فلا يصح و ذلك لأنَّ الإنسان كُلِّي طبيعي يشمل جميع الأفراد كما يشمل الفرد و لذلك قالوا أنَّ الكلِّي يوجد بوجود الفرد و يعدم بعدم جميع الأفراد فالإنسان كما يطلق على زيد و عمر و خالد و جميع الأفراد على سبيل الحقيقة و هذا ممَّا لا كلام فيه عند الفلاسفة و حيث كان الإنسان في سورة العصر، موضوع الحكم و هو يطلق على جميع المصاديق فصَّح أن يقال بعده إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا بصيغة الجمع و هذا بخلاف ما نحن فيه فإنَّ قوله تعالى: وَ الَّذِي مفرد فكيف يشار بالجمع إلى المفرد.

و أمّا قول الرَّجَاج و هو أَنَّ، الَّذِي، و الَّذِينَ، بمعنى واحد فهو غير معقول إذ لا يمكن أن يكون المعنى في المفرد و الجمع واحداً و أو هن منه قول من قال لأنه أراد به الجنس، ولم يعلم أنَّ هذا أي إرادة الجنس أو الإستغراق في اللام مثل قول الحمد لله لا في الدَّوَاتِ الْخَارِجِيَّة و ذلك لأنَّ لفظ زيد مثلاً موضوع للفرد المشخَّص الموجود في الخارج مع جميع خصوصياته فهو لا يصدق على عمرو و بكرٍ، و لا يمكن أن يقول أحد أنَّي أردت الجنس من قولي أضرب زيدا و هكذا في سائر الأسماء و الصِّفَات و كلمة، الَّذِي، و أن لم تكن موضوعاً للفرد إلا أنها

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس

وصف له و كل وصف مختص بموصوفه كما أن الذين، وصف للجمع فوضع أحدهما مكان الآخر لا يساعده العقل ولا يوافقه النقل، هذا، وبما ذكرناه تعرف أن قراءة ابن مسعود و الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ لا معنى له و حق الكلام، والذين جاءوا بالصدق، بصيغة الجمع والذي يختلج بالبال في حل الإشكال هو أن تقدير الآية والذي جاء بالصدق والذي صدق به قضاء لحكم العطف، والمعنى أن الذي جاء بالصدق أي القرآن هو النبي ﷺ والذي صدق به أي صدق النبي بما جاء به هو القرآن والمراد بالتصديق هو الاعتقاد بأن القرآن منزل من عند الله للعمل به أولئك هم المتقون، أي النبي ومن صدقه و حيث أن المصدقين كانوا كثيرين فقال أولئك هم المتقون بلفظ الجمع وهذا مما لا إشكال فيه وهذا كما قال تعالى: وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ<sup>(١)</sup> فقلوه: لَعَلَّهُمْ أي لعل أتباع موسى يهتدون، المقام أيضاً نقول أولئك أي أولئك الذين صدقوا هم المتقون تعالى: وَ إِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ الْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ<sup>(٢)</sup> أي لكي تهتدون.

و الحاصل أن المتقين في الآية هم الذين صدقوا به و كون النبي داخلاً فيهم أيضاً لا إشكال فيه لأن النبي رأس المتقين والله أعلم.

لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ

الحسن عبارة عن كل منهج مرغوب فيه و ذلك ثلاثة أضرب، مستحسن من جهة العقل، و مستحسن من جهة الهوى، و مستحسن من جهة الحس، ففي الكلام إشارة إلى أن المتقين من المحسنين بجميع معانيها فأنت التقوى رأس جميع الفضائل و قوله تعالى: لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ معناه أن الله يعطيهم ما يشاؤون في الجنة إذ فيها ما تشتهي النفس و تلذ به الأعين.

لِيَكْفِرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَ يَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ



## الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ

أي أنّ الله تعالى يَسْقُطُ عنهم ما كانوا عليه من الشُّرْكِ والمعاصي التي فعلوها قبل ذلك بسبب توبتهم ورجوعهم إلى الله و يجزيهم في الآخرة بأحسن الذي كانوا يعملون، أي أنّ الله تعالى ينظر إلى أعمالهم التي عملوا بها بعد الإيمان و يجزيهم على هذا الأساس و لا ينظر إلى ما عملوا به قبل إيمانهم من الشُّرْكِ و المعاصي فهذا الجزاء كفارة عن ذنوبهم.

و الظاهر أنّ اللّام في قوله: لِيُكَفِّرَ، للتعليل أي السبب و العلة لذلك الجزاء هو تكفير ذنوبهم و لِبِقَاطِهَا عنهم و أيُّ جزاء أحسن من حطّ الذَّنْبِ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم و لمثل هذا فيلعمل العاملون فإنّ الله تعالى ذو الرِّأْفَةِ و الرِّحْمَةِ و أنّ رحمته سبقت غضبه و هي قريبة من المحسنين.

## أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ

الهمزة للإنكار و، ليس، للتفي و التفي في النفي إثبات أي أنّه تعالى يكفي عبده و العبد لا يحتاج إلى غيره و هذا الحكم مؤيد بالعقل و التقل.

أمّا العقل فواضح لأنّه تعالى قادر على كلّ شيء و قدرته بذاته لا بغيره و كلّ قادرٍ غيره فقدرته منه و به فإذا كان العبد مستعيناً به و هو متوكلاً عليه ففي الحقيقة إستعان بكلّ القدرة و إعتد عليها فكيف لا يكفي عبده.

ثانياً: نقول في صورة الكفاية يلزم العجز و الضعف و قد فرضناه قادراً خلاف الفرض، العبد لا يخلو في إستعانته بالله تعالى أمّا أن يكون الله كافياً له أو لا يكون فإن كان كافياً فقد ثبت المطلوب و أن لم يكن كافياً فإن كان غيره كافياً فهو غير معقول إذ كيف يعقل أن يكون المخلوق الذي أخذ قدرته عن الخالق أقوى و أقدر ممّن أخذ قدرته منه.

ثالثاً: أنّ الله تعالى خالق و موجد و أن شئت قلت هو علّة إيجاد الممكنات و

قد ثبت أنَّ العلةَ حاويةٌ لجميعِ مراتبِ المعلولِ لأنَّ المعلولَ رَشْحَةٌ من رَشحاتِ العلةِ فإذا لم تكن العلةُ كافيةً فغيرها بطريقِ أولى فثبت و تحقَّق أنَّ اللهَ تعالى يكفي عبده ولا يقدر أحدٌ على منعه عمَّا أراد.

أَمَّا النُّقْلُ فالآياتُ كثيرةٌ:

قال الله تعالى: **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا**<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: **وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا**<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: **فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا**<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: **وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا**<sup>(٤)</sup> والآياتُ كثيرةٌ.

روى في مشكاة الانوار عن أبي الحسن الأول عليه السلام في قوله عزَّ وجلَّ: **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** قال عليه السلام: **للتَّوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ** درجات، منها أن تتوكلَّ عليه في أموركَ كُلِّها فما فعل بك كنت عنه راضياً تعلم أنَّه لا يألوك إلا خيراً و فضلاً و تعلم أنَّ الحكم في ذلك إليه الخبر<sup>(٥)</sup>.

و عن أبي عبد الله قال: أوحى الله تبارك و تعالى إلى داود أنَّه ما إعتصم بي عبدٌ من عبادي دون أحدٍ من خلقي عرفت ذلك عن نبيِّه ثم تكيده السَّمَوَاتِ و الأَرْضِ و من فيهنَّ إلا جعلت له المخرج من بينهنَّ وما إعتصم عبدٌ من عبادي بأحدٍ من خلقي عرفت ذلك من نبيِّه إلا قطعت أسباب السَّمَوَاتِ من بين يديه و أسخت الأرض من تحته ولم أبال في أيِّ وادٍ يهلك إنتهى<sup>(٦)</sup>.

و الأحاديثُ كثيرةٌ و لا نحتاج إلى ذكرها بعد دلالة صريح الكتاب على المدعى

بناء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

٢- النساء = ٤٥

٣- الأحزاب = ٤

٤- ص ١٦

١- النساء = ٤٥

٣- النساء = ٨١

٥- ص ١٦

و على هذا فمعنى الآية أن الله يكفيك و يخوفونك هؤلاء الكفار بالذين من دون الله من خلقه و من يضلل الله أي من أضله الله فماله من هادٍ، و المقصود أن الذين يخوفونك من الخلق فقد ضلوا عن سواء السبيل و ما قدروا الله حق قدره.

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ  
و ذلك لأن المضل يكون مانعاً عما أراده الله فهو أقدر من الله و لازم ذلك أن يكون الله أضعف منه فإذا ليس بقادر بقولٍ مطلق و من كان كذلك فهو مخلوق و المفروض خلافه و قوله: أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ معناه أنه عزيزٌ قادرٌ منتقمٌ عن الأعداء فإن الهمزة للإنكار كما في قوله: أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ<sup>(١)</sup> و قد مر الكلام فيه و قيل معنى الآية من يهديه الله الى طريق الجنة فلا أحد يضلّه عنها، و قيل من يحكم بهديته فلا أحد يمكنه أن يحكم بضالته و هذا ظاهر.

وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ

ثم قال الله تعالى لنبيه، و لَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ و أنما أتى بنون التأكيد مشعراً بأنه لا جواب لهم غير ذلك قطعاً إذ لا يقول أحد منهم أن خالق السموات والأرض هو الوثن و الصنم أو غيرهما من المخلوق و أنما قال ذلك لأن الكفار كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله و لم يقل أحد منهم إنا نعبدها لأنها خالق السموات والأرض و إذا كان كذلك بإقرارهم و إعترافهم بأن الخالق للسموات والأرض هو الله قل لهم يا محمد أفرايتم ما تدعون من دون الله، من الأصنام و الأوثان، إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢٤

المجلد الخامس

هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضِرَّةِ أَيِّ هَلِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ تَقْدِرُونَ عَلَى دَفْعِ الضَّرِّ عَنِّي،  
أَوْ أَرَادَنِي، اللَّهُ، بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ، أَيِّ هَلِ تَقْدِرُونَ عَلَى مَنَعِ  
الرَّحْمَةِ مِنْهُ تَعَالَى.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْجَوَابَ مَنْفَى أَيِّ لَا قُدْرَةَ لَهُنَّ عَلَى دَفْعِ الضَّرِّ وَلَا عَلَى مَنَعِ  
الرَّحْمَةِ وَمِنْ يَعْجِزُ عَنِ النَّفْعِ وَالضَّرِّ وَكُشِفِ الْكَرْبِ عَمَّنْ يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ لَا يَأْتِي مِنْهُ  
ذَلِكَ كَيْفَ يَحْسُنُ عِبَادَتَهُ وَأَمَّا تَحْسُنُ الْعِبَادَةَ لِمَنْ يَقْدِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يُلْحِقُهُ  
عِجْزٌ وَلَا مَنَعَ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ أَيِّ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ  
عَلَى هَذَا الْمَنَوَالِ وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى دَفْعِ الضَّرِّ وَلَا عَلَى مَنَعِ  
الرَّحْمَةِ فَهُوَ يَكْفِي الْعَبْدَ وَعَلَيْهِ التَّوَكُّلُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ وَتَقْوِيضُ الْأَمْرِ إِلَيْهِ.  
كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ.

قُلْ يَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

يَعْنِي قُلْ يَا مُحَمَّدُ، لَهُؤُلَاءِ الْكَفَّارُ ائْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ، أَيِّ عَلَى دِيَانَتِكُمْ وَ  
طَرِيقَتِكُمْ أَنِّي عَامِلٌ، بِمَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ، أَنْتُمْ عَلَى الْبَاطِلِ وَأَنَا عَلَى  
الْحَقِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَوْلُهُ: أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ لَيْسَ مَعْنَاهُ مُوَافَقَةُ النَّبِيِّ وَ  
إِعْرَاضُهُ عَمَّا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ بَلِ الْأَمْرُ بِالْعَمَلِ عَلَى وَجْهِ التَّهَدُّدِ لَهُمْ، أَيِّ إِذَا  
لَمْ تَقْبَلُوا قَوْلِي فَأَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَهَذَا كَمَا يَقُولُ الْإِنْسَانُ لِمَنْ  
أَصْرَّ عَلَى عِنَادِهِ وَمُخَالَفَتِهِ الْحَقِّ فَأَعْمَلْ مَا شِئْتَ فَسَوْفَ تَعْلَمُ تَبْعَاتِهِ وَمُضَرَّاتِهِ.

مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ

أَيِّ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابُ اللَّهِ وَخِزْيُهُ وَمَنْ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ  
أَيِّ دَائِمٌ بَعْدَ الْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَ مَن ضَلَّ فإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ

هذه الآية في الحقيقة تسلية للنبي في إنكار الكفار دعوته و بقاءهم على الكفر فقال تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ أَي إِنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ عَلَيْكَ بِالْحَقِّ لدعوة الناس اليه و بعبارة أخرى ما على الرسول إلا البلاغ و أما قبول الحكم أو عدم قبوله فهو خارج عن وظيفة الرسول فَأَنَّ المكلّف مختار في الدنيا في القبول و الردّ، فمن إهتدى بهداية النبي بقبوله الدعوة، فلنفسه، أي فيرجع نفع القبول اليه في الدنيا و الآخرة، و من ضلّ أي أنكر الرسول و ردّ دعوته فَأَنَّمَا يضلّ عليها، أي على نفسه أي يتوجّه ضرره و خسارته على نفسه، و ما أنت عليهم بوكيل، في هدايتهم و ضلالتهم و ذلك أنهم لم يفوضوا أمرهم اليك حتّى تختار لهم ما هو بصالحهم بل الأمر اليهم أنفسهم.

و حاصل الكلام إِنَّا لا نحتاج الى عبادتهم و طاعتهم و لا يضرنا كفرهم و معصيتهم بل الغرض من إرسال الرّسل و انزال الكتب هو إيصال الخير اليهم في الدنيا و الآخرة و هذا هو الذي تقتضيه قاعدة اللطف.

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَ يُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

قال في التّبيان في قوله تعالى: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا.

قيل أَنَّ الموت ها هنا المراد به النّوم و التّوفي ها هنا هو توفيّ النّفس لا الرّوح لأنّ ابن عبّاس قال في ابن آدم نفسٌ و روحٌ فإذا نام قبضت نفسه و بقيت روحه و الرّوح هو الذي يكون بها الغليظ، هكذا في التّبيان و لم نفهم معناه و لعلّه التّغليظ أو غير ذلك والله أعلم مؤلف.



و النَّفْسُ هِيَ الَّتِي يَكُونُ بِهَا التَّمْيِزُ فَإِذَا مَاتَ قَبِضَتْ نَفْسُهُ وَ رُوحُهُ إِنْتَهَى. نَقَلَ هَذَا الْقَوْلَ عَنْ إِبْنِ عَبَّاسٍ صَاحِبِ الْكَشَافِ أَيْضاً وَ تَبِعَهُ الْقُرْطُبِيُّ وَ غَيْرُهُ مِنْ مَفْسِّرِينَ الْعَامَّةِ، قَالَ فِي الْكَشَافِ مَا هَذَا لَفْظُهُ، وَ رَوَاهُ عَنْ إِبْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فِي إِبْنِ آدَمَ نَفْسٌ وَ رُوحٌ بَيْنَهُمَا مِثْلُ شُعَاعِ الشَّمْسِ فَالنَّفْسُ الَّتِي بِهَا الْعَقْلُ وَ التَّمْيِزُ وَ الرُّوحُ الَّتِي بِهَا النَّفْسُ وَ التَّحْرِيكُ فَإِذَا نَامَ الْعَبْدُ قَبِضَ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ لَمْ يَقْبِضْ رُوحَهُ إِنْتَهَى مُوَضِّعُ الْحَاجَةِ مِنْ كَلَامِهِ.

**أَقُولُ** إِنْ كَانَ مَا نَقَلُوهُ عَنْهُ حَقّاً فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى جَهْلِ إِبْنِ عَبَّاسٍ وَ أَنَّهُ قَالَ مَا قَالَ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ وَ لَمْ يَعْلَمْ مَعْنَى النَّفْسِ وَ الرُّوحِ وَ مِنْ لَمْ يَعْلَمْ مَعْنَاهَا كَيْفَ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا.

فَالنَّفْسُ الَّتِي تَعْلَقُ الْمَوْتَ بِهَا فِي الْآيَةِ هِيَ الرُّوحُ لَا غَيْرُهُ فَقَوْلُهُ إِذَا نَامَ الْعَبْدُ قَبِضَ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ لَمْ يَقْبِضْ رُوحَهُ كَلَامٌ لَا طَائِلَ تَحْتَهُ وَ هُوَ أَيْضاً لَمْ يَفْهَمْ مَا قَالَ إِذْ لَوْ عَلِمَ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَبَيِّنَ مَعْنَى النَّفْسِ الَّتِي تَعْلَقُ الْمَوْتَ بِهَا غَيْرَ الرُّوحِ وَ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ الْعُقَلَاءِ أَنَّ فِي جِسْمِ الْإِنْسَانِ، رُوحٌ وَ نَفْسٌ نَعَمْ لَوْ أُرِيدَ بِالنَّفْسِ ذَاتُ الشَّيْءِ وَ حَقِيقَتُهُ كَمَا يَقَالُ فِي عَرَفِ الْعَوَامِ نَفْسُ الْحَجَرِ وَ نَفْسُ الشَّجَرِ مِثْلًا فَهُوَ خَارِجٌ عَنِ الْبَحْثِ إِذِ النَّفْسُ بِهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْمَوْجُودُ الْخَارِجِيُّ بِمَا هُوَ هُوَ، وَ الَّذِي نَقُولُ بِهِ تَبَعًا لِكَافَةِ الْعُقَلَاءِ هُوَ أَنَّ النَّفْسَ وَ الرُّوحَ وَاحِدٌ وَ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا بِالْإِعْتِبَارِ وَ بِالْجُمْلَةِ مَا بِهِ الْحَيَاةُ فِي الْإِنْسَانِ تَارَةً يُعْبَرُ عَنْهُ بِالرُّوحِ وَ أُخْرَى بِالنَّفْسِ وَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِ إِبْنِ عَبَّاسٍ إِذَا نَامَ الْعَبْدُ قَبِضَ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ لَمْ يَقْبِضْ رُوحَهُ لِلْبَحْثِ فِيهِ مَقَامٌ آخَرُ.

إِنْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا.**

قُلْتَ الْبَحْثُ حَوْلَ الْآيَةِ يَقَعُ فِي مَقَامَيْنِ:

**الأول:** فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا.**

**الثاني:** فِي قَوْلِهِ: **وَأَلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا إِلَى قَوْلِهِ: أَجَلٌ مُسَمًّى.**

أما البحث في المقام الأول ففيه احتمالان:

**أحدهما:** أن يكون المراد بالتوفية في الآية معناها اللغوي أعني به إعطاء الحق بتمامه و كماله قال في المفردات توفية الشيء بذله وافيًا و إستيفاءه تناوله وافيًا إنتهى.

و أن يكون المراد بالموت زوال القوة الحاسة الذي يتحقق بعد خروج الروح عن البدن وهذا هو الذي يعبر عنه بالموت عرفاً و على هذا فمعنى الكلام أن الله تعالى يجزي كل نفس ما عملت به خيراً كان أو شراً حين موتها أي حين خروجها عن البدن كما ورد في بعض الأخبار أن المحتضر قبل خروج الروح عن بدنه يرى مقامه و مكانه بعد موته فيتحسر على ما فات منه.

**الثاني:** أن يحمل التوفية على الموت و المعنى أن الله تعالى يميت الأنفس بمعنى مفارقتها عن الأبدان حين موتها أي حين بلوغ آجالها التقديرين لا كلام فيه فأن الموت بيده كما أن الخلق بيده فالموجد و المفني واحد و هو الله تعالى إما بواسطة أو بلا واسطة و هذا ظاهر.

**أما البحث في المقام الثاني:** فهو الذي أوقع المفسرين في القلق و الإضطراب و قال كل واحد منهم ما فهم من الآية و الإنصاف أنهم لم يأتوا بشيء يعتمد عليه عقلاً أو نقلاً و لذلك تمسكوا بقول ابن عباس و غيره في حل الإشكال، والذي يختلج بالبال بعون الملك الوهاب هو أنه لا موت للنفس في النوم حقيقةً و إنما شبه النوم بالموت على سبيل الكناية و الإستعارة كما شبهوا اليقظة بالحياة و على هذا يقال النوم موتٌ خفيف و الموت نومٌ ثقيل، و أن شئت قلت الموت قطع علاقة الروح عن البدن بالكلية، و النوم ليس كذلك بل تبقى منه علاقة ما بعد مفارقتها عن البدن حين النوم و لذلك يطلق الحي على النائم و لا يطلق الحي على الميت فلا يقال للنائم أنه مات و هذا دليل على إتصال الروح بالبدن و لأجل هذه الدقيقة.

قال تعالى: **وَأَتَتْكُمْ لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا** أي النفس التي لم تمت في منامها فقول ابن عباس إذا نام العبد قبض الله نفسه، مخالف لصريح الآية وأما قوله و لم يقبض روحه، مضافاً إلى أنه خلاف العقل و القاعدة، خارج عن الآية إذ لم يذكر فيها ولا نعلم أين وجد الزوج و الآية لم يتعرض لها.

وأما قوله: **فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الَمُوتَ** إلى آخر ما قال ففيه إشارة إلى نقطة أخرى و هي أن الأرواح المفارقة عن أبدان النائمين بعضها يفصل عن الأبدان بالكلية في حالة النوم فالتائم يصبح ميتاً وبعضها يؤخر إلى أجل مسمى و هو الأرواح التي لم تبلغ إلى الأجل المسمى لها فهي لا تقطع علاقتها عن البدن بل ترجع إليه كما كان ففيه إيماء إلى أن الذي نام على فراشه لا يدري ما يفعل به من الموت و الحياة فينبغي أن لا يكون غافلاً عن نفسه هذا ما خطر ببالي في تفسير الآية ولعله أشار بذلك حيث قال: **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** في الموت و الحياة و النوم و اليقظة و أن الإنسان لابد له من الموت و الفناء، و لا يمكن له الفرار من حكمته.

**أَمْ آتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ**

قيل، أم، بمعنى، بل، أي بل إتخذوا من دون الله شفعاء، بزعمهم الفاسد من الأصنام و الأوثان قل يا محمد لهم **أَوَلَوْ كَانُوا هَؤُلَاءِ الْأَصْنَامُ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا** لكونهم من الجماد **لَا يَعْقِلُونَ** و المعنى كيف يشفع عند الله من لا يملك شيئاً من النفع و الضر و لا عقل له.

**قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**

يعني قل يا محمد لهؤلاء الكفار لله الشفاعة جميعاً، لا لغيره ممن لا يملك شيئاً وهو جماد له مملك السموات والأرض لكونه خالقاً لهما ثم إليه ترجعون بعد الموت، والمقصود أن جميع الأمور بيده ولا أمر ولا نهى إلا له وهو الذي يجازي كل إنسان على عمله على الطاعة بالثواب وعلى المعاصي بالعقاب فهو المالك لكل ما سواه.

وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ  
إِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن شدة عنادهم ولجاجهم وثباتهم على الكفر، فقال: وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ عَنْدهم اشْمَأَزَّتْ أي تنفرت قلوبهم لعدم إيمانهم بالآخرة فمن كان غير مؤمن بالله واليوم الآخر حاله كذلك وأما إِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ مِنَ الأصنام والأوثان إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ أي يفرحون بذكر معبودهم فَأَنْ حَبَّ الشَّيْ يعمي ويصم ولا عجب فيه فَأَنْ كثيراً من المسلمين أيضاً كذلك فإذا ذكر آل محمد عندهم إشمازت قلوبهم وإذا ذكر الذين من دونهم ولو كان المذكور معاوية ويزيد و عبد الملك وغيرهم إذا هم يستبشرون فالآية الشريفة وأن كان موردها خاصاً حيث نزلت في المشركين إلا أن معناها يشمل كل من ترك الحق وأخذ بالباطل.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ  
وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا  
فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦) وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي  
الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ  
سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ  
مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ  
مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤٨)  
فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ  
نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ  
فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٩) قَدْ قَالَهَا  
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا  
يَكْسِبُونَ (٥٠) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَ  
الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا  
كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥١) أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا  
أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ  
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) قُلْ يَا  
عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا  
مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا  
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَ أَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ  
وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا  
تُنصِرُونَ (٥٤) وَ أَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ  
مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَ



أَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسُ يَا  
 حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ  
 كُنْتُ لَمِنَ السَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ  
 هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ  
 تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ  
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَكَ آيَاتِي  
 فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ  
 الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا  
 عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ  
 مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَ يُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ  
 اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَ لَا هُمْ  
 يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ عَلَى  
 كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَ  
 الْأَرْضِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ  
 هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَغْيَرِ اللَّهُ تَأْمُرَوْتِي  
 أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ  
 وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحِطَنَّ  
 عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ  
 فَاعْبُدْ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَ مَا قَدَرُوا  
 اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَ الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ  
 الْقِيَمَةِ وَ السَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَ  
 تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ

ضياء القرآن في تفسير القرآن



المجلد الخامس عشر

فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا  
 مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ  
 يَنْظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَ  
 وُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالتَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ  
 وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَ  
 وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا  
 يَفْعَلُونَ (٧٠) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ  
 زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَ  
 قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ  
 عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ  
 هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ  
 عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ  
 خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَ  
 سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ  
 إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ  
 خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ  
 (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَ  
 أَوْثَرَنَا الْأَرْضَ نَبْوًا مِّنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ  
 فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ  
 خَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ  
 رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ  
 رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥)

## ◀ اللغة

فَاطِرٌ: أصل الفطر الله لَشَقَّ طَوْلاً و فطر الخلق هو إيجاد الشئ و إبداعه.

بَدَأَ لَهُمْ: أي أظهر.

وَحَاقَ بِهِمْ: أي أنزل بهم وأحاط بهم وقيل أصله، حَقَّ، فقلب نحو زَلَّ و زال.

خَوَّلْنَاهُ: التَّخْوِيلُ العطاء بلا مكافاة و لا مجازات على سبيل التفضُّل، و قيل

التَّخْوِيلُ في الأصل إعطاء الخول و قيل إعطاء ما يصير له خولاً، من قولهم فلان

خال مالٍ و خايل مالٍ أي حسن القيام به.

فِتْنَةً: الفتنه الإختبار.

أَسْرَفُوا: الإسراف التجاوز عن الحد.

لَا تَقْطُطُوا: القنوط اليأس يقال قنط، قنوطاً إذا يئس.

وَأَنْبِئُوا: أمرٌ من أناب ينب إذا رجع.

بَغْتَةً: أي فجأة و غفلةً في وقت لا تتوقعونه.

لِمَنِ السَّاحِرِينَ: السَّاحِرُ المستهزء.

كَرَّةً: بفتح الكاف و الرءاء المشددة الرجوع.

بِمَفَازَتِهِمْ: المفازة الصَّحراء فهي مهلكة يقال فوز الرجل إذا هلك ومات.

مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ: هي جمع مقلید، كمنديل و مناديل.

فَصَّعِقَ: أي مات.

سَيِّقَ: بكسر السین و سكون الياء و فتح القاف مجهول ساق، و السُّوق الحثَّ

على السير.

زُمَرًا: بضم الزَّاء و فتح الميم الجماعة واحدها زمرة.

نَتَبَّوْا: أصله الرجوع يقال باء بكذا إذا رجع به.

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

بَلْ هِيَ ضَمِيرُ الْبَلْوَى أَوْ الْحَالُ أَنْ تَقُولَ مَفْعُولٌ لَهُ أَيْ أَنْذَرْنَاكُمْ مَخَافَةَ أَنْ تَقُولَ يَا حَسْرَتِي الْأَلْفَ مَبْدَلَةً مِنْ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ الْجُمْلَةُ حَالٌ، مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَمَسُّهُمْ أَلْسُوءُ حَالٍ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ فِي إِعْرَابِهَا أَوْجُهُ: أَحَدُهَا: أَنْ، غَيْرِ، مَنْصُوبٌ بِأَعْبَدَ قَدَمَ عَلَيْهِ.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا، بِتَأْمُرُونِي، وَأَعْبَدَ بَدَلَ مِنْهُ وَالتَّقْدِيرُ أَتَأْمُرُونِي بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ وَهَذَا مِنْ بَدَلِ الْإِشْتِمَالِ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مَنْصُوبًا بِفَعْلٍ مَحْذُوفٍ وَالتَّقْدِيرُ، أَتَلْزَمُونِي غَيْرَ اللَّهِ وَ الْأَرْضُ مَبْتَدَأٌ وَقَبْضَتُهُ الْخَبَرُ وَجَمِيعًا حَالٌ مِنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَاتٌ مَبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ وَيَمِينُهُ مُتَعَلِّقٌ بِالْخَبَرِ أَوْ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي الْخَبَرِ.

وَقِيلَ الْخَبَرُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ وَالسَّمَوَاتِ قَبْضَتُهُ وَزَمْرًا فِي الْمَوْضِعَيْنِ حَالٌ نَبْتَوُا حَالٌ مِنَ الْفَاعِلِ أَوْ الْمَفْعُولِ وَحَيْثُ هُنَا مَفْعُولٌ بِهِ وَحَافِينَ حَالٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَيُسَبِّحُونَ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي، حَافِينَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

### ◀ التفسير

قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ غَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ أَنْ يَقُولَ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَيْ مَبْدِئَهُمَا وَ خَالِقَهُمَا وَمُوجِدَهُمَا وَالْخَطَابُ لِلنَّبِيِّ وَالْمُرَادُ جَمِيعُ الْمُكَلَّفِينَ أَنْ يَدْعُوا اللَّهَ بِهَذَا الدُّعَاءِ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ أَوَّلًا بِالْخَالِقِيَّةِ فَقَالَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمِنْ خَلَقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ خَلَقَ جَمِيعَ الْخَلْقِ إِذْ لَيْسَ وَرَاءَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَخْلُوقًا آخَرٌ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى قَوْلُهُ: فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَعْنَاهُ خَالِقُ جَمِيعِ الْخَلْقِ.

ثانياً: وصف نفسه بالعلم بجميع الأشياء فقال عالم الغيب والشهادة، ومعناه أنه لا يخفى عليه شيء والعلم بهذا المعنى مخصوص بذاته تعالى.

ثالثاً: بأنه تعالى هو الحاكم بين العباد يوم القيامة فيما اختلفوا فيه أيضاً ممّا لا شبهة فيه، ومن كان متّصفاً بهذه الصفات التي لا توجد في غيره هو المستحقّ للمعبودية لا غيره بل من أنكره تعالى أنكر نفسه وهو كما ترى.

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن سوء العذاب وشدّته يوم القيامة فقال وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا أي كان ما فيها من الأموال والذخائر تحتها ملكاً لهم وَمِثْلَهُ مَعَهُ أي وزيادة عليه مثله وأن شئت قلت ومثل ما في الأرض مع ما في الأرض لَافْتَدَوْا بِهِ أي وأراد الظالم أن يفتدي نفسه بجميع ما في الأرض ومثله زيادةً عليه، من شدّة ذلك العذاب يوم القيامة لما قبل منه ولما نودي به، وحذف الجواب أي جواب، لو، الشرطية لدلالة الكلام عليه وتقدير الكلام، لو يفتدي الظالم بجميع ما في الأرض ومثله لما نودي به وما قبل منه وفيه إشارة إلى سوء العذاب فوق تصوّر الإنسان.

وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ هذا الكلام في الحقيقة تفسير لقوله، سوء العذاب وشدّته، فإنّ ظهور العذاب خارجاً عن الإحتساب معناه أنّه فوق ما يتصوره ويظنّه في الدنيا وأيّ عذابٍ أسوأ وأشدّ ممّا لا يحيط العقل به وأنما وصف العذاب بذلك لأنّ الظالم يظنّ أنّه من سنخ عذاب الدنيا.

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ

بَابُ التَّوْقَاتِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

أخبر في الآية أَنَّ العذاب المذكور في الآية السَّابِقَةِ من ثمرات أعمالهم في الدُّنْيَا وفي تعبيره بكلمة، بدءًا، إشارة إلى نكتة خفيّة وهي أَنَّ الثَّمَرَةَ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا كَانَتْ غَيْرَ مُحْسُوسَةٍ لَهُمْ لَخَفَائِهَا وَأَمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ فَقَدْ ظَهَرَتْ وَصَارَتْ مُحْسُوسَةً كَمَا أَنَّ الثَّمَرَةَ فِي الشَّجَرَةِ لَا تَبْدُو وَلَا تَظْهَرُ إِلَّا وَقْتُ بُلُوغِهَا وَظُهُورِهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَقَامَ الْقُوَّةِ غَيْرَ مَقَامِ الْفَعْلِيَّةِ مُقَدَّمٌ عَلَيْهَا تَقَدَّمُ مَقَامَ الْهَيُولَى عَلَى الصُّورَةِ وَهَكَذَا الْأَعْمَالُ النَّاشِئَةُ عَنِ الْإِنْسَانِ تَظْهَرُ ثَمَرَتُهَا بَعْدَ الْمَوْتِ يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ.

و قد أشار الله تعالى إلى هذه الدّقيقة في كثير من الآيات:

قال الله تعالى: وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: أُولَئِكَ مَاؤُنْهْمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ<sup>(٤)</sup>.

قال الله تعالى: كُلُّ أَمْرٍ يُبَا كَسَبَ رَهِيْنٌ<sup>(٥)</sup>.

قال الله تعالى: مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ<sup>(٦)</sup>.

قال الله تعالى: لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ<sup>(٧)</sup> والآيات كثيرة جدًا.

فهذه الآيات و أمثالها تنادي بأعلى صوتها أَنَّ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثَمَرَاتِ الْأَعْمَالِ فِي الدُّنْيَا فَأَنَّهَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ فَكَمَا أَنَّ الزَّارِعَ إِذَا لَمْ يَزْرَعْ فِي وَقْتِهِ لَمْ يَحْصَدْ فِي فَصْلِهِ كَذَلِكَ الْإِنْسَانُ الْمَكْلَفُ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ لَمْ يَكُنْ لَهُ ثَوَابٌ وَلَا عِقَابٌ أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَجْنُونِ الَّذِي لَا تَكْلِيفَ لَهُ لَا عِقَابَ لَهُ وَلَا

٢- البقرة = ٧٩

٣- يونس = ٨

٤- البقرة = ٢٨٦

١- النساء = ١١١

٣- الأعراف = ٩٦

٥- الطور = ٢١

٧- إبراهيم = ٥١

ثواب فالعمل شجرة و الثواب و العقاب ثمرتها.

و من المعلوم أنَّ الأثمار متفاوتة مختلفة لأنَّ الأشجار متفاوتة مختلفة فشجرة التفاح ثمرتها التفاح و شجرة الرمان ثمرتها الرمان و هكذا و أمّا شجرة الحنظل فثمرتها الحنظل و هكذا و لنعم ما قيل بالفارسيّة:  
دهقان سالخورده چه خوش گفت با پسر

کی نور چشم من بجز از کشته ندروی

و قال الآخر:

از مکافات عمل غافل مشو      گندم از گندم برُوید جو ز جو  
و الأصل في ذلك أنَّ الثمرة تتبع الشجرة، واللّه تعالى جلَّ شأنه عادل لا يظلم  
على أحدٍ لقبح الظلم و تنزهه تعالى عن الإتياف به فإذا كان العبد على طريق  
الحقّ قولاً و عملاً و نيّة فلا وجه لعذابه و إلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين بقوله:  
و لا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ، و لم يقل إِلَّا اللّٰه فقد ظهر أنَّ قوله تعالى: وَ بَدَأْ لَهُمْ  
سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا حقّ يؤيده العقل و الشرع و على هذا.  
فقوله: وَ خَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ معناه و حاقت بهم خطاياهم  
التي ارتكبوها في الدُّنيا فالعذاب الذي أحاط بهم ثمرة أعمالهم:  
قال اللّٰه تعالى: بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحَاطَ بِهَا خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ  
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ<sup>(١)</sup>.

في القرآن  
في تفسيره

جزء ٢٤

العبد  
الغافل

فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا  
أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ  
الضرُّ بضمّ الضادّ سوء الحال إمّا في نفسه لقلة العلم و الفضل والعفة و إمّا في  
بدنه لعدم جارحة و نقص، و إمّا في حالة ظاهرة من قلة مالٍ و جاهٍ، والضرُّ بفتح

الضَّادُّ الضَّرَّرَ يقال ضَرَّهُ أَقْرَبُ أو أكثر من نفعه أي ضرره.  
و قال بعض أهل اللغة، الضَّرُّ بالضمّ و الفتح بمعنى واحد و هو الضَّرَرُ إلّا أنَّ الضَّرَرَ إذا كان في النَّفْسِ من مرض و هزالٍ و عاهة يقال له الضَّرُّ بالضمّ و إذا كان في غير النَّفْسِ يقال له الضَّرُّ بالفتح إنتهى.  
أَقُولُ و إلى الأول أعني الضَّرَّ في النَّفْسِ أشار الله تعالى بقوله حكايةً عن أيوب النَّبِيِّ:

قال الله تعالى: وَ أَيُّوبُ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أُنَبِّئْ مَسْنِيَ الضُّرِّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ<sup>(٢)</sup>.

وإلى الثَّانِي: أشار الله بقوله:

قال الله تعالى: يَدْعُوا لِمَنْ ضُرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَ لَا ضَرًّا<sup>(٤)</sup>.

قال الله تعالى: وَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا<sup>(٥)</sup>.

إذا عرفت هذا فنقول أخبر الله تعالى في هذه الآية عن تَقَلُّبِ الإنسان و تحوُّله من حالٍ إلى حالٍ و أنه لا يبقى على حالةٍ واحدةٍ فإذا مسّه ضرٌّ من مرضٍ و مصيبةٍ و بلاءٍ دَعَانَا و فزعَ إلينا ثم بعد ذلك إذا خَوَّلناه أي أعطيناه نعمةً مِنَّا كرفع البلاء عنه و إعطائنا الصَّحَّةَ إِيَّاهُ قال أُنَمَا أُوْتِيتهُ على علم أي أُوْتِيتهُ بحيلتي و تدبيري و عَمَلِي و لا يقول أنعمني الله به فيجب عَلَيَّ الشُّكْرُ على هذه النِّعْمَةِ و بعبارةٍ أُخْرَى في الضَّرِّ يعرف الله و في النِّعْمَةِ ينساه و يكفر بها و ليس هذا إلّا من ضعف إيمانه



فالحكم باعتبار الأغلب كما هو الشأن في أكثر الأحكام ضرورة أنّ الأنبياء و  
الأوصياء خارجون عن الحكم خروجاً تخصصياً لا تخصّصياً اللهم إلا أن يقال أنّ  
الحكم عامٌّ شامل لجميع الأفراد من حيث هو الإنسان إلا من عصمه الله من الزلل  
و الخطأ وكيف كان أخبر الله تعالى في هذه الآية و أمثالها أنّ نوع الإنسان من  
حيث أنّه إنسان كذلك و لا ينافي الحكم خروج بعض الأفراد من جهة العصمة ثمّ  
استدرك و قال: **بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** قال تعالى ليس  
الأمر كما يقولون و يزعمون بزعمهم الفاسد بل هي، اي النعمة التي أنعمنا بها عليه  
فتنة و إختبارٌ له ليظهر كيف شكره على النعمة فيجزيه بحسبها.

**إِنْ قُلْتَ أَيُّ حَاجَةٍ إِلَى هَذَا الْإِتْلَاءِ وَالْإِخْتِبَارِ وَالْمَفْرُوضِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَالِمٌ**  
**بِحَالِهِ.**

**قُلْتَ** الجزاء مترتبٌ على الفعل لا على العلم فلا يجوز أن يجازيه على علمه  
بحاله، بل يجازيه على فعله و ذلك لما قلنا في الآية السابقة أنّ الثواب و العقاب  
يترتبان على العمل و هذا مقتضى العدل و قد مرّ الكلام فيه عقلاً و نقلاً.

و قوله: **وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** معناه لا يعلمون أنّ هذه فتنة لهم و  
إختبار و أنّما قال أكثرهم لا يعلمون لأنّ منهم من يعلم بأنها فتنة، فيشكر عليها  
كالأنبياء و الأوصياء و الأولياء و قد قال الله تعالى: **وَقَبِّلْ مِنْ عِبَادِي الشَّاكِرِينَ** ثمّ  
أخبر الله تعالى أنّ كفران النعمة لا يختصّ بهؤلاء القوم الذين تراهم بل قال الذين  
كانوا من قبلهم أيضاً كذلك كما قال:

هذا القرآن في تفسير القرآن



المجلد الخامس

**قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**  
و الضمير في قالها، راجع إلى كلمتهم التي قالوها و هي **إِنَّمَا أَوْتَيْتُهُ عَلَى**  
**عِلْمٍ** و هذه الكلمة هي التي قالها الذين من قبلهم، فما أغنى عنهم ما كانوا  
يكسبون، من أموالهم بل صارت وبالاً عليهم هكذا قيل و يحتمل أن يكون المراد

ما كانوا يكسبون، بأعمالهم والمعنى واضح لا خفاء فيه.

فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيِّئَاتُهُمْ  
سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَ مَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ

أي فأصاب الذين كانوا من قبلهم سيئات ما كسبوا من الظلم والمعاصي و  
المقصود أصابهم العقاب في الدنيا والآخرة.

ثم قال والذين ظلموا من هؤلاء الكفار يعني من كفار قريش أو كفار قوم  
النبي ﷺ سيصيبهم أيضاً كما أصاب العقاب من كان قبلهم سيئات ما  
كسبوا أي سيصيبهم سيئات ما كسبوا من العقاب، وذلك لأن حكم الأمثال واحد  
وإذا تحقق السبب وَ مَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أي ليس يفوتون الله ولا يمكن لهم  
الفرار من حكمته ثم قال تعالى على وجه التنبيه لهم.

أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

هذه الآية في الحقيقة جواب كلمتهم التي، قولهم: إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ  
أي أوتيت المال أو كل نعمة، بعلمي وتديري، فقال الله تعالى ليس الأمر كذلك  
بل الرزق بيد الله يبسطه لمن يشاء و يقدر و يضيق كذلك و ليس للعلم و التدبير و  
الحيلة و أمثالها موضع و لا مجال في كثرة المال و قلته و الدليل على ذلك مشاهدة  
العرف فإننا نرى الأموال مجتمعة عند العوام و الجهال و الفقر حظ العلماء و العقلاء  
فلو كان للعقل و التدبير في جمع المال مدخل لكان الأموال عند العلماء و هذا من  
أدل الدلائل على أن الأمر بيد الله كما أن المال مال الله يعطيه من يشاء و يمنع من  
يشاء و يبسط لمن يشاء و يضيق على من يشاء كل ذلك على جهة الاختبار و  
الامتحان و الى ذلك أشار بقوله: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَ آية آية  
أكبر و أعظم من التفكير في قدرة الله و عجز المخلوق و ضعفه في باب المعرفة،

قال أمير المؤمنين: عَرَفْتُ اللَّهَ بِفَسْخِ الْعِزَائِمِ وَنَقْضِ الْهَمَمِ ثُمَّ أَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَفْضَلِ النِّعَمِ الَّتِي مَنَّ اللَّهُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَهُوَ غَفْرَانِ الذُّنُوبِ:

قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

أمر الله تعالى نبيه أن يقول لهم أي للذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا أي لا تيأسوا فإن القنوط اليأس، من رحمة الله، فأنها واسعة أن الله يغفر الذنوب جميعاً وذلك أنه تعالى هو الغفور للذنوب والرحيم لعباده وفي هذه الآية دلالة واضحة على أنه يجوز أن يغفر الله بلا توبة تفضلاً منه أو بشفاعته النبي لأنه لم يشترط التوبة بل أطلقها هكذا قال الشيخ عليه السلام في التبيان.

و قال صاحب الكشف في قوله: إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا يعني بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط في القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكراً له فيما يذكر فيه لأن القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض قراءة ابن عباس وابن مسعود **يَغْفِرُ الذُّنُوبَ لِمَنْ يَشَاءُ** والمراد بمن يشاء من تاب لأن مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته إنتهى كلامه.

**أقول** ما ذكره صاحب الكشف و تبعه على ذلك غير واحد من المفسرين لا يرجع الى محصل وليس في المقام تناقض أصلاً ولا ينافي غفران الذنوب جميعاً عدله وحكمته وكان صاحب الكشف لم يتدبر في الآية حق التدبر وذلك لأن الآية صرحت بأن الله يغفر الذنوب التي صدرت من عباد الله من الإسراف على أنفسهم لا الذنوب بقول مطلق بأي نحو إتقت، وتوضيح ذلك إجمالاً أنه لا إشكال في أن الإسراف من مصاديق الذنب وكل ذنب فهو ظلم فالمسرف ظالم مذنب سواء كان الإسراف في المال أم في العبادة وذلك لأن الإسراف التجاوز عن حد الاعتدال في أي شيء كان فأما الإسلام دين الاعتدال والأمة أمة الوسط.

بَابُ  
الْقُرْآنِ فِي تَفْصِيلِ  
الذُّنُوبِ

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

قال تعالى: (لَتَكُونُوا أُمَّةً وَسَطًا)، فكل ما جاوز حدَّ الوَسْطِ دَخَلَ فِي الظُّلْمِ لِأَنَّهُ ذَنْبٌ، ثُمَّ أَنَّ الظُّلْمَ عَلَى أَقْسَامٍ:

أحدها: الظُّلْمُ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ الشَّرْكُ بِاللَّهِ قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ لِقْمَانَ: وَإِذْ قَالَ لِقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ<sup>(١)</sup>. وصفه بالعظمة لِأَنَّهُ لَا يَغْفِرُ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ.

قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ<sup>(٢)</sup>. فثبت و تحقَّق أَنَّ الشَّرْكَ بِاللَّهِ ذَنْبٌ لَا يَغْفِرُ وَهَذَا أَحَدُ أَقْسَامِ الظُّلْمِ وَالدَّيْنِ لَا كَلَامَ لَنَا فِيهِ فَعَلَّا إِذْ لَا شَكَّ لِأَحَدٍ أَنَّ هَذَا الدَّيْنَ غَيْرُ دَاخِلٍ تَحْتَ الْمَغْفِرَةِ فِي الْآيَاتِ.

الثاني: من أقسام الظُّلْمِ، الظُّلْمُ عَلَى الْغَيْرِ كغصب ماله أو هتكه أو ضربه أو قتله أو غير ذلك وهذا الذَّنْبُ مِمَّا يَغْفِرُ بِسَبَبِ التَّوْبَةِ وَرِضَا الْمَظْلُومِ كَمَا هُوَ مَقْرَرٌ فِي بَابِ التَّوْبَةِ.

الثالث: الظُّلْمُ عَلَى النَّفْسِ كترك الواجب أو فعل الحرام إذا لم يتعدَّ إِلَى الْغَيْرِ اذ فِي صُورَةِ التَّعْدِي يَدْخُلُ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي وَهُوَ الظُّلْمُ عَلَى الْغَيْرِ. إِذَا عَرَفْتَ أَقْسَامَ الظُّلْمِ وَعَرَفْتَ أَنَّ كُلَّ ظُلْمٍ ذَنْبٌ وَبِالْعَكْسِ. فنقول أَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ فَهُوَ خَارِجٌ عَنِ الْبَحْثِ لِأَنَّهُ مِمَّا لَا يَغْفِرُ وَأَمَّا الْبَحْثُ فِي الذُّنُوبِ الَّتِي تَغْفِرُ وَهِيَ إِثْنَانِ: الظُّلْمُ عَلَى الْغَيْرِ، وَالظُّلْمُ عَلَى النَّفْسِ.

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ، الدَّيْنُ الَّذِي يَسْرِي إِلَى الْغَيْرِ، وَالَّذِي لَا يَسْرِي إِلَى الْغَيْرِ. أَمَّا الَّذِي يَسْرِي إِلَى الْغَيْرِ فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى التَّوْبَةِ قَطْعاً وَجَلْبِ رِضَا الْمَظْلُومِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَدَّى إِلَى حَقِّ الْغَيْرِ بِغَصْبِ مَالِهِ أَوْ هتكِهِ أَوْ قتلِهِ أَوْ غِيْبَتِهِ فَلَوْ أَرَادَ أَنْ

يغفر الله له يجب عليه جلب رضا الخالق بالتوبة و جلب رضا الخلق لأنه ضيع حقه ففي هذه الصورة يغفر الله له.

و أما المغفرة بدون هذين الشرطين فهي تنافي عدله و حكمته لأنها توجب تضييع حق الغير و هو ظلم و الله تعالى منزّه عنه.

و أما الذنب الذي لم يسر الى الغير بل كان بين العبد و معبوده و بعبارة أخرى ضييع حق الله فقط و هذا هو الذي يعبر عنه بالظلم على النفس فأى احتياج فيه الى التوبة بالمعنى الذي ذكرناه بل توبته إنبته و رجوعه عما كان عليه و إقباله و توجيهه الى ربه، فغفران لهذا المذنب من الله تعالى لا شرط فيه سوى الإنابة اليه إذ المغفرة في هذه الصورة بإرادة الله و مشيئته و لا توجب تضييع حق أحد من الخلق حتى يقال أنها تنافي عدله و حكمته أليس لله تعالى أن يغمض عن حقه و يعفوا عن عبده و يغفر له، أيجوز لولي الدم العفو عن القاتل و لا يجوز لله العفو عن المذنب. و الحاصل أن إغماض صاحب الحق عن حقه لا ينافي العدل بل هو أعلى مرتبة من العدل إذ في العفو لذة ليست في غيره بل هو من أحسن الصفات.

و أما تفسير الآية على ما حققناه فنقول: **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا عَلَىٰ غَيْرِهِمْ** من الخلق أي الذين إرتكبوا الذنب على أنفسهم بأن تركوا الواجب أو فعلوا الحرام الذي لم يسر الى الغير و لم يوجب تضييع حقه **لَا تَقْنَطُوا** أي لا تيأسوا من رحمة الله التي وسعت كل شيء **إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ** التي كانت كذلك أي كانت على أنفسكم لا على غيركم، جميعاً أنه هو الغفور الرحيم، و على هذا فالآية ناظرة الى الإسراف و التعدي على النفس لا مطلقاً و هذا لا ينافي عدله بل يقويه و يزيّنه و أما الآيات التي شرط فيها التوبة فهي ناظرة الى مطلق الذنب فلا تناقض البن هذا كله في رد استدلاله و قوله أنه ينافي عدله و حكمته، و إلا فقد ذكر الله تعالى الإنابة بعد هذه الآية فقال:

**وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا**

## تَنْصَرُونَ

و الإنابة هي التوبة بوجهٍ وغيرها بوجهٍ آخران التوبة رجوعٌ عن المخالفة إلى الموافقة أي عن مخالفة حكم الحق إلى موافقته و أما الإنابة فهي الرجوع إلى الله. و إلى هذا المعنى أشار الله بقوله: وَ أَنْيَبُوا إِلَيَّ رِبِّكُمْ أَيِ إِرْجِعُوا إِلَيْهِ وَ أَعْرَضُوا عَمَّا سِوَاهُ وَ لذلك قالوا الإنابة أعلى مرتبة و أرفع شأنًا عن التوبة، فالتوبة للعوام و الإنابة للخواص فأن الإعراض عما سوى الله ليس من شأن العوام و بعبارة أخرى كل منيب إلى الله فهو تائب قطعاً و ليس كل تائب منيباً إليه بل الحق أن الإنابة من شئون الأنبياء و الأولياء فأن الإعراض عما سوى الله معناه ترك الدنيا و الإقبال إلى الآخرة بالكليّة، بل المنيب لا توجه له إلى الآخرة أيضاً:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إلهي ما عبدتك خوفاً من نارِكَ و لا طمَعاً في جَنَّتِكَ بل عبدتك لأتّي و جَدَّتِكَ مُسْتَحَقّاً للعبادة، فَمَنْ عَرَفَ الله لا يَعْرِفُ سِوَاهُ و يقول لو كشف الغطاء ما ازدادت يقيناً.

و أما قوله: وَ أَسْلِمُوا لَهُ فهو إشارة إلى مقام التسليم في جنب قضاءه و قدره و أحكامه.

و قد روى في مشكاة الأنوار عن الصادق عليه السلام قال: كان عليّ عليه السلام يقول: اللَّهُمَّ مَنْ عَلَيَّ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ وَ التَّفْوِيزِ إِلَيْكَ وَ الرِّضَا بِقَدْرِكَ وَ التَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ حَتَّى لَا أَحْبَبَ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ وَ لَا تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَمِينَ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ أَيِ أَنْيَبُوا إِلَى اللَّهِ وَ أَسْلَمُوا لَهُ، قَبْلَ نَزُولِ الْعَذَابِ، وَأَمَّا بَعْدَهُ فَلَا تَنْصَرُونَ وَ هُوَ ظَاهِرٌ.

وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَ أَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ

اختلفوا في المراد بالأحسن الذي يجب إتباعه ف قيل المراد به أحسن ما انزل  
لأنه أراد بذلك الواجبات و النفل التي هي الطاعات دون المباحات و المقبّحات  
التي لا يأمر بها.

و قال السّدي، أحسن، أي ما أمر الله به في الكتاب، و قال قوم يريد به  
الناسخ دون المنسوخ.

و قال الحسن، أحسنه، أن يأخذوا بما أمرهم الله به و أن ينتهوا عما نهاهم عنه  
و قالوا غير ذلك أيضاً، و الحق أن الآية من قبيل قوله تعالى: **فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ  
يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ** (١).

و قد مرّ الكلام فيها فكما أن الأقوال فيها حسنٌ و أحسن على ما تقدّم ذكره  
كذلك في الآيات المنزلّة حسن و أحسن هذا إذا كان المراد من قوله: **أَحْسَنَ مَا  
أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ** الآيات القرآنيّة و يحتمل أن يكون المراد به الأحكام الشرعية فإنها  
أيضاً نزلت على النبي من جانب الله تعالى و كيف كان فالآيات و الأحكام فيها  
حسن و أحسن كما لا يخفى فإن الإنفاق حسن في نفسه و الإنفاق على الأيوين  
أحسن و الصّوم حسن مرغوب فيه و الصّوم مع ترك المحرمات أحسن وهكذا.  
و قوله: **مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَغْتَةً** أي فجأة و الندم بعد نزول  
العذاب لا فائدة فيه كما قال تعالى:

**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ  
كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ**

قيل أن، في موضع نصب أي كراهية أن تقول، و عند الكوفيّين، لئلا تقول، و  
عند البصريّين، حذر، أن تقول، و قيل أي من قبل أن تقول نفس لأنه قال قبل هذا  
**مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ**.

قال الزّمخشري في الكشف، فأن قلت، لم نكرت، قلت لأن المراد بها بعض

في آيات القرآن في تفسير

جزء ٢٤

الجلد الخامس

الأنفس و هي نفس الكافر إنتهى.

أقول قوله لأنّ المراد بها بعض الأنفس لا كلام فيه وأما قوله و هي نفس الكافر فلا وجه لتخصيص النفس بنفس الكافر فإنّ قوله تعالى: أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ عَامٌ يشمل كلّ نفس لا على التّعيين والحسرة لا تختصّ بالكافر وهو واضح.

وقوله: فِي جَنْبِ اللَّهِ قيل معناه في طاعة الله وقيل في ذكر الله يعني القرآن والعمل به، وقيل في ثواب الله.

وقال الفراء، الجنب القرب والجوار يقال فلان يعيش في جنب فلان أي في جواره ومنه (والصّاحب بالجنب) والمعنى على ما فرطت في طلب جواره وقربه وهو الجنّة وقال الزجاج، أي على ما فرطت في الطّريق الذي هو طريق الله الذي دعاني إليه والعرب تسمي السّبب والطّريق إلى الشّيء جنباً، وقيل في جنب الله، أي في الجانب الذي يؤدّي إلى رضا الله عزّ وجلّ وثوابه والعرب تسمي الجانب جنباً، وهذا أقوى الأقوال وأحسنها وأن كان لكلّ منها وجهٌ وجيهٌ.

وأما قوله: يَا حَسْرَتِي والأصل يا حسرتي فأبدل من الباء، أَلِفٌ لأنها أخفّ وأمكن في الإستغاثة بمدّ الصوت وربما ألحقوا بها الهاء ويقال يا حسرتاه، والهفاه، واغوثاه وأمثال ذلك والمقصود أنّ الغفلة توجب الحسرة والنّدامة ومعنى الآية أن تقول نفس يا حسرتا أي يا حسرتي وتأسفي على ما فرطت، أي قصّرت فإنّ التّفريط إهمال ما يجب أن يتقدّم فيه حتّى يفوت وقته ومثله التقصير أي قصّرت في الإتيان بأمر الله ونهيه، وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السّٰخِرِينَ السّخرية الإستهزاء بالنّبي والكتاب والدين وهذا إقرار منهم على نفوسهم بالإستهزاء ونحن نرى في زماننا هذا ما حكاه الله تعالى في الآية عن الكفّار، من الذين يدعون الإسلام ومع ذلك يستهزؤون بالمؤمنين الذين يصلّون ويصومون ويحجّون وينسبونهم بالإرتجاع ولم يعلموا أنّ هذا كفرٌ بالله وإرتداد من دينه فإنّ حلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه كذلك والذين لا يختصّ بزمان دون زمان أو يقومون قوم وقد

بَابُ الْقِرَاءَاتِ فِي الْقُرْآنِ

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر



قال الله تعالى: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ<sup>(١)</sup>.

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ

أي ولئلا تقول لو أن الله هداني، أي أراد هدايتي وإيماني لكنت من المتقين، مفهوم الآية أن الله تعالى لم يرد مني الإيمان ولذلك بقيت على الكفر. وهذا قول الجبريين، ولم يعلموا أن الله هداهم إلى الإيمان بواسطة النبي فأَنَّ الهداية هي إرائة الطريق وقد فعل النبي ذلك.

قال الله تعالى: إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعُفَى عَلَى الْهُدَى<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ<sup>(٤)</sup>.

فهذه الآيات وأمثالها تدل على أن الله هداهم وهدانا بواسطة أنبيائه فما معنى قولهم لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي وقد قلنا سابقاً أن الهداية فرع على الإرادة.

أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ

أي ولئلا تقول حين ترى العذاب لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً أي رجعة إلى دار الدنيا لكنت من المحسنين الذين يفعلون الطاعات، وذلك لأنه يقال له إنك كنت قبل ذلك في دار الدنيا فلم تكن من المحسنين وإليه الإشارة بقوله:

بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ

والمراد بالآيات الآيات القرآنية على ما قال المفسرون والحق أن المراد بها الاعمال من التكوينية والتشريعية فأَنَّ الآيات جمع أية وهي العلامة الدالة على

نبأ القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

الجلد الخامس

٢- الإنسان = ٣

١- آل عمران = ٨٤

٤- أفضص = ٥٠

٣- فضلت = ١٧

خالقها و في كلّ شيءٍ له آية و المراد بتكذيبها إنكارها و هم كانوا كذلك كما قال تعالى: وَ كُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ.

و في قوله: وَ اسْتَكْبَرْتَ إشارة إلى أن تكذيبهم الآيات لأجل إستكبارهم لا لجهلهم فأنهم كانوا من أتباع الشيطان و إستكبروا كما إستكبر الشيطان.  
تنبيه:

قال الشيخ في التبيان أنما خاطب بالتذكير و النفس مؤنثة لأنه أراد بالنفس الإنسان إنتهى.

أقول أراد بالتذكير، فتح التاء في قوله: فَكَذَّبْتَ بِهَا وَ اسْتَكْبَرْتَ وَ كُنْتَ، مع أن الخطاب ظاهراً للنفس و القاعدة تقتضي كسر التاء في الخطاب للمؤنث فأجاب الشيخ بأن المراد بالنفس الإنسان و هو مذكر، و نحن نقول كأنه غفل عن أن النفس تقع على الذكر و الأنثى لأن تأنيثه سماعي لا حقيقي هذا كما يَصَحُّ في الخطاب التذكير و هو فتح التاء كذلك يَصَحُّ التأنيث و هو كسر التاء في الخطاب.

و قد نقل عن أم سلمة عن النبي ﷺ: قد جاءتك آياتي فكذبت

بها و إستكبرت و كنت من الكافرين، بكسر التاء في الجميع.

و قرأ الأعمش بلى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي و هذا يدل على التذكير و المقصود أن القراءة جائزة بالكسر و الفتح لأن النفس تقع للمذكر و المؤنث بل بعضهم قد أنكر قراءة الفتح و قال يجب الكسر، و هذا أيضاً لا يَصَحُّ ألا ترى أن قبله أن تَقُولَ نَفْسٌ ثم قال: وَ إِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّاحِرِينَ و لم يَقُلْ من السَّاحِرَاتِ.

و يَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن حال الكفار يوم القيامة و أنهم مسوّدّة الوجوه

من شدة العذاب الذي أحاط بهم و ذلك لأنهم كذبوا على الله في الدنيا ثم قال،  
أليس في جهنم مثوى ومأوى للكافرين، و الهمة للإنكار والجواب بلى مثوهم،  
جهنم لأنهم تكبروا عن طاعة الله و عصوا أوامره.

وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ  
يَحْزَنُونَ

المشهور بين القراء التشديد من نجى ينجي مثل صرف يصرف و على هذا  
فهو من باب التفعيل و قرئ شاذاً بالتخفيف من أنجى ينجي، إنجاء، و على هذا  
فهو من باب الأفعال و المعنى واحد يقال نجيته و أنجيته، و المفازة، بالتوحيد  
قراءة العامة لأنها مصدر و قرأ الكوفيون، بمفازاتهم، على الجمع أيضاً جائز، و لما  
أشار الله تعالى فيما مضى إلى حال الكفار في الآخرة أشار في هذه الآية إلى حال  
المتقين فقال و ينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم، أي بمنجاتهم من النار و أصل  
المفازة المنجاة و به سميت الفلاة مفازة على وجه التناول بالنجاة منها، لا يمسهم  
السوء أي لا يمسهم ما يكرهونه من الغم و الهم و العذاب و لا هم يحزنون في  
الجنة بل يتنعمون فيها بأنواع النعم لأن فيها ما تشتهيه الأنفس و تلذبه الأعين.  
و محصل الكلام أن أسباب العيش و السُرور لهم فيها موجودة و أسباب  
الحزن و الغم مفقودة و لمثل ذلك فليعمل العاملون.

بِ  
الْقُرْآنِ  
و فِي  
الْجَنَّةِ  
يَنَجِّى  
اللَّهُ

اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ

أما أنه خالق كل شيء فمعناه أنه خالق لكل ما إنصف بالشيئية لأنه خالق نفس  
الشيء و ذلك لأن الشيء هو الوجود قال السبزواري في المنظومة:

ما ليس موجوداً يكون ليساً      قد ساوق الشيء لَدِينَا أَيْساً

و الأيس هو الوجود و أن شئت قلت هما مترادفان كالإنسان و البشر أطلق  
الشيء على الله تعالى بهذا المعنى.

جزء ٢٤

الجلد الخامس عشر

قال بعض المحققين أَنَّ الشَّيْءَ تَارَةً يُقَالُ وَ يُرَادُ بِهِ الْمَصْدَرُ وَ تَارَةً يُقَالُ وَ يُرَادُ بِهِ الْمَفْعُولُ أَعْنِي بِهِ الْمَشْيُ فَإِذَا وَصَفَ بِهِ تَعَالَى فَمَعْنَاهُ، شَاءَ وَإِذَا وَصَفَ بِهِ غَيْرَهُ فَمَعْنَاهُ الْمَشْيُ وَ لِذَلِكَ يُقَالُ هُوَ تَعَالَى شَيْءٌ لَا كَالْأَشْيَاءِ وَ لِلْبَحْثِ فِيهِ مَقَامٌ آخَرُ وَ كَيْفَ كَانَ لَا شَكَّ أَنَّ تَعَالَى خَالِقُ كُلِّ مَخْلُوقٍ.

وَأَمَّا أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ، فَقَدْ ظَهَرَ مَعْنَاهُ لِأَنَّ الْخَالِقَ وَكِيلٌ لِمَخْلُوقِهِ قَهْرًا أَوْ زَمَامًا أَمْرُ الْخَلْقِ بِيَدِهِ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَ يَحْكُمُ مَا يَرِيدُ وَ لَا نَعْنِي بِالْوَكِيلِ إِلَّا هَذَا.

لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ

مقاليد جمع مقلاد مثل مفاتيح جمع مفتاح، و قيل واحدها مقليد، و المقاليد المفاتيح و قيل المقاليد الخزائن و معنى الآية أَنَّ مفاتيح السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ تَحْتَ قُدْرَتِهِ وَ إِيخْتِيَارِهِ وَ هُوَ كُنْيَاةٌ عَنِ إِحَاطَتِهِ بِخَلْقِهِ وَ قُدْرَتِهِ كَمَا قِيلَ:

أَزِمَّةُ الْأُمُورِ طُرًّا بِيَدِهِ وَ الْكُلُّ مُسْتَمَدَّةٌ مِنْ مَدَدِهِ

و قوله: وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَنَّهُمْ يَخْسِرُونَ الْجَنَّةَ وَ نَعِيمَهَا وَ يَأْخُذُونَ النَّارَ وَ سَعِيرَهَا.

قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ تَأْمُرُوتَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ

قرأ ابن عامر، تأمروني، بنونين مخففين على الأصل، و قرأ نافع على حذف نون الثانية و إنما كانت المحذوفة الثانية لِأَنَّ التَّكْرِيرَ وَ التَّنْقِيلَ يَقَعُ بِهَا وَ أَيْضًا حَذَفَ الْأَوَّلَى لَا يَجُوزُ لِأَنَّهَا دَلَالَةُ الرَّفْعِ، وَ أَمَّا الْبَاقُونَ فَقَدْ قَرَأُوا بِنُونٍ وَاحِدَةٍ مُشَدَّدَةٍ عَلَى الْإِدْغَامِ وَ عَلَيْهَا الْمَصَاحِفُ وَ هُوَ الْأَقْوَى وَ عَلَيْهِ الْأَكْثَرُ، وَ مَعْنَى الْآيَةِ (قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْكَافِرَاتِ أَتَأْمُرُونَنِي أَنْ أَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) بِأَنَّ الْمَعْبُودَ مُنْحَصَرٌ فِي اللَّهِ وَ غَيْرِهِ لَا يَسْتَحَقُّ ذَلِكَ كَانْتِنَاءً مَا كَانَ.

أَنْ قُلْتُ مَا الْعَامِلُ فِي قَوْلِهِ: أَغْيِرَ.

قُلْتُ ذَكُرُوا فِيهِ وَجْهَان:

أحدهما: أن يكون تَأْمُرُونِيّ إِعْتِرَاضاً، و يكون التَّقْدِير (أَفْغِيرَ اللَّهُ أَعْبُدَ أَيُّهَا الجاهلون في ما تأمروني).

الثاني: أن لا يكون إِعْتِرَاضاً و يكون تقدير الكلام، (أَتَأْمُرُونِي أَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ أَيُّهَا الجاهلون في ما تأمروني) فعلى الوجه الأول فلا موضع لقوله، أَعْبُد، من الإعراب لأنه على تقدير أَعْبُدَ أَيُّهَا الجاهلون، و أمّا على الوجه الثاني عدم الإِعْتِرَاض فيكون موضعه نصباً على الحال و تقديره، أَتَأْمُرُونِي عَابِداً غَيْرَ اللَّهِ فمخرجه مخرج الحال قاله في التبيان.

و قال صاحب الكشاف أَفْغِيرَ اللَّهُ منصوب، بأَعْبُد، و تَأْمُرُونِيّ إِعْتِرَاض، و معناه أَفْغِيرَ اللَّهُ أَعْبُدَ بِأَمْرِكُمْ، و ذلك حين قال له المشركون، إِسْتَلِمَ بَعْضُ آلِهَتِنَا وَ نُوْمِنُ بِإِلَهِكَ إِنْتَهَى.

وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ، بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ

ثم قال تعالى لنبيه: وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الْأنبياء و الرسل، لئن أشركت، بالله غيره من الأصنام و الأوثان، لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ أي لو قعت عبادتك على وجه لا يستحقّ عليها الثواب وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ و الحبط العناد فقله: لَيَحْبَطَنَّ أي ليفسدن يقال حبط بطنه إذا فسد من داء معروف في الآية مسائل لا بأس بالإشارة إليها إجمالاً.

الأولى: قرئ، ليحبطن، عملك على البناء للفاعل و عليها المصاحف و قرئ على البناء للمفعول بضم الياء و قرئ بالثؤن و الباء و عليها فالمحيط هو الله.

الثانية: قال صاحب الكشاف.

فَأَنْ قُلْتُ الْمَوْحَى إِلَيْهِمْ جَمَاعَةُ الْأَنْبِيَاءِ فَكَيْفَ قَالَ: لَيْسَ أَشْرَكَتَ عَلَى التَّوْحِيدِ.

قُلْتُ مَعْنَاهُ أَوْحَى إِلَيْكَ لَيْسَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ مِثْلُهُ وَأَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَيْسَ أَشْرَكَتَ وَسَاقِ الْكَلَامِ إِلَى أَنْ قَالَ.

فَأَنْ قُلْتُ كَيْفَ يَصِحُّ هَذَا الْكَلَامُ مَعَ عِلْمِهِ تَعَالَى أَنَّ رُسُلَهُ لَا يَشْرُكُونَ تَحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ.

قُلْتُ هُوَ عَلَى سَبِيلِ الْفَرَضِ وَالْمَحَالَاتِ يَصِحُّ فَرْضُهَا لِأَغْرَاضٍ فَكَيْفَ بِمَا لَيْسَ بِمَحَالٍ إِنْتَهَى مَوْضِعَ الْحَاجَةِ مِنْ كَلَامِهِ.

أَقُولُ مَا ذَكَرَهُ لَا بَأْسَ بِهِ وَفِي الْمَقَامِ إِحْتِمَالٌ آخَرٌ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْخُطَابُ لِلنَّبِيِّ وَالْمِرَادُ الْأُمَّةُ هَذَا مِضَافاً إِلَى أَنَّ الْآيَةَ بَيَانُ حُكْمٍ كُلِّيٍّ وَهُوَ أَنَّ الشَّرْكَ بِاللَّهِ يَوْجِبُ حَبْطَ الْأَعْمَالِ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ صَدَرَ.

وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ مَرَحَلَةَ الْإِمْكَانِ غَيْرُ مَرَحَلَةِ الْوُقُوعِ فَالشَّرْكَ بِاللَّهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَخْلُوقِ فِي حَدِّ الْإِمْكَانِ لَا فِي حَدِّ الْمَحَالِ، وَالْأَنْبِيَاءُ لِكُونِهِمْ مَعْصُومِينَ لَا يَتَحَقَّقُ مِنْهُمْ الشَّرْكَ وَالذَّنْبُ وَالْمَانِعُ مِنَ الْوُقُوعِ هُوَ الْعِصْمَةُ وَعَدَمُ تَحَقُّقِ الشَّيْءِ لِأَجْلِ الْمَانِعِ لَا يَنَافِي تَحَقُّقَهُ فِي حَدِّ ذَاتِهِ عَلَى سَبِيلِ الْإِمْكَانِ، فَالْعِصْمَةُ تَمْنَعُ عَنْ فَعْلِيَةِ الذَّنْبِ فِي حَقِّهِمْ لِأَنَّهَا تَسْلُبُ الْقُدْرَةَ عَنْهُمْ حَتَّى يُقَالَ أَنَّ النَّبِيَّ لَا يَقْدِرُ عَلَى الذَّنْبِ إِذْ عَدَمُ الْقُدْرَةِ عَلَى الشَّيْءِ نَقْصٌ فِي الْفَاعِلِ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى عَدَمُ تَحَقُّقِ الذَّنْبِ عَنِ النَّبِيِّ إِمَّا لِعَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ، وَإِمَّا لَوْجُودِ الْمَانِعِ.

فَأَنَّ كَانَ الْأَوَّلَ فَلَا يَثَابُ عَلَيْهِ وَأَنَّ كَانَ الثَّانِي فَيَثَابُ عَلَيْهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقُدْرَةَ عَلَى الْفِعْلِ وَالْتِرْكَ عَلَى الْفَرَضِ مَوْجُودَةٌ إِلَّا أَنَّ الْمَانِعَ وَهُوَ الْعِصْمَةُ مَنَعَهُ عَنِ الْفِعْلِ بِإِخْتِيَارِهِ وَكَانَ قَادِرًا عَلَى الذَّنْبِ بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ وَفِيهِ أَجْرٌ عَظِيمٌ فَأَنَّ الْعِصْمَةَ لَيْسَتْ مِنَ الْمَوَانِعِ الْقَهْرِيَّةِ الَّتِي تَوْجِبُ سَلْبَ الْقُدْرَةِ عَنِ الْفَاعِلِ.

و حاصل الكلام أَنَّ المعصوم كغيره من أبناء البشر في القدرة على الذنب و لا فرق بينهما من هذه الجهة إلا أَنَّهُ أي المعصوم لا يذنب لأنَّ الله عصمه منه بعنياته و توفيقه إياه و أمَّا غير المعصوم فليس كذلك و العصمة لا توجب سلب الاختيار على الفعل و تركه فالمعصوم يقدر على الذنب بحسب طبيعته و مع ذلك لا يذنب بإختياره و لأجل ذلك يقال هو أفضل الخلق و إذا كان كذلك فالآية الشريفة لا تحتاج إلى التوجيه و التأويل بل هي كغيرها من الآيات المبيّنة للأحكام و قد ثبت أَنَّ الحكم المعلق على شرطٍ يدور مدار وجود شرطه فإذا إنتفى الشرط إنتفى المشروط لأنَّ المشروط يتتفي بإنتفاء شرطه فتأمل في المقام.

و أمَّا قوله: **بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ** فالتقدير، بل فأعبد الله، و تقديم المسند إليه لافادة الحصر أي إجعل العبادة له تعالى لا لغيره على وجه الحصر ألا ترى أَنَّ قولك، زيدا ضربت يوجب حصر الضرب في زيد أي ما ضربت غير زيد، بخلاف قولك ضربت زيدا فأنَّ إثبات الضرب لزيد لا يوجب نفي الضرب عن غيره فأنَّ إثبات شيءٍ لشيءٍ لا ينفي ما عداه، وهكذا قوله: **بَلِ اللَّهِ اعْبُدْ** و مثله قوله تعالى: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** في إفادة الحصر.

و أمَّا قوله: **وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ** حيث أمر الله نبيه بالشكر فالوجه فيه أَنَّ عبادة الله على وجه الإنحصار تتوقف على المعرفة و من المعلوم أَنَّ معرفة الله كذلك من أعظم النعم الإلهية بل لا نعمة فوقها، و قد ثبت أَنَّ الشكر على النعمة واجب عقلاً و شرعاً و لذلك أمر الله نبيه بالشكر على هذه النعمة العظيمة كن من الشاكرين.

بَابُ الْقُرْآنِ فِي تَضَمُّنِ الْقُرْآنِ

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

**وَ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَ الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَ السَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**

الْقَدْرَ بفتح القاف و سكون الدّال و الزّاء المنزلة و الشّرف والعظمة يقال رجل له قدر، أي منزلة و شرف و منه ليلة القدر، و على هذا فمعنى قوله: وَ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ أي ما عَظَمُوهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ، والوجه فيه أنّ تعظيم الموجود فرغ على معرفته و معرفة الله بكنهه لا يمكن لأحدٍ من خلقه و إذا كانت المعرفة بالكنه مستحيلة فكيف يمكن تعظيمه بما هو حقّه.

قال رسول الله ﷺ: ما عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ، و إذا كان سيّد البشر و أفضل الأنبياء و أقرب الخلق إلى الله معترفاً و مقرباً بعدم معرفة الله حقّ معرفته فما ظنّك بغيره هذا بالنظر إلى النّقل.

و أمّا من جهة العقل فلائ المخلوق كائناً ما كان متناهٍ في ذاته و صفته لأنّه حادث مسبوق بالعدم و مخلوقٌ به فوجوده إبتداء و إنتهاء و هكذا في صفاته لأنّها تابعة لوجوده و لا نعني بالمتناهي إلّا هذا.

و أمّا الخالق فهو غير متناهٍ في وجوده و صفاته و المعرفة الكاملة لا تحصل إلّا بإحاطة المدرك على المدرك على وجه الكمال و التّمام فمعرفة الله بالكنه لا تحصل لأحدٍ إلّا بما ذكرناه و لازم ذلك هو خروج المتناهي عن تناهيه محال و توضيح ذلك على سبيل الإختصار هو أنّ المخلوق متناهٍ ذاتاً و صفةً و من الصّفات العلم.

ثمّ أنّ المعرفة لا تحصل إلّا بالعلم، و العلم لا يوجد إلّا بإحاطة المدرك على المدرك و المفروض أنّ المدرك أعني به علم المخلوق متناه، و المدرك أعني به معرفة الله بالكنه غير متناهٍ فإحاطة علم الخلق بذاته تعالى و صفاته توجب خروج المتناهي عن كونه متناهياً و إلّا لا يكون محيطاً بغير المتناهي فالمدرك من حيث أنّه مخلوق يكون متناهياً و من حيث أنّه أحاط بغير المتناهي أن يكون غير متناهٍ فهو متناه و غير متناه و التّناهي و عدم التّناهي متناقضان فيلزم إجتماع النقيضين، و



هو محال فمعرفة الله بالكنه محال و هو المطلوب و إذا كان كذلك فكيف يعظم الله حقَّ تعظيمه و يعرف منزلته و هذا معنى ما قدروا الله حقَّ قدره فهذا الحكم من الأحكام العقلية التي لا تقبل التخصيص أبداً فهو ثابت في حق جميع الخلق من البدو الى الختم و الله أعلم.

و أما قوله: **وَ الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ** القبضه كناية عن قدرته كما يقال فلان في قبضتي أي تحت قدرتي وإختياري و الناس يقولون الأشياء في قبضته يريدون في ملكه و قدرته وإحتمل بعضهم أن يكون معنى القبض و الطي إفناء الشيء و إذهابه و عليه فالمعنى أن الأرض و السموات جميعاً ذاهبة فانية يوم القيامة قال المراد بالأرض الأرضون السبع و الدليل على ذلك قوله: **جَمِيعًا السَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** أيضاً كناية عن قدرته فأَنَّ اليمين كناية عن القدرة قيل ليس يريد به طياً بعلاج وإنصاب و أتما المراد بذلك الفناء و الذهاب و اليمين في كلام العرب قد تكون بمعنى القدرة و الملك و منه قوله تعالى: **لَأَخْذُنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ**<sup>(١)</sup> أي بالقوة و القدرة و منه قول الشاعر:

إذا ما رايةً رفعت بمجدٍ      تلقاها عرابه باليمين

و قال الآخر:

ولما رأيت الشمس أشرق نورها      تناولت منها حاجتي بيمينٍ  
و قوله: **سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** نزه ذاته المقدسة عن أن يشرك به أي أن الخالق الذي كانت قدرته كذلك فهو منزّه عن الشريك الذي لا يقدر على شيء.

**وَ نُنْفِخُ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا**

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ

النَّفْخُ بفتح النُّون وسكون الفاء والخاء نفخ الرِّيح في الشَّيْءِ ومنه نفخ الرُّوح في النَّشْأَةِ الأولى قال الله تعالى: فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي<sup>(١)</sup> يقال إِنْفَخَ بطنه ومنه إِسْتَعِيرَ إِنْفَخَ النَّهَارَ إِذَا ارْتَفَعَ ورجلٌ مَنْفُوخٌ أَي سَمِينٌ قاله في المفردات والصُّور بضمِّ الصَّاد وسكون الواو والراء قِيلَ هُوَ مِثْلُ قَرْنٍ يَنْفَخُ فِيهِ فَيَجْعَلُ اللَّهُ ذَلِكَ سَبَبًا لِعُودِ الصُّورِ والأرواح إلى أَجْسَامِهَا وروى بعضهم أَنَّ الصُّورَ فِيهِ صُورَةُ النَّاسِ كُلِّهِمْ وقوله: فَصَعِقَ الصَّاعِقَةُ والصَّاعِقَةُ يَتَقَارَبَانِ وَهُمَا الْهَذَّةُ الْكَبِيرَةُ إِلَّا أَنَّ الصَّعِقَ يُقَالُ فِي الْأَجْسَامِ الْعُلْوِيَّةِ.

قال بعض أهل اللغة الصَّاعِقَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ، الْمَوْتُ وَالْعَذَابُ، وَ النَّارُ.

فَمِنَ الْأَوَّلِ: قوله تعالى فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ كما في هذه الآية.

من الثَّانِي: قوله تعالى: أَنْذَرْتُكُمْ ضَاعِقَةً مِثْلَ ضَاعِقَةِ غَادٍ وَ ثَمُودَ<sup>(٢)</sup>.

من الثَّالِثِ: قوله تعالى: وَ يُزِيلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ<sup>(٣)</sup>.

قال الرَّازِبِيُّ فِي الْمِفْرَدَاتِ أَنَّ مَا ذَكَرُوهُ هُوَ أَشْيَاءٌ حَاصِلَةٌ مِنَ الصَّاعِقَةِ فَأَنَّ الصَّاعِقَةَ هِيَ الصُّوتُ الشَّدِيدُ مِنَ الْجَوِّ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْهُ نَارٌ فَقَطْ أَوْ عَذَابٌ أَوْ مَوْتُ فِيهِ فِي ذَاتِهَا شَيْءٌ وَاحِدٌ وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ تَأْثِيرَاتٌ مِنْهَا إِنْتَهَى.

وَكَيْفَ كَانَ فَقَوْلُهُ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَالصَّاعِقَةُ هَاهُنَا الْمَوْتُ، وَمَعْنَى الْآيَةِ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ، وَ النَّافِخُ هُوَ إِسْرَافِيلُ وَ أَنَّمَا أَتَى بِصِيغَةِ الْمَاضِي فِي جَمِيعِ أَلْفَاظِ الْآيَةِ مَعَ أَنَّ النَّفْخَ وَالصَّعِقَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ لِأَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ إِذَا كَانَ مُحَقَّقَ الْوُقُوعِ هُوَ فِي حُكْمِ الْمَاضِي كَقَوْلِهِ: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ أَنْشَقَ الْقَمَرُ<sup>(٤)</sup>.

وَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَأَنَّهُ نَفَخَ فِيهِ سَابِقًا وَ هَكَذَا قَوْلُهُ فَصَعِقَ أَي مَاتَ مَنْ فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) إِسْتثنَى مِنَ الْهَالِكِينَ قَوْمًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ مِنْهُمْ الْمَلِكُ النَّافِخُ الَّذِي يَنْفِخُ فِيهِ فَإِنَّهُ يَبْقَى بَعْدَهُ وَهَكَذَا غَيْرُهُ مِمَّنْ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ نَفِخَ فِيهِ أُخْرَى، أَيْ تَارَةً أُخْرَى.

فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ فَهَذِهِ النِّفْخَةُ الثَّانِيَةُ لِلْحَشَرِ، قِيلَ يَفْنِي اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ الصَّعَقِ وَمَوْتِ الْخَلْقِ، الْأَجْسَامُ كُلُّهَا ثُمَّ يَعِيدُهَا، وَمَعْنَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، إِخْبَارٌ عَنْ سُرْعَةِ إِيجَادِهِمْ لِأَنَّهُ إِذَا نَفِخَ النِّفْخَةُ الثَّانِيَةُ أَعَادَهُمْ عَقِيبَ ذَلِكَ فَيَقُولُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءٌ يَنْظُرُونَ مَا يَرَادُ وَيَفْعَلُ بِهِمْ.

أَقُولُ يَسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ النِّفْخَةَ الْأُولَى لِمَوْتِ الْأَحْيَاءِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ فَصَعَقَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَالْأَرْضِ، ثُمَّ بَعْدَ مَوْتِ الْأَحْيَاءِ وَلِحُوقِهِمْ بِالْأَمْوَاتِ، نَفِخَ فِي الثَّانِيَةِ لِأَحْيَاءِ الْجَمِيعِ فَقَوْلُهُ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، إِشَارَةٌ إِلَى قِيَامِ الْجَمِيعِ.

رَوَى عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ بِأَسْنَادِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، قَالَ سَأَلَ عَنِ النِّفْخَتَيْنِ كَمْ بَيْنَهُمَا، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا شَاءَ اللَّهُ فَقِيلَ لَهُ فَأَخْبَرَنِي يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ كَيْفَ يَنْفِخُ فِيهِ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمَّا النِّفْخَةُ الْأُولَى فَأَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ إِسْرَافِيلَ فَيَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ وَمَعَهُ الصُّورُ وَاللُّصُورُ رَأْسٌ وَاحِدٌ وَطَرَفَانِ وَبَيْنَ طَرَفِ كُلِّ رَأْسٍ مِنْهُمَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَإِذَا رَأَتْ الْمَلَائِكَةُ إِسْرَافِيلَ وَقَدْ هَبَطَ إِلَى الدُّنْيَا وَمَعَهُ الصُّورُ قَالُوا قَدْ أُذِنَ لِلَّهِ فِي مَوْتِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَفِي مَوْتِ أَهْلِ السَّمَاءِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَيَهْبِطُ إِسْرَافِيلُ بِحَظِيرَةِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ وَيَسْتَقْبِلُ الْكَعْبَةَ فَإِذَا رَأَوْهُ أَهْلُ الْأَرْضِ قَالُوا أُذِنَ لِلَّهِ فِي مَوْتِ أَهْلِ الْأَرْضِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَيَنْفِخُ فِيهِ نَفْخَةً فَيُخْرِجُ الصَّوْتُ مِنَ الطَّرَفِ الَّذِي يَلِي أَهْلَ الْأَرْضِ فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ ذُرُوعٌ إِلَّا صَعَقَ وَمَاتَ وَيُخْرِجُ الصَّوْتُ مِنَ الطَّرَفِ الَّذِي يَلِي أَهْلَ السَّمَاءِ فَلَا يَبْقَى فِي السَّمَوَاتِ ذُو رُوحٍ إِلَّا صَعَقَ وَمَاتَ إِلَّا إِسْرَافِيلُ. قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَيَقُولُ اللَّهُ لِإِسْرَافِيلَ يَا إِسْرَافِيلُ مَت

فيموت إسرافيل فيمكثون في ذلك ما شاء الله الخبر<sup>(١)</sup>.

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

الإشراق الإضاءة يقال أشرقت الأرض أي أضاءت و قيل أي طلعت، و اختلفوا في النور، فقال قومُ المراد به العدل أي أضاءت الأرض بعدل ربِّها، و قيل معناه الحكم بالحق فيها، و قيل أَنَّ الله يخلق نوراً يوم القيامة يلبسه وجه الأرض فتشرق الأرض به.

قال ابن عباس، و قيل أَنَّ الأرض يومئذٍ من فِضَّة تشرق بنور الله تعالى حين يأتي لفصل القضاء والمعنى أَنَّها أشرقت بنور خلقه الله فأضاف النور إليه على حدِّ إضافة الملك إلى المالك و قيل أَنَّهُ اليوم الذي يقضي فيها بين خلقه لأنَّه نهار لا ليل معه.

و قال بعض المعاصرين في تفسيره لهذه الآية بعد نقله الأقوال وردّها، ما هذا لفظه ولا يبعد أن يراد، والله أعلم، من إشراق الأرض بنور ربِّها ما هو خاصّة يوم القيامة من إنكشاف الغطاء و ظهور الأشياء بحقائقها و بدو الأعمال من خير أو شرّ أو طاعة أو معصية أو حقّ أو باطل للنّاطرين و إشراق الشّيء هو ظهوره بالنّور ولا ريب أَنَّ مظهرها يومئذٍ هو الله سبحانه إذ الأسباب ساقطة دونه فالأشياء مشرقة بنور مكتسب منه تعالى و هذا الإشراق و أن كان عامّاً لكلّ شيء يسعه النّور لكن لما كان الغرض بيان ما للأرض و أهلها يومئذٍ من الشّأن خصّها بالبيان فقال: وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا و ذكره تعالى بعنوان ربوبية الأرض تعريضاً للمشركين المنكرين لربوبيته تعالى للأرض و ما فيها و المراد بالأرض مع ذلك الأرض و ما فيها و ما يتعلّق بها كما تقدّم أَنَّ المراد بالأرض في قوله: وَ الْأَرْضُ

بناء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

جَمِيعًا قَبِضْتُهُ ذَلِكَ إِنْتَهَى مَوْضِعَ الْحَاجَةِ مِنْ كَلَامِهِ.

**أَقُولُ** أُنَمَا ذَكَرْنَا أَقْوَالَهُمْ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ بِطَوَّلِهَا وَتَفْصِيلِهَا لِأَنَّ بَعْدَ التَّأَمُّلِ فِيهَا لَمْ يَحْصُلْ لَنَا مَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ وَتَطْمَئِنُّ بِهِ النَّفْسُ فَنَقْلُنَا أَقْوَالَهُمْ فِي الْمَقَامِ لَعَلَّكَ تَفْهَمُ مِنْهَا مَا لَمْ نَفْهَمْ مِنْهُ وَالَّذِي يَخْطُرُ بِالْبَالِ فِي مَعْنَى الْآيَةِ هُوَ أَنَّ الْمَرَادَ بِالْأَرْضِ فِي الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ أَرْضَ الْمُحْشَرِ، لَا هَذِهِ الْأَرْضَ الْمُحْسُوسَةَ الْمَشْهُودَةَ. وَحَيْثُ أَنَّ الْمَفْسِّرِينَ حَمَلُوا الْأَرْضَ الْمَشْرُقَةَ بِنُورِ رَبِّهَا عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ فَاضْطَرَّتْ كَلِمَاتُهُمْ حَوْلَ مَعْنَى الْآيَةِ وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْحِسَابِ هِيَ أَرْضُ الْمُحْشَرِ لَا أَرْضَ الدُّنْيَا فَإِنَّ أَرْضَ الدُّنْيَا لِلْعَمَلِ لَا لِلْحِسَابِ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا الْمُنْوَالِ فَمَا أَنْ نَقُولَ أَرْضَ الْمُحْشَرِ لَا نُورَ فِيهَا وَأَمَّا نَقُولَ أَنَّهَا مَشْرُقَةٌ.

**أَمَّا الْقَوْلُ الْأَوَّلُ:** فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ إِذْ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا نُورٌ فَتَكُونُ فِيهَا ظِلْمَةٌ إِذْ لَا وَاسِطَةَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ.

**فَالْقَوْلُ الثَّانِي:** هُوَ الْحَقُّ وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْأَسْبَابَ هُنَاكَ مُنْقَطِعَةٌ فَلَا شَمْسَ هُنَاكَ وَلَا قَمَرَ فَلَا مُحَالَةَ يَكُونُ شُرُوقُ الْأَرْضِ بِنُورِ خَالِقِهَا أَيْ بِمَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ لَا أَنَّ هُنَاكَ نُورٌ مِنْ سِنَخِ الْأَنْوَارِ الْمُحْسُوسَةِ فِي الدُّنْيَا وَأَنْ شَتَّ قَلْتَ بِنُورِ رَبِّهَا أَيْ بِوُجُودِ رَبِّهَا الَّذِي خَلَقَهَا فَإِنَّ الْوُجُودَ قَدْ يَجْبَرُ عَنْهُ بِالنُّورِ لِأَنَّ خَاصِيَّتَهُمَا الظُّهُورَ بِالذَّاتِ وَالْمُظْهَرِ لِلغَيْرِ فِيهِمَا وَاحِدٌ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِيهَا وَأَمَّا الْبَحْثُ حَوْلَ نُورِ اللَّهِ فَاسْكُتُوا عَمَّا سَكَتَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّ مَعْرِفَةَ نُورِ اللَّهِ مَعْرِفَةُ ذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي مَنَعْنَا عَنْ الْغُورِ فِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ فَحَمَلِ الْآيَةَ عَلَى ظَاهِرِهَا مِمَّا لَا إِشْكَالَ فِيهِ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: **وَوُضِعَ الْكِتَابُ** فَالظَّاهِرُ فِيهِ أَنَّ الْمَرَادَ بِالْكِتَابِ هُوَ صَحِيفَةُ الْأَعْمَالِ:

بَابُ الْفَرْقَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

حزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

قال الله تعالى: أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَسِيًّا<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ<sup>(٢)</sup>.

و المراد بالشهداء قيل هم الذين يشهدون على الأمم للأنبياء بأنهم قد بلغوا أحكام الله إلى الناس وأنهم كذبتهم أمهم، وقيل المراد بهم الذين شهدوا على الأمم من أمة محمد ﷺ:

قال الله تعالى: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ<sup>(٤)</sup>.

وقيل المراد بالشهداء الذين إستشهدوا في سبيل الله فيشهدون يوم القيامة لمن ذبَّ عن دين الله قاله السدي.

وقال ابن زيد هم الحفظة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم لقوله تعالى: وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ<sup>(٥)</sup> فالسائق يسوقها إلى الحساب والشهيد يشهد عليها وهو الملك الموكل بالإنسان وقوله تعالى: وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ أَيَّ أَنَّ الله تعالى يقضي بينهم بالحق، فلا ينقص أحد منهم شيئاً مما يستحقه من الثواب ولا يفعل به ما لا يستحقه من العقاب وإذا كان كذلك فهم لا يظلمون، لأنَّ القاضي بينهم هو الله تعالى وهو منزَّه عن الظلم ومتَّصف بالعدل وإلى هذا المعنى أشار بقوله:

وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ

١- الإسراء = ٧١

٢- الحج = ٧٨

٣- الإسراء = ١٤

٤- البقرة = ١٤٢

٥- ق = ٢١

و معنى التَّوْفِية إعطاء كل ذي حقَّ حقه على التَّمام و الكمال من غير نقیصة، و هذا مقتضى العدل فأنَّ العدل هو وضع الشَّيْ في محلِّه إذا أُعْطِيَ كلُّ ذي حقَّ حقه فقد وضع الشَّيْ في محلِّه.

و قوله: وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ معناه أنَّه تعالى لا يخفى عليه شَيْءٌ يُعْقَلُ أن لا يكون الخالق عالماً بما يفعل المخلوق بل هو أعلم بحاله و أفعاله و أقواله منه و هو ظاهرٌ لا خفاء فيه.

و سَبَقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمْرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَ قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَ يُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَ لَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ

لَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْ حَالِ الْكَافِرِينَ وَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ وَ أَنَّه تَعَالَىٰ يَثِيبُ وَ يِعَاقِبُ عَلَىٰ قَدَرِ اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَخْبَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ أَحْوَالِ الْكَفَّارِ فَقَالَ: وَ سَبَقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمْرًا سَبَقَ، بِكسر السَّين مجهول، ساق، و السَّوْقُ فِي اللُّغَةِ الْحَثُّ عَلَى السَّيْرِ يُقَالُ سَاقَهُ عَلَى السَّيْرِ إِذَا حَثَّ عَلَيْهِ وَ زُمِرَ بَضْمُ الزَّاءِ وَ فَتَحَ الْمِيمِ جَمْعٌ، زَمْرَةٌ، الْجَمَاعَةُ يُقَالُ فُلَانٌ فِي زَمْرَةٍ الْفَاسِقِينَ أَيْ فِي جَمَاعَتِهِمْ، وَ عَلَىٰ هَذَا فَالزُّمْرُ مَعْنَاهَا الْجَمَاعَاتُ وَ مَعْنَى الْكَلَامِ أَنَّ الْكَفَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسَاقُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ بِصُورَةِ جَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ بَعْضُهَا أَثَرُ بَعْضٍ، وَ فِي التَّعْبِيرِ بِالزُّمْرِ، دُونَ الْجَمَاعَاتِ إِشَارَةٌ إِلَى نَقْطَةٍ وَ هِيَ أَنَّهُمْ أَيْ الْكَفَّارَ حِينَ سَوْقِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ لَهُمْ صَوْتٌ كَصَوْتِ الْمَزْمَارِ وَ مِنْهُ مَزَامِيرُ دَاوُدَ يَعْنِي أَصْوَاتُ لَهُ كَانَتْ مُسْتَحْسَنَةً، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَتَرَى النَّاسَ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ زُمْرًا تَتَابَعَهُ بَعْدَ زَمِيرٍ

حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا أَيْ إِذَا جَاءُوا جَهَنَّمَ فَتَحَتْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ لَهُمْ، فَقَوْلُهُ: فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا جَوَابٌ، إِذَا، وَأَبْوَابُهَا سَبْعَةٌ، وَ قَدْ وَرَدَ فِي الْأَخْبَارِ أَنَّ

بَابُ الْقُرْآنِ فِي تَفْسِيرِ

جزء ٢٤

الجلد الخامس

أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةٌ وَأَبْوَابِ جَهَنَّمَ سَبْعَةٌ وَقَدْ نَصَّ الْكِتَابُ عَلَيْهِ أَيْضًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ<sup>(١)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِيهَا فِي سُورَةِ الْحَجَرِ وَنَقَلْنَا الْأَخْبَارَ الْوَارِدَةَ فِيهَا وَاسْتَكَلَّمْ فِي

هَذَا الْبَابِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِوَجْهِ أَسْطٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَيَّ خَزَنَةٍ جَهَنَّمَ وَهِيَ جَمْعُ خَازِنٍ، وَالْخَزَنَةُ الْمَلَائِكَةُ

الْمُوكَّلُونَ عَلَى النَّارِ وَأَمَّا قَالَتِ الْخَزَنَةُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ أَيَّ مَنْ جِنْسِ

الْبَشَرِ، عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ وَالتَّقْبِيحِ لِفَعْلِهِمْ فِي الدُّنْيَا فَالْهَمْزَةُ لِلْإِنْكَارِ يَسْتَلُونَ

عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ أَيَّ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ.

وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا أَيَّ الْآيَاتِ الْوَارِدَةِ فِي الْوَعِيدِ وَالْمَعْنَى

يُنْخَوْفُونَكُمْ عَنْهَا.

قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ أَيَّ قَالُوا فِي

جَوَابِ الْخَزَنَةِ، بَلَىٰ، قَدْ جَاءَنَا رُسُلٌ مِنَّا وَخُوفُنَا لِقَاءَ هَذَا الْيَوْمِ وَلَكِنْ حَقَّتْ

كَلِمَةُ الْعَذَابِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنْ كَفَرَبِهِ وَنَحْنُ مُسْتَحَقُّونَ بِذَلِكَ، وَالْغَرَضُ مِنْ

سُؤَالِ الْخَزَنَةِ وَجَوَابِ الْكَافَرِ أَنَّ الْحُجَّةَ قَدْ تَمَّتْ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا حَسَبَ إِقْرَارِهِمْ.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْمَقْرُ يُؤْخَذُ بِإِقْرَارِهِ فَأَنَّ إِقْرَارَ الْعُقْلَاءِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ جَائِزٌ وَ

عِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْمُوكَّلُونَ عَلَى جَهَنَّمَ كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ.

قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ

أَيَّ بِئْسَ مَقَامُ الْمُتَكَبِّرِينَ جَهَنَّمَ وَالْخُلُودُ فِيهَا ثُمَّ أَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَحْوَالِ

الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَ



فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَ قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ

لَمَّا أَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ إِلَى سَوْقِ الْكَفَّارِ إِلَى جَهَنَّمَ وَ مَا قَالَتْ الْخَزَنَةُ لَهُمْ أَشَارَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى سَوْقِ الْمُتَّقِينَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ وَ الْمُطِيعِينَ لِأَوَامِرِهِ وَ نَوَاهِيهِ فِي الدُّنْيَا فَقَالَ: وَ سَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا أَيَّ اجْتَنَبُوا مَعَاصِيهِ وَ فَعَلُوا طَاعَاتِهِ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا أَيَّ جَمَاعَةٍ بَعْدَ جَمَاعَةٍ حَتَّى إِذَا جَاءَ وَهِيَ أَيُّ الْجَنَّةِ وَ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا أَيُّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَ هِيَ ثَمَانِيَةٌ وَ قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَيُّ قَالَ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ عَلَيْهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَيُّ طَابَتْ أَعْمَالُكُمْ وَ زَكَتْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ أَيُّ فَادْخُلُوا الْجَنَّةَ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً عَلَى أَعْمَالِكُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ جَوَابَ، إِذَا، فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُحذُوفٌ بِخِلَافِهِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، وَ ذَلِكَ أَنَّ جَوَابَ الشَّرْطِ فِيهَا قَوْلُهُ: قَالُوا بَلَى وَ أَمَّا فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَلَمْ يَذْكَرْ وَ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ، سَعِدُوا، أَوْ فَازُوا، أَيُّ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا، سَعِدُوا، أَوْ فَازُوا، وَ فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا، وَ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْجَوَابُ فَادْخُلُوهَا وَ أَيْضًا فِي قِصَّةِ أَهْلِ النَّارِ حَذْفُ الْوَاوِ وَ قَالَ: فَتُحْتُ أَبْوَابُهَا بِدُونِ الْوَاوِ، وَ أَمَّا فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَلَمْ يَحْذَفْ وَ قَالَ: وَ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا قَالُوا أَنَّ الْوَاوَ زَائِدَةٌ، وَ الْحَقُّ أَنَّ الْوَاوَ فِي مَوْضِعِهِ وَ ذَكَرَهُ فِي الْكَلَامِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَبْوَابَ فَتَحَتْ لِلْمُتَّقِينَ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا لِكِرَامَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَ التَّقْدِيرُ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَ أَبْوَابُهَا مَفْتُحَةٌ جَنَّتِ عَذْبٌ مَفْتُحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ<sup>(١)</sup>.

وَ أَمَّا حَذْفُ الْوَاوِ فِي قِصَّةِ أَهْلِ النَّارِ لِأَنَّهُمْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ وَ فَتَحَتْ الْأَبْوَابَ بَعْدَ وَقُوفِهِمْ عَلَيْهَا، إِذْ لَا، لَهُمْ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنْ

في القرآن في تفسيره

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

## الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ

أي إذا دخلوا الجنة يحمدون الله و يشكرونه على ما أعطاهم من الجنة و نعيمها و أورثهم أرض الجنة قيل في التعبير بالأرث إشارة الى أن الجنة صارت عاقبة أمرهم كما يصير الميراث، و قيل ورثوها من أهل النار و قوله: تَتَّبَعُوا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ معناه نتخذ من أرضها أي مكان شئنا، فنعم أجر العاملين، في الدنيا بعد الموت و لمثل ذلك فليعمل العاملون.

و تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ قِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

و ترى الملائكة حافين من حول العرش، حافين، بتشديد الفاء فاعل من حَفَّ نصب على الحال و معنى حافين، محديقين، و منه قول النبي ﷺ: تَحَفُّهُ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا و جمعه، أحفّة و المعنى ترى الملائكة محديقين به يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ أي ينزهون الله و يقَدِّسونه متلذذين بذلك و قد مرّ الكلام في معنى العرش غير مرة قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ أي بين الخلاق، أو بين أهل الجنة و النار بالحق لا ظلم فيه على أحد فأن الله يعطي كل ذي حق حقه وَ قِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ القائل بذلك جميع المؤمنين و قد ثبت أن جميع المحامد يرجع اليه فأن الحمد على النعمة و جميع النعم منه تعالى و نحن أيضاً نقول آخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.



## سُورَةُ الْمُؤْمِنِ (غَافِرٍ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْ (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ  
 (٢) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ  
 الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ  
 (٣) مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا  
 فَلَا يَغْزُوكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْأِبْلَادِ (٤) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ  
 قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ  
 أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ  
 لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ  
 عِقَابِ (٥) وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى  
 الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦) الَّذِينَ  
 يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ  
 رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا  
 رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ  
 لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ  
 الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَادْخُلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي  
 وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَ

ذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَفَهُمُ  
 السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ  
 رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) إِنْ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَتِكُمْ  
 أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ  
 (١٠) قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتُنَتِّينَ وَ أَحْيَيْتَنَا أَتُنَتِّينَ  
 فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ  
 (١١) ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخُدَّهِ كَفَرْتُمْ وَ  
 إِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ  
 (١٢) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ  
 السَّمَاءِ رِزْقًا وَ مَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ (١٣)  
 فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ  
 الْكَافِرُونَ (١٤) رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ  
 يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ  
 عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ  
 لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ  
 الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَى  
 كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ  
 سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧) وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ  
 إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَا  
 لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨)  
 يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩)

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ  
دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ  
الْبَصِيرُ (٢٠)

### ◀ اللغة

ذِي الطَّوْلِ: الطَّوْلُ بفتح الطاء الفضل و المَن.  
يُجَادِلُ: المجادلة المخاصمة فى دفع حجج الله.  
تَقَلَّبُ: التقلب التصرف.  
لِيُدْحِضُوا: الإدحاض الإبطال.  
وَقِهِمُ: بكسر القاف أمر من وقى، بقي، الوقاية الحفظ.  
لَمَقَّتْ: المقت بفتح الميم أشدَّ العداوة والبغض.  
يُنِيبُ: اناب، ينيب، الإنابة، الرجوع.  
بَارِزُونَ: البروز، الظهور.  
الْأَرْفَ: الأرفة، الدانية من قولهم أرف الأمر إذا دنا.  
الْحَنَاجِرُ: جمع حنجرة.

### ◀ الإعراب

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ أي هو تنزيل الكتاب فالمبتدأ محذوف غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ  
التَّوْبِ كلتاها صفة لما قبله والإضافة محضة ذِي الطَّوْلِ صفة الَّذِينَ يَحْمِلُونَ  
مبتدأ و يُسَبِّحُونَ خبره رَحْمَةً وَعِلْمًا تمييز ومن صَلَحَ في موضع نصب عطفاً  
على الضمير في أدخلهم، ومن مَقَاتِلُهُمْ هو مصدر مضاف إلى الفاعل و أنفكسم  
منصوب به، وَحَدَّهُ مصدر في موضع الحال من أمره حال من الرُّوح أو متعلق  
بيلقي يَوْمَ هُمْ بدل من يوم التلاق (هَمْ) مبتدأ و بَارِزُونَ خبره كَاظِمِينَ حال  
من القلوب أو من الضمير في، لدى، يطاع في موضع جر صفة لشفيع على اللفظ

أو في موضع رفع على الموضع.

## ◀ التفسير

حَمْ، تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

حَمْ قرأ أهل الكوفة (حاميم) بإمالة الألف و قرأ الباقون بالفتح من غير إمالة و هما لغتان فصيحتان، وأما موضعه من الإعراب فقيـل، نصب و تقديره، أتل أو إقرأ، حَمْ، موضعه، جرّ، بالقسم و من جزم قال لأنها من حروف التّهجي و هي لا يدخلها الإعراب، و قد فتح الميم بعضهم و جعله إسم السُّورة و نصبه، و قد مرّ اختلاف المفسّرين في مبادي الصُّور ومعناها و هل هي أسماء للسُّور أو إشارة أو رمز أو كناية عمّا لا يعلمه إلّا الله تعالى و هذا هو الحقّ.

و قوله: تَنْزِيلُ الْكِتَابِ بالرفع على أنّه خبر لمبتدأ محذوف أي هو تنزيل الكتاب او هذا تنزيل الكتاب و يجوز أن يكون، حَمْ، مبتدأ و تنزيل الكتاب، خبره و المعنى أن القرآن أنزله الله و ليس منقولاً و لا ممّا يجوز أن يكذب به و قوله: مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ أي من جانب الله العزيز و هو القادر الذي لا يغالب و لا يقهر عالم بما يفعله و لا يخفى عليه شيء قبل هذه الصّفة لا تصح إلّا لله تعالى لأنّ غيره مغلوب مقهور تحت قدرته و لا يخلو من جهل كائنات من كان ثم وصف الله نفسه بوصفٍ آخر و قال:

غَافِرِ الذَّنْبِ وَ قَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
إِلَيْهِ الْمَصِيرُ

ذكر أولاً أنّه غافر الذّنـب، و هو مؤيّد بالعقل و النّقل و قد مرّ الكلام في هذا الحكم:

قال الله تعالى: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ

رَحْمَةً إِلَهُهُ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا<sup>(١)</sup>.

و غيرها من الآيات في تضاعيف الكتاب، و أما أَنَّهُ قَابِلُ التَّوْبِ، التَّوْبُ بفتح التاء قيل هو جمع توبة كدوم و دومة و عوم و عومة و قيل هو مصدر تاب يتوب توباً مثل قال يقول قولاً، و معنى التوبة الرجوع يقال تاب إذا رجع و أتما قال في الذنب، غافر، و في التَّوْبِ قَابِل، و لم يقل غافر الذنب و التَّوْبِ مثلاً، أو قَابِلُ الذَّنْبِ و التَّوْبِ، لأنَّ الذَّنْبَ مِمَّا يَغْفِرُ و التَّوْبَةَ مِمَّا تَقْبَلُ، فلامعنى لغافر التَّوْبِ كما لا معنى لقابل الذَّنْبِ و قد مرَّ الله تعالى بهذين الحكيمين على عباده:

قال الله تعالى: أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ<sup>(٣)</sup>.

و أما أَنَّهُ شديد العقاب، فقيل كما أَنَّهُ يغفر لكونه غافراً فقد يعاقب لكونه شديد العقاب و الحقُّ أن يقال أنَّ الثَّوَابَ و العقاب متقابلان فكما أنَّ ثواب الله لا حدَّ له كذلك عقابه لا حدَّ له و ذلك لأنَّ الرَّحْمَةَ و الفضل منشأ الثَّوَابِ و الغضب منشأ العقاب إلا أنَّ رحمته سبقت غضبه فلا إنتهاء لرحمته و فضله كما لا إنتهاء لغضبه فما نشأ منهما كذلك فهو أرحم الرَّاحِمِينَ في موضع الرَّحْمَةِ و أشدَّ المعاقِبِينَ في موضع النَّكَالِ و النَّقْمَةِ، فالجَنَّةُ و ما فيها من النِّعم من مظاهر رحمته و جهنَّم و ما فيها من العذاب من مظاهر غضبه ورد أعوذ بالله من غضب الجبار و قد أشار الله تعالى إلى هذا المعنى في كثير من الآيات.

قال الله تعالى: وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ<sup>(٤)</sup>.

قال الله تعالى: إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(٥)</sup>.



قال الله تعالى: **وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** <sup>(١)</sup>.  
وَأَمَّا أَنَّهُ تَعَالَى ذُو الطُّوْلِ فَهُوَ أَيْضاً وَاضِحٌ فَإِنَّ الطُّوْلَ بَفَتْحِ الطَّاءِ الْإِنْعَامُ وَ  
الْفَضْلُ، وَ مِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ النِّعَمَ كُلَّهَا مِنْهُ بَلْ لَا مَنَعَمَ إِلَّا هُوَ:  
قال الله تعالى: **إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا** <sup>(٢)</sup>.  
قال الله تعالى: **وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** <sup>(٣)</sup>.  
قال الله تعالى: **وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** <sup>(٤)</sup>.  
وقوله: **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ الْمَصِيرُ** فَهُوَ شَعَارُ التَّوْحِيدِ، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ وَ  
المرجع، قال تعالى: **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** فمنه البدء وإليه الختم، والمقصود  
أَنَّ الْأَوْصَافَ الْمَذْكُورَةَ لَا تَوْجِدُ إِلَّا فِي الْمَعْبُودِ الَّذِي لَا مَعْبُودَ سِوَاهُ وَإِلَيْهِ مَصِيرُ  
الْخَلْقِ.

**مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُزُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي  
أَلْبِلَادٍ**

الجدال بكسر الجيم في الأصل، المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة و  
أصله من جدلت الجبل أي أحكمت فتله يقال جدلت البناء أي أحكمته، وقيل  
الأصل في الجدال الصُّراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض  
الصلبة.

وقيل المجادلة المخاصمة وكيف كان فهو ممدوحٌ ومذموم، ويعبر عن الأول  
بالجدال عن الحق وعن الثاني بالجدال بالباطل.

**فَمِنَ الْأَوَّلِ:**

قال الله تعالى: **أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ**

بناء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس

جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ<sup>(١)</sup> و قد مرَّ البحث فيها هناك.

من الثاني: أعني به الجدال بالباطل وهو مورد الإشارة في الآية:

قال الله تعالى: وَ لَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ<sup>(٣)</sup>.

إذا عرفت هذا وما علمت أنَّ الجدال على قسمين حقُّ و باطل فقوله تعالى: مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ مِنَ الْجِدَالِ عَلَى الْبَاطِلِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْكَفَّارَ غَرَضُهُمْ مِنْهُ إِبْثَاتِ الْبَاطِلِ وَ إِدْحَاضِ الْحَقِّ وَ لِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَ أَنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ آيَاتِ اللَّهِ لَا يُجَادِلُ فِيهَا إِلَّا الْكَافِرُ بِاللَّهِ فَأَنَّ الْحَقَّ لَا جِدَالَ فِيهِ إِذْ لَيْسَ وَرَاءَ الْحَقِّ شَيْئاً وَ لِذَلِكَ لَا يُجَادِلُ الْمُؤْمِنُ فِي آيَاتِ اللَّهِ كَمَا هُوَ مَفْهُومُ الْآيَةِ وَ أَنَّمَا غَرَضُ الْكَافِرِ إِنْكَارَ آيَاتِ اللَّهِ وَ أَنَّهَا مِنْ أَسَاطِيرِ الْأَوَّلِينَ. فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ أَي تَصَرُّفُهُمْ فِي الْبِلَادِ، وَ ذَلِكَ لِأَنِّي وَ إِن أَمَهَلْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ لَكِنْ عَاقِبَتُهُمْ تَصِيرُ إِلَى الْعَذَابِ.

وَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَرِيدُ تِجَارَتَهُمْ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ وَ إِلَى الْيَمَنِ، وَ قِيلَ لَا يَغْرُرُكَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَ السَّعَةِ فِي الرِّزْقِ فَإِنَّهُ مَتَاعٌ قَلِيلٌ فِي الدُّنْيَا، وَ قِيلَ لَا يَغْرُرُكَ سَلَامَتُهُمْ بَعْدَ كُفْرِهِمْ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُمُ الْهَلَاكُ وَ الْعَذَابُ.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ الْأَخْرَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَ جَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ

أخبر الله تعالى في هذه الآية أنَّ الجدال بالباطل و إنكار الحق كان في الأمم السالفة أيضاً فقال: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ التَّائِيثُ بِإِعْتِبَارِ الْجَمَاعَةِ أَي

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

كَذَّبَتِ الرُّسُلَ قَبْلَ هَؤُلَاءِ الْكَفَّارَ قَوْمَ نُوحٍ، وَ الْأَحْزَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَ الْمَرَادُ بِالْأَحْزَابِ الْأُمَمَ الَّذِينَ تَحَزَّبُوا عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ بِالتَّكْذِيبِ نَحْوَ عَادٍ وَ ثَمُودٍ فَأَنْتَهُمْ أَيْضاً كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ.

وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ قَالَ: بِرُسُولِهِمْ وَ لَمْ يَقُلْ بِرُسُولِهَا لِأَنَّهُ أَرَادَ الرِّجَالَ دُونَ غَيْرِهِمْ وَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ، بِرُسُولِهَا، عَلَى ظَاهِرِ اللَّفْظِ وَ الْمَعْنَى هُمُومُ لِيَقْتُلُوهُ أَوْ جَادِلُوا بِالْبَاطِلِ، أَيْ جَادِلُوا لِيَدْحُضُوا بِهِ الْحَقَّ وَ يَبْطُلُوهُ فَأَخَذَتْهُمْ أَيْ أَخَذَتْ هَؤُلَاءِ الْكَفَّارَ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ، فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ، أَيْ أَلَيْسَ وَجْدُهُ حَقّاً فَمَا الَّذِي يُؤْمِنُ هَؤُلَاءِ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ وَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ حُكْمَ الْأَمْثَالِ وَاحِدٌ.

وَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ  
أَي وَ كَذَلِكَ وَجِبَتْ وَ لَزِمَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الْكَفَّارِ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْماً فَاعْفُ عَنَّا الَّذِينَ تَابُوا وَ اتَّبِعُوا سَبِيلَكَ وَ قِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ  
ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّهَ تَعَالَى عَنْ أَحْوَالِ الْمَلَائِكَةِ حَوْلَ الْعَرْشِ أَنَّهُمْ يَسْبِّحُونَ اللَّهَ يَكْفُرُونَ بِهِ فَقَالَ: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ مَنْ حَوْلَهُ أَيْ وَ الَّذِينَ مِنْهُمْ حَوْلَ الْعَرْشِ كُلَّهُمْ يَسْبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ، وَ لَا يَكْفُرُونَ بِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ أَيْ بِاللَّهِ تَعَالَى إِيْمَاناً خَالِصاً وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيْ يَطْلُبُونَ الرَّحْمَةَ وَ الْمَغْفِرَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَفْرَادِ الْبَشَرِ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْماً، نَصَبَهُمَا عَلَى التَّمْيِيزِ وَ الْمَعْنَى وَسِعَتْ رَحْمَتُكَ وَ نِعْمَتُكَ وَ عِلْمُكَ كُلَّ شَيْءٍ، فَنَقَلَ الْفِعْلَ إِلَى الْمَوْصُوفِ عَلَى وَجْهِ الْمُبَالَغَةِ.

تفسير القرآن في

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ أَيُّ وَيَقُولُونَ أَیْضاً، فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا، وَرَجَعُوا مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الذَّنْبِ، وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ الَّذِي دَعَوْتَ خَلْقَكَ إِلَيْهِ بِوَسْطَةِ أَنْبِيَائِكَ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ فِي الْعِبَادَةِ وَفِيهِمْ عَذَابٌ أَلْبَحِيمٌ أَيُّ إِمْنَعُ عَنْهُمْ عَذَابَ جَهَنَّمَ.

إِنْ قُلْتَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ تَابُوا، أَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ تَكْفِي لِإِسْقَاطِ الْعَذَابِ، وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى أَيْ احتِجَاجِ إِلَى الْإِسْتِغْفَارِ بَعْدَ التَّوْبَةِ. قُلْتَ إسْقَاطُ الْعَذَابِ عَنِ التَّائِبِ لَا يَجِبُ عَلَى اللَّهِ إِذْ لَوْ كَانَ وَاجِباً لَمَا كَانَ يَحْتَاجُ إِلَى مَسْأَلَتِهِمْ بَلِ اللَّهُ كَانَ يَفْعَلُهُ لَا مُحَالَةَ هَكَذَا قِيلَ.

أَقُولُ لَعَلَّ مُرَادَ الْقَائِلِ أَنَّ الْعَذَابَ وَجِبَ عَلَى الْمَذْنِبِ بَعْدَ تَحَقُّقِ الذَّنْبِ مِنْهُ فَالْعِقَابُ مُتَرَتِّبٌ عَلَى الذَّنْبِ تَرْتُّبُ الْمَعْلُولِ عَلَى عِلَّتِهِ وَالمَسْقُطُ لَا يَكُونُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى فَإِنْ قُلْنَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْإِسْقَاطُ فَقَدْ أَوْجَبْنَا عَلَى اللَّهِ الْإِسْقَاطَ يَجُوزُ الْحُكْمُ مِنَ الْمَخْلُوقِ عَلَى الْخَالِقِ وَأَنْ شِئْتَ قُلْتَ لَا يَجِبُ عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ، يَتِمُّ بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَسْتَحِقُّ شَيْئاً بِعَمَلِهِ وَأَمَّا الثَّوَابُ وَتَرَكَ الْعِقَابَ مِنَ اللَّهِ عَلَى سَبِيلِ التَّفَضُّلِ وَلِلْبَحْثِ فِيهِ مَقَامٌ أُخَرُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِإِسْتِغْفَارِهِمْ قَبُولَ تَوْبَةِ التَّائِبِ. فَقَوْلُهُ: فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا أَيُّ إِقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ، فَالْمُرَادُ بِالْإِسْتِغْفَارِ هُوَ قَبُولُ التَّوْبَةِ إِذْ لَا يَجِبُ عَلَى اللَّهِ قَبُولَ التَّوْبَةِ وَأَمَّا يَقْبَلُ التَّوْبَةَ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَرَحْمَةً عَلَى عِبَادِهِ وَأَمَّا قُلْنَا ذَلِكَ لِأَنَّ مَعْنَى قَبُولِ التَّوْبَةِ هُوَ إسْقَاطُ الْعَذَابِ إِذْ لَوْ لَمْ يَسْقُطِ الْعَذَابُ لَا مَعْنَى لِقَبُولِ التَّوْبَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

في القرآن تفسير القرآن

جزء ٢٤

العبد الخامس عشر

رَبَّنَا وَادْخُلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقَى السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ  
هَذَا أَيْضاً مِنْ قَوْلِ الْمَلَائِكَةِ يَقُولُونَ رَبَّنَا وَادْخُلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ أَيُّ وَعَدْتَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا وَهِيَ إِقَامَةٌ وَخُلُودٌ وَدَوَامٌ.

وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ أَي وَعَدْتَهُمْ أَيْضاً  
بذلك، أَنْتَ أَيُّ الْعَزِيزِ، أَيُّ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْحَكِيمِ، بَوْضِعَ كُلِّ شَيْءٍ فِي  
مَوْضِعِهِ.

وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَ ذَلِكَ  
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ هَذَا أَيْضاً مِنْ دَعَاءِ الْمَلَائِكَةِ يَقُولُونَ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ الْوَاوُ  
لِلْعُطْفِ وَقِهِمُ، فَعَلَ أَمْرٌ مِنْ وَقَى، وَبَقِيَ، وَالْأَمْرُ مِنْهُ، قِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالسَّيِّئَاتِ  
فِي الْمَقَامِ هُوَ السَّيِّئَاتِ مِنَ الْعَذَابِ أَعْنِي شِدَائِهَا وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَا هُوَ  
نَفْسُ الْعَذَابِ أَيْ وَقِهِمُ الْعَذَابَ وَالْوَقَايَةَ الْحِفْظَ أَيْ لَا تَعَذِّبْهُمْ وَمَنْ تَقِ  
السَّيِّئَاتِ أَيْ وَمَنْ صَرَفَتْ عَنْهُ الْعَذَابَ يَوْمَئِذٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَ ذَلِكَ،  
أَيْ صَرَفَ الْعَذَابَ عَنْهُ بِسَبَبِ الرَّحْمَةِ، هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ أَيْ هُوَ الْفَلَاحُ الْعَظِيمُ  
وَ أَيْ فَوْزٌ أَعْظَمُ مِنْ شُمُولِ الرَّحْمَةِ إِيَّاهُ فَأَنَّ مِنْ دَخَلَ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ فَازَ فَوْزاً  
عَظِيماً.

وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالسَّيِّئَاتِ نَفْسُ الْمَعَاصِي الَّتِي يَرْتَكِبُهَا الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا وَ عَلَيْهِ  
فَالْمَعْنَى وَ مَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ، إِشَارَةٌ إِلَى الدُّنْيَا أَيْ مِنْ وَقَفْتَهُ لَتَرِكَ الْمَعَاصِي فِي  
الدُّنْيَا فَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَعْنَيْنِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالسَّيِّئَاتِ عَلَى الْأَوَّلِ  
تَبَعَاتُ الْمَعَاصِي وَ هِيَ جَزَاؤُهَا وَ ذَلِكَ لِأَنَّ جَزَاءَ السَّيِّئِ سَيِّئٌ وَ وَقَايَتُهُمْ عَنْهَا أَيْ  
صَرَفَ الْعَذَابَ وَ الْعِقَابَ عَنْهُمْ.

على الثاني: هو أن يكون المراد بالسَّيِّئَاتِ الْمَعَاصِي فِي الدُّنْيَا صَرَفَهُمْ وَ مَنَعَهُمْ  
عَنِ الْمَعَاصِي الَّتِي هِيَ بِمَنْزِلَةِ الْعَلَّةِ وَ إِذَا فَقَدَتِ الْعَلَّةَ وَ هِيَ فَعَلَ الْمَعْصِيَةَ فَقَدْ  
الْمَعْلُولُ وَ هُوَ الْعِقَابُ وَ لِكُلِّ مِنْهُمَا وَجْهٌ وَجْهٌ إِلَّا أَنَّ سِيَاقَ الْكَلَامِ يَقْتَضِي أَنَّ  
يَكُونُ الْمُرَادُ بِيَوْمَئِذٍ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَوْمَ الدُّنْيَا بِدَلِيلِ قَوْلِهِمْ (وَ وَقِهِمُ عَذَابَ  
الْجَحِيمِ) وَ إِذَا كَانَ الْمُرَادُ بِيَوْمَئِذٍ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَالْمُرَادُ بِالسَّيِّئَاتِ هُوَ الْعِقَابُ الْمَتَرْتَّبُ  
عَلَيْهَا لَا نَفْسَ الْمَعَاصِي إِذْ لَا مَعْصِيَةَ وَ لَا طَاعَةَ فِي الْقِيَامَةِ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِدَارِ

وَقِيلَ الْمُرَادُ  
بِالسَّيِّئَاتِ نَفْسُ  
الْمَعَاصِي الَّتِي  
يَرْتَكِبُهَا الْإِنْسَانُ  
فِي الدُّنْيَا

جزء ٢٤

الجلد الخامس

التكليف.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: اليوم عَمَلٌ و لا حساب و غَدُ حسابٌ و لا عَمَلٌ، والذي يظهر من الآيات هو أَنَّ الدُّعاء أمرٌ مرغوب فيه على كُلِّ حالٍ و أمَّا أَنَّ إسقاط العذاب هل هو تفضُّل منه تعالى عند التَّوبة فيحتاج إلى الدُّعاء أو واجبٌ عليه فلا يحتاج إلى السَّؤال فقد مرَّ الكلام فيه مضافاً إلى أَنَّهُ خارج عن موضوع الكتاب.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ

المَقْتُ، بفتح الميم و سكون القاف و التاء مصدر يقال، مقت مَقْتاً، و المقت أشدُّ العداوة و البغض، و معنى الآية إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا، بالله، يُنَادُونَ بِضَمِّ الباء و فتح الدال بصيغة المجهول أي يقال لهم ينادون من قبل الملائكة بأمرٍ من الله لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ و ذلك أَنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا العذاب يقال لهم لمقت الله أكبر.

قال بعضهم لَمَّا رَأَوْا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم فنودوا لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم، و قيل لَمَّا تركوا الإيمان في الدُّنيا و صاروا إلى الكفر فقد مقتوا أنفسهم أعظم المقت كما يقول أحدنا لصاحبه إذا كنت لا تبالي بنفسك فلَمَّا أبالي بك.

و قال بعضهم معناه لمقت الله أكبر من مقت بعضهم لبعض.

أَقُولُ الآية لا تحتاج إلى هذه التكلِّفات لوضوح معناها و ذلك لأنَّهُمْ لَمَّا ماتوا على الكفر و عاينوا العذاب مقتوا أنفسهم أي ذمُّوها، فيقال لهم لمقت الله لكم بسبب عدم قبولكم الإيمان و بقاءكم على الكفر في الدُّنيا أكبر من مقتكم أنفسكم و هذا ممَّا لا خفاء فيه.

قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتُنَتِّينَ وَ أَحْيَيْتَنَا أَتُنَتِّينَ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ

أَمَتْنَا مِنْ أَمَاتٍ، يَمِيتُ، وَ التَّاءُ لِلخَطَابِ، وَ نَا، مَفْعُولٌ، أَيِ حَكَمْتَ بِمَوْتِنَا أَوْ أَقْبَضْتَ رُوحَنَا، أَتُنَتِّينَ، أَيِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ وَ أَحْيَيْتَنَا كَذَلِكَ وَ إِخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ، فَقَالَ إِبْنُ مَسْعُودٍ وَ إِبْنُ عَبَّاسٍ وَ الضَّحَّاكُ وَ قَتَادَةُ، وَ كَانُوا أَمَوَاتًا فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ ثُمَّ أَحْيَاهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ أَمَاتَهُمُ الْمَوْتَةَ الَّتِي لَا بَدَّ مِنْهَا فِي الدُّنْيَا حِينَ جَاءَ أَجْلُهُمْ ثُمَّ أَحْيَاهُمُ لِلْبَعْثِ وَ الْقِيَامَةِ فَهَاتَانِ حَيَاتَانِ وَ مَوْتَانِ وَ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أَمَوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ<sup>(١)</sup>.

وَ قَالَ السُّدِّيُّ، أَمِيتُوا فِي الدُّنْيَا ثُمَّ أَحْيَاهُمُ فِي الْقُبُورِ لِلْمَسْأَلَةِ ثُمَّ، أَمِيتُوا ثُمَّ أَحْيَا فِي الْآخِرَةِ وَ أَمَّا صَارَ إِلَى هَذَا لِأَنَّ لَفْظَ الْمَيِّتِ لَا يَنْطَلِقُ فِي الْعَرَفِ عَلَى النُّطْفَةِ فِي صَلْبِ الْأَبَاءِ، وَ قِيلَ أَخْرَجَهُمْ وَ أَحْيَاهُمْ وَ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ أَدَمَ، ثُمَّ أَمَاتَهُمْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ أَمَاتَهُمْ.

أَقُولُ مَا قَالَهُ السُّدِّيُّ أَظْهَرَ وَ أَقْوَى إِذْ لَا شَكَّ فِي الْإِحْيَاءِ لِلْمَسْأَلَةِ فِي عَالَمِ الْبَرَزِخِ ثُمَّ الْإِحْيَاءِ فِي الْآخِرَةِ لِأَجْلِ الْحِسَابِ وَ عَلَى هَذَا فَالْمَوْتَةُ الْأُولَى بَعْدَ حُلُولِ الْأَجْلِ وَ الْمَوْتَةُ الثَّانِيَّةُ بَعْدَ سُؤَالِ الْقَبْرِ فِي الْبَرَزِخِ، وَ الْحَيَاةُ الْأُولَى، الْحَيَاةُ الدُّنْيَوِيَّةُ، وَ الثَّانِيَّةُ، فِي الْآخِرَةِ وَ مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ الْكَفَّارَ قَالُوا إِنَّا بَعْدَ ذَلِكَ إِعْتَرَفْنَا وَ أَقْرَرْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ، فَنَسْلُكُهُ فِي طَاعَتِكَ وَ إِتِّبَاعِ مَرْضَاتِكَ أَوْ هَلْ لَنَا طَرِيقٌ إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْعِقَابِ الَّذِي وَجِبَ لَنَا بِسَبَبِ الْمَعَاصِي.

وَ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْجَوَابَ لَا طَرِيقَ لَكُمْ فَبِهَذَا الْكَلَامِ مِنْهُمْ مِثْلَ قَوْلِ الْقَائِلِ رَبِّ ارْجِعْهُنَّ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ.

وَ الْجَوَابُ، الْجَوَابُ وَ هُوَ قَوْلُهُ: كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا<sup>(٢)</sup>.

بَيَانُ الْقُرْآنِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

حزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

ثُمَّ عَلَّلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ:

ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخَذَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا  
فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

هذا جواب من الله تعالى عن قولهم فهل إلى خروج من سبيل، وحاصله أنكم إذا دعيتم إلى توحيد الله كفرتم به وإذا دعيتم إلى الشرك به وعبادة الأصنام والأوثان أمنتهم به ومن كان كذلك فقد حق عليه كلمة العذاب ماله من جواب فالحكم في ذلك لله العلي الكبير، والعلي، القادر على كل شيء وحكمه حق وقوله صدق، وهو لا يظلم على أحد أنما تجزون ما كنتم تعملون إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ.

ومحصل الكلام أن الندامة والحسرة يوم القيامة على ما فات من العبد في الدنيا بسوء سريره وإختياره لا فائدة فيها.

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَ مَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ

أي أن الذي كنتم كفرتم به في الدنيا وأشركتم به هو الذي يريكم آياته، فيها وأقام لكم الحجج والبراهين بواسطة انبياء، وينزل لكم من السماء رزقاً، من الغيث والمطر الذي ينبت ماهو رزق الخلق، وما يتذكر، به إلا من ينيب ويرجع إليه ويتدبر في آياته وأما من أقبل إلى الأصنام والأوثان وتابع الشيطان ولم يرجع إلى الله فكيف يتذكر، وفي هذه الآية إشارة إلى نكتة خفية وهي أنكم تأكلون رزقه وتعبدون غيره، وهذا عجيب.

فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ

الفاء للتفريع أي إذا كان الله يريكم آياته الدالة على توحيده و يرزقكم من



السَّما فاعبدوه و أدعوه مع الإخلاص ولو كره الكافرون، ذلك لأنَّ الكافر بالله حاله معلومٌ فلا تبالوا بهم فاعبدوا ربَّكم رغماً لأنوفهم.

رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ

وصف الله نفسه بأنه رفيع الدَّرَجَاتِ الكلام، هو رفيع الدَّرَجَاتِ، قيل معناه رفيع طبقات الثَّواب التي يعطيها الأنبياء والمؤمنين في الجنة.

وقيل معناه رفيع الصَّفات وقيل، رفيع السَّموات السبع، فهو على الأوَّل رافع الدَّرَجَاتِ، فعيل بمعنى فاعل.

على الثَّاني: من صفات الذَّات ومعناه لا أرفع قدرأمنه وهو المستحقُّ للمدح والثناء.

على الثَّالث: من صفات الفعل.

وقوله: ذُو الْعَرْشِ، أي خالقه ومالكه لا أنه يحتاج إليه، وقوله: يُلْقِي الرُّوحَ يحتمل أن يكون المراد بالرُّوح جبرئيل، وبالقائه إرساله إلى الأنبياء كما قال تعالى: نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ<sup>(١)</sup>.

ويحتمل أن يكون المراد به القرآن، قال الله تعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا.

وقوله: عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ هم الأنبياء إذ ليس لأحد في إختيار النَّبي مَشِيئته والله تعالى هو الَّذي إختار من عباده من شاء وأراد للنُّبوة لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ قيل ليوم البعث أي يبعث الرُّسول لإنذار الخلق من أهوال يوم القيامة، قيل في تسميته بيوم التَّلَاقِ لأنه اليوم الَّذي يلتقي فيه أهل السَّما وأهل الأرض، والأحسن أن يقال في وجه تسميته به، أنه اليوم الَّذي يلاقي كلَّ إنسانٍ جزاء عمله، أو يلاقي صحيفة أعماله وغير ذلك.

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ  
لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ

لا يبعد ان يكون ان يكون قوله: يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ تفسيراً لقوله: يَوْمَ  
التَّلَاقِ فكأنه قيل ما يوم التلاق، فقال تعالى: يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ أي يظهرون من  
قبورهم و يهرعون إلى أرض المحشر، و هو يوم التلاق، و يوم الجمع، و يوم  
الحشر و يوم الحساب أو ما شئت فسمه.

لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لَأَنَّهُ تَعَالَى عَالَمُ السِّرِّ وَالْخَفِيَّاتِ، بِكُلِّ  
شَيْءٍ عَلِيمٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ اختلفوا في القائل بهذا  
الكلام فقال بعض المفسرين أنه تعالى يقرّر عباده فيقول لمن المُلْكُ اليوم، فيقرّر  
المؤمنون و الكافرون بأنّه لله الواحد القهّار.

و قال الآخرون أنّه تعالى هو القائل و هو المجيب لنفسه و يكون في الاخبار  
بذلك مصلحة في دار التكليف.

و نقل بعض المفسرين من العامة عن ابن مسعود أنّه قال يحشر الناس على  
أرض بيضاء مثل الفضة لم يعص الله عزّ وجلّ عليها فيؤمر منادٍ ينادي، لِمَنِ  
الملك اليوم، فيقول العباد مؤمنهم و كافرهم، لله الواحد القهّار، فيقول المؤمنون  
هذا الجواب سروراً و تلذّذاً، و يقول الكافرون غمّاً و إنقياداً و خضوعاً.

فأما أن يكون هذا و الخلق غير موجودين فبعيد لأنّه لا فائدة فيه إنتهى كلامه.  
أقول ما نقله عن ابن مسعود على فرض صحّة النّقل لا دليل عليه و أنما قال ما  
قال من عند نفسه و العجب من النّاقل حيث صرّح قبل النّقل بأنّه أصحّ ما قيل فيه.  
و قوله في آخر كلامه أنّه لا فائدة فيه، لا فائدة فيه بل فيه فوائد.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة:

• وَإِنْ سُبْحَانَهُ يُعَوِّدُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَخَذَهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا  
كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ وَلَا جَبِينٍ وَلَا زَمَانٍ عُدِمَتْ عِنْدَ  
ذَلِكَ الْأَجَالُ وَالْأَوْقَاتُ وَزَالَتِ السَّنُونَ وَالسَّاعَاتُ فَلَا شَيْءَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا وَبَغَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَائُهَا وَلَوْ قَدَّرْتَ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا...

روى علي بن إبراهيم في تفسيره بأسناده عن عبيد بن زُرارة قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا أمات الله أهل الأرض لبث كمثّل ما خلق الخلق و مثل ما أماتهم وأضعاف ذلك ثم أمات أهل السماء الدنيا وأضعاف ذلك ثم أمات أهل السماء الثانية، ثم لبث مثل ما خلق الخلق و مثل ما أمات أهل الأرض و السماء الدنيا و السماء الثانية وأضعاف ذلك ثم أمات أهل السماء الثالثة مثل ما خلق الخلق و مثل ما أمات أهل الأرض و أهل السماء الدنيا و السماء الثانية و السماء الثالثة وأضعاف ذلك في كلّ سماء مثل ذلك وأضعاف ذلك ثم أمات ميكائيل ثم لبث مثل ما خلق الخلق و مثل ذلك كلّهُ وأضعاف ذلك ثم أمات جبرئيل ثم لبث مثل ما خلق الخلق و مثل ذلك كلّهُ وأضعاف ذلك، ثم أمات إسرافيل ثم لبث مثل ما خلق الخلق و مثل ذلك كلّهُ وأضعاف ذلك، ثم يقول الله عزّ وجلّ لمن الملك اليوم، فيردّ على نفسه الله القهار. أين الجبارون و أين الذين إدعوا معي إلهاً آخر، أين المتكبرون، و نخوتهم ثم يبعث الخلق.

قال: عبيد ابن زُرارة فقلت أنّ هذا الأمر كائن طوّل ذلك فقال: رأيت ما كان هل علمت به. فقلت: لا. فقال: فذلك هذا إنتهى.

أقول يظهر من هذا الحديث و ما نقلناه عن نهج البلاغة، أنّ قوله تعالى: لِمَنْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ بعد فناء الدنيا و القائل به هو نفسه كما أنّ المُجيب أيضاً هو تعالى:

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ  
الْحِسَابِ

اللام في اليوم للعهد الحاضر والمعنى اليوم الحاضر وهو يوم القيامة تجزى كل نفس بما كسبت في الدنيا من الأعمال إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً فيثاب على صالح الأعمال ويعاقب على سيئاتها ومن المعلوم أنّ المسبب يتوقف على وجود السبب وإلى هذا المعنى أشار الله بقوله: لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ أي لا ظلم من الله تعالى على أحد من خلقه بل العبد هو الذي ظلم على نفسه وأشترى العقاب بإختياره وقوله: إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ معناه لا يشغله محاسبة واحد عن محاسبة غيره فحساب جميعهم على حدّ واحد وفي آن واحد وهو ظاهر.

وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَا  
لِظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ

يقال أرف إذا دنا، وأرف الوقت إذا دنا وقرب ومنه (أَرْفَةُ الْأَرْفَةِ) أي دنت القيامة والمعنى دنواً المجازاة يوم القيامة، أمر الله نبيه أن ينذرهم ويخوفهم من أهوال القيامة وشدائدها وأنه دنى منهم.

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: إِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ والمراد بدنوه وقربه أنّ الموت يأتي بغتةً وما كان كذلك فهو أقرب من كلّ شيء ثم أشار الله تعالى إلى وقت الموت أعني به حال الإحتضار فقال: إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ جمع حنجرة وهو الوقت الذي تنتزع فيه القلوب من أمكتنها وهي الصُّدُر فكظمت به الحناجر فلم تستطع أن تلفظها ولم تعد إلى أمكتنها وقيل الكاظم السّاكت على امتلائه غيظاً أو همّاً ونصب كاظمين على الحال في قول الرّجّاج، وتقديره قلوب الظّالمين لدى الحناجر كاظمين أي في حال كظمهم هكذا قيل.

وقال قطرب أنّ المراد بيوم الأَرْفَةِ يوم حضور المنيّة وكذا إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ عند حضور الموت.

و قال قتادة وقعت في الحناجر من المخافة فهي لا تخرج ولا تعود إلى أمكنتها وهذا لا يكون إلا يوم القيامة.

**أقول** ما ذكروه لا بأس به فإن الموت أول منزل من منازل القيامة وإنما أشار الله تعالى إلى ذلك لأنه محسوس عند الكل ولا يمكن لأحد إنكاره واليوم الذي هذا أوله ينبغي أن يخاف منه:

كما روي عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: يا بن آدم أن وراء هذا أعظم وأفظع وأوجع للقلوب يوم القيامة وذلك يوم الأرزفة إن القلوب لدى الحناجر كاظمين إنتهى.

وقوله: **مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ** ما، نافية، أي ليس للظالمين في ذلك اليوم من حميم أي من قريب ينفع ولا شفيع يطاع، في شفاعته فيشفع لهم، وذلك لأن الشفيع فوق المشفوع إليه والأصنام والأوثان التي زعم الكفار أنهم شفعاء لهم عند الله دون المشفوع إليه لأنها جماد والجماد أدون وأخس من النبات وهي أخس من الحيوان وهو أخس من الإنسان فمرتبة الإنسان فوق مرتبة الجماد بمراتب فكيف يعقل أن يكون الجماد شافعاً لما هو أعلى منه هذا أولاً.

**ثانياً:** أن الشفاعة في القيامة لا تكون إلا بأذن الله تعالى لا بأذن الخلق فثبت المطلوب.

**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**

اختلفوا في معنى، خائنة الأعين، فقليل معناه يعلم ما تختان به الأعين من النظر إلى غير ما يجوز النظر إليه على وجه السرقة، و قيل في الكلام تقديم وتأخير، أي يعلم الأعين الخائنة.

و قال مجاهد هي مسارقة نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه.

و قال قتادة هي الهمزة بعينه وإغماضه فيما لا يحب الله تعالى.

و قال السُّدي هي الرَّمز بالعين، و قيل هي النَّظرة بعد النَّظرة.

و قال الفراء هي النَّظرة الثَّانية والأقوال فيها كثيرة والحقُّ أنَّ خائنة الأعين صفة للنَّظرة اى يعلم الله النظرة المسترقة إلى ما لا يحلّ والخائنة مصدر مثل الخيانة.

فعن كتاب معاني الأخبار بأسناده إلى عبد الرَّحمن بن سلمة الحريري قال سألتُ أبا عبد الله عن قوله الله عزَّ وجلَّ: يَعْلمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ فقال عليه السلام: ألم تر الرجل ينظر إلى الشَّيْءِ وكأنَّه لا ينظر فذلك خائنة الأعين انتهى.

و قال في مجمع البيان، و فى الخبر أنَّ النَّظرة الأولى لك والثَّانية عليك فعلى هذا يكون الثَّانية محرمةً فهى المراد بخائنة الأعين، انتهى.

روى أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم قال: لأصحابه يوم فتح مكَّة و قد جاء عثمان بعبد الله بن سعد بن أبى سرح يستأمنه منه و كان صلَّى الله عليه وآله وسلم قبل ذلك أهدر دمه و أمر بقتله فلمَّا رأى عثمان إستحى من ردِّه و سكت طويلاً ليقتله بعض المؤمنين ثمَّ أمنه بعد تردّد المسألة من عثمان، وقال عليه السلام أما كان منكم رجل رشيد يقوم إلى هذا فيقتله فقال له عباد بن بشر يارسول الله أنَّ عيني ما زالت في عينك إنتظار أن تؤمى فأقتله فقال عليه السلام أنَّ الأنبياء لا يكون لهم خائنة الأعين إنتهى.

أقول يظهر من هذا أنَّ المراد بخائنة الأعين الإشارة بالعين و على هذا فالمراد بقوله يعلم خائنة الأعين، يعلم ما قصد المشير بهما.

و أمَّا قوله: وَ مَا تُخْفِي الصُّدُورُ أي ما تضمّره الصدور ومعناه واضح و محصل الكلام فى الآية أنَّ الله تعالى عالم بكلِّ شىءٍ و لا يخفى عليه شىءٌ و يدلُّ عليه العقل و التَّنقل فإنَّ الجهل نقصٌ والله تعالى منزّه عنه مضافاً إلى أنَّ الخالق محيطٌ بمخلوقه ظاهراً و باطناً و إلّا لا يكون خالقاً له و قد مرَّ الكلام فى هذا الباب

غير مرة.

قال أمير المؤمنين في نهج البلاغة:

قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ، وَأَخْصَى أَنْزَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ وَعَدَّدَ أَنْفُسَهُمْ وَخَائِنَةً أَعْيَنَهُمْ وَ  
مَانُحِفَى صُدُورَهُمْ مِنَ الصَّمِيرِ .

و حيث قد ثبت أن علمه تعالى بالأشياء حضوري، لا حصولي، و معنى  
الحضوري هو حضور الأشياء عنده و لا جهل في هذا العلم أصلاً فأفهم و إغتم.

وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ  
إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

أما أنه تعالى يقضي بالحق فلائه تعالى هو الحق بقولٍ مطلق و لا حق كذلك  
سواه، و الحق لا يقضي إلا بالحق و إلا لا يكون حقاً كما أن الباطل لا يقضي إلا  
بالباطل فإن الثمرة تتبع الشجرة و الفرع تابع للأصل فلو قضى الحق بالباطل خرج  
عن كونه حقاً و سلب الشئ عن نفسه محال.

و أما الذين يدعون الكفار من دون الله و هو الأصنام و الأوثان فلا يقضون  
بشيء أصلاً إذ الحكم بشئ فرع على العقل و الجماد لا عقل له و لا علم فكيف  
يقضي و هو لا يقدر على شيء،

و قوله: إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ كأنه بمنزلة التعليل للحكم أي من لا  
يسمع و لا يبصر كيف يقضي، و يحتمل أن يكون المراد ما لا يبصر و لا يسمع  
فهو جماد، و المعنى واضح.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس

أَوْ لَمْ يَسْپَرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ  
 عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ  
 مِنْهُمْ قُوَّةً وَ آثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ  
 بِذُنُوبِهِمْ وَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (٢١)  
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ  
 فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ  
 (٢٢) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ  
 مُبِينٍ (٢٣) إِلَى فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ قَارُونَ فَقَالُوا  
 سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ  
 عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَ  
 اسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَ مَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي  
 ضَلَالٍ (٢٥) وَ قَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ  
 مُوسَى وَ لْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ  
 دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) وَ  
 قَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ  
 مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧) وَ قَالَ  
 رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ  
 رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَ قَدْ جَاءَكُمْ  
 بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَ إِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ  
 وَ إِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ  
 اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) يَا قَوْمِ  
 لَكُمْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ



يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ  
مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ  
الرَّشَادِ (٢٩) وَ قَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي  
أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ  
دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِيْنَ مِنْ  
بَعْدِهِمْ وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١) وَ يَا  
قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ  
تُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَ  
مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) وَ لَقَدْ  
جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ  
فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ  
يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ  
مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (٣٤) الَّذِيْنَ يُجَادِلُونَ  
فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَيْنَهُمْ مَقْتًا عِنْدَ  
اللَّهِ وَ عِنْدَ الَّذِيْنَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ  
عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ (٣٥) وَ قَالَ فِرْعَوْنُ  
يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ  
(٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ  
وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ  
سُوًى عَمَلِهِ وَ صَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَ مَا كِيدُ  
فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٧)

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

## ◀ اللُّغَةُ

وَأَقِي: الوقاية الحفظ يقال وقى، بقي والفاعل منه، واق، أصله واقى، حذفت الياء لدلالة الكسرة عليه.

أَسْتَحْيُوا: الإستحياء الإستبقاء.

ذُرُونِي: أي دعوني و أتركوني يقال فلان، يذر الشئ أي يقذفه لقلّة اعتداده و لم يستعمل ماضيه و الأمر منه، ذر، .

عُذْتُ: العياذ هو الإعتصام بالشئ من عارض الشر يقال عادَ، يعوذ، عَوَذاً.

مُسْرِفٌ: الإسراف الخروج عن حدّ الإعتدال.

دَأْبٌ: بفتح الدالّ العادة يقال دَأْب، يدَأْب، دَأْباً فهو دائب في عمله إذا إستمر فيه.

يَوْمَ التَّنَادِ: يوم القيامة.

مُرْتَابٌ: الشاك والرّيب الشك.

تَبَابٌ: الهلاك.

## ◀ الإِعْرَابُ

أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ أَيْ أَخَافُ الْأَمْرَيْنِ مِنْ أَلِ فِرْعَوْنَ هُوَ فِي مَوْضِعٍ رَفَعَ نَعْتاً لِمُؤْمِنٍ وَقَدْ جَاءَ كُمْ الْجُمْلَةُ حَالٌ وَظَاهِرِينَ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ الْجَمْعِ فِي، لَكُمْ، الَّذِينَ يُجَادِلُونَ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ أَيْ هُمُ الَّذِينَ كَذَلِكَ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ أَيْ الْأَمْرُ كَذَلِكَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ بَدَلٌ مِمَّا قَبْلَهُ فَأُطْلِعَ بِالرَّفْعِ عَطْفًا عَلَى أُبْلَغَ، وَبِالنَّصْبِ عَلَى جَوَابِ الْأَمْرِ وَالْبَاقِي وَاضِحٌ.

## ◀ التَّفْسِيرُ

أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ آثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ

أَوْ لَمْ يَسِيرُوا هَؤُلَاءِ الْكَفَّارِ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ فَيَتَفَكَّرُوا فِي عَوَاقِبِهِمْ، من قوم عاد وثمود ولوط وغيرهم فينظروا بذلك، مع إنهم أي الكفار في القرون السالفة كانوا أشد قوة من هؤلاء وآثارهم في الأرض أكثر منهم فأخذهم الله بذنوبهم أخذ عزيز مقتدر لما عتوا وتكبروا وأنكروا الأنبياء وأفسدوا في الأرض، وما كان لهم من الله، أي من عذاب الله من واقٍ، أي حافظ يحفظهم عن العذاب وفي قولهم: يَذْنُوبُهُمْ، الباء للسبب وفيه إشارة إلى أنَّ العذاب الواقع بهم كان معلولاً لذنوبهم ومعاصيهم فكأنهم أوقعوا العذاب بأيديهم واختيارهم على أنفسهم فالآية وأن كانت نزلت في هؤلاء الكفار في زمن النبي إلا أنَّ معناها عام يشمل جميع الأزمنة ومصاديقها جميع الأفراد من الناس الذين لا يتعظون بما وقع على الماضيين بسبب أعمالهم وهذا لا يختص بزمانٍ دون زمان وقومٍ دون قوم.

فَأَنَّ الْمَقْصُودَ أَنَّ الْإِنْسَانَ الْعَاقِلَ فِي كُلِّ عَصْرٍِ وَزَمَانٍ يَنْبَغِي أَنْ يَعْتَبِرَ بِمَا مَضَى عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ فَأَنَّ مَوَارِدَ الْعِبْرَةِ كَثِيرَةٌ وَحُكْمُ الْأَمْثَالِ وَاحِدٌ وَمَعَ ذَلِكَ نَرَى وَنَشَاهِدُ قَلَّةَ الْإِعْتِبَارِ وَهَذَا عَجِيبٌ.

ثم أشار الله تعالى إلى ما فعلوا من المعاصي التي استحقوا بها للعذاب.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ

ذلك إشارة إلى العذاب الواقع بهم فكأنه قيل لم عذبوا وبم عذبوا فقال تعالى عذبوا بأنهم كانوا منكبين للرسل مستهزئين بهم غير متوجهين إلى معجزاتهم و

كراماتهم الدالة على صدق مدّعاهم ولم يعلموا أنّ الله تعالى أرسل الرُّسل إليهم إتماماً للحجّة مع علمه بإنكارهم وعدم قبولهم دعوة الأنبياء ليهلك من هلك عن بينة، وحيث أنّهم أنكروهم باختيارهم مع قدرتهم على القبول صاروا مستحقّين لنزول العذاب لئلا يكون للنّاس على الله حجّة بل قل لله الحجّة البالغة على جميع النّاس والحمد لله ربّ العالمين.

و قوله: **إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدٌ أَلْعَابِ** أمّا أنّه تعالى قويٌّ فلاّ القوّة عبارة عن القدرة و ضده الضّعف فلو لم يكن قوياً قادراً فهو ضعيف إذا واسطة بين القوّة و الضّعف و كلّ ضعيف فهو مغلوب مهوّر لا محالة و الضّعف نقص و النقص من شئون الممكن والله تعالى واجب الوجود و إذا كان قادراً على كلّ شئٍ فهو شديد العقاب و ذلك لأنّ العقاب يدور مدار المعاقب شدّة و ضعفاً.

**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُّبِينٍ، إِلَى فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ قَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ**

هذه الآية بمنزلة الدليل على قوله: **فَكْفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ** و لذلك قال: **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى** كان موسى عليه السلام من أنبياء بني إسرائيل و هو من أولي العظم، أبوه عمران بن يصر بن فاهت بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام و كان بينه و بين إبراهيم خمس مائة سنة و كان أخوه هارون أكبر منه و توفّي هارون قبله و عاش موسى مائتين و أربعين سنة و هو أوّل رسول أرسل إلى بني إسرائيل و من تقدّمه كانوا أنبياء غير رسل، و آخر رسل بني إسرائيل عيسى ابن مريم و بينهما ست مائة نبيّ.

و فرعون، إسم أعجميّ يقال، تفرعن فلان إذا تعاطى فعل فرعون و منه يقال للطفّة الفراعنة، و هامان كان وزيره، و قارون ابن عمّ موسى أو ابن خالته على اختلاف فيه. و كان يقرأ التّوراة في جملة المؤمنين و لم يكن أحسن صوتاً منه و كان موسى يحبه كثيراً و كان أعلم بني إسرائيل بعد موسى و هارون و كان

صاحب أموال لا تحصي وكان إذا خرج على قومه يخرج معه أربعة آلاف فارس وإذا سافر من بلد إلى بلد حمل معه مفاتيح كنوزه فتكبر وإستطال على بني إسرائيل وقد أخبر الله تعالى عنه في قوله: فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ<sup>(١)</sup> مَرَّ الْكَلَامِ فِي قِصَّةِ مُوسَى مِنْ حِينَ وَلَدَتْهُ إِلَى آخِرِ عَمَرِهِ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ فَلَا نَعِيدُ الْكَلَامَ بِذِكْرِهَا ثَانِيًا حَذَرًا مِنَ الْأَطْنَابِ.

إذا عرفت هذا فقولوه: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ فَلَايَاتِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ مُوسَى هِيَ آيَاتِ تَسْعُ كَمَا أَشَارَ اللَّهُ إِلَيْهَا فِي سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَيْثُ قَالَ: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ<sup>(٢)</sup>.

الأولى: العصا. الثانية: اليد البيضاء. الثالثة: الطوفان. الرابعة: الجراد. الخامسة: الطاعون. السادسة: القمل. السابعة: الضفادع. الثامنة: الدَّم. التاسعة: فلق البحر وإغراق فرعون وقومه، كلها معجزات خارقات يعجز البشر أن يأتي بواحدة مثلها، وقوله: وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ معناه حجة ظاهرة والسُّلْطَانُ الْحُجَّةُ وَ آيَةُ حُجَّةٍ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي لَا خِفَاءَ فِيهَا أَصْلًا، فَأَرْسَلَ اللَّهُ مُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ قَارُونَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ وَالْحُجَجِ لِإِرْشَادِهِمْ إِلَى الْحَقِّ إِلَّا أَنَّهُمْ كَذَّبُوا مُوسَى فِي دَعْوَتِهِ وَ حَمَلُوا آيَاتِ اللَّهِ عَلَى السَّحَرِ عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ سَابِقًا بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَ اسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَ مَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ

يعني فلما جاءهم موسى بالبينات بالحق من عندنا قالوا أي قال فرعون و هامان و من تبعهما، اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، أَيِ آمَنُوا بِمُوسَى وَ مِنْ مَعَهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

هكذا قيل و أنت ترى أن ظاهر الآية غير ذلك فأن قوله: مَعَهُ معناه ظاهر في قتل موسى أيضاً أي أقتلوا أبناء الذين آمنوا معه أي مع موسى ولو كان المعنى ما ذكره لقال آمنوا به و من معه و لم يقل ذلك فالمعنى أقتلوا أبناء المؤمنين مع موسى و الدليل على ذلك قوله تعالى حكاية عن فرعون و قَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ كَمَا سِجِّيَ الْبَحْثُ فِيهِ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ و قوله: وَ اسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ أي لا تقتلوا النساء فأن الإستحياء الإستبقاء لأنه طلب الحياة و أنما أمر فرعون بقتل الأبناء دون النساء لأنه رأى ليلة في منامه أن ناراً قد أقبلت من بيت المقدس و إشتملت على بيوت مصر فأخربتها و أحرقت القبط و تجنبت بني إسرائيل فلما قصها فرعون على الكهنة و المنجمين قالوا له يولد في بني إسرائيل غلام يسلبك ملكك و يغلبك على سلطانك فسألهم فرعون هل ولد هذا الغلام أم لم يولد بعد قالوا أنه لم يولد و لكنه قرب مولده ففرغ من ذلك و أمر بقتل كل غلام يولد لبني إسرائيل و جمع القوابل من نساء مملكته و شدد عليهن بقتل كل غلام يولد على أيديهن و ترك البنات من المواليد و نفذ هذا الأمر بشدة هائلة، و قوله: وَ مَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ فالمراد أن كيد فرعون و هو قتل الأبناء لم ينفع له و ولد موسى و صار الأمر الى هلاك فرعون و أتباعه و أن شئت قلت أضلّه كيده و أغرقه في البحر مع أتباعه و أنصاره و لم يبق منه إلا اللعنة في الدنيا و العذاب الأليم في الآخرة و أي ضلال أبقح منه و هكذا كيد كل كافر لإطفاء نور الحق فأنه يرجع الى صاحبه و مَكْرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ، وَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ.

وَ قَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَ لِيدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ

لما رأى فرعون معجزات موسى و كراماته و لم يقدر على دفع حججه قال ذروني، أي أتركوني أقتل موسى و ليدع ربه، أي يدعوا موسى ربه ليصرف عنه

القتل أني أخاف أن يبدل، موسى (دينكم) الذي أنتم عليه وهو إقراركم بألوهيتي، بالإقرار بآله موسى، أو أن يظهر في الأرض الفساد أي يظهر، موسى، في الأرض الفساد الاختلاف.

إعلم أنهم اختلفوا في القراءة، فقرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب أو أن بإثبات، ألف، قبل الواو والباقون، وأن بغير ألف قبل الواو وقرأ نافع ويعقوب وأبوجعفر وغيرهم يُظْهِرَ بضم الياء من أظهر يظهر إظهاراً وعلى هذا نصبوا الفساد على المفعول، والباقون، يَظْهِرَ بفتح الياء من ظهر يظهر، وعلى هذا فالفساد مرفوع على الفاعل، فعلى القراءة الأولى وهى ضم الياء فاعل الفعل مستتر فيه وهو موسى أي أني أخاف أن يظهر موسى في الأرض الفساد.

**على الثانية:** فالفاعل الفساد وهو ظاهر فمن قرأ (وأن) فقد أشرك الفساد مع التبديل لأن المعنى أني أخاف أن يبدل دينكم وظهور الفساد في الأرض، ومن قرأ (أوأن) لم يشرك الفساد مع التبديل لأن المعنى أني أخاف التبديل أو أخاف الفساد يعني أحدهما لا بعينه، وقيل (أو) في الآية بمعنى الواو كما في قوله تعالى: **وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ** <sup>(١)</sup>.

أي ويزيدون أو بل يزيدون، ولا تكون الواو بمعنى، (أو) وقد أطالوا الكلام حول الآية بما لا فائدة فيه، وذلك لأن كلمة (أن) تدل على أن فرعون أراد الشك ولو أراد الجمع لقال أخاف أن يبدل دينكم ويظهر في الأرض الفساد، أو فيظهر في الأرض الفساد فإن الواو يدل على الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، وحيث أنه لم يقل ذلك وأتى بكلمة (أن) فهو أراد الشك أي أني أخاف أن يبدل دينكم، أو يوقع الفساد بينكم، ولم يكن قاطعاً على أحدهما هذا كله مضافاً إلى كلمة (أو) ثابتة في جميع المصاحف وكونها بمعنى الواو، لا دليل عليه وهذا هو المتبع ولنرجع إلى تفسير الآية قال فرعون لندمائيه أتركوني أقتل موسى قال بعض

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

المفسرين وذلك يدل على أنَّ في خاصَّة فرعون كان قوم يمنعونه من قتل موسى ومن معه و يخوِّفونه أن يدعوا موسى ربَّه فيهلك فرعون و من تبعه فلذلك قال ذروني أقتله و ليدعُ ربَّه، أي لا يهولنكم ما يذكر موسى من ربِّه فأَنَّهُ لا حقيقة له و أنا ربكم الأعلى و قوله: **إِنِّي أَخَافُ** إلى آخر كلامه، بمنزلة التعليل للقتل فكأنَّه قيل له لم تريد قتله، فقال في الجواب أَنِّي أخاف أن يقع أحد الأمرين بكم.

إما تبديل دينكم، أي عبادتكم لي بعبادة ربِّه.

و إما ظهور الفساد بينكم بسبب الاختلاف بين أتباع موسى و أتباعي ممَّا يوجب الوهن في الملك فلذلك أقول ذروني أقتله فأَنَّ في قتله قطع مادة الفساد أنمَّا قال فرعون ذلك لأنَّه رأى أنَّ الحقَّ مع موسى و حياته و إدامة دعوته إلى الله الواحد الأحد مع ظهور الآيات والمعجزات على يده توجب إيقاظ النَّاس عن نوم الغفلة و توجيههم إلى معبودهم الحقيقي الذي خلقهم.

و من المعلوم أنَّ الحاكم الباطل دائماً يريد الباطل و لا يريد الحقَّ، و إلاَّ فأَيَّ ذنبٍ كان لموسى ليقتل.

**وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ  
بِيَوْمِ الْحِسَابِ**

لَمَّا هَدَّاهُ فرعون بالقتل إستعاذ موسى بالله و اعتصم به من كل متكبِّر لا يؤمن بيوم الحساب و هو يوم القيامة و في الكلام إشارة إلى أنَّ فرعون قال ما قال لتكبِّره على الله و عدم إعتقاده بيوم الجزاء، إذ المعتقد به لا يقول ذلك و أنمَّا قال من كل متكبِّر لا يؤمن بيوم الحساب، و لم يقل من فرعون الَّذي لا يؤمن بيوم الحساب، للإشارة بأن الإستعاذة بالله تجب من كل متكبِّر لا يؤمن بيوم الحساب و لا تختصُّ بموسى و فرعون، سواء كان إسم المتكبِّر فرعون أم معاوية و عبد الملك و يزيد و أمثالهم فأَنَّ الحكم كلِّي يشمل جميع المتكبِّرين في كل عصرٍ و زمان فأَنَّ من لا يؤمن بيوم الحساب و هو القيامة لا يمكن لأحدٍ أن ينجوا من شرِّه إلاَّ



بالاعتصام بالله والإلتجاء به فإنه تعالى قاصم الجبارين ومذل المتكبرين كما فعل  
بفرعون وهامان وقارون وأمثالهم.

وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ  
يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا  
فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا  
يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ

اختلف المفسرون في إسم هذا الرجل فمنهم من قال إسمه، حبيب، وقيل  
شمعان بالشين المعجمة، وقيل خبرك، وقيل حزقيل، ثم اختلفوا هل كان  
إسرائيليًّا أو قبطيًّا فقال الحسن وغيره كان قبطيًّا ويقال أنه كان ابن عم فرعون قاله  
السدي وهو الذي نجامع موسى، ولهذا قال من آل فرعون وهذا الرجل هو الذي  
قال الله تعالى فيه: **وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى<sup>(١)</sup>**.

وقال ابن عباس لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره وغير إمرأة فرعون وغير  
المؤمن الذي أنذر موسى.

**أقول** يظهر من هذا الكلام أن مؤمن آل فرعون غير الذي أنذر موسى، والذي  
ظهر لنا بعد التفحص في التواريخ والأخبار أن الرجل هو حزقيل وكان مصداقاً  
بموسى ولكنه كان يكتُم إيمانه منذ سنين ولم يزل العبد الصالح يمانع في  
التعرض لموسى وأخيه هارون حتى صرف فرعون عن عزمه على قتلهما ولما  
ظهر موسى وآمن به حزقيل واستعمل التقية مع فرعون وقومه أخذ يدعوا قوم  
فرعون سرّاً إلى توحيد الله والإيمان بنبوة موسى، والبراءة من فرعون وربوبيته،  
كان حزقيل ابن عم فرعون وولي عهده فوشى به الواشون إلى فرعون وقالوا له أن  
حزقيل يدعوا إلى مخالفتك ويعين عدوك عليك فاستشاط فرعون غضباً ثم قال

في القرآن في تفسير القرآن

حزء ٢٤

المجلد الخامس

إبن عمي و خليفتي على ملكي و وليّ عهدي لأن كان يفعل ما قلتُم فقد إستحقّ أشدّ العذاب على كفره لنعمتي و إن كنتم أنتم كاذبين عليه فقد إستحققتُم أشدّ العذاب ثمّ إستحضر حزقيل فقال الواشون بحضور فرعون قائلين له أنت تجحد ربوبيّة فرعون الملك و تكفر بنعمائه فتوجّه حزقيل نحو فرعون و قال له أيّها الملك هل جرّيت عليّ كذباً قطّ قال فرعون لا، قال حزقيل لفرعون فأسألهم من ربّهم و من خالقهم فأجابوا فرعون هذا، فقال حزقيل أيّها الملك فأشهدك و كلّ من حضرك أنّ ربّهم هو ربّي و خالقهم خالقي و رازقهم هو رازقي و مصلح معاشهم هو مصلح معاشي فلا ربّ لي و لا خالق و لا رازق غير ربّهم و خالقهم و رازقهم و أشهدك و من حضرك أنّ كلّ ربّ و خالق و رازق سوى ربّهم و خالقهم و رازقهم فأنّا برئ منه و من ربوبيّته و كافراً بألوهيّته و خفي على فرعون و جلساءه ما قصده حزقيل بأنّ ذلك من مختصّات الله تعالى فغضب فرعون على الواشين أشدّ الغضب ثمّ أمر بالأوتاد و هى المسامير و عاقبهم بها أشدّ العقاب و هكذا أنجى الله تعالى عبده الصّالح حزقيل من شرّ فرعون و أهلك أعداءه أجمعين هذا ما قيل في حقّه و أنّه كان يعمل بالتّقية و هذه التّقية هي الّتي قالت الشّيعيّة بها و يظهر ممّا ذكرناه أنّ التّقية كانت في جميع الاديان و لذلك:

قال الصادق عليه السلام: التّقية ديني و دين آبائي.

و قال عليه السلام: من لا تقية له لا دين له.

و أمّا أهل السُنّة فقد أنكروها علينا كما أنكروا كثيراً ممّا أمر به صاحب الشّريعة و للبحث فيه مقام آخر.

إن قلت لم كان حزقيل يكتُم إيمانه.

قلت لو لم يكتُم إيمانه لم يقبل فرعون قوله و لم يقدر على صرف فرعون عن قتل موسى و هارون و ذلك لأنّ فرعون كان عازماً على قتل موسى و هارون و لمّا

قال حزقيل أنقتلون رجلاً أن يقول ربي الله الآية، زعم أنه ناصح له لعدم علمه بإيمان حزقيل ولو علم ذلك لم يقبل قوله بل قتله مع موسى و هارون وهذا هو السر في حسن التقيّة و كتمان الإيمان و لأجل ذلك كان أبوطالب عليه السلام يكتُم إيمانه عن كفّار قريش لعلمه بأنّه لو أظهر إيمانه لم يقبلوا قوله فكان أبوطالب في قريش مثل حزقيل في آل فرعون و كتمان إيمانه من قريش مثل كتمان مؤمن آل فرعون من فرعون و أتباعه و كما أنّ حزقيل بكتمان إيمانه عن فرعون صار سبباً لردّ فرعون و منعه عن قتل موسى كذلك أبوطالب صار سبباً لصرف قريش عن قتل رسول الله ﷺ و لا فرق بين مؤمن آل فرعون و أبي طالب إلّا في الاسم و العجب من العامة و مفسّريهم حيث إتفقوا على حسن كتمان الإيمان هناك على أساس الآية و يقدحون كتمانهم في حقّ أبي طالب ولم يعلموا أنّ كتمان الإيمان عن الكفّار لو كان قبيحاً فكيف مدح الله تعالى مؤمن آل فرعون في هذه الآية ولو كان حسناً كما هو كذلك فلم لم يحكموا هؤلاء بذلك في حقّ أبي طالب بل حكموا بكفره حتّى مات عليه و ليس هذا إلّا أنّ أبا طالب كان والدّاً لأمر المؤمنين، و ما ذنب أبي طالب في ذلك إلّا أنّه كان حامياً لنبي الإسلام و أبا لمن أقام الإسلام بسيفه و جهاده، و لا دليل لهم على كفر أبي طالب إلّا أنّه لم يظهر إيمانه و من كان كذلك فلا محالة مات على كفره، ولم يعلموا أنّ الإيمان أمر قلبيّ و اللسان مظهر له فكيف يحكم من يدّعي الإسلام بكفر من لا يظهر إيمانه ثمّ كيف يحكم بأنّه مات على الكفر، أو هو في ضحضاح من النّار، و هو الذي يقول في أشعاره:

ألا أنّ خير النّاس نفساً ووالداً  
نبيّ الإله والكريم بأصله  
جری علی جلی الخطوب کائنّه  
إذا عدّ سادات البریّة أحمد  
و أخلاقه و هو الرّشید المؤید  
شهاب بکفی قابس يتوقّد

من الأكرمين من لَوَّى ابنِ غالبٍ  
و قال: إذا سيم خسفاً وجهه يترد

ألم تعلموا أَنَّا وجدنا مُحَمَّدًا  
و لنعم ما قال المُعتزلي: نبياً كموسى خطّ في أوّل الكتب

ولولا أبو طالب و ابنه  
فذاك بمكة أوى و حاماً  
وما ضرَّ مجد أبي طالبٍ  
جهول لغا أو بصير تعاماً

و الأشعار كثيرة و لكنّ الإنصاف قليلٌ و ليس كتابنا هذا موضوعاً لهذه الأبحاث  
و أنما قلنا ما قلنا في المقام أداءً لبعض حقوقه التي و جب على كلّ مسلم أن  
يراعيها و رغمًا لأنوف الملحدين المعلنين و سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب  
يقلبون إِنَّا لله و إِنَّا إليه راجعون، و لنرجع إلى تفسير ألفاظ الآية الشريفة فنقول:  
وَ قَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ وَ هُوَ حَزِيقٌ أَوْ غَيْرُهُ عَلَى إِخْتِلَافٍ  
فيه يَكْتُمُ إِيْمَانَهُ الْكُتْمَانُ ضِدُّ الْإِظْهَارِ وَ قد مرَّ الكلام في وجهه.

أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الهمزة للإستفهام،  
أي تفعلون ذلك أو لا، و يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ للإنكار أي لا تقتلوا رجلاً يقول ربّي  
الله، و ذلك لأنّه لا يوجب القتل.

وَ قَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ هذا بمنزلة التعليل للإنكار أي أقتلونه  
و قد جاءكم بالبينات و المعجزات الدالة على صدق مدّعه من قبل ربكم الذي  
خلقكم.

وَ إِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي  
يَعِدُّكُمْ يعني قوله هذا لا يخلوا من وجهين الكذب، و الصدق، إذ لا واسطة  
بينهما، فأن كاذباً في قوله: رَبِّيَ اللَّهُ فعليه كذبه أي وزر كذبه عليه لا عليكم إذ لا

ترز وازرةً ووزر أخرى، و على هذا لا مجوز لقتله فأَنَّ الكاذب يأثم في كذبه فلا يجوز قتله، وإن كان صادقاً في قوله يصيبكم بعض الذي يعدكم، من الفوز و الصّلاح و سعادة الدارين.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ أَي لا يحكم بهداية من أسرف على نفسه في معصية الله كذاباً على الله، و قيل معناه أَنَّ الله لا يهدي إلى طريق الثّواب و الجنة من هو مسرف كذاب، و يحتمل أن يكون هذا ابتداء خبر من الله تعالى، ثم قال مؤمن آل فرعون:

يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ

لَمَّا قَالَ مؤمن آل فرعون أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ إلى آخر ما قال، قال في هذه الآية يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ أَي أَنَّ هذا الملك حصل لكم بالقهر و الغلبة فهو عارية لكم و لغيركم و لا بقاء له فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ و عذابه، إن جاءنا، و ذلك لأنَّ قدرته تعالى فوق كلّ شيء و لا يقدر أحد على منعه عمّا أراد.

قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ أَي لا أشير عليكم إلا ما أرى لنفسي و مَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ و هو تكذيبكم بموسى و إيمانكم بربوبيتي و بعبارة أخرى رشدكم و هدايتكم في متابعتي و العمل بقولي فلَمَّا قَالَ فرعون ذلك و دعا الناس إلى متابعته و تكذيب موسى، قال مؤمن آل فرعون كما حكاه الله تعالى بقوله: يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ يعني أخاف عليكم نزول العذاب كما أنزله الله على المتخربين و هم الذين كذبوا الأنبياء فعذبهم الله بأنواع العذاب.

مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَ مَا أَلَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ

هذه الآية في الحقيقة تفسير وتوضيح للآية السابقة كأنه قال قائل، وما يوم الأحزاب، قال مثل داب قوم نوح وعاد و ثمود والذين من بعدهم، وأنما قلنا ذلك لأن الأحزاب جمع حزب وهو الجماعة التي اتفقوا في أمر من الأمور وهؤلاء الأحزاب كانوا كذلك إتفقوا على تكذيب الأنبياء وقتلهم ولذلك وقعوا فيما وقعوا، والدأب، العادة.

قال المفسرون، مثل داب قوم نوح وعاد و ثمود، يعني مثل عادة الله، فيهم من إنزال العذاب عليهم: ويحتمل أن يكون المعنى مثل عادة قوم نوح وعاد و ثمود، في تكذيب الأنبياء.

وقوله: وَمَا أَلَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ معناه أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَظْلِمُ عَلَى أَحَدٍ لقوله: مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ فَأَنَّ الظُّلْمَ قَبِيحٌ وَهُوَ تَعَالَى مِنْهُ عَنْهُ وَأَمَّا الْعَذَابُ الْوَاقِعُ عَلَيْهِمْ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ بِاخْتِيَارِهِمْ، وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِي قِصَّةِ نُوحٍ وَعَادَ وَ ثَمُودَ وَ كَيْفِيَّةِ نَزُولِ الْعَذَابِ عَلَى قَوْلِهِمْ.

والحاصل أَنَّ الْمَلَائِكَةَ فِي نَزُولِ الْعَذَابِ هِيَ التَّمَرُّدُ وَالْعِصْيَانُ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ أَوْ قَوْمٍ صَدَرَ وَ حُكْمُ الْأَمْثَالِ وَاحِدٌ. ثُمَّ كَرَّرَ تَخْوِيفَهُ وَ تَهْدِيدَهُ إِيَّاهُمْ.

وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ

لَمَّا هَدَّاهُمْ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا هَدَّاهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ وَهُوَ عَذَابُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ سَمِيَ يَوْمُ التَّنَادِ لِأَنَّهُ الْيَوْمَ الَّذِي يَنَادِي أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا<sup>(١)</sup>.

و ينادي أصحاب النار أصحاب الجنة:

قال الله تعالى: أَنْ أَفْبِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ<sup>(١)</sup>.

وقيل سُمِّيَ به لأنَّ بعض الظَّالِمِينَ ينادي بعضاً بالويل والثُّبور:

قال الله تعالى: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمامِهِمْ<sup>(٢)</sup>.

وقيل يوم التَّنَاد يوم التفريق والتشتت، وكيف كان هو يوم على الكافرين عسير، أعاذنا الله منه.

يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ

هذه الآية تفسر يوم التناد فكأنه قيل وما يوم التناد، فقال يوم تولون مدبرين، قيل معناه منصرفين إلى النار، وقيل يولون مدبرين والمقامع تردهم إلى ما يكرهونه من العقاب وقوله: مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ أي ليس لكم مانع من عذاب الله ومن يقدر على ذلك، ومن يضلل الله فما له من هادٍ، أي من وكَّله الله إلى نفسه فلا يقدر أحدٌ على هدايته وإرشاده، أو من ثبت في علم الله أنه ضالٌّ، أي يختار الضلالة بإختياره فما له من هادٍ وأنما قلنا ذلك لأنَّ الله لا يخلق الخلق ضالاً بحيث لا يقدر على الطاعة كما يقول به الجبري إذ لو خلقه ضالاً فما ذنبه في كفره وعصيانه والمفروض أنه مخلوق على الكفر فبطل الثواب والعقاب فأنَّ عقاب من خلقه الله ضالاً ظلم على العبد والله تعالى منزّه عنه.

وقيل في معناه، من يحكم الله بضالاه فليس له من يحكم بهدايته على الحقيقة، وقيل من يضله الله عن طريق الجنة فما له من يهديه إليها، وما ذكرناه أولى والله أعلم.

وَيَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ

جزء ٢٤

وَيَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا  
جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ  
يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ

هذا ما حكاه الله تعالى عن موسى أنه قال لهم وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ  
قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ أي من قبل موسى، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم  
خليل الرحمن عليهم السلام وقد مرّ الكلام في يوسف وأحواله وأنه صار حاكماً  
على مصر.

و المراد بالبيّنات، الحجج الواضحات أو المعجزات و الكرامات التي أتى كل  
نبي بها لإثبات مدّعه فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ الخطاب إليهم و  
المراد أسلافهم و أباؤهم فأنهم كانوا في شك في نبوة يوسف حَتَّى إِذَا هَلَكَ و  
مات قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كلمة، لن، لنفي الأبد أي أنكم  
قلتم بعد موت يوسف لن يبعث الله من بعده، رسولاً، أبداً، إلى يوم القيامة و هذا  
كذب منكم و من أين علمتم ذلك.

كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ الْمُسْرِفُ الْمُتَجَاوِزُ عَنْ حَدِّ  
الْإِعْتِدَالِ و المرتاب الشّاك، حكم الله تعالى بضلالة المسرف المرتاب إذ لا  
يتجاوز عن حدّه و لا يرتاب إلّا الضّال عن طريق الهدى ثم عرّفهم الله بقوله:

الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتِيهِمْ كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ  
اللَّهِ وَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ  
جَبَّارٍ

يحتمل أن يكون تقدير الكلام و كذلك الذين يجادلون في آيات الله و على  
هذا يكون موضع الَّذِينَ نصب على البدل من كلمة، من، التي هي مفعول، يضلّ،  
و يحتمل أن يكون موضعه الرفع على معنى هم الذين يجادلون في آيات الله و



بعبارة أخرى المسرفون الكذّابون هم المجادلون في آيات الله و الإحتمالان لا بأس بهما.

ومعنى الآية الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتِيهِمْ أي بغير حجة و برهان و هذه المجادلة هي التي يعبر عنها بالجدال الباطل المنهي عنه و أمّا الجدال بالتي هي أحسن فهو ممدوح مرغوب قال الله تعالى لنبيه: وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ و قد مرّ الكلام فيه مفصلاً، و إلى ما ذكرناه من النّهي عن الجدال بالباطل أشار بقوله: كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا قِيلَ مَقَتَ اللَّهُ ذَمَّهُ لَهُمْ و لعنه إيّاهم و إحلال العذاب بهم و المقت البغض الشديد و إذا كان الشّي عند الله مذموماً ممقوتاً فهو عند المؤمنين أيضاً كذلك فأل المؤمن حبه و بغضه لله تعالى.

و قوله: كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ الطَّبَعُ والختم يقال على وجهين:

مصدر ختمت و طبعت، و هو تأثير الشّي كنقش الخاتم و الطابع.

الثاني: الأثر الحاصل من النّقش و يتجوّز ذاك تارة في الإستيثاق من الشّي و المنع منه إعتباراً بما يحصل من المنع بالختم على الكتب و الأبواب نحو.

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً<sup>(١)</sup> و تارة في تحصيل أثر من الشّي إعتباراً بالنّقش الحاصل.

و قيل الطّبع أن تصوّر الشّي بصورة ما كطبع السّكة و طبع الدّراهم و هو أعم من الختم و أخصّ من النّقش و الطّابع ما يطبع به.

قال الله تعالى: كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: وَ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ<sup>(٣)</sup>.

في القرآن  
في قوله  
يَطْبَعُ اللَّهُ

جزء ٢٤  
الجدال الخامس عشر

وبه أعتبر الطَّيْع والطَّيْعَةُ الَّتِي هِيَ السَّجِيَّةُ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ نَقْشُ النَّفْسِ بِصُورَةٍ مَا  
إِمَّا مِنْ حَيْثُ الْخَلْقَةِ وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الْعَادَةِ وَهُوَ فِيمَا يَنْقُشُ بِهِ مِنْ حَيْثُ الْخَلْقَةِ  
أَغْلَبَ إِذَا عَرَفْتَ هَذَا.

وقوله: كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ  
خَلَقَهُ كَذَلِكَ بَلْ مَعْنَاهُ أَنَّ الْمُتَكَبِّرَ الْجَبَّارَ بِسَبَبِ التَّكَبُّرِ وَالظُّلْمِ وَالْمَعَاصِي صَارَ قَلْبُهُ  
قَسِيًّا غَلِيظًا كَأَنَّهُ طَبْعَ وَنَقَشَ ذَلِكَ عَلَى قَلْبِهِ وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشِيرُ فِي الْحَدِيثِ  
الَّذِي رَوَى عَنْ الْمُعْصُومِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عَصَى رَبَّهُ تَوَجَّدَ فِي قَلْبِهِ نَقْطَةٌ  
سُودَاءُ فَإِنَّ تَابَ زَالَتْ وَإِلَّا تَسْرَى إِلَى بَقِيَّةِ الْقَلْبِ وَتَحِيطُ بِهِ فَيُصِيرُ  
قَسِيًّا الْقَلْبَ وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَرَادَ بِالطَّيْعِ هَذَا.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِي لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ،  
أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَ  
كَذَلِكَ زَيْنَ فِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ  
فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ

لَمَّا قَالَ مُؤْمِنٌ آلَ فِرْعَوْنَ مَا قَالِ وَخَافَ فِرْعَوْنَ أَنْ يَتِمَّ كَلَامُ هَذَا الْمُؤْمِنِ  
فِي قُلُوبِ الْقَوْمِ أَوْ هُمْ أَنَّهُ يَمْتَحِنُ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى مِنَ التَّوْحِيدِ فَإِنَّ بَانَ لَهُ صَوَابُهُ  
لَمْ يَخْفِهْ عَنْهُمْ وَإِنْ لَمْ يَصُحَّ ثَبَتَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ فَأَمْرٌ وَزِيرُهُ هَامَانُ بِنَاءُ الصَّرْحِ وَهُوَ  
الْبِنَاءُ الْعَالِي الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى النَّاطِرِ وَإِنْ بَعْدَ وَهُوَ الَّذِي يَسْمَى الْيَوْمَ (بِالْبُرْجِ)  
ثُمَّ أَشَارَ فِرْعَوْنَ إِلَى عَلَّةِ الْأَمْرِ بِهَذَا الْبِنَاءِ فَقَالَ: لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ثُمَّ فَسَّرَ  
الْأَسْبَابَ بِقَوْلِهِ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى الْفَاءُ لِلتَّفْرِيعِ، أَيْ  
فَانْظُرْ إِلَى إِلَهِ مُوسَى نَظْرَ مُشْرِفٍ عَلَيْهِ تَوَهُّمُ فِرْعَوْنَ أَنَّ إِلَهَ مُوسَى جِسْمٌ كَسَائِرِ  
الْأَجْسَامِ تَحْوِيهِ الْأَمَاكِنِ وَحَيْثُ أَنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ يَدَّعِي الْإِلَوهِيَّةَ شَاءَ أَنْ يَرَى  
تَحْقِيقَهَا بِالْجُلُوسِ فِي مَكَانٍ مُشْرِفٍ، وَقِرَاءَةُ الْعَامَّةِ، فَأَطَّلِعَ، بَارَّفَعَ وَعَلَيْهَا  
الْمُصَاحَفُ، وَقَرَأَ الْأَعْرَجُ وَحَفْصٌ وَعَيْسَى، بِالنَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ جَوَابُ، لَعَلَّ، وَ

الرَّفْعَ أُولَى لَأَنَّ مَعْنَى النَّصَبِ مَتَى بَلَغْتَ الْأَسْبَابَ إِطْلَعْتَ، وَ مَعْنَى الرَّفْعِ لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابَ ثُمَّ لَعَلِّي أَطْلُعُ بَعْدَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنُ وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا أَيِ أَظُنُّ أَنَّ مُوسَى كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ وَ يَسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ أَظُنُّ، أَنَّهُ لَمْ يَقْطَعْ بِكَذِبِ مُوسَى وَ هُوَ كَذَلِكَ فَأَنَّ الْكَلَامَ يَحْتَمِلُ الصَّدْقَ وَ الْكَذِبَ إِلَّا أَنَّ إِحْتِمَالَ الْكَذِبِ بِزَعْمِهِ كَانَ أَرْجَحَ مِنْ إِحْتِمَالَ الصَّدْقِ وَ لِذَلِكَ عَبَّرَ بِالظَّنِّ دُونَ الشَّكِّ الَّذِي يَقْتَضِي تَسَاوِي الطَّرْفَيْنِ، ثُمَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَذَلِكَ زَيَّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَ الْمَزِينَ لَهُ الشَّيْطَانُ فَأَنَّهُ دَائِمًا يَزِينُ الْأَعْمَالَ فِي أَتْبَاعِهِ لِيُضِلُّوهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

قال الله تعالى: **وَ لَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** <sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: **وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَ قَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ أَلْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ** <sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: **وَ عَادًا وَ ثَمُودًا وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاجِدِهِمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ** <sup>(٣)</sup>.

و غيرها من الآيات (و صُدَّ عَنْ السَّبِيلِ) بِضَمِّ الصَّادِ عَلَى بِنَاءِ الْمَجْهُولِ مِثْلَ، زَيْنَ، وَ فِيهِ أَيْضًا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الشَّيْطَانَ صَدَّهُ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ.

قال الله تعالى: **وَ لَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** <sup>(٤)</sup>.

و حَاصِلُ الْكَلَامِ أَنَّ الْمَزِينَ لِلْأَعْمَالِ وَ الصَّادِ الْمَانِعِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ هُوَ الشَّيْطَانُ، وَ أَمَّا قَوْلُهُ: **وَ مَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ** فِي الْحَقِيقَةِ جَوَابٌ عَنْ جَمِيعِ مَا أَرَادَهُ فِرْعَوْنُ.

فَقَالَ تَعَالَى: **وَ مَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ** أَيِ لَيْسَ كَيْدُهُ إِلَّا فِي تَبَابٍ، يَعْنِي فِي هَلَاكِ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ خَسْرَانٌ وَ إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ كَيْدَهُ أَوْقَعَهُ فِي الْهَلَاكِ وَ الْخَسْرَانِ أَمَّا فِي

بَابِ الْقُرْآنِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

الدُّنْيَا فَلَأَنَّ اللَّهَ أَغْرَقَهُ فِي النَّارِ وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَهُوَ فِي أَشَدِّ الْعَذَابِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانِ الْمُبِينُ.



وَقَالَ الَّذِينَ آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ  
الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا  
مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ  
عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ  
صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ  
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ  
(٤٠) يَا قَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَ  
تَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ  
بِاللَّهِ وَ أَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا  
أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَا  
تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا  
فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنْ  
الْمُتَسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣)  
فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُضُ أَمْرِي  
إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ (٤٤) فَوَقَّيْهُ اللَّهُ  
سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَ خَاقَ بِالِ فِرْعَوْنَ سُوءِ  
الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَ  
عَشِيًّا وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ  
أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦) وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ

فَيَقُولُ الصُّعْفُو لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا  
لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ  
النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا  
إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ  
فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ  
عَنَّا

مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ  
رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا  
دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠) إِنَّا لَنَنْصُرُ  
رُسُلَنَا وَالدِّينَ أَمْنًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ  
يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ  
مَعْدِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢)  
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْزَنَّا  
بَنِي إِسْرَآئِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَ ذِكْرًا  
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (٥٤) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ  
وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ  
وَ الْإِبْكَارِ (٥٥) إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ  
اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتِيهِمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا  
كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ  
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦) لَخَلَقِ السَّمَوَاتِ وَ  
الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ  
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَ مَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى

وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
وَلَا الْمُسِيءَ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨) إِنَّ  
السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ  
النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٩) وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي  
أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ  
عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)

### ◀ اللغة

مَرَدَّنَا: من ردَّ، يردُّ إذا رجع أي مرجعنا.  
أَفْوَضُ: متكلم وحده من فَوَضَ، تفويضاً، أي أتوكَّل.  
فَوْقَهُ اللَّهُ: الوقاية الحفظ و هي مصدر من وقى، يقي.  
حَاقَ: أي أحاط.  
عُدُّوْا: بضم الغين الغداة و هي الصُّبْح.  
عَشِيًّا: اللَّيْل.  
نَصِيْبًا: النَّصِيبُ الحِظُّ.  
الْإِبْكَارِ: طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس.  
سُلْطَانٍ: بضم السين الحجة و البرهان.  
دَاخِرِينَ: معناه صاغرين.

### ◀ الإعراب

تَدْعُونِي الجملة و ما يتصل بها بدل أو تبين لتدعونني الأولى و أَفْوَضُ  
أَمْرِي إِلَى اللَّهِ حال من الضمير في أقول النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا مبتدأ وخبر، أو

بدلاً من سوء العذاب وَإِذْ يَتَحَاوُونَ مَعْطُوفٍ عَلَىٰ غَدُوًّا تَبَعًا مصدر في موضع  
إِسْمِ الفاعل ونصباً، منصوب بفعلٍ دَلَّ عليه مغنون تقديره هل أنتم دافعون أو  
مانعون يُخَفِّفُ عَنْهُ يَوْمًا ظرف أي في يوم شيئاً من العذاب فالمفعول محذوف  
لَا يَنْفَعُ بدل من يوم يقوم وَلَا الْمُسِيءُ قِيلَ لام زائدة.

### ◀ التفسير

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ

هذه حكاية عما قال مؤمن آل فرعون، أي قال يا قوم، أصله قومي حذفت الياء  
لدلالة الكسرة عليه وهكذا اتَّبِعُونِ، أصله إتَّبِعُونِي حذفت الياء لما ذكرناه، قال  
لقومه إتَّبِعُونِي قولاً وفعلاً، أهدكم سبيل الرشاد وهو الإيمان بالله و توحيده فأن  
سعادة الدارين فيه.

و من المعلوم أن لازم ذلك هو تصديق بنبيّه موسى إذ الإيمان يتحقق  
بالشهادتين إعتقاداً وبالعمل بالجوارح فعلاً ثم قال:

يَا قَوْمِ إِنَّمَا هِيَ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ

أما أن هذه الحياة الدنيا متاع، فقليل المتاع النفع القليل والوجه فيه أن الحياة  
الدنيا مدته قليلة جداً ومع ذلك هي فانية زائلة لا بقاء لها محفوفة بالأحزان و  
الهموم وما كان كذلك لا ينبغي الإعتماد عليه.

قال الله تعالى: وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ<sup>(٣)</sup>.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

قال الله تعالى: قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ<sup>(٢)</sup> والآيات كثيرة.

وأما أَنَّ الآخرة هي دار القرار، فالوجه فيه أيضاً واضح وذلك لأنها باقية لا فناء لها ولا زوال، ليس فيها همٌّ ولا غمٌّ، فيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذّبه الأعين وقد مرَّ الكلام في هذا الباب غير مرّة ولنعم ما قيل:

أَتَمَّا الدُّنْيَا كَظَلٍّ زَائِلٍ      أَوْ كُضَيْفٍ بَاتٍ فِيهَا وَارْتَحَلْ  
بَلِ الْحَقُّ أَنَّ الدُّنْيَا كَسْرَابٍ بَقِيعَةٍ يَسْحَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً.

وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِقِمَانٍ فِي وَصِيَّتِهِ لِابْنِهِ: يَا بَنِيَّ إَعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا قَلِيلٌ، وَعَمْرُكَ قَلِيلٌ مِنْ قَلِيلٍ وَيَقْرُ مِنْ الْقَلِيلِ قَلِيلٌ إِنَّتَهَى.

وعنه عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ مَالِي وَلِلدُّنْيَا وَمَا أَنَا وَالدُّنْيَا، أَنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُهَا كَمِثْلِ رَاكِبٍ رَفَعَتْ لَهُ شَجَرَةٌ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ فَنَامَ تَحْتَهَا ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا إِنَّتَهَى<sup>(٣)</sup>.  
وَالْأَخْبَارُ كَثِيرَةٌ وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضاً.

مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ  
أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ  
حِسَابٍ

إِعلم أَنَّ هذا الحكم قد ذكره الله في كثير من الآيات:

قال الله تعالى: وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا<sup>(٤)</sup>.



قال الله تعالى: وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ<sup>(٣)</sup> و غيرها من الآيات.

و أمّا في الحسنات فلم يقل جزاء حسنة مثلها بل:

قال الله تعالى: وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ<sup>(٤)</sup>.

قال الله تعالى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا<sup>(٥)</sup>.

قال الله تعالى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرْعٍ يَوْمِئِذٍ آمِنُونَ<sup>(٦)</sup>.

قال الله تعالى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا<sup>(٧)</sup>.

و الآيات بهذه المضامين كثيرة في الباب مع أنّ القاعدة العقلية التي بني عليها العدل تقتضي المثل في الجزاء على العمل فإنّ العدل يحكم بعدم الفرق بين الموردين أعني جزاء السيئة بمثلها وهكذا في الحسنة و بعبارة أخرى لم حكم الله في جزاء السيئة بمثلها و في الحسنة بعشر أمثالها أو أكثر.

**أقول** أمّا أنّ جزاء السيئة بمثلها فهو مقتضى العدل و لا كلام فيه و أمّا جزاء الحسنة بعشر أمثالها أو أكثر فهو مقتضى الفضل و إلا فالعدل يقتضي في الحسنة مثل السيئة فمن عمل صالحاً جزاءه مثله بمقتضى العدل و ما زاد عليه فبفضله و كرمه و لعلّ الوجه فيه حتّى الناس على الحسنات و ترغيبهم فيها و إلى ذلك أشار

في القواعد العقلية



في القواعد العقلية

٢- الشورى = ٤٠

٤- الشورى = ٢٣

٦- التمل = ٨٩

١- الأنعام = ١٦٠

٣- القصص = ٨٤

٥- القصص = ٨٤

٧- الأنعام = ١٦٠

اللَّهُ:

قال الله تعالى: بِقَوْلِهِ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِّن فَضْلِهِ<sup>(٢)</sup>.  
قال الله تعالى: لِيُؤْثِرَهُمْ أَجْرَهُمْ وَ يَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ<sup>(٣)</sup> و غيرها من الآيات.

و إلى ذلك أشار الله بقوله: وَمَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ إِلَى قَوْلِهِ: يَغْيِرُ حِسَابٍ وَ ذَلِكَ لَأَنَّ فَضْلَ اللَّهِ وَ كَرَمَهُ لَا حُدْلَهُ وَ لَا نِهَايَةَ فَأَنَّ الصِّفَاتِ تَابِعَةٌ لِلذَّاتِ وَ قَدْ وَرَدَ فِي الدُّعَاءِ، « يَادَائِمَ الْفَضْلِ عَلَى الْبَرِيَّةِ ».  
و قوله: مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ إشارة إلى أَنَّ الْفَضْلَ مِنْهُ تَعَالَى يَتَعَلَّقُ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَ لَا فَرْقَ فِيهِ بَيْنَ الذَّكَرِ وَ الْأُنْثَى لِإِشْتِرَاكِهِمَا فِي التَّكْلِيفِ وَ الطَّاعَةِ وَ لِمَثَلِ ذَلِكَ فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ.

و يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَ تَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ  
هذه الآية و ما بعدها منها حكى الله تعالى عن مؤمن آل فرعون أَنَّهُ قَالَ: يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَ تَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ  
أَمَّا أَنَّهُ دَعَاهُمْ إِلَى النَّجَاةِ لِأَنَّهُ دَعَاهُمْ إِلَى تَصْدِيقِ مُوسَى فِي نُبُوتِهِ بِأَن يَوْمَنُوا بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ النَّجَاةِ مِنَ الْعَذَابِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالْإِيمَانِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَ فِيهِ صَلَاحُهُمْ.

و أَمَّا أَنَّهُمْ كَانُوا يَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَدْعُونَهُمْ، إِلَى الشَّرِكِ بِاللَّهِ وَ الْإِعْتِقَادِ بِالْهُوِيَّةِ فِرْعَوْنَ وَ إِنكَارِ الْبَعْثِ وَ الْقِيَامَةِ وَ مِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْكُفْرَ بِاللَّهِ

بناء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

يوجب الدّخول في النّار، وهو ظاهر.

تَدْعُونَنِي لِأَكْفَرُ بِاللّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمُ  
إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ

هذه الآية تفسير لما قبلها، فكأنه قيل له كيف ذلك قال في الجواب:  
تَدْعُونَنِي لِأَكْفَرُ بِاللّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ وَأَجْحِدُ نِعْمَتَهُ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ  
مع حصول العلم ببطلانه، وليس هذا إلا من قبيل الدّعوة إلى النّار، والحال.  
وَأَنَا أَدْعُوكُمُ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ أي إلى الله القادر الذي يغفر الذّنوب و  
ليس هذا إلا طريق النّجاة.

لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي  
الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ  
قيل معنى لا جرم، حقاً، أي حقّاً أنّ الذي تدعونني إليه من الكفر بالله ليس له،  
أي لما تدعونني إليه من الكفر، دعوة، أي إستجابة دعوة به تنفع في الدّنيا ولا في  
الآخرة، وبعبارة أخرى ليس في قبول دعوتكم نفع لي لا في الدّنيا ولا في الآخرة  
وذلك لأنّ الكفر لا خير فيه بل هو شرٌّ في الدّارين، وأنّ مردّنا، الواو للحال أي  
كيف يكون فيها نفع والحال أنّ مردّنا و مرجعنا إلى الله يوم القيامة وأنّ المسرفين  
المتجاوزين عن حدّ الاعتدال أصحاب النّار وأي إسراف أقبح وأشنع من  
الإسراف على النّفس أعني به الكفر ثم قال لهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ  
بِالْعِبَادِ

في الكلام تهديد و تخويف، أي فستذكرون، صحّة قولي و حسن نصيحتي  
إياكم غداً يوم القيامة و أمّا إنا فأفوض أَمْرِي إلى الله و اتوكّل عليه في جميع

أموري أَنَّ اللَّهَ بصير بالعباد، لا يخفى عليه شيء وهو رؤوف بهم أرحم الراحمين  
لَمَّا حَكِيَ اللَّهُ تعالى ما قاله مؤمن آل فرعون لقومه.

**فَوَقَّيْهِ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَ خَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءَ الْعَذَابِ**

الوقاية الحفظ و المعنى حفظ الله تعالى مؤمن آل فرعون من شرّ مكرهم به  
فلم يقدرُوا على إيذاءه أو قتله و أمّا آل فرعون فحاق و أحاط بهم سوء العذاب في  
الدُّنيا بالغرق و في الآخرة بالعقاب الدائم الَّذي لا نهاية له ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ العذاب الَّذي  
أشار إليه بقوله:

**الْأَنَارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ  
فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**

هذا الَّذي أشار إليه في الآية عذاب الآخرة بعد عذاب الدُّنيا، فقال النَّار  
يعرضون عليها صباحاً و مساءً، في قوله هذا وجوهٌ من الإعراب:

**أحدها:** أن يكون النَّار مرفوعاً على البدل من سوء العذاب في الآية التي قبل  
هذه الآية، فكأنَّ قائلاً قال، و ما سوء العذاب فقال تعالى النَّار.

**ثانيها:** أن يكون المبتدأ محذوفاً أي هو النَّار.

**ثالثها:** أن يكون النَّار مرفوعاً بالابتداء.

**رابعها:** الخفض على البدل من العذاب و كيف كان فالآية تدلّ على أَنَّ آل  
فرعون يعرضون على النَّار صباحاً و مساءً، و يوم تقوم السَّاعة، يعني إذا كان يوم  
القيامة يقال للملائكة أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ أي أغلظه و أصعبه،  
إختلفوا في مكان العرض فالجمهور على أَنَّ هذا العرض في البرزخ قبل القيامة و  
المراد بالبرزخ عالم القبر و إستدلُّوا على إثبات مدّعاهم بقوله تعالى في الآية  
غُدُوًّا وَعَشِيًّا ما دامت الدُّنيا.

وَأَمَّا عَذَابُ الْآخِرَةِ فَهُوَ قَوْلُهُ: وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ وَعَلَى هَذَا فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى صِحَّةِ عَذَابِ الْقَبْرِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَعْضُونَ عَلَى النَّارِ غَدُوءًا وَعَشِيًّا، أَيِ صَبَاحًا وَمَسَاءً وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْغَدَاةَ وَالْعَشْيَ فِي الدُّنْيَا وَأَمَّا الْآخِرَةُ فَلَيْسَتْ فِيهَا غَدَاةٌ وَلَا عَشْيٌ.

وَ إِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْنُونَ عَلَيْنَا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ

حكى الله تعالى في هذه الآية أنهم يتحاجون في النار، أي أتباع فرعون كما هو مقتضى سياق الآية، ولكن حملها على العموم أولى فأن هذا الاحتجاج لا يختص بأل فرعون لكل من تبع فرعون في إضلال الناس:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَ بَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعْفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْنُونَ عَلَيْنَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ<sup>(١)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَ قَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَ لَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي<sup>(٢)</sup>.

ففي هاتين الآيتين أخبر الله عن محاجة الشيطان وأتباعه، وفي سورة سبأ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَ لَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ، وَ قَالَ الَّذِينَ

بناء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

## اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الْأَلِيلِ وَالنَّهَارِ<sup>(١)</sup>.

والمقصود من ذكر الآيات في الباب هو أن هذه المحاجة التي ذكرها الله في قصة فرعون ذكرها في غيرها أيضاً وخصوصية المورد لا تنافي عموم المعنى فأن الضالين والمضلين موجودون في جميع الأمم، فلما رأوا العذاب يحتاجون لا محالة وأن كانت المحاجة لا فائدة فيها فقله تعالى فيقول الضعفاء وهم الأتباع و أنما عبر عنهم بالضعفاء لضعف عقولهم وجهلهم وعدم تمييزهم بين الحق والباطل للَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا وهم أئمة الضلال الذين ضلوا وأضلوا، وأما إستكبارهم فلاتهم أعرضوا عن عبادة الله وإدعوا ما ليس لهم وهذا هو التكبر على الله وفي رأسهم الشيطان وقوله: إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا كلام صدق ولكن يقال لهم لم كنتم لهؤلاء المضلين ولم تكونوا تبعاً للأنبياء ألم يكن لكم عقل يميز الحق عن الباطل ألم تروا معجزات الأنبياء وكراماتهم، نعم كنتم عبيد الدنيا ولذلك تركتم الحق وأخذتم بالباطل.

فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْإِسْتِفْهَامُ لِلْإِنْكَارِ أَيْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْإِسْتِفْهَامُ عَلَى سَبِيلِ الْحَقِيقَةِ، وَهُوَ بَعِيدٌ لِأَنَّهُمْ أَيْ الضَّعَفَاءُ يَرُونَ الْمُسْتَكْبِرِينَ أَيْضاً فِي الْعَذَابِ فَلَوْ كَانُوا قَادِرِينَ عَلَى دَفْعِ الْعَذَابِ أَوْ رَفْعِهِ لَفَعَلُوا ذَلِكَ لَأَنْفُسِهِمْ وَعَلَى هَذَا فَالْإِسْتِفْهَامُ إِنْكَارِيٌّ إِلَّا أَنْ فِي الْإِنْكَارِ تَوْبِيخٌ أَيْضاً قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ إِنَّا كُلٌّ فِيهَا أَيْ نَحْنُ وَأَنْتُمْ فِي النَّارِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ فَقَلَامُ مَرْدٍ لِحُكْمِهِ أَبَدًا.

وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا

في القرآن في تفسير القرآن



المجلد الخامس عشر

## مِنَ الْعَذَابِ

أَمَّا قَالُوا ذَلِكَ لَشِدَّةِ الْعَذَابِ وَقَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ يَقُولُونَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَا صَبْرَ لَهُمْ عَلَى شِدَّةِ الْعَذَابِ لَا أَنَّهُمْ يَطْمَعُونَ فِي التَّخْفِيفِ لِأَنَّ مَعَارِفَهُمْ ضَرُورِيَّةَ يَعْلَمُونَ أَنَّ عِقَابَهُمْ لَا يَنْقَطِعُ وَلَا يَخَفُّ عَنْهُمْ.

قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَ مَا دَعُوا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ

لَمَّا سَأَلُوا خِزْنَةَ جَهَنَّمَ مَا سَأَلُوا مِنْ تَخْفِيفِ الْعَذَابِ، قَالُوا فِي جَوَابِهِمْ أَوْ لَمْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ، يَعْنِي بِالْمُعْجَزَاتِ وَالذَّلَالَاتِ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَصَحَّةِ نَبَوْتِهِمْ، قَالُوا بَلَى، جَاءُوا بِهَا، قَالُوا فَادْعُوا مَا شِئْتُمْ، وَ مَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ، لِأَنَّهُ لَا يَنْفَعُ لَكُمْ بَعْدَ تَمَامِيَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْمَرَادُ بِالْحُجَّةِ هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي أَتَى بِالْمُعْجَزَةِ فَأَنَّ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّتَيْنِ حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ وَ حُجَّةٌ بَاطِنَةٌ فَالْبَاطِنَةُ هِيَ الْعَقْلُ وَالظَّاهِرَةُ الْإِمَامُ الْمَنْصُوبُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ وَهُوَ النَّبِيُّ وَوَصِيُّهُ وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَمَّا صَحَّ الْعِقَابُ لِأَنَّهُ مِنَ الْعِقَابِ بِلَا بَيَانٍ وَهُوَ قَبِيحٌ عَلَى الْخَالِقِ الْحَكِيمِ وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ قِصَّةَ فِرْعَوْنَ وَ مَا قَالَهُ مُؤْمِنٌ أَلْ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ:

إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْرِزَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ

النَّصْرُ وَ النَّصْرَةُ الْعَوْنُ وَ نَصْرَةُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ ظَاهِرَةٌ لَا خِفَاءَ فِيهَا وَ أَمَّا نَصْرَةُ الْعَبْدِ لِلَّهِ هُوَ نَصْرَتُهُ لِعِبَادِهِ وَ الْقِيَامُ بِحِفْظِ حُدُودِهِ وَ رِعَايَةِ عَهْدِهِ وَ الْعَمَلُ بِأَحْكَامِهِ بِتَرْكِ الْمَحْرَمَاتِ وَ فِعْلُ الْوَاجِبَاتِ وَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ بِقَوْلِهِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يَثْبِتْ

في تفسير القرآن

جزء ٢٤

الجلد الخامس

أَقْدَامَكُمْ<sup>(١)</sup>.قال الله تعالى: **إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ<sup>(٢)</sup>**.

فقوله تعالى: **إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا** معناه ندفع عنهم شر أعدائهم ونوفقهم في الأعمال في **الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ** يوم القيامة وأما قال **إِنَّا لَنَنْصُرْهُمْ** كذلك لأن الله تعالى أرسلهم إلى الخلق لإرشادهم وهدايتهم والناس كذبوهم وأنكروهم وهددوهم بالقتل فلولا نصر الله إياهم كيف يقدرّون على تبليغ رسالتهم مع كثرة الأعداء ولذلك طلبوا النصرة من الله.

قال الله تعالى: **قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ<sup>(٣)</sup>**.قال الله تعالى: **قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْكُفَّارِينَ<sup>(٤)</sup>**.

ثم أن النصر على ضربين، نصر بالحجة، ونصر بالغلبة، في المحاربة بحسب ما يعلم الله من المصلحة وتقتضيه الحكمة هذا إذا كان في دار التكليف فأما نصره إياهم يوم القيامة فهو إعلاء كلمتهم وظهورهم حقهم وعلو منزلتهم وإعزازهم بجزيل الثواب وإذلال عدوهم بعظيم العقاب والأشهاد جمع شاهد مثل صاحب وأصحاب وهم الذين يشهدون بالحق للمؤمنين وأهل الحق وعلى المبطلين والكافرين بما قامت به الحجة يوم القيامة وفي ذلك سرور المحق وفضيحة الباطل.

قاله بعض المفسرين وهو حق لا كلام فيه وقوله: **لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ** فالوجه فيه أن العذر بعد تمام الحجة لا نفع فيه مضافاً إلى أن الآخرة ليست بدار التكليف بل هي دار الجزاء وقيل لا ينفع معذرتهم لأنهم يعتذرون بالباطل في قولهم: **وَ اللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ** ولذلك قال ولهم اللعنة وسوء



الدَّارِ وَاللَّعْنَةُ هِيَ الْإِبْعَادُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَ الْحَكْمُ عَلَيْهِمْ بِدَوَامِ الْعِقَابِ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ وَ هُوَ عَذَابُ النَّارِ.

قال بعض المفسرين المراد بالظالمين الذين لا تنفعهم المعذرة هم الذين ظلموا أنفسهم أو غيرهم بإرتكاب المعاصي التي يستحق بها دوام العقاب.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ، هُدًى وَ ذِكْرًا لِلْأُولَى الْأَلْبَابِ

قال المفسرون، أي أعطيناه التوراة فيها أدلة واضحة على معرفة الله و توحيده و أنزلنا عليه الكتاب و أورثناه بني إسرائيل يعني التوراة.

أقول الظاهر أن المراد بالهدى النبوة و بالكتاب التوراة فأَنَّ النَّبِيَّ يَهْدِي الْخَلْقَ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَقَوْلُهُ: وَ أَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ، مَعْنَاهُ جَعَلْنَاهُ مِيراثًا لَهُمْ، وَقَوْلُهُ: هُدًى هُوَ حَالٌ مِنَ الْكِتَابِ أَيَّ حَالٍ كَوْنُهُ هَدًى أَيَّ هَادِيًا لِلْأُولَى الْأَلْبَابِ وَ أَمَّا خَصَّ الْعُقَلَاءَ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْخَفَاشَ لَا يَنْتَفِعُ بِنُورِ الشَّمْسِ، وَ الْجَاهِلُ الْمَعَانِدُ أَيْضًا لَا يَنْتَفِعُ بِنُورِ الْحَقِّ لِعَدَمِ قَابِلِيَّتِهِ وَ هُوَ وَاضِحٌ.

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكَارِ

أمر الله تعالى نبيه بالصبر أولاً، و بالإستغفار ثانياً، و بالتسبيح ثالثاً، أمَّا الصَّبْرُ فهو ثبات النَّفْسِ وَ عَدَمُ إِضْطِرَابِهَا فِي الشَّدَائِدِ وَ الْمَصَائِبِ بِأَنْ يَحْبِسَ لِسَانَهُ عَنِ الشُّكْوَى وَ أَعْضَاءَهُ عَنِ الْحَرَكَاتِ الْغَيْرِ الْمَتَعَارِفَةِ وَ هَذَا هُوَ الصَّبْرُ عَلَى الْمَكْرُوهِ وَ ضِدُّهُ الْجَزَعُ وَ قَدْ عَرَفَ مُطْلَقَ الصَّبْرِ بِأَنَّهُ مَقَاوِمَةُ النَّفْسِ مَعَ الْهَوَى وَ بِعِبَارَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ ثَبَاتُ الدِّينِ فِي مَقَابِلَةِ بَاعِثِ الْهَوَى وَ كَيْفَ كَانَ فَالصَّبْرُ مَنْزِلٌ مِنَ مَنَازِلِ السَّالِكِينَ وَ مَقَامٌ مِنَ مَقَامَاتِ الْمُؤَحِّدِينَ وَ بِهِ يَنْسَلِكُ الْعَبْدُ فِي سَلَكِ الْمُقَرَّبِينَ وَ يَصِلُ إِلَى جَوَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ قَدْ أَضَافَ اللَّهُ أَكْثَرَ الدَّرَجَاتِ وَ

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس

الخيرات اليه و ذكره في نَيْفٍ و سبعين موضعاً في القرآن و وصف الله الصَّابرين بأوصاف فقال عز من قائل:

قال الله تعالى: وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا<sup>(٤)</sup>.

و الآيات كثيرة و لا نحتاج الى الأخبار بعد ذكر هذه الآيات وغيرها ممَّا لم نذكره مخافة الإطناب.

و المراد بالصَّبر في المقام هو الصَّبر على أذى المشركين و تكذيبهم أيَّاه أمره الله به في كثير من الآيات:

قال الله تعالى: وَ اتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَ أَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُصِمَ اللَّهُ<sup>(٥)</sup>.

قال الله تعالى: وَ أَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ<sup>(٦)</sup>.

قال الله تعالى: وَ أَصْبِرْ وَ مَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ<sup>(٧)</sup>.

قال الله تعالى: فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ غُرُوبِهَا<sup>(٨)</sup>.

و قوله: إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْوَعْدِ الْغَلْبَةُ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ مَا وَعَدَهُ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ وَ الْجَنَّةِ لِمَنْ أَطَاعَهُ وَ النَّارِ وَ الْعِقَابِ لِمَنْ عَصَاهُ وَ عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهِ وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ

١- الأعراف = ١٣٧

١- السجدة = ٢٤

٢- القصص = ٥٤

٣- النحل = ٩٨

٣- هود = ١١٥

٥- يونس = ١٠٩

٨- طه = ١٣٠

٧- النحل = ١٢٧

قيلًا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: **وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ** فالاستغفار طلب المغفرة وهو وظيفة العبد والمراد بالذنوب القصور في العبادة لا التقصير فيها فَأَنَّ النَّبِيَّ لَا يَقْصُرُ فِي الْعِبَادَةِ أَصْلًا، وَأَمَّا الْقُصُورُ فِيهَا فَلَا إِشْكَالَ فِيهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ فِرْعٌ عَلَى الْمَعْرِفَةِ وَحَيْثُ أَنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ بِالْكُنْهِ لَا تَحْصُلُ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فِعْبَادَتُهُ أَيْضًا كَذَلِكَ وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **مَا عَبْدُنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ كَمَا قَالَ مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ** وهذه العبادة هي التي عَبَرْنَا عَنْهَا بِالْقُصُورِ وَهِيَ مِنْ شُؤْنِ الْمُمْكِنِ لَا تَنْفَكُ عَنْهُ وَعَلَى هَذَا فَاسْتَغْفَرَ النَّبِيُّ مِنْ هَذَا الذَّنْبِ الَّذِي لَا مَحِيصَ عَنْهُ لِلْمَخْلُوقِ لَا مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي يَصْدُرُ عَنِ التَّقْصِيرِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِنَا أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ مِنَ الذَّنْبِ.

وَقَوْلُهُ: **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ** فالعشي من زوال الشمس إلى الليل، والإبكار من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس وأن شئت قلت وسبح بحمد ربك صباحاً ومساءً.

**إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَيْهِمْ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**

قد مرَّ الكلام في معنى الجدال وقلنا أَنَّ الْمَذْمُومَ هُوَ الْجِدَالُ بِالْبَاطِلِ وَأَمَّا الْجِدَالُ بِالْحَقِّ فَلَا مَنَعَ فِيهِ بَلْ هُوَ مَمْدُوحٌ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **وَاجِدْلُهُمْ بِآيَاتِي هِيَ أَحْسَنُ** فَقَوْلُهُ: **إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَيْهِمْ** هُوَ الْجِدَالُ بِالْبَاطِلِ قَالَ بَغِيْرُ سُلْطَانٍ فَأَنَّ السُّلْطَانَ الْحِجَّةَ فَالْجِدَالُ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ هُوَ الْجِدَالُ بِلا حِجَّةٍ وَبِرْهَانٍ وَمَنْشَأُ الْكِبَرِ وَالْجَهْلِ وَإِلَى هَذَا أَشَارَ بِقَوْلِهِ: **إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ** كَلِمَةٌ (إِنْ) نَافِيَةٌ، بِمَعْنَى، لَيْسَ، أَيْ لَيْسَ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ أَيْ تَجَبَّرَ وَعَظُمَتْ مَا

بَابُ الْقُرْآنِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢٤

الجدال الخامس عشر

هم بباليغيه أي لا يصلون ما أرادوا و قصدوا فَأَنَّ اللَّهَ مَذْلَهُمْ و قيل معناه ما هم بباليغي الكبر لأنهم رأوا أَنَّهُمْ إِنْ اتَّبَعُوا النَّبِيَّ قُلَّ إِرْتِفَاعُهُمْ و نقصت أحوالهم و أَنَّهُمْ يرتفعون إذا لم يكونوا تبعاً فأعلم الله تعالى أَنَّهُمْ لا يبلغون الإرتفاع الذي أملوه بالتكذيب و المراد المشركون و قيل اليهود.

لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

قال بعض المعاصرين في تفسيره لهذه الآية.

اللام للقسمة و المراد بالسَّمَوَاتِ و الأرض مجموع العالم و معنى الآية حسب ما يعطيه المقام أَنَّهُمْ ليسوا بباليغي بغيتهم و ليسوا بمعجزين فَأَنَّ اللَّهَ الَّذِي قدر على خلق مجموع العالم و لم يعجزه ذلك على ما فيه من العظمة ليس يعجزه جزءٌ يسيرٌ منه و هو النَّاسُ المخلوقون الَّذِينَ هم أهون عليه و لكن أَكْثَرَ النَّاسِ جاهلون يظنون بجهلهم أَنَّهُمْ يعجزون اللَّهَ بجِدَالٍ يجادلونه أو أَيُّ كَيْدٍ يكيدونه إنتهى كلامه.

و قال صاحب الكشاف:

فَأَنْ قُلْتَ كَيْفَ إِتَّصَلَ قَوْلُهُ: لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ بِمَا قَبْلَهُ.

قلت أَنَّ مجادلتهُم في آيات الله كانت مشتملة على إنكار البعث و هو أصل المجادلة و مدارها فحجوا بخلق السَّمَوَاتِ و الأرض لأنَّهُمْ كانوا مقرِّين بأنَّ اللَّهَ خالقها بأنَّها خلقٌ عظيم لا يقادر قدره و خلق النَّاسَ بالقياس اليه شئٌ قليلٌ مهينٌ فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع مهانته أقدر و هو أَبلغ من الإستشهاد بخلق مثله لَا يَعْلَمُونَ لأنَّهُمْ لا ينظرون و لا يتأملون بغلبة الغفلة عليهم و إتباعهم أهواءهم إنتهى كلامه.

أقول ما ذكره الزمخشري في ربط الآية بما قبلها أحسن ما قيل في المقام إذ لو

لم تكن مجادلتهم مشتملة على إنكار البعث فلا مناسبة لقوله: **لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ** إِلَّا أَنْ قَوْلُهُ فَمَنْ قَدَّرَ عَلَى خَلْقِهَا مَعَ عَظَمِهَا كَانَ عَلَى خَلْقِ الْإِنْسَانِ مَعَ مَهَانَتِهِ أَقْدَرُ، فِي حَيْزِ الْمَنْعِ إِذْ لَيْسَ الْبَحْثُ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ بَلْ الْبَحْثُ فِي إِحْيَاءِ الْمَوْتَى عَلَى قَوْلِهِ وَهُوَ الْبَعْثُ وَ لَيْسَ هُوَ خَلْقُ إِنْسَانٍ جَدِيدٍ بَلْ هُوَ إِحْيَاءُ الْإِنْسَانِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَ هُوَ بَعِينُهُ فَكَانَ حَقَّ الْعِبَارَةِ أَنْ يَقُولَ كَانَ عَلَى إِحْيَاءِ الْإِنْسَانِ أَوْ كَانَ عَلَى الْبَعْثِ أَقْدَرُ وَ عَلَى هَذَا فَالْكَلَامُ مُسْتَقِيمٌ فَيَصِيرُ مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مَعَ كِبَرِهَا وَ عَظَمَتِهَا فَكَيْفَ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِحْيَاءِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَ لَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ أَيُّ الْبَعْثِ أَهْوَنُ وَ أَسْهَلُ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ لَا شَكَّ أَنَّهُ أَبْلَغُ مِنَ الْإِسْتِشْهَادِ بِمِثْلِهِ.

**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ**

الأعمى والبصير كناية عن الكافر والمؤمن أو عمى عن طريق الرشد والصواب عن البصير الذي أبصر و إهتدى اليه.  
و من المعلوم أنهما لا يتساويان وهكذا الذين آمنوا بالله و عملوا الصالحات من الذين أساءوا و ظلموا نفوسهم بإرتكاب المعاصي فأنهما أيضاً لا يتساويان بل هما متضادان كالنور والظلمة وهذا مما يحكم به القعل السليم.

بَابُ الْفَرْقَانِ فِي تَفْهِيمِ الْقُرْآنِ

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

**إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ**  
المراد بالسَّاعَةِ الْقِيَامَةُ نفى الله تعالى عنها الرَّيْبَ وَ الشَّكَّ لِأَنَّهَا أَيُّ الْقِيَامَةِ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الدِّينِ فَمَنْ أَنْكَرَهَا أَنْكَرَ الْآخِرَةَ وَ مَنْ أَنْكَرَ الْآخِرَةَ فَقَدْ أَنْكَرَ الْمَعَادَ الَّذِي هُوَ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ وَ مَنْ أَنْكَرَ الْمَعَادَ فَهُوَ مُرْتَدٌّ خَارِجٌ عَنْ زِمْرَةِ الْمُسْلِمِينَ وَ قَدْ دَلَّتْ عَلَيْهَا الْآيَاتُ الْكَثِيرَةُ:

قال الله تعالى: إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي  
الْقُبُورِ الْحَقَّ<sup>(٤)</sup>.

قال الله تعالى: وَمَا يُذْرِكْ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا<sup>(٥)</sup> والأيات الواردة  
في الباب كثيرة.

وَأَمَّا العقل فهو أيضاً يحكم بوجودها ولزومها لأجل الحساب وإلا يلزم  
الظلم على المظلوم والمؤمن الذي عمل صالحاً أما المظلوم فلم يؤخذ بحقه وأما  
المؤمن فلم يحصل له ثواب على عمله ولازم ذلك هو تساوي الظالم والمظلوم و  
المؤمن والكافر، وحيث أَنَّ الدُّنْيَا دار العمل ولا ثواب فيها عقاب فالعدل يقتضي  
أَن تكون دار معدة لهما وهي القيامة ولا نعني بالسَّاعَةِ إلا هذا.

وَأَمَّا قوله: وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ أَي لا يؤمنون بالسَّاعَةِ فالوجه  
فيه ظاهر فَأَنَّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ لَمْ يُؤْمِنْ بِالسَّاعَةِ قطعاً وَأَمَّا يُؤْمِنْ بِهَا مَنْ أَمِنَ  
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَنِ الْمَعْلُومُ أَنَّهُمْ قَلِيلُونَ، وَقَلِيلٌ  
مِنْ عِبَادِي الشَّاكِرِينَ.

وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ  
عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ  
أمرنا بالدُّعَاءِ وَوَعَدْنَا الْإِجَابَةَ.

قال الرَّاغِب في المفردات، الدُّعاء كالنِّداء إِلَّا أَنَّ النِّداء قد يقال بها، أو، أيا، و نحو ذلك من غير أن يضمَّ إليه الإسم، و الدُّعاء لا يكاد يقال إِلَّا إذا كان معه الإسم نحو يا الله، و يا محمد، و يا علي، و يا فلان.

و قد يستعمل كل واحدٍ منهما موضع الآخر:

قال الله تعالى: كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَ نِدَاءً<sup>(١)</sup>.

إذا عرفت هذا فاعلم أَنَّ الدُّعاء مخُّ العبادة و قد حثَّ الشَّرع المقدَّس على الدُّعاء في الآيات و الأخبار.

فمن الآيات:

قال الله تعالى: وَ لَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ<sup>(٢)</sup>.

و قال تعالى لنبيِّه: وَ أَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَ طَمَعًا<sup>(٤)</sup>.

قال الله تعالى: قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى<sup>(٥)</sup>.

قال الله تعالى: فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ<sup>(٦)</sup>.

قال الله تعالى: وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا<sup>(٧)</sup>.

و الآيات الحاتَّة على الدُّعاء كثيرة في القرآن.

١- البقرة = ١٧١

٢- الأنعام = ٥٢

٣- الكهف = ٢٨

٤- السجدة = ١٦

٥- الإسراء = ١١٠

٦- الأعراف = ١٨٠

٧- غافر = ١٤

وَأَمَّا الْأَخْبَارُ:

فمنها ما روي في قرب الأسناد للحميري بأسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عليه السلام: مِمَّا أُعْطِيَ اللَّهُ أُمَّتِي وَفَضَّلَهُمْ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ أَعْطَاهُمْ ثَلَاثَ خِصَالٍ لَمْ يُعْطَ بِهَا إِلَّا نَبِيٌّ إِلَى قَوْلِهِ صلى الله عليه وآله وسلم كَانَ إِذَا بَعَثَ نَبِيًّا قَالَ لَهُ إِذَا أَحْزَنَكَ أَمْرٌ تَكْرَهُهُ فَأَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكَ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أُعْطِيَ أُمَّتِي ذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّتَهَى.

وَعَنْ كِتَابِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الدُّورِيسْتِيِّ بِأَسْنَادِهِ إِلَى حَفْصِ بْنِ غِيَاثِ النَّخْعِيِّ قَالَ سَمِعْتُ الصَّادِقَ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَقُولُ: إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ لَا يَسْأَلَ رَبَّهُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ فَلْيَبْأَسْ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ لَا يَكُونُ لَهُ رَجَاءٌ إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ مِنْ قَلْبِهِ لَمْ يَسْأَلْهُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِنَّتَهَى.

وَرَوَى زُرَّارَةُ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ عليه السلام: هُوَ الدُّعَاءُ وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الدُّعَاءُ إِنَّتَهَى.

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ بِأَسْنَادِهِ عَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ أَنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ قَالَ عليه السلام: هُوَ الدُّعَاءُ وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الدُّعَاءُ إِنَّتَهَى.

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بِأَسْنَادِهِ عَنْ سَنَانِ بْنِ سَدِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ أَيُّ الْعِبَادَةِ أَفْضَلُ فَقَالَ عليه السلام: مَا شَيْءٌ أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ وَيَطْلُبَ مَا عِنْدَهُ وَمَا مِنْ أَحَدٍ أَبْغَضَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِمَّنْ يَسْتَكْبِرُ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْأَلُ مَا عِنْدَهُ إِنَّتَهَى.

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ حَمَادِ بْنِ عِيسَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتَهُ يَقُولُ أَدْعُ وَلَا تَقُلْ قَدْ فَرِغَ مِنَ الْأَمْرِ فَإِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ



العبادة أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ أَنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي  
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ وَ قَالَ أَدْعُونِي أُسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُيْ.  
و الأحاديث في باب الدُّعاء كثيرة<sup>(١)</sup>.

إِنْ قُلْتَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَدْعُونِي أُسْتَجِبْ لَكُمْ، وَ نَحْنُ نَدْعُوهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَنَا  
فَكَيْفَ ذَلِكَ.

قُلْتَ إِسْتِجَابَةُ الدُّعاء مَنْوُطَةٌ بِالمصلحة فَقَدْ لَا تَكُونُ المصلحة فِي إِسْتِجَابَةِ  
الدُّعاء أَصْلًا وَ قَدْ تَكُونُ المصلحة فِي تَأْخِيرِهَا وَ قَدْ تَكُونُ المفسدة مَوْجُودَةً.

فَعَنْ كِتَابِ الإِحْتِجَاجِ لِلطَّبْرَسِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فِي حَدِيثٍ  
طَوِيلٍ وَ فِيهِ قَالَ السَّائِلُ أَلَسْتُ تَقُولُ يَقُولُ اللَّهُ أَدْعُونِي أُسْتَجِبْ لَكُمْ،  
وَ قَدْ نَرَى الْمُضْطَرَّ يَدْعُوهُ فَلَا يَجِيبُ لَهُ وَ الْمَطِيعُ (وَ الْمَظْلُومُ خ.ل.)  
يَسْتَنْصِرُهُ عَلَى عَدُوِّهِ فَلَا يَنْصُرُهُ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَيَحْكُ، مَا يَدْعُوهُ أَحَدٌ  
إِلَّا إِسْتِجَابَ لَهُ أَمَّا الظَّالِمُ فِدَعَاؤُهُ مَرْدُودٌ إِلَى أَنْ يَتُوبَ إِلَيْهِ وَ أَمَّا  
الْمُحَقِّقُ فَأَنَّهُ إِذَا دَعَاهُ إِسْتِجَابَ لَهُ وَ صَرَفَ عَنْهُ الْبَلَاءَ مِنْ حَيْثُ لَا  
يَعْلَمُ أَوْ إِدْخَرَ لَهُ ثَوَابًا جَزِيلًا لِيَوْمِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ وَ إِنْ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ  
الَّذِي سَأَلَ الْعَبْدُ خَيْرًا لَهُ إِنْ أَعْطَاهُ أَمْسَكَ عَنْهُ وَ الْمُؤْمِنُ الْعَارِفُ  
بِاللَّهِ رَبِّمَا عَزَّ عَلَيْهِ أَنْ يَدْعُوهُ فِيمَا لَا يَدْرِي أَصَوَابُ ذَلِكَ أَمْ خَطَأُ  
إِنْتَهَى.

وَ يَكْفِيكَ بَعْدَ الْآيَاتِ وَ الْأَخْبَارِ الْكَثِيرَةِ مَا وَرَدَ مِنَ الْأَدْعِيَةِ فِي الْكُتُبِ  
الْمَوْضُوعَةِ لَهَا وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ

النَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٦١) ذَلِكُمْ  
اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَنَّى  
تُؤَفِّكُونَ (٦٢) كَذَلِكَ يُؤَفِّكُ الَّذِينَ كَانُوا  
بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٦٣) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ  
لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ  
فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ  
ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ  
(٦٤) هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ  
لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥) قُلْ  
إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ  
اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ  
أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٦) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ  
مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ  
يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا  
شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِيَبْلُغُوا  
أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٧) هُوَ الَّذِي  
يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ  
كُنْ فَيَكُونُ (٦٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ  
فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِّي يُصْرِفُونَ (٦٩) الَّذِينَ كَذَّبُوا  
بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ  
يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَ

السَّلَاسِلِ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي  
 النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ  
 تُشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا  
 بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ  
 اللَّهُ الْكَافِرِينَ (٧٤) ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ  
 فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ  
 (٧٥) أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ  
 مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ  
 حَقٌّ فَأِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ  
 نَتَوَقَّيَنَّكَ فَإِنَّا يُرْجَعُونَ (٧٧) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا  
 رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَ  
 مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ  
 أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ  
 قُضِيَ بِالْحَقِّ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٨)  
 اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَ  
 مِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَ لِتَبْلُغُوا  
 عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَ عَلَيْهَا وَ عَلَى  
 أَلْفُلِكِ تُحْمَلُونَ (٨٠) وَ يُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ  
 اللَّهِ تُنْكِرُونَ (٨١) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ  
 فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
 كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَ أَشَدَّ قُوَّةً وَ أَثَارًا فِي  
 الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

تفسير القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

(٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا  
عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ  
يَسْتَهْزِءُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا  
بِاللَّهِ وَحَدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤)  
فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ  
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ  
الْكَافِرُونَ (٨٥)

### ◀ اللغة

تَوَفَّكُونَ: الإفك، كل مصروفٍ عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه.  
يَجْحَدُونَ: الجحد، بفتح الجيم الإنكار.  
الْأَغْلَالُ: جمع غلّ وهو طوق يدخل في العنق للأثم والذلل وأصله الدخول.  
السَّلاسلُ: جمع سلسلة وهي حلقٌ منتظمة في جهة الطول مستمرة.  
يُسْحَبُونَ: أي يجزؤون، السَّحب الجرّ.  
فِي الْحَمِيمِ: بفتح الحاء الماء الذي يبلغ في الحرارة.  
يُسْجَرُونَ: السَّجَرُ إلقاء الحطب في معظم النار كالنَّور الذي يسجر.  
تَمَرُّحُونَ: المرح الإحتيال في السرور والنشاط.  
حَاقَ بِهِمْ: أي حلَّ بهم.  
الِإِسْتِهْزَاءُ: السَّخَرِيَّةُ

### ◀ الإعراب

إِذِ الْأَغْلَالُ إِذْ ظَرَفَ زَمَانٍ خَاصٍّ وَ الْمَرَادُ بِهِ الْإِسْتِقْبَالُ هُنَا لِقَوْلِهِ فَسَوْفَ

يعلمون وَالسَّلَاسِلُ بِالرَّفْعِ مَعطوفٌ على الأغلال و الخبر في أعناقهم، مبتدأ و الخبر محذوف، أي السلاسل في أعناقهم و حذف لدلالة الأول عليه يُسْحَبُونَ حال من الضمير في الجارّ أو هو مستأنف و الخبر، يسحبون و العائد محذوف أي يسحبون بها بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ من، هنا بمعنى البذل أي بدلاً من العلم و تكون حالاً من، ما، أو من الضمير في الطرف سُنَّتَ اللَّهُ هو نصب على المصدر أي سننا بهم سنّة الله و الله أعلم.

### ◀ التفسير

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن نفسه بأنه جعل لكم الليل لتسكنوا و تسترحوا فيه من كدّ النهار و تعبهِ، و جعل لكم النهار و هو ما بين طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس مبصراً أي مضيئاً لتبصروا فيه حوائجكم و تتصرفوا في طلب معاشكم.

إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ على هذه النعمة كما أنهم لا يشكرون على غيرها من النعم و لذلك قال تعالى: وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ مع أنّ الشكر على النعمة واجبٌ عقلاً و قد مرّ الكلام فيه.

بَابُ الْفَرْقَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

ذِكْرُكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَى تُؤْفَكُونَ

ذلكم، إشارة إلى ما تقدّم وصفه أي أنّ الذي وصفناه هو الله ربكم خالق كلّ شيء، لا غيره من الأصنام و الأوثان فأتى تؤفكون، أي فأتى تصرفون أي فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره مع أنّه لا إله إلا هو، و ما سواه كائنًا ما كان مخلوق له محتاج إليه هذا كلّ مع وضوح دلالة الآيات على توحيده.

كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ

أي مثل هؤلاء الأفاكين الصّارفين عن عبادة ربهم يؤفك و يصرف عن عبادته الذين كانوا بآيات الله يجحدون.

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَ السَّمَاءَ بِنَاءً وَ صَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَ رَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ

لَمَّا قَالَ تعالى: اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ثُمَّ قَالَ: ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم، قَالَ الله الذي جعل لكم الأرض قراراً، أي جعلها بحيث تستقرون عليها.

قال الله تعالى: أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَ جَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ<sup>(٢)</sup>.

وقوله: وَ السَّمَاءَ بِنَاءً أي جعلها بناءً مرتفعاً فوقنا ولو جعلها رتقاً لما أمكن الخلق الإنتفاع بها: وَ صَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَ رَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ من المأكولات والمشروبات والملبوسات ممّا لا يخفى على أحد.

ثُمَّ قَالَ: ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

قوله: ذَلِكُمْ إشارة إلى جميع ما ذكره في هذه الآيات من النعم أي ربكم من أعطاكم هذه النعم ومن يقدر على ذلك غير الله تعالى وإذا كان كذلك فتبارك الله رب العالمين الذي لم يزل ولا يزال.

هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

أَيُّ مَنْ الْمُنْعَمُ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ مَا أَنْعَمَ هُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَيُّ هُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا فَنَاءَ لَهُ وَ لَا مَعْبُودَ سِوَاهُ لَا غَيْرَهُ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، أَيُّ فَادْعُوهُ مُخْلِصاً وَ لَا تَشْرِكُوا بِهِ أَحَدًا وَ جَمِيعَ الْمُحَامِدِ يَرْجِعُ إِلَيْهِ إِذَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعْمَةِ وَ لَا مَنَعَمَ حَقًّا إِلَّا هُوَ فَلَا يَسْتَحِقُّ أَحَدٌ لِلْعِبَادَةِ إِلَّا هُوَ وَ لَا مَعْبُودَ سِوَاهُ فَالْحَمْدُ كُلُّهُ لَهُ.

قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأَمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

يعني قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين يدعونك إلى عبادة الأصنام و الأوثان، إِنِّي نُهَيْتُ أَيُّ أَنَّ اللَّهَ نَهَانِي أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ الَّتِي تَجْعَلُونَهَا آلِهَةً.

و قال القرطبي في تفسيره في المقام، و كانوا دعوه إلى دين أباءه فأمر أن يقول هذا إنتهى.

أَقُولُ أَنْظَرُوا يَا أَهْلَ الْإِنصَافِ إِلَى هَذِهِ التَّفَاسِيرِ فَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ أَبَاءَ الرَّسُولِ لَمْ يَكُونُوا كَافِرِينَ بَلْ كَانُوا عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ وَ أَمَّا هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ فَكَانُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَ أَيْنَ هَذَا مِنْ ذَاكَ وَ أُنْمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ أَيُّ الْقُرْطُبِيِّ وَ أَمثَالِهِ مِنَ الْجَاهِلِينَ الْمُعَانِدِينَ زَعَمُوا أَنَّ أَبَاءَ الرَّسُولِ كَانُوا مِنَ الْكَافِرِينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَقْرَأُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ، وَ تَقَلُّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ<sup>(١)</sup>

أَوْ أَنَّهُمْ قَرَأُوهَا وَلَمْ يَفْهَمُوا مَعْنَاهُ فَضَلُّوا وَ أَضَلُّوا وَ مِنْ يَضِلُّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ، وَلَيْتَ شَعَرِي مَا الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَى هَذِهِ الْأَرَاجِيفِ وَ الْأَكَاذِيبِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ اللَّهِ أَلَيْسَ هَذَا مِنَ التَّفْسِيرِ بِالرَّأْيِ.

و قد قال رسول الله: مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## النَّارِ.

ثُمَّ نَقُولُ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرَهُ الْقُرْطُبِيُّ لِلزَّمِ أَنْ يَكُونَ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الْمُطَلِّبِ وَهَاشِمٌ وَعَبْدُ مَنْفَافٍ كُلُّهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ وَمَنْ قَالَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذَلِكَ غَيْرَ الْقُرْطُبِيِّ وَأَمثالِهِ مِنَ الْجَهَّالِ فَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ عَرَفُوا الْإِسْلَامَ إِتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ عَبْدَ الْمُطَلِّبِ وَهَاشِمَ وَهَكَذَا لَمْ يَعْبُدُوا صِنْمًا قَطُّ وَإِتَّفَقُوا أَيْضًا عَلَى أَنَّ الْكَفَّارَ وَالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَدْعُونَ النَّبِيَّ إِلَى آلِهِتِهِمْ، لَمْ يَكُونُوا عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ بَلْ كَانُوا عَلَى دِينِ الْوثنِ وَالصَّنَمِ وَعَلَى هَذَا فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ وَكَانُوا دَعَوْهُ إِلَى دِينِ آبَاءِهِ وَلَوْ كَانَ الْقُرْطُبِيُّ مِنَ الْعُلَمَاءِ لَقَالَ كَانُوا دَعَوْهُ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ إِلَّا أَنَّ دَاءَ الْجَهْلِ لَا دَوَاءَ لَهُ.

وَقَوْلُهُ: لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي هَذَا الْكَلَامُ بِمَنْزِلَةِ التَّعْلِيلِ لِقَوْلِهِ: نَهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَيِ كَانَتْ عَلَّةُ النَّهْيِ عَنْ مِتَابَعَتِكُمْ وَقَبُولِ قَوْلِكُمْ أَنَّ الْبَيِّنَاتِ وَالْحُجُجَ الدَّالَّةَ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مَنَعَنِي عَنْ قَبُولِ دَعْوَتِكُمْ أَيَايَ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى أَنَّ رَبِّي قَدْ هَدَانِي إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَمَنْ عَرَفَ الْحَقَّ كَيْفَ يَأْخُذُ بِالْبَاطِلِ، وَأَمِرْتُ أَنْ أَسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ أَيِ وَأَمْرَنِي أَنْ أَسْتَسْلِمَ لِأَمْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَأَوْجَدَكُمْ وَرَبَّكُمْ وَيَمْلِكُ تَدْبِيرَ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَوْضَحَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ:

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عِلَاقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَتَّكِنُوا شَيْوَحًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّى مِنْ قَبْلِ وَ لِيَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

وَالْمَعْنَى أَنَّ إِلَهَكُمْ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ، الْخَطَابُ لِجَمِيعِ الْبَشَرِ أَيِ خَلَقَكُمْ مَعَاشِرَ الْبَشَرِ مِنْ تُرَابٍ وَأَمَّا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْبَشَرَ أَوْلَادُ آدَمَ، وَاللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ عَلَى مَا مَرَّ بِيَانِهِ سَابِقًا وَإِذَا كَانَ الْأَصْلُ مَخْلُوقًا مِنْ تُرَابٍ فَالْفَرْعُ تَابِعٌ لَهُ فَصَحَّ أَنْ يَقَالَ لِلْبَشَرِ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ أَيِ مِنْ آدَمَ الَّذِي خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ، وَ



قوله: **ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ** وذلك لأنَّ النُّطْفَةَ أنشأت من التُّراب إذ لو لم يكن آدم لم توجد نطفة فالتُّراب هو الأصل للنُّطفة وهي فرعٌ عليه وجوداً فصَحَّ أن يقال ثُمَّ من نطفة التي جعلت في الأصلاب **ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ** بفتح العين واللام والقاف وهي في الأصل النُّطفة التي قلبها الله إلى الدَّم الغليظ وقد يقال لقطعةٍ من الدَّم وهي المسمَّاة بعلقة لتعلقها بما يمرُّ به لظهور أثرها فيه ثُمَّ تصير علقه مضغَّة وقد مرَّ الكلام في نظير هذه الآية في سورة الحج:

قال لله تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ<sup>(١)</sup>**.  
قال لله تعالى: **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النَّيْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ<sup>(٢)</sup>**.

وقد تكلمنا حول هذه الآيات في مواضعها بقدر علمنا أن شئت فراجع هناك. وقوله: **ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً** هذا بعد أن تصير العلقه مضغَّةً والمضغَّة عظاماً إلى قوله: **ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ**، وهذا هو المراد بالطِّفل.

والمعنى ثُمَّ يخرجكم الله من بطون أمهاتكم طِفْلاً في هذه الدنيا. **ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ** وهو حال إستكمال القوة، وقوله: **أَشَدَّكُمْ** بفتح الألف وضمَّ الشَّين جمع شدَّة كنعمة وأنعم، وأن شئت قلت أيام الشَّباب. **ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا** بضمَّ الشَّين قراءة نافع وحفص وهشام ويعقوب وأبو عمر وعلى الأصل جمع شيخ نحو قلب وقلوب وعيب وعيوب وقرأ الباقون بكسر الشَّين لمراعاة الياء وكلاهما جمع كثرة.

وعن الصَّحاح جمع الشَّيخ شيوخ وأشياخ وكيف كان فالمراحل ثلاثة،

بَابُ الْفَرْقَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

الطُّفُولِيَّةُ وَالشَّبَابُ وَالشَّيْخُوخَةُ، وَالرَّابِعَةُ الْمَوْتُ.

وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّى مِنْ قَبْلُ أَيَّ وَبَعْضُكُمْ يَمُوتُ قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ شَابًا وَشَيْخًا أَيَّ فِي الطُّفُولِيَّةِ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى أَيَّ يَبْلُغُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا قَدَّرَ لَهُ الْأَجَلَ سِوَاكَ كَانَ طِفْلًا أَوْ شَابًا أَوْ شَيْخًا، وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالْأَجَلِ الْمُسَمًّى الْقِيَامَةُ قَالَهُ الْحَسَنُ.

وَقَوْلُهُ: وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ مَعْنَاهُ لَكِي تَعْقِلُونَ، وَتَعْرِفُونَ رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ بِهَذِهِ الْأَطْوَارِ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا فِي ذَلِكَ فَتَعْقِلُوا مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَ النُّعْمِ وَفِي رَأْسِ النُّعْمِ نِعْمَةُ الْإِبْدَادِ إِذْ لَا نِعْمَةَ أَفْضَلَ وَأَشْرَفَ مِنَ الْإِبْدَادِ وَالْخَلْقِ فَمَنْ تَأَمَّلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَأَمْثَالِهَا أَخْلَصَ الْعِبَادَةَ لِهَ تَعَالَى وَعَلِمَ أَنَّهُ مُسْتَحَقٌّ لِلْمُعْبُودِيَّةِ لَا غَيْرُهُ.

هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ أَمَّا أَنَّهُ تَعَالَى يَحْيِي وَيُمِيتُ فَهُوَ وَاضِحٌ لِأَنَّهُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ وَمُوجِدُهَا وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ الْمَوْتَ فَرَعٌ عَلَى الْحَيَاةِ فَمَا لَا حَيَاةَ لَهُ لَا مَوْتَ لَهُ وَإِذَا كَانَتِ الْحَيَاةُ بِأَمْرِهِ تَعَالَى فَالْمَوْتُ أَيْضًا بِأَمْرِهِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهَذَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْإِسْتِدْلَالِ وَبَسْطِ الْكَلَامِ فِيهِ فَإِنَّ الْعَقْلَ يَحْكُمُ بِأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ لَمَّا ذَكَرْنَاهُ وَالْآيَاتُ أَيْضًا مُصَرِّحَةٌ بِهِ فَهُوَ وَاضِحٌ لَا خُفَاءَ فِيهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَالْمُرَادُ بِالْأَمْرِ هُوَ الْأَمْرُ الْإِبْدَادِي الْمَعْبَرُ عَنْهُ بِالْأَمْرِ التَّكْوِينِيِّ الَّذِي لَا تَخْلَفُ فِيهِ أَصْلًا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ تَعَالَى يَوْجِدُ الشَّيْءَ بِوَسْطَةِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا لَفْظَ هُنَاكَ أَصْلًا بَلِ الْمَعْنَى إِذَا أَرَادَ إِبْدَادَ الشَّيْءِ فَهُوَ مَوْجُودٌ لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ وَلَا بِبَنْدَاءٍ يَسْمَعُ وَلَنْعَمَ مَا قِيلَ بِالْفَارْسِيَّةِ:

توانائی کہ در یک طرفه العین      زکاف و نون پدید آورد کونین

چو قاف قدرتش دم بر قلم زد      هزاران نقش بر لوح عدم زد

وهذا في الأوامر التكوينية لاختلاف فيه وأما الأوامر التشريعية فتختلف المراد عن الإرادة أمر ممكن الحصول لأن إختيار العبد واسطة بين الإرادة والمراد لئلا يلزم الجبر وسيأتي الكلام فيه في موضعه وقد مر في تضاعيف الآيات أيضاً.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِّي يُضْرَفُونَ  
ألم ترى يا محمد، إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بالباطل يعني  
المشركين فأنهم كانوا يخاصمون في دفع آيات الله وإبطالها، أَنِّي يُضْرَفُونَ أي  
كيف ينقلبون عن الطريق المستقيم إلى الضلال ومن الحق إلى الباطل ولم يعلموا  
أن الله متم نوره ولو كره الكافرون.

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ  
هذا جواب عن سؤالٍ مقدر فكأنه قيل من الذين يجادلون في آيات الله، فقال  
تعالى الذين كذبوا بالكتاب وهو القرآن، وذلك لأن المصدق بالكتاب وبالرسل  
لا يجادل في آيات الله إذ المفروض أنه حق لا ريب فيه عنده.  
وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا المراد به الأحكام الشرعية من الصلاة والصوم و  
الحج وأمثالها، أي أنهم كما يجادلون في آيات الله يجادلون في الأحكام أيضاً و  
يستهزئون بها فسوف يعلمون، عاقبة أمرهم إذا حل بهم عقاب ما أنكروه و  
جاحدوه يوم القيامة ثم عرفهم الله تعالى و بين كيفية عقابهم فقال.

إِذَا الْأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ، فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي  
النَّارِ يُسْجَرُونَ

الأغلال جمع غلّ، بضم الغين وهو طوق يدخل في العنق للألم والذل،  
وقال الراغب في المفردات، الغلل أصله تدرع الشيء وتوسطه إلى أن قال،  
فالغل مختص بما يقيد به فيجعل الأعضاء وسطه وجمعه أغلال وغل فلان قيد به  
إنتهى.

في القرآن في تفسير البقرة

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

و السَّلاسل جمع سلسلة و هي حلقٌ منتظمة في جهة الطُول مستمرة يقال تسلسلت المعاني إذا استمرت شيئاً قبل شيء كالسَّلسلة الممدودة.  
و قال في المفردات تسلسل الشَّيْءُ اضْطَرَبَ كأنَّه تَصَوَّرَ منه تَسَلُّلٌ متردِّد فردٌّ لفظه تنبيهاً على تَرَدُّد معناه و منه السَّلسلة و معنى الآية فسوف يعلمون ثمرة تكذيبهم الكتاب و الرُّسول إذ الأغلال في أعناقهم في جهنَّم و السَّلاسل يسحبون أي يجبرون على الأرض و موضع يسحبون، نصب على الحال أي حال كونهم يجرون على الأرض و الأغلال في أعناقهم و قيل تقدير الكلام إذ الأغلال و السلاسل في أعناقهم مسحوبين على النَّار و السَّحب جرَّ الشَّيْءِ على الأرض أعادنا الله منه.

و قوله: **فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ** و الحَمِيم بفتح الحاء الماء الذي يبلغ الغاية في الحرارة و السَّجَر بفتح السين و سكون الجيم إلقاء الحطب في معظم النَّار كالنَّور الذي يسجر بالوقود هكذا قيل و على هذا فالمعنى أن هؤلاء الكفَّار الذين في أعناقهم الأغلال و تسحبونهم السَّلاسل في الحميم أي في الماء الحار، يسجرون في النَّار أيضاً كالسَّجار للنَّور و المقصود أنهم حطب جهنَّم في الحقيقة.

**ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ**

الظاهر أن القائلين هم الملائكة الموكلون على جهنَّم أعني بهم خزنة النَّار يقولون لهؤلاء الكفَّار المغلولين أين ما كنتم تشركون، بالله باتخاذكم الأصنام و الأوثان معبودين من دون الله فأرجعوا إليهم ليخلصوكم و ينصروكم من عذاب الله.

**مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ**

أَي قَالُوا فِي جَوَابِ الْقَائِلِ، ضَلُّوا عَنَّا أَي هَلَكُوا وَ ذَهَبُوا عَنَّا وَ تَرَكُونَا فِي الْعَذَابِ، وَ قِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ صَارُوا بِحَيْثُ لَمْ نَجِدْهُمْ وَ قَوْلُهُمْ بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا إِسْتِدْرَاكُ مِنْهُمْ أَي مِنْ قَوْلِهِمْ تَرَكُونَا وَ ضَلُّوا عَنَّا، فَيَقُولُونَ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا، أَي شَيْئًا لَا يَبْصُرُ وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يَضُرُّ يَنْفَعُ، وَ أَنْتَ تَرَى أَنَّ هَذَا الْإِسْتِدْرَاكُ مِنْهُمْ لَيْسَ إِنْكَارًا لِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ بَلْ هُوَ إِعْتِرَافٌ وَ إِقْرَارٌ مِنْهُمْ بِأَنَّ عِبَادَتَهُمْ إِيَّاهَا كَانَتْ بَاطِلَةً هَكَذَا قِيلَ فِي مَعْنَى الْكَلَامِ.

وَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ مُشْعَرٌ بِالْإِنْكَارِ لِأَنَّ قَوْلَهُمْ بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا، مَعْنَاهُ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا الْأَصْنَامَ وَ الْأَوْثَانَ، وَ قَالَ بَعْضُ الْمَفْسَّرِينَ مَعْنَاهُ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ يَسْتَحَقُّ الْعِبَادَةَ وَ مَا يَنْتَفِعُ بِعِبَادَتِهِ، وَ هَذَا الْقَوْلُ يَرْجِعُ إِلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ وَ الَّذِي نَفَهُمُ مِنَ الْآيَةِ هُوَ الْإِنْكَارُ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ.

وَ قَوْلُهُ: كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ قِيلَ مَعْنَاهُ كَمَا فَعَلَ بِهِؤَلَاءِ مِنَ الْإِضْلَالِ يَفْعَلُ لِكُلِّ كَافِرٍ، وَ قِيلَ كَذَلِكَ يُضِلُّ أَعْمَالَهُمْ بِأَنْ يَبْطُلَهَا، وَ قِيلَ يُضِلُّ الْكَافِرِينَ مِنْ نِيلِ الثَّوَابِ وَ قِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ.

أَقُولُ إِعْلَمُ أَنَّ الضَّلَالَ هُوَ الْعُدُولُ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ وَ يَضَاهُ الْهَدَايَةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يُضِلُّ عَلَيْهَا<sup>(١)</sup>. وَ يَقَالُ الضَّلَالُ لِكُلِّ عُدُولٍ عَنِ الْمَنْهَجِ عَمْدًا كَانَ أَوْ سَهْوًا يَسِيرًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا فَأَنَّ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ الَّذِي هُوَ الْمُرْتَضَى صَعْبٌ جَدًّا.

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ كَوْنُنَا مُصِيبِينَ مِنْ وَجْهِهِ وَ كَوْنُنَا ضَالِّينَ مِنْ وَجْهِهِ.

قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ إِضْلَالُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْإِنْسَانِ عَلَى أَحَدِ وَجْهَيْنِ:

**أحدهما:** أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ الضَّلَالُ وَ هُوَ أَنْ يُضِلَّ الْإِنْسَانَ فَيَحْكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَ يَعْدِلُ بِهِ عَنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ إِلَى النَّارِ فِي الْآخِرَةِ وَ ذَلِكَ إِضْلَالٌ هُوَ حَقٌّ وَ عَدْلٌ فَالْحُكْمُ عَلَى الضَّالِّ بِضَلَالِهِ وَ الْعُدُولُ بِهِ مِنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ إِلَى النَّارِ عَدْلٌ وَ حَقٌّ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

**الثَّانِي:** من إضلال الله هو أَنَّ الله تعالى وضع جبلة الإنسان على هيئة إذا راعى طريقاً محموداً كان أو مذموماً أنفه وإستطابه ولزمه و تعذّر صرفه وإنصرافه عنه و يصير ذلك طبع ثانٍ و هذه القوّة في الإنسان فعلٌ إلهيٌّ وإذا كان كذلك و قد ذكر في غير هذا الموضع أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يكون سبباً في وقوع صحّ نسبة ذلك الفعل إليه فصَحَّ أن ينسب ضلال العبد إلى الله من هذا الوجه فيقال أَضَلَّه الله لا على الوجه الذي يتصوّره الجهلة و لما قلنا جعل الإضلال المنسوب إلى نفسه للكافر و الفاسق دون المؤمن بل نفى عن نفسه إضلال المؤمن:

قال الله تعالى: مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْهُمْ<sup>(١)</sup>.

قال في الكافر و الفاسق: فَتَعَسَا لَهُمْ وَ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ<sup>(٤)</sup>.

و غيرها من الآيات إنتهى كلامه.

و الإنصاف أَنَّ ما ذكره عليه السلام من أحسن الوجوه في رفع الإشكال و أن كان فيه أيضاً مجالٌ واسع للبحث و لكن نحن أعرضنا عن ذكر موارد ضعفه حذراً عن الإطالة و الله أعلم.

ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ

ذلكم إشارة إلى ما فعل الله بهؤلاء الكفار من أنواع العذاب في القيامة والمعنى أَنَّ الذي أوقعكم في العذاب هو أعمالكم التي فعلتم بها في الأرض من عبادة الأصنام و كنتم تفرحون بها، وَ بِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ أي تبطرون في معاصي الله و المرح

الإحتيال في السرور والتشاط والباء في الموضعين للسببية.

**أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**

أي أدخلوا أبواب جهنم مؤبدين فيها لا إنقطاع لكونكم فيها ولا نهاية لعقابكم، وقوله: **فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ** أي بئس مقام من تكبر عن عبادة الله و تجبر عن الطاعة والإنقياد له، ثم بعد الإخبار عن هؤلاء الكفار وسوء عاقبتهم خاطب نبيه.

**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ**

أمر الله نبيه بالصبر على أذى المشركين وإستهزاء المنافقين المضاعدين وأخبره أن وعد الله حق لا ريب فيه والمراد بالوعد نصرة الله إيّاه في دعوته ودفع شر الكفار عنه و يحتمل أن يكون المراد بالوعد ما وعد الله المؤمنين من الثواب في الجنة والعقاب للكافرين من العذاب في الدنيا والآخرة.

وأما قوله: **فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ** إلى آخر الآية قيل معناه إما إن أريناك يا محمد بعض ما نعدهم من العذاب عاجلاً وإهلاكهم في دار الدنيا، وإن لم نفعل ذلك بهم و قبضناك إلينا فإلينا يرجعون يوم القيامة فنفعل بهم ما وعدناهم من العقاب وأليم العذاب، قاله في التبيان.

ونقل عن الحسن أنه قال تقدير الكلام إما نرينك بعض الذي نعدهم فنرينك ذلك في حياتك أو نتوقئك فيكون ذلك بعد موتك فأياً ذلك كان فإلينا يرجعون. أقول المعنى لا خفاء فيه ولا يحتاج إلى إطالة الكلام وحاصله أن وعد الله حق لا ريب فيه فأن كنت حياً فسوف ترى شطراً منه في الدنيا وإن مت فتراه في الآخرة فأن عذاب الآخرة أشد وأبقى.

وفي قوله: **فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ** إشارة إلى أن عذاب الدنيا

فِي الْقُرْآنِ  
بِمَعْنَى  
الْعَذَابِ

جزء ٢٤

الْبَيْتُ  
الرَّابِعُ  
عَشَرَ

بالنسبة إلى عذاب الآخرة بمنزلة الجزء من الكل.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْكُفَّارُونَ

أَمَا أَنْ اللَّهَ أَرْسَلَ رَسُولًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُوَ وَاضِحٌ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَانَ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْمُرْسَلِينَ فَجَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ كَانُوا قَبْلَهُ.

وَ قَوْلُهُ: مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ فَاَلْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَقْصُصْ قِصَصَ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْقُرْآنِ بَلْ ذَكَرَ بَعْضَهَا مِثْلَ قِصَّةِ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى وَ بَعْضُ آخَرِهِ هُوَ أَيْضًا وَاضِحٌ.

وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَالْمُرَادُ بِالآيَةِ الْمَعْجَزَةُ وَ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْمَعْجَزَاتِ بِيَدِ اللَّهِ وَ قُدْرَتِهِ وَ إِرَادَتِهِ وَ لَا يَقْدِرُ الْبَشَرُ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ.

وَ رَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أَبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أَهَيِّئُ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ<sup>(١)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَ عَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا وَ إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَ تَبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ



بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي<sup>(١)</sup>.

وهكذا في جميع الأنبياء فَأَنَّ حكم الأمثال واحد وإنفاخ الرُّوح في الجسد من شئون الحقِّ ولا يقدر عليه أحد إلا بأذنه وهو واضح.

فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ فَإِذَا جَاءَ أمر الله، قيل المراد بأمر الله هو قيام السَّاعة أي القيامة.

وقال بعض المفسرين المراد به وقت إهلاكهم أي إذا جاء الوقت المسمى لعذابهم أهلكهم الله وأنما التأخير لإسلام من علم الله إسلامه منهم ولمن في أصلابهم من المؤمنين، وقيل أشار بهذا إلى القتل بيد، والحقُّ أَنَّ المراد به قيام السَّاعة بدليل قوله: قُضِيَ وقوله: وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ وذلك لأنَّ القضاء الحكم بين العباد وهو لا يكون في الدُّنيا بل هو في الآخرة فَأَنَّ القيامة هي يوم الفصل وهكذا قوله: وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ أي المعرضون عن الحقِّ. ومن المعلوم أَنَّ الخسران الَّذي هو كناية عن العقاب في الآخرة التي هي يوم الحساب.

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ

الأنعام الإبل والبقر والغنم وقال بعضهم، المراد بالأنعام هاهنا الإبل خاصة لأنها هي التي تركب ويحتمل عليها في أكثر العادات.

أقول الحقُّ أَنَّ المراد بالأنعام الإبل والبقر والغنم وأما قول البعض أَنَّ المراد بها هاهنا الإبل خاصة فلا دليل عليه وأوهن منه إستدلالة بأنها هي التي تركب، فكأنَّ المستدل لم يتدبَّر في الآية وخصَّ الأنعام بالإبل زعمًا منه أَنَّ البقر والغنم ليسا ممَّا يركب عليه فهما خارجان عن معنى اللَّفظ ويبقى فيه واحد الإبل ولم

في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

يَعْلَمُ أَنَّ كَلِمَةً، مِنْهَا، تَدَلُّ عَلَى أَنَّ بَعْضًا مِنَ الْأَنْعَامِ لِلرَّكُوبِ وَهُوَ الْإِبِلُ وَبَعْضًا أُخَرُ  
لِلْأَكْلِ وَهُوَ الْبَقَرُ وَالْغَنَمُ وَأَنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ لِأَنَّ كَلِمَةً، مِنْ،  
تَبْعِيضِيَّةٍ، مَعَ أَنَّ الْإِبِلَ الَّتِي تَرْكَبُ، أَيْضًا يُوْكَلُ لِحِمِّهِ بَعْدَ النَّحْرِ وَعَلَى هَذَا فَمَعْنَى  
الآيَةِ **اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا** أَي تَرْكَبُوا بَعْضًا مِنْهَا أَي  
مِنَ الْأَنْعَامِ الْإِبِلَ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ أَي مِنْ جَمِيعِ الْأَنْعَامِ تَأْكُلُونَ فَكَلِمَةً، مِنْ، فِي مِنْهَا  
الْأُولَى تَبْعِيضِيَّةٌ وَفِي الثَّانِيَةِ لَيْسَتْ لِلتَّبْعِيضِ لِأَنَّ الرُّكُوبَ ثَبَتَ لِلْبَعْضِ وَهُوَ الْإِبِلُ  
وَأَمَّا الْأَكْلُ فَقَدْ ثَبَتَ لِلْجَمِيعِ.

**وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَ  
عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ**

يعني وجعل الله لكم فيها أي في الأنعام، منافع، غير ما ذكرناه من الرُّكُوبِ و  
الأكل، كشرب الألبان والانتفاع بالأصواف والأشعار والجلود.

وقوله: **وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ** قيل معناه، أي وإن  
تركبوها وتبلغوا المواضع التي تقصدونها لحوائجكم وعليها، يعني الأنعام **وَ  
عَلَى الْفُلْكِ** وهي السفن **تُحْمَلُونَ** أَيْضًا، وحاصل الكلام في الآية أَنَّ المنافع  
المتَّربِة على الأنعام لا تختصُّ بالرُّكُوبِ والأكل من لحومها بل لها منافع أخرى  
كما أشرنا إليها وعليها أي وعلى الأنعام في البر وعلى الفلك في البحر تحمّلون،  
للبلوغ إلى مقاصدكم، ولذلك قيل للإبل سفينة البر وللفلك سفينة البحر.

**وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ**

أي أَنَّ الله تعالى يريكم آياته، الدّالة على وحدانيّته وقدرته، الظّاهر أَنَّ المراد  
بِالآيَاتِ الَّتِي أَرَاهُمْ هُوَ الْآيَاتِ التَّكْوِينِيَّةِ مِنْ إِهْلَاكِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ بِسَبَبِ الْمَعَاصِي  
الَّتِي إِرْتَكَبُوهَا، وَخَلَقِ الْأَنْعَامِ لَهُمْ لِيَرْكَبُوهَا وَيَحْمِلُوا عَلَيْهَا أَثْقَالَهُمْ، وَالْإِنْتِفَاعِ  
بِأَلْبَانِهَا وَأَوْصَافِهَا وَأَشْعَارِهَا وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ النُّعَمِ وَالْآيَاتِ الدّالّة على قدرته و

عنايته بعباده، يبعد أن يكون المراد بالآيات معناها العام الشامل للتكوينيات و التشريعات لأن الكفار أنكروا الجميع، و أن الله تعالى أراهم الجميع بواسطة أنبياءه قال فأَيُّ آيات الله تنكرون، بعد إتمام الحجة عليكم و في الكلام توبيخ كما لا يخفى.

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَ أَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا  
كَانُوا يَكْسِبُونَ

قد مرّ نظير هذه الآية:

قال الله تعالى: أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانَُوا  
مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ أَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ مَا  
كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ<sup>(١)</sup>.

و فسرناها هناك إلا أنه تعالى قال في المقام بعد قوله في الأرض، فما أغنى  
عنهم ما كانوا يكسبون، و قال هناك فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمُ الآية و الفرق بينهما  
بحسب المعنى أنه تعالى قال هناك فأخذهم الله بذنوبهم، و قال في المقام فما  
أغنى عنهم ما كانوا يكسبون، من الأموال و البنیان.

و حاصل الكلام في الآيتين أن الماضين من الكفار لم ينتفعوا بما جمعوا من  
الأموال بعد نزول العذاب عليهم لوم يكن لهم من يمنع العذاب عنهم و إذا كان  
الأمر على هذا المنوال فينبغي للعاقل أن لا يعصي الله إذ لا يمكن الفرار من  
حكومته و ليس لعذابه دافع، و المراد بمن قبلهم جميع الأمم الذين وقعوا في  
العذاب بسبب العصيان مثل قوم نوح و قوم عاد و قوم ثمود و غيرهم فأَنَّ في ذلك  
عبرة لأولي الأبصار لو اعتبروا به.

وَالَّذِينَ  
كَانُوا  
يَكْفُرُونَ  
بِهِمْ  
فَإِذَا  
جَاءَهُمُ  
الْعَذَابُ  
قَالُوا  
هَٰذَا  
الَّذِي  
كَانُوا  
يُكَذِّبُونَ

جزء ٢٤

المجلد الخامس

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَ خَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ  
ذكروا في معنى الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: لما جاءتهم أي الكفار، رسلنا بالبينات، أي بالأيات الواضحات و المعجزات فرحوا، هؤلاء الكفار بما عندهم من العلم أي قالوا نحن أعلم من الأنبياء لن نعذب ولن نبعث.

ثانيها: فرح الكفار بما عندهم من علم الدنيا نحو قوله تعالى: يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْخَيْرِ الدُّنْيَا<sup>(١)</sup>.

ثالثها: فرح الرُّسل لما كذبهم قومهم، بما أعلمهم الله عز وجل أنه مهلك الكافرين و منجي المؤمنين، ففرحوا بما عندهم من العلم بنجاتهم.

أقول الظاهر أنَّ الكفار فرحوا بما عندهم من العلم، فَأَنْ كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ، قالوا لا نحتاج إلى علم الأنبياء و قوله: وَ خَاقَ بِهِمْ أَي حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ مَا كَانُوا يَسْتَهْزِءُونَ بِهِ، أي جزاء بما كانوا يستهزئون به في الدنيا.

فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ  
البأس العذاب و المعنى أنَّ الكفار لما رأوا عذابنا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ من عبادة الأصنام و الأوثان.

فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ

إنما قال لم يك ينفعهم إيمانهم لأنَّ الإيمان بعد رؤية العذاب ليس على أساس الاختيار بل هو من خوف العذاب الذي عينوه بأبصارهم فهو من قبيل فرعون

حيث قال ذلك بعد رؤية العذاب والجواب.

و المطلوب الإيمان بحسب الاختيار والإرادة بالطَّوع والرَّغبة لا بالجبر و الكراهة ولأجل ذلك قال تعالى: **فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ** وفي قوله: **سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ** إلى آخر الآية إشارة إلى أن عدم قبول التَّوبة بعد رؤية العذاب هو سنَّة الله وطريقته المستمرة من فعله في حقَّ عباده الكافرين فلا محالة خسر هنالك المبطلون لتفويتهم الثَّواب والجنَّة في حقَّ أنفسهم وبذلك صاروا مستحقين للعذاب والخلود في النَّار ما **رَبُّكَ بِظِلْمٍ لِلْعَبِيدِ** وإنَّما كانوا أنفسهم يظلمون، ولذلك ورد في الدُّعاء عجلوا بالتَّوبة قبل الفوت، أي قبل فوت الوقت.





## سُورَةُ فَصَّلَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْ (١) تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ  
فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣)  
بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا  
يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا  
تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَ  
بَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا نَامِلُونَ (٥) قُلْ إِنَّمَا  
أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ  
وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ  
لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ  
بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ  
عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨)  
قُلْ أَنتَ كُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي  
يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ  
الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا  
وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ  
أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَىٰ

السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آتِيَا  
 طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١)  
 فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأُوحِيَ  
 فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرُهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا  
 بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ  
 (١٢) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ  
 صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَ تَهُمُ الرُّسُلُ  
 مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا  
 اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا  
 أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (١٤) فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا  
 فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا  
 قُوَّةً أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ  
 مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥)  
 فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ  
 نَحْسَاتٍ لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا  
 يُنصَرُونَ (١٦) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ  
 فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ  
 صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ  
 (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨)  
 وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ  
 يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ



عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِمَا  
كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَ قَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ  
شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ  
كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَيْهِ  
تُرْجَعُونَ (٢١) وَ مَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ  
عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَ لَا أَبْصَارُكُمْ وَ لَا جُلُودُكُمْ  
وَ لَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا  
تَعْمَلُونَ (٢٢) وَ ذَلِكَ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ  
بِرَبِّكُمْ أَرَدِيكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)  
فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَ إِنْ يَسْتَغِيثُوا  
فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَابِينَ (٢٤) وَ قَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ  
فَزَيَّنُّوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ حَقَّ  
عَلَيْهِمْ الْقَوْلُ فِيَ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ  
الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥)

### ◀ اللغة

أَكَنَّة: بفتح الألف و كسر الكاف و فتح النون المشددة جمع كنان و هو الغطاء.  
وَقَرَّ: الوقر بفتح الواو و سكون القاف و الرءاء الصُّم و قد يعبر عنه بالنقل الذي  
عرض على السمع.

وَيَلَّ: بفتح الواو القبح و قد يستعمل على التحسر.  
أَنَدَادًا: جمع نَدَّ بكسر النون و هو المثل و الشُّبه.

رَوَّاسِي: الجبال.  
 أَسْتَوَى: الإستواء الإستقامة، و قيل الإستيلاء.  
 بِمَصْدَاحٍ: جمع مصباح وهو السراج.  
 صَاعِقَةً: بكسر العين العذاب و قيل معناها وقعة.  
 صَرَصَرًا: إشتقاقه من الصَّرير أي شديدًا صوته.  
 نَحْسَاتٍ: جمع نحس و هو الشَّوْم و قيل النُّحس سبب الشر.  
 يُوزَعُونَ: يقال وزعت الرِّجْل إذا منعت.  
 يَسْتَعْبُونَ: الإستعتاب الجزع.  
 قِيَصُنَا: التَّقْيِص إحواج بعض العباد إلى بعض و قيل المقايضة المقايضة، و قيل المماثلة.

قُرْنَاءَ: بضم القاف وفتح الراء جمع قرين يقال فلان قرينه أي مثله

### الإعراب

تَنْزِيلٌ خبر مبتدأ محذوف أي هذا تنزيلٌ كِتَابٌ أي هو كتاب قُرْآنًا حال موطئة من آياته أو أنه حال من كتاب وَجَعَلَ فِيهَا مستأنف غير معطوف على خلق وإلا يكون داخلًا في الصلّة ولا يجوز لأنه قد فصل بينهما بقوله وَتَجْعَلُونَ وليس من الصلّة في شيء سَوَاءً بالنصب و هو مصدر في موضع الحال من الضمير في أقاتها وطوعًا أو كَرْهًا مصدران في موضع الحال إِذْ جَاءَتْهُمْ صفة لصاعقة أو حالًا من صاعقة الثانية وَ أَمَّا ثُمَّ بِالرَّفْع على الابتداء فَهَدَيْنَاهُمْ الخبر ذَلِكُمْ مبتدأ وَظَنُّكُمْ خبره وَالَّذِي نَعَتْ للخبر وَالنَّارُ هو بدلٌ من جزاء أو خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ و ما بعده الخبر.

### التفسير

## حَمْ، تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد مرَّ الكلام في الحروف التي في أوائل السُّورة و قلنا أنَّها ممَّا لا يعلم معناها إلاَّ الله تعالى و قيل أنَّها أسماء للسُّورة.

و أمَّا قوله: تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أي هذا تنزيلٌ و قال البصريون، تنزيل مبتدأ و خبره، كتابٌ فصلت، آياته و المعنى أنَّ هذا الكتاب أنزله الله تعالى و فيه ردُّ على الكفَّار الذين أنكروا ذلك، و لا يطلق الرَّحمن إلاَّ على الله تعالى من حيث أنَّ معناه لا يصحَّ إلاَّ له إذ هو الذي وسع كلَّ شيءٍ رحمةً و أمَّا الرَّحيم فهو يستعمل في غيره أيضاً و هو الذي كثرت رحمته.

قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: أَنَّ اللَّهَ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ<sup>(٤)</sup>.

قال الله تعالى في نبيِّه: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا

عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ<sup>(٥)</sup>.

و قيل أنَّ الله تعالى رحمن الدُّنيا و رحيم الآخرة و ذلك أنَّ إحسانه في الدُّنيا يعمُّ المؤمن و الكافر و في الآخرة يختصُّ بالمؤمنين و على هذا قال الله تعالى: وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ<sup>(٦)</sup> و غيرها منها

## كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

كتابٌ مصدر من كتب، كتباً، كتاباً و الكتَّب في الأصل ضمُّ أديم إلى أديم بالخياطة يقال كتبت السَّقاء و كتبت البغلة جمعت بين شقويها بحلقةٍ و في

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الثاني عشر

١- التوبة = ٩١

٢- النحل = ٧

٣- الأعراف = ١٥٦

٤- التوبة = ٥

٥- التوبة = ١٠٤

٦- التوبة = ١٢٨

التعارف ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخطّ و قد يقال ذلك للمضموم بعضها إلى بعض باللفظ فالأصل في الكتابة النظم بالخطّ لكن يستعار كلّ واحدٍ للآخر و لهذا سُمّي كلام الله و أن لم يكتب كتاباً فالكتاب في الأصل مصدر ثم سُمّي المكتوب فيه كتاباً و الكتاب في الأصل إسمٌ للصحيفة مع المكتوب فيه و قال بعض المحققين الحروف بإعتبار وجودها في الخارج من المتكلم يسمى كلاماً و بإعتبار نظمها بالخطّ يسمى كتاباً فالكتاب و الكلام واحد و الفرق بالإعتبار و لذلك سمي القرآن كتاباً و كلاماً للحقّ فمن حيث أنّ هذه الحروف أوجدتها الله في الخارج فهي كلام الله و من حيث أنّها كتبت سميت بالكتاب.

و أما قوله: فَصَّلَتْ فَالتفصيل يقابل الإجمال و اختلفوا في المراد به في المقام، فقال بعضهم أنما وصفه بالتفصيل دون الإجمال لأنّ التفصيل يأتي على وجوه البيان لأنّه تفصيل جملة عن جملة أو مفرد عن مفرد و مدار أمر البيان على التفصيل و التمييز في ما يحتاج إليه في أمور الدّين إذ العلم علماً دين و علم دنيا و علم الدّين أجلهما و أشرفهما لشرف النفع به و قيل، فصلت آياته، بالأمر و النّهي و الوعد و الوعيد و التّرجيب و التّرهيب إنتهى.

ذكر هذين الوجهين في التّبيان، و قال بعضهم، معناه بنيت و فسّرت و قيل بيان حلاله من حرامه و طاعته من معصيته، و قيل بالثّواب و العقاب، و قرئ فصلت، بالتّخفيف أي فرقت بين الحقّ و الباطل أو فصل بعضها عن بعض باختلاف معانيها من قولك، فصل أي تباعد عن البلد، و أنت ترى أنّ هذه الوجوه ترجع إلى أصل واحد و هو أنّ الكتاب ليس بمجمل و هو كذلك.

و قوله: قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ اختلفوا في نصبه فقال الأخفش هو نصب على المدح و قيل على إضمار فعل أي أذكره قرأناً عربياً، و قيل على إعادة الفعل أي فصلنا قرأناً عربياً، و قيل على الحال أي في حال كونه.

وقوله: عَرَبِيًّا أَيَّ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَلَعَلَّ الْوَجْهَ فِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ كَانَ مِنَ الْعَرَبِ كَمَا أَنَّ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ بِلِسَانِ الْعِبْرِيِّ لِأَنَّ مُوسَى وَعِيسَى كَانَ لِسَانُهُمَا عِبْرِيًّا وَكَذَا مَنْ تَبِعَهُمَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وقوله: لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ قِيلَ فِي مَعْنَاهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مَنْزِلٌ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ أَيَّ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَقِيلَ يَعْمَلُونَ الْعَرَبِيَّةَ فَيَعْجِزُونَ عَنْ مِثْلِهِ وَوَصَفَ الْكِتَابَ بِأَنَّهُ قُرْآنٌ لِأَنَّهُ جُمِعَ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ.

أَقُولُ مَا ذَكَرُوهُ مِنَ الْوُجُوهِ لَا بَأْسَ بِهِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ تَفْصِيلَهُ وَهُمْ الْعَتَرَةُ الطَّاهِرَةُ الْمَعْبَرُ عَنْهُمْ فِي الْكِتَابِ بِالرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعَتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضَلُّوا أَبَدًا.

وَأَمَّا قُلْنَا ذَلِكَ لِأَنَّ الْعِلْمَ بِتَفْصِيلِ الْكِتَابِ مَنْحَصَرٌ فِيهِمْ فَأَنَّ الْمِثْلَ شَبَاهَاتٍ أَيْضًا مِنَ التَّفْصِيلِ وَلَا يَعْلَمُ مَعْنَاهَا إِلَّا الْعَتَرَةُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ<sup>(١)</sup>.

وَلِتَفْصِيلِ الْكَلَامِ فِيهِ مَوْضِعٌ آخَرُ.

بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ

بَشِيرًا وَنَذِيرًا حَالَانِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعَامِلُ فِيهِ، فَصَلَّتْ، وَقِيلَ هُمَا فُتَاتَانِ لِلْقُرْآنِ وَالْمَعْنَى أَنَّ الْقُرْآنَ مَبَشِّرٌ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ بِالْثَوَابِ وَالْجَنَّةِ وَمُنْذِرٌ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ بِالْعِقَابِ وَالْخُلُودِ فِي النَّارِ، فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ عَنِ الْقُرْآنِ أَيَّ أَكْثَرُ النَّاسِ وَهُمْ الْكَافَرُ أَعْرَضُوا عَنْهُ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ، سَمَاعًا يَتَفَعَّلُونَ بِهِ فَكَأَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَ مَنْ يَسْمَعُ وَلَا يَتَفَعَّلُ بِهِ وَمَنْ لَا سَمْعَ لَهُ.

وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا

بِسْمِ الْقُرْآنِ فِي تَفْصِيلِ الْقُرْآنِ

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

## وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا غَامِلُونَ

حكى الله تعالى عن الكفار أنهم قالوا للنبي ﷺ قلوبنا في أكنة، أي في أغشية وأغشية مما تدعونا اليه وهو التوحيد والنبوة والمعاد، وفي أذاننا وقرأى ثقل من إستماع القرآن أو من إستماع دعوتكم الى التوحيد وَ مِنْ بَيْنِنَا وَ بَيْنِكَ حِجَابٌ.

و المراد بالحجاب الخلاف أو مطلق المانع والحاجز، وليس المراد بالحجاب المحسوس منه بل المراد إختلاف العقيدة في الدين ولذلك قالوا للنبي فأعمل بما شئت في دينك فأننا عاملون بما يقتضيه ديننا.

و الحاصل إننا لا نوافقك فيما تدعونا اليه من دينك.

و قيل معناه فأعمل في هلاكنا فأننا عاملون في هلاكك تهديداً منهم.  
و قيل معناه فأعمل لإلهك الذي أرسلك فأننا نعمل لإلهنا التي نعبدها.

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَ أَسْتَغْفِرْهُ وَ وَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ

قل، يا محمد لهؤلاء الكفار أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ و لست بملك إلا أنه يُوحَىٰ من الله تعالى إِلَيَّ و لا يوحى اليكم و هذا هو الفرق بيننا و بينكم أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لا شريك له في الملك فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ تعالى في الطاعة و إخلاص العبادة له على ما تقتضيه الحكمة وَ أَسْتَغْفِرْهُ أَيِ اطلبوا المغفرة من الله فيما فعلتم من عبادة الأوثان و الأصنام و غيرها من المعاصي وَ وَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا بعبادة الله و أنكروا ألوهيته من عذاب الله يوم القيامة.

الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ

إختلف المفسرون في المراد بالزكاة في هذه الآية قال الحسن معناه لا يؤتون ما يكونون به أزكياء أتقياء من الدخول في دين الله.

وقال الفراء الزكوة في هذا الموضع أن قريشاً كانت تطعم الحجاج وتسقيهم فحرموا ذلك على من آمن بمحمد ﷺ وقال قوم أنما توعدهم على ترك الزكاة الواجبة عليهم لأنهم متعبدون بجميع العبادات ويعاقبون على تركها. وقال الزجاج معناه، ويل للمشركين الذين لا يؤمنون بأن الزكاة واجبة وأنما خص الزكاة بالذكر تقريباً لهم على شحهم الذي يأنف منه أهل الفضل ويتركون ما يقتضي أنهم إن يعملوه عملوه لأجله وفي ذلك دعاء لهم إلى الإيمان وصرف لهم عن الشرك وكان يقال الزكاة قنطرة الإيمان فمن عبرها نجا.

وعن الطبري، معناه الذين لا يعطون الله الطاعة التي يطهرهم بها ويزكي أبدانهم ولا يوحّدونه، وقال عكرمة هم الذين لا يقولون لا إله إلا الله ذكر هذه الوجوه في التبيان وقد ذكرها القرطبي أيضاً في تفسيره

وقال البيضاوي في قوله: **وَالَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ** لبعثهم وعدم إشفاقهم على الخلق وذلك من أعظم الرذائل، وقال في قوله: **وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ** حال مشعرة بأن إمتناعهم عن الزكاة، لإستغراقهم في طلب الدنيا وإنكارهم الآخرة إنتهى.

**أقول** ما ذكروه في تفسير الآية لا بأس به إلا أنه خارج عن البحث أن البحث في ذكر الزكاة في المقام وأنه ما وجه تخصيصها بالذكر من بين الواجبات وما ذكروه لا يحسم مادة الإشكال وبعبارة أخرى إن كان الوجه في تخصيص الزكاة بالذكر كونها من ضروريات الدين بمعنى أن منكرها كافر، فكذلك الصلاة والصوم والحج فأنها أيضاً من ضروريات الدين فكما أن منكر الزكاة كافر كذلك منكر الصلاة والصوم وهذا هو الإشكال الذي لا بد لنا من رفعه.

**ثانياً:** أن الآية نزلت في المشركين لأنه تعالى قال ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة.

ومن المعلوم أن المشرك بالله منكر لله وللرسول لأنه عابد للصنم والوثن و

من كان كذلك فهو منكراً لجميع الأحكام لا للزكاة فقط، و على هذا فقولهم في معنى الكلام أنهم لا يؤمنون بأن الزكاة واجبة أو أنه دعاء لهم الى الإيمان وهكذا سائر الوجوه المذكورة لا ربط لها بما نحن بصدد البحث عنه تخصيص الزكاة بالذكر، هذا كله مضافاً الى أن السورة من أقدم السور المكية وأسبقها ولم تكن الزكاة شرعت بعد عند نزول السورة فكيف يقال أنهم لا يؤمنون بأن الزكاة واجبة.

قال بعض المفسرين المراد بإيتاء الزكاة مطلق إنفاق المال للفقراء والمساكين. أقول هذا أيضاً بعيد و ذلك لأن عدم إنفاق المال للفقراء والمساكين لا يختص بالمشركون مضافاً الى أنه لا يوجب الكفر و الويل فإن كثيراً من المسلمين لولا أكثرهم كانوا كذلك و هو ظاهر.

و قال صاحب الكشف، فإن قلت لم خص بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقروناً بالكفر بالأخرة.

قلت لأن أحب شيء الى الإنسان ماله، و هو شقيق روحه فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته و إستقامته و صدق نيته و نصوع طويته الى آخر ما قال.

أقول ألم يعلم صاحب الكشف أن إنكار الله تعالى أعظم ذنباً ان إنكار الزكاة التي هي من الفروع و المفروض أن المشرك لا يقول بتوحيده و ألوهيته فضلاً عن الزكاة التي هي من فروع الدين فكيف يهدد بالويل و العذاب بترك الزكاة و لا يهدد بالشرك.

و إنكار التوحيد مضافاً الى أن الصلاة أهم من الزكاة بإجماع المسلمين فلم لم يقل و لا يقيمون الصلاة مثلاً.

و محصل الكلام أن تعيير المشرك و تهديده بالويل بسبب ترك الزكاة فقط لا



نفهم معناه اللهم إلا أن يراد بالزكاة في الآية غير معناها المتعارف عند المتشركة و  
الله أعلم بكلامه و نحن في ذلك من المتوفقين.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ

أخبر الله تعالى في هذه الآية أن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات،  
وفيه إشارة إلى أن مجرد الاعتقاد القلبي لا يكفي وأن الإيمان الحقيقي لا يتحقق  
إلا بالعمل الصالح ومن كان كذلك فله أجر غير ممنون أي غير مقطوع بل هو  
متصل دائم وقيل معناه أنه لا أذى فيه من المَن الذي يكدر الصنعة وذلك لأن  
المؤمن يستحق بهذا الأجر وإعطاء الحق إلى من له الحق لا مَن فيه للمعطي.

قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ  
أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ

أمر الله تعالى نبيه أن يقول للكفار على وجه الإنكار بلفظ الإستفهام أنكم  
لتكفرون بالذي، أي بالله الذي خلق الأرض في يومين، يوم الأحد و يوم الاثنين و  
تجعلون له تعالى أنداداً أي أشباهاً وأمثالاً في العبادة، ذلك، الذي خلق الأرض في  
يومين رب العالمين لا الأصنام والأوثان التي لا شعور لها لكونها من الجمادات و  
الجماد أخس الموجودات.

روي عن النبي ﷺ: أَنَّهُ قَالَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَرْضَ يَوْمَ الْأَحَدِ وَ  
الْإِثْنَيْنِ وَ خَلَقَ الْجِبَالَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَ خَلَقَ الشَّجَرَ وَ الْمَاءَ وَ  
الْعِمْرَانَ وَ الْخِرَابَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ وَ ذَلِكَ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ وَ خَلَقَ يَوْمَ  
الْخَمِيسِ السَّمَاءَ وَ خَلَقَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ وَ  
الْمَلَائِكَةَ وَ أَدَمَ.

و عن روضة الكافي بأسناده إلى عبد الله بن سنان قال سمعت

في  
القرآن  
في  
الآيات



الجلد الخامس

أَبَاعِدَ اللَّهُ يَقُولُ: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَيْرَ يَوْمَ الْأَحَدِ وَمَا كَانَ لِيَخْلُقَ  
الشَّرَّ قَبْلَ الْخَيْرِ وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ وَالْاِثْنَيْنِ خَلَقَ الْأَرْضَيْنِ وَ خَلَقَ  
أَقْوَاتَهَا يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ وَ يَوْمَ الْخَمِيسِ  
وَ خَلَقَ أَقْوَاتَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ إِنَّتْهِى.

جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَ بَارَكَ فِيهَا وَ قَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي  
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلشَّاتِلَيْنِ

المراد بالرواسي الجبال والمعنى أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ أَيَّ خَلَقَ فِي الْأَرْضِ الْجِبَالَ مِنْ  
فَوْقِهَا أَيَّ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ كَمَا هُوَ الْمَشَاهِدُ الْمَحْسُوسُ فَأَنَا نَرَى الْجِبَالَ رَاسِيَاتٍ  
أَيَّ ثَابِتَاتٍ عَلَى الْأَرْضِ.

وَ قَوْلُهُ: فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ قَدْ ظَهَرَ مَعْنَاهُ فِي الْحَدِيثِ الْمَتَقَدِّمِ وَ فِي قَوْلِهِ: وَ  
قَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا مَعْنَاهُ جَعَلَ الْأَرْضَ مُسْتَعْدَةً وَ سَبَباً لِأَرْزَاقِ الْخَلْقِ أَيْضاً  
مَشَاهِدٌ مَحْسُوسٌ فَأَنَّ أَرْزَاقَ الْحَيَوَانِ وَ الْإِنْسَانِ مِنَ الْأَرْضِ وَ لَيْسَ هَذَا إِلَّا أَنَّ اللَّهَ  
تَبَارَكَ وَ تَعَالَى بَارَكَ فِيهَا أَلَا تَرَى أَنَّ جَمِيعَ الْمَأْكُولَاتِ وَ الْمَشْرُوبَاتِ وَ الْمَلْبُوسَاتِ  
وَ بِالْجُمْلَةِ جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ وَ الْحَيَوَانُ مِنَ الْأَرْضِ وَ هَذَا مِمَّا لَا يَحْتَاجُ  
إِلَى إِقَامَةِ دَلِيلٍ أَوْ بَرَهَانٍ.

إِنْ قُلْتَ قَدْ ثَبِتَ عَقْلاً وَ نَقْلاً أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَ عَلَى إِيجَادِ جَمِيعِ  
الْأَشْيَاءِ دَفْعَةً وَاحِدَةً كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ حَيْثُ قَالَ أَنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَكِنْ  
فَيَكُونُ، فَمَا مَعْنَى التَّدْرِيجِ فِي الْخَلْقِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ.  
قُلْتَ قَدْ أَجِيبَ عَنْهُ بِوَجْهِ:

أَحَدُهَا: لِإِعْتِبَارِ الْعِبَادِ فِي الْأَخْبَارِ عَنْ ذَلِكَ إِذَا تَصَوَّرُوهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ.  
ثَانِيهَا: فِيهِ تَعْلِيمُ الْخَلْقِ النَّاتِي فِي الْأُمُورِ وَ أَنْ لَا يَسْتَعْجِلُوا فِيهَا بِأَنَّ اللَّهَ كَانَ

قادراً على أن يخلق ذلك في لحظةٍ ولكن خلقها في هذه المدة لما قلنا.

**ثالثها:** أنما خلق ذلك في هذه المدة ليعتبروا بذلك على أنها صادرة من قادرٍ مختار عالمٍ بالمصالح و بوجوه الأحكام إذ لو كان صادراً عن مطبوع أو موجبٍ لحصلت في حالةٍ واحدة.

ذكر هذه الوجوه في التبيان وقد ذكرها المفسرون في تفاسيرهم أيضاً، ولنا في المقام وجهٌ آخر غير ما ذكره وهو أن الله خلقها في تلك المدة مشعراً بأن العالم عالم الأسباب والمسببات، أبقى الله أن يجري الأمور إلا بأسبابها، ألا ترى أن الله يخلق الإنسان من نطفةٍ ثم من علقهٍ ثم من مضغةٍ وهكذا مع أنه قادر على خلقه في لحظةٍ واحدة، وكيف كان لا شك أن الخالق هو الله تعالى وهو عالمٌ بالمصالح والمفاسد فهو أعلم بما أراد وفعل وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً.

و على هذا فالوجوه المذكورة كلها من الاستنباطات الشخصية لا دليل عليها من العقل والشرع فإن العلم بأسرار الخلقة لم يحصل لأحدٍ من الخلق ولن يحصل أبداً.

وقوله: **سَوَاءٌ لِلَّهِائِلِينَ** قيل معناه في أربعة أيامٍ مستوية تامة، وقيل في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ والمعنى وقدّر فيها أقواتها سواء للمحتاجين وإختاره الطبري.

وقال قتادة والسُّدي معناه سواء للسانين من ذلك لأن كلاً يطلب القوت و يسأله، والذي يخطر بالبال هو أن جميع الخلق في الإنتفاع بهذه الأرزاق من الأرض على حدٍّ سواء فإن كل سائلٍ بلسان التكوين يطلب رزقه ولا فرق فيه بينهم وهو ظاهر.

**ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**

ثُمَّ لِلتَّارِخِيِّ أَيُّ بَعْدَ أَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِي وَ الْجِبَالَ  
مِنْ فَوْقِهَا وَ بَارَكَ فِيهَا وَ قَدَّرَ فِيهَا أَرْزَاقَهَا، إِسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ، وَ هَذَا الْكَلَامُ يَدُلُّ  
عَلَى أَنَّ الْأَرْضَ خَلَقَهَا اللَّهُ قَبْلَ السَّمَاءِ.

قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ، إِسْتَوَى، مَتَى عَدَيَّ، بَعْلَى، إِقْتَضَى مَعْنَى الْإِسْتِيلَاءِ نَحْوُ  
الرَّحْمَنِ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى<sup>(١)</sup> أَيِ اسْتَوَى وَ إِذَا، عَدَيَّ، بِأَلَى، إِقْتَضَى مَعْنَى  
الْإِنْتِهَاءِ إِلَيْهِ بِالذَّاتِ أَوْ بِالتَّدْبِيرِ إِنْ تَهَيَّأَ.

وَ عَلَى هَذَا فَقَوْلُهُ: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ إِنْ تَهَيَّأَ خَلَقَ  
بَعْدَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ بِالذَّاتِ أَوْ بِالتَّدْبِيرِ وَ قَوْلُهُ: وَ هِيَ دُخَانٌ الْوَاوُ لِلْحَالِ أَيِ  
حَالِ كَوْنِ السَّمَاءِ كَانَتْ دُخَانًا، أَيِ كَانَتْ مِثْلَ الدُّخَانِ وَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا تَمَاسِكَ  
لَهَا كَمَا أَنَّ الدُّخَانَ كَذَلِكَ.

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ، قِيلَ كَانَ عَرْشُهُ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ عَلَى الْمَاءِ  
فَأَخْرَجَ مِنَ الْمَاءِ دُخَانًا فَارْتَفَعَ فَوْقَ الْمَاءِ وَ عَلَا عَلَيْهِ فَأَيَّسَ الْمَاءَ فَجَعَلَهُ أَرْضًا  
وَاحِدَةً ثُمَّ فَتَقَّهَا فَجَعَلَهَا أَرْضَيْنِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاءَ مِنَ الدُّخَانِ الْمَرْتَفِعِ إِنْ تَهَيَّأَ  
أَقُولُ فِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، أَيِ دَبَّرَ وَ خَلَقَ، أَيِ أَنَّ الْإِسْتِواءَ فِي الْآيَةِ  
بِمَعْنَى التَّدْبِيرِ وَ الْخَلْقِ.

وَ عَنْ رُوِضَةِ الْكَافِي بِأَسْنَادِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ قَالَ لِي أَبُو  
جَعْفَرٍ، كَانَ كُلُّ شَيْءٍ مَاءً وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ فَأَمَرَ عَزَّ وَجَلَّ  
الْمَاءَ فَاضْطَرَمَ نَارًا ثُمَّ أَمَرَ النَّارَ فَخَمَدَتْ فَارْتَفَعَ مِنْ خَمُودِهَا  
دُخَانٌ فَخَلَقَ السَّمَوَاتِ مِنْ ذَلِكَ الدُّخَانِ وَ خَلَقَ الْأَرْضَ مِنَ الرَّمَادِ  
إِنْ تَهَيَّأَ.

أَقُولُ يَظْهَرُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ خَلْقَ السَّمَوَاتِ كَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْأَرْضِ وَ لَعَلَّ

هذا هو الحقّ والله أعلم.

**فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا** قال في الكشف معنى أمر السماء والأرض بالإتيان وإمثالهما أنه أراد تكوينهما فلم يمتنعنا عليه و وجدنا كما أرادهما و كانتا في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الأمر المطاع و هو من المجاز الذي يسمّى التمثيل إنتهى موضع الحاجة من كلامه.

و أنت ترى أنّ ما ذكره لا يساعد ظاهر الآية و ذلك لأنّ كلمة، فا، في قوله: **فَقَالَ** تدلّ على أنّ هذا الأمر كان بعد خلقهما أي بعد أن خلقهما على ما مرّ بيانه قال لهما أتينا، لا قبل الخلق و على هذا فهذا الأمر ليس من الأمر الإيجادي كما زعم صاحب الكشف ضرورة أنه من تحصيل الحاصل.

فالمراد بالإتيان شيء آخر غير الإيجاد و لذلك قال بعض المفسرين معناه جيئ بما خلقت فيكما من المصالح و المفسد و أخرجها لخلقها.

**أقول الحقّ** أن يقال لم يكن هناك كلامٌ منه تعالى على الحقيقة و لا منهما جواب و مثله قوله تعالى: **شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ**<sup>(١)</sup> و نحن نعلم أنّ الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم و أنّما ذلك لما ظهر منهم ظهوراً لا يقدرّون على دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به و مثل هذا قولهم، «جوارحي تشهد بنعمتك، و حالي معترفةً بإحسانك»، و ما روي عن بعض الخطباء «سل الأرض من شقّ أنهارك و غرس أشجارك و جنى ثمارك فإن لم تجبك حوراً أجابتك إعتباراً» و هذا باب كبير وله نظائر كثيرة في النظم والنثر.

و ما نحن فيه من هذا القبيل و على هذا فليس المراد بالإتيان في قوله تعالى: **أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا** أنه تعالى قال لهما كلاماً و أنّهما أجابتا و بعبارة أخرى لم يكن هناك كلامٌ حقيقة بل المعنى ما ذكرناه و الله أعلم بما أراد.

نبأ القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأُوحِيَ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرُهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ  
 قيل في معناه، جعلهن سبع سماوات في يومين وذلك لأن القضاء جعل الشيء على إتمام وإحكام ولذلك يقال إنقضى أي قد تم ومضى، وقوله: في في يومين يعني سوى الأربعة الأيام التي خلق فيها الأرض وقدر فيها أوقاتها فوق خلق السموات والأرض جميعاً في ستة أيام كما قال تعالى: خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ.

وَأُوحِيَ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرُهَا أصل الوحي الإشارة السريعة ولتضمن السرعة قيل أمرٌ وحيٌّ وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة بعض الجوارح وبالكناية، ثم أن الوحي إما برسولٍ مشاهد ترى ذاته ويسمع كلامه كتبليغ جبرئيل للنبي بصورة معينة. وإما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله، وأما بالقاء الروح كما قال رسول الله ﷺ: أَنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَتْ فِي رُوحِي، وأما بإلهام نحو قوله تعالى: وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ<sup>(١)</sup> وأما بمنام كما قال ﷺ: إِنْقَطَعَ الْوَحْيُ وَبَقِيَتِ الْمُبَشِّرَاتُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ، وأما بتسخير كما قال تعالى: وَأُوحِيَ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ<sup>(٢)</sup> وما نحن فيه من هذا القبيل فقوله: وَأُوحِيَ فِي كُلِّ سَمَاءٍ كناية عن كونها مسخرات بأمره.

وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا المراد بالسَّمَاءَ جهة العلو، قال الراغب في المفردات سماء كل شيء أعلاه.  
 وقال بعضهم كل سماءٍ بالإضافة إلى ما دونها فسماء وبالإضافة إلى ما فوقها فأرض إلا السماء العليا فإنها سماء بلا أرض.

إذا عرفت هذا فقلوه: **السَّمَاءُ الدُّنْيَا** معناه ما يرونهم فوق رؤسهم فالمراد بالدُّنْيَا أهل الدُّنْيَا أو أهل الأرض و بعبارة أخرى ما فوق الأرض هو سماء الدُّنْيَا و هي التي زينها الله تعالى بمصابيح اي السُّرُج المضيئة و هي الكواكب المضيئة التي نراها فأنها بمنزلة السُّراج لأهل الأرض في الليالي المظلمة الأقرب الى الأرض دون ما فوقها من السَّموات فَأَنَّ الكواكب ليست منحصرة بها، و قوله: **حِفْظًا** أي حفظناها من الشياطين الذين يسترقون السَّمع و يجوز أن يكون حفظًا، مفعولاً له فكأنه قال و خلقنا المصابيح زينةً و حفظًا، **ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** يعني ذلك الخلق تقدير القادر على كل شيء الذي لا يخفى عليه شيء و هو بكل شيء عليم.

**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ**

يعني إن أعرض و عدل الكفار عن التَّفكر في ما ذكرناه و هو أَنَّ الله هو خالق كل شيء و هو الذي يستحق أن يعبد لا غيره كائنًا ما كان، فقل لهم يا محمد أَنِّي أَنْذَرْتُكُمْ و خَوَّفْتُكُمْ أن تنزل بكم صاعقة أي عذاباً سماوياً مثل صاعقة قوم عادٍ و قوم ثمود.

أي قوم هود و قوم صالح أما قوم عاد فكان نبيهم هود **عليه السلام** و ذلك لما توفى نوح بقى قومه و ذريته المؤمنون دهرًا طويلاً يترقبون هود و يستتطرون ظهوره حتّى طال عليهم الأمد و قست قلوب كثيرة منهم و إرتدّوا عن الدّين و أقبلوا على عبادة الأصنام و كان أشدهم بأساً و أكثرهم كفرًا و طغياناً قومًا منهم سكنوا أرض اليمن و بنوا فيها الأبنية و مدّنوا فيها المدن وكان يقال لهم قوم عاد و كانوا ثلاث عشرة قبيلة و كلّهم يتنسبون الى عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح، و أما نسب هود **عليه السلام** فهو إبن عبد الله بن رياح بن جلوث بن عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح، و أما قوم ثمود فكان نبيهم صالح **عليه السلام** و سيأتي الكلام في

بسم الله الرحمن الرحيم  
في القرآن  
الجزء ٢٤



المجلد الخامس  
١٥٨

قصة عاد و ثمود و كيفية هلاكهم و عقابهم بوجه البسط ان شاء الله تعالى.

إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبَّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ

إذ، متعلّقة، بصاعقة أي نزلت الصاعقة بهم إذ جاءتهم الرُّسل من بين أيديهم أي في زمانهم، و من خلفهم أي من تقدّم زمانه عليهم و من تأخّر، معناه من أرسل إليهم و إلى من قبلهم من الأمم، ألا تعبدوا إلا الله، موضع، أن، نصب بإسقاط الخافض أي بأن لا تعبدوا إلا الله، و المقصود أن الرُّسل دعوهم إلى توحيد الله، قالوا، في جواب الرُّسل، لو شاء ربنا، أي لو شاء ربنا أن نعبد له لأنزل، علينا ملائكة، و ذلك أنكم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا، فإنما بما أرسلتم به، من الإقرار بالتوحيد، كافرون جاحدون.

قل هذا الكلام إستهزاءً منهم و قيل هذا إنكار بعد الإقرار لأنهم أقروا بإرسال الرُّسل ثم أنكروا بعد ذلك.

و الحقّ أنّهم إعترفوا و أقروا بصحّة الرّسالة و أنّه لا بدّ منها و أنكروا رسالة البشر و لذلك قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة و لم يقولوا لا نحتاج إلى الرّسول، و لم يعلموا أنّ الله تعالى، يبعث الأنبياء على ما يعلم من مصالح عباده و المصلحة تقتضي أن يكون الرّسول إلى البشر من جنس البشر لقانون السّنخية فإنّ الجنس إلى الجنس يميل و الملك ليس من جنس البشر و لذلك:

قال الله تعالى: لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ<sup>(٢)</sup>.

فقولهم: لَوْ شَاءَ رَبَّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً لا معنى له وأنما قالوا ذلك إستهزاءً.

فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا



قُوَّةً أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ

ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَخْبَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمُ الَّتِي صَارَتْ بَاعِثَةً عَلَى نَزُولِ الصَّاعِقَةِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ.

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَّكِبِرَ لَضَعْفِهِ وَعِجْزِهِ وَأَنَّ الْعَبْدَ وَمَا فِي يَدِهِ كَانَ لِمَوْلَاهُ ثُمَّ أَشَارَ اللَّهُ أَنَّهُمْ قَالُوا مِنْ أَشَدِّ مَنَا قُوَّةً، أَيَّ أَنَّهُمْ إِغْتَرَوْا بِقُوَّتِهِمْ وَصَلَابَتِهِمْ وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ خَالِقَهُمُ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَأَعْطَاهُمُ الْمَالَ وَالْقُوَّةَ، أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً، فَإِنَّ مُعْطِيَ الشَّيْءِ لَا يَكُونُ فَاقِدًا لَهُ وَأَنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ لَجَهْلِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ.

وَالْمُرَادُ بِالْآيَاتِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْمَالِ وَالْقُوَّةِ وَالْجَاهِ وَغَيْرِهَا مِنَ النُّعَمِ وَنَحْنُ نَشِيرُ إِلَى قِصَّةِ عَادٍ إِجْمَالًا:

إِعلم أَنَّ قَوْمَ عَادَ كَانُوا ثَلَاثَ عَشْرَةَ قَبِيلَةً يَبْلُغُ عِدْدُهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَكَانُوا يَنْتَسِبُونَ إِلَى عَادِ بْنِ عَوْضَ بْنِ إِرْمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحَ وَكَانَتْ بِلَادُهُمْ مَا بَيْنَ عَمَانَ وَحَضْرَ مَوْتٍ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بَيْوتًا وَكَانَتْ بِلَادُهُمْ أَخْضَبُ بِلَادِ الْعَرَبِ وَأَكْثَرُهَا ثَمَارًا وَأَنْهَارًا وَكَانَتْ أَعْمَارُهُمْ طَوِيلَةً يَعْيشُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ أَرْبَعَ مِائَةَ سَنَةً وَأَجْسَادُهُمْ عَظِيمَةٌ وَكَانُوا أَصْحَابَ بَطْشٍ وَشِدَّةٍ كَمَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي الْآيَةِ وَكَانَ نَبِيُّهُمْ هُودُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبَاحَ بْنِ جُلُوثَ بْنِ عَادِ بْنِ عَوْضَ بْنِ إِرْمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ هُودُ النَّبِيُّ نَشَأَ بَيْنَهُمْ أَمِينًا تَقِيًّا وَكَانَ مِنْ أَوْسَطِهِمْ نَسَبًا وَأَفْضَلِهِمْ حِسَابًا وَكَانَ أَشْبَهَ وَلَدِ أَدَمَ بِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمَّا أَتَمَّ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ أَرْبَعُونَ سَنَةً أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ بِالنَّبُوءَةِ وَبَعَثَهُ بِالرَّسَالَةِ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ لَهُ، أَتَيْتُ قَوْمَكَ وَأَدْعُهُمْ إِلَى عِبَادَتِي وَتَوْحِيدِي فَإِنَّ أَجَابُوكَ رَدَّتْهُمْ قُوَّةٌ وَأَمْوَالٌ، فَاِنْطَلَقَ هُودٌ إِلَى مُجْمَعِهِمْ وَبَيْنَمَا هُمْ مُجْتَمِعُونَ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَخَذَ يَدْعُوهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَرَفْضِ الْأَصْنَامِ وَتَرْكِ عِبَادَتِهَا فَعَضُّوا عَلَيْهِ بِأَجْمَعِهِمْ وَأَعْرَضُوا عَنْهُ وَهُمْ يَقُولُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

له يا هود لقد كنت عندنا تقياً أميناً، قال هود أتني رسول الله إليكم دعوا عبادة الأصنام فلما سمعوا منه ذلك إزدادوا عليه غيظاً و غضباً و أقبلوا عليه يبطشون و يشتمونه إلى أن نزل عليه جبرئيل يليه و أمره بإعادة الدعوة و قال له أأن الله يأمرك أن لا تفتر عن دعوتهم و قد وعدك أن يلقي في قلوبهم الرُّعب فلا يقدرّون على ضـربك

هذا فرجع هود إلى مجتمع قومه ثانياً يعظّمهم و يبلّغهم رسالات ربّه و ينصح لهم و يهدّدهم قائلاً قد تجبّرتُم في الأرض و أكثرتم الفساد فدعوا ذلك و أرجعوا إلى الله و توبوا إليه فإزدادوا عليه غضباً و همّوا أن ينفضوا عليه و قالوا يا هود أترك هذا القول فأنا إن بطشنا بك الثانية نسيت الأولى إلى أن إجتمعوا و همّوا به بقوتهم و عددهم فصاح هود صيحةً كادت قلوبهم أن تصدع منها و مرارتهم أن تتشقّ و أفندتهم أن تنخلع حتّى سقطوا على وجوههم على الأرض صرعى كالأموات و ألقى الله في قلوبهم رعباً شديداً من هود إلى أن قاموا و إنصرفوا عنه و لم يزل هود يأتي بعدئذٍ مجامعهم و محافلهم و لم يأل جهداً في دعوتهم و تذكيرهم و وعظهم و مكث على ذلك سبع مائة و ستين سنة و هم لا يزدادون إلّا طغياناً و كفراً و إعراضاً عنه، إلى أن ينس هود من إيمانهم.

و قال لهم يا قوم قد تماديتُم في الكفر كما تمادى قوم نوح و خليقٌ أن أدعوا عليكم كما دعا نوح على قومه قالوا يا هود أأنّ ألهة قوم نوح ضعفاء و ألهتنا أقوياء و قد رأيت شدة أجسامنا فإعتم هود غمّاً شديداً فدعا عليهم و قال ياربّ قد بلغت رسالاتك فلم يزدادوا إلّا كفراً و عتوّاً إلى أن سأل ربّه هلاكهم فأوحى الله إليه أتني أمسك عنهم المطر ثمّ أمر رمال البراري و الصّحاري أن تجتمع حتّى صارت أعظم من الجبال و هى المسماة بالأحقاف:

قال الله تعالى: وَ أَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ<sup>(١)</sup>.

و سمع هود صوتاً يقول له يا هود قرّ عيناً فإنّ لعاد منّا يوم سوء فرجع هود إلى قومه يكرّر عليهم الإنذار و يتمّ عليهم الحجة و قال لهم ألا ترون هذه الرّمال كيف تجمّعت أنّي أخاف أن تكون مأورة بالقاء العذاب عليكم و أنّ ربّي قد وعدني أن يهلككم فأخذوا يستهزؤون به و أقبلوا بجموعهم على نقل تلك الرّمال إلى البراري فلم تزد الرّمول إلّا تجمّعت ثمّ كفّ الله السّماء عنهم فلم تقطر عليهم سبع سنين حتّى أصابهم القحط الشّديد و ضجّوا و أشرفوا على الهلاك و هود يناديهم.

قال الله تعالى: **وَ يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا<sup>(١)</sup>.**

و هم لا يتعظون بكلامه و لا يبالون بتهديده لهم بالعذاب و لمّا كان اليوم الموعد من الله تعالى لإنزال العذاب على قوم هود أذن سبحانه و تعالى بإطلاق الرّيح العقيم التي هي تحت الأرض و قد زمّت فأوحى الله تعالى إلى خزنة تلك الرّيح أن يخرجوا منها مثل ثقب الخاتم و لم يأذن الله بشيء منها بالخروج إلّا على قوم عاد و لمّا أذن الله لها بالخروج أوحى إلى هود بذلك و أمره و من آمن به بالاعتزال عن المشركين و الخروج عن بلادهم فاعتزل هود و من معه كما أمرهم ربّهم و لمّا أحسّ قوم هود بالرّيح و كان قد وعدهم هود بها أقبلوا عليه يقولون له يا هود أتخوّفنا بالرّيح ثمّ جمعوا ذراريهم و أموالهم و أهاليهم في شعب من تلك الشّعاب التي فيها القصور الشّاهقة و أقاموا على أبوابها يردّون الرّيح عنها و عمّا فيها فاشتدّت الرياح حتّى قلعتهم عن الأرض و هبّت بهم تحملهم إلى اللّجوء إلى تلك القصور ثمّ ازدادت الرّياح حتّى طمنت تلك القصور و الحصون و الأشجار و الزّروع و صارت كلّها رملًا دقيّقاّ تسفيها أقلّ ريح و عصفت بها سبع ليالٍ و ثمانية أيّام حسوماً و لنعم ما قيل بالفارسيّة:

لطف حقّ باتو مدارها کند      چونکه از حد بگذرد رسوا کند

في القرآن  
في قوله  
بمدارها

جزء ٢٤

المجلد الخامس  
بـ

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ  
الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا  
يُنْصَرُونَ

وَأَمَّا وصف الريح بكونها صرصرًا لشدة صوتها وإشتقاقها من الصرير يقال  
ريح صرصر شديد هبوبها، وقيل يعني باردة، وقيل باردة ذات صوت، وقيل  
شديد السُّموم وأحسن الأقوال القول الأول ومنه سمي نهر صرصر لصوت الماء  
الجاري فيه.

وقوله: فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ يعني مشومات والنَّحْس سبب الشر كما أنَّ  
السَّعْد سبب الخير وقيل معناه أيام ذات نحوس أي مشائم العذاب وقد مرَّ  
الكلام في الريح وأنها أهلكتهم بسبب دعاء هود عليهم ثم قال تعالى: لِنُذِيقَهُمْ  
عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، الخِزْي بكسر الخاء الهون والذُّل قَسَمَ  
الله تعالى العذاب على قسمين، عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وجعل العذاب في  
الآخرة أشدَّ وأخزى منه في الدنيا.

وقوله تعالى: وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ أي لا ناصر لهم يوم القيامة يدفع عنهم  
العذاب وبعد ذكره تعالى قصة عاد والعذاب النازل عليهم أشار إلى قصة ثمود  
فقال.

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ  
صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

كان بنو ثمود بوادي القرى بين المدينة والشَّام وقد أرسل الله تعالى إليهم  
صالحاً وهو ابن ستة عشر سنة يدعوهم إلى التَّوْحِيدِ ورفض الأصنام وكانوا في  
العدد كالذَّرِّ والحصى الغنى والثَّروَةُ وطول أعمارهم أكثر ما يكون وكانوا يبنون  
في السَّهول قصوراً عالية مزخرفة وينحتون الجبال بيوتاً لأَيَّامِ شَتَائِهِمْ لِأَنَّ

السُّقُوفِ وَالْأُبْنِيَّةَ كَانَتْ قَبْلَ فَنَاءِ أَعْمَارِهِمْ وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: وَ  
 أَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا  
 قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا<sup>(١)</sup> وَلَقَدْ قَامَ صَالِحٌ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ  
 وَتَرَكَ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَأَظْهَرَ لَهُمْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ كَرَامَاتٍ وَأَيَّاتٍ بَيِّنَاتٍ تَدُلُّ عَلَى نُبُوتِهِ  
 إِلَى أَنْ بَلَغَ عَمْرُهُ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً وَهُمْ لَمْ يَأْلُوا جَهْدًا فِي تَكْذِيبِهِ وَطَرْدِهِ وَ  
 إِيْذَانِهِ وَنِسْبَةِ الْجَنُونِ وَالسَّحَرِ إِلَيْهِ وَيَقُولُونَ لَهُ كُنَّا نَرْجُوا  
 مِنْكَ الْخَيْرَ وَقَدْ يُثْسِنَا مِنْكَ بِدْعَتِكَ دِينًا جَدِيدًا وَأَنْتَ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ مِثْلَنَا فَكَيْفَ  
 صَرْتَ أَوْلَى مِنَّا بِالنُّبُوتَةِ ثُمَّ أَصَابَ الْقَوْمَ قَحْطٌ وَاحْتَبَسَ عَلَيْهِمُ الْمَطَرُ فَكَانُوا  
 يَقُولُونَ لَصَالِحٍ مَا أَصَابَنَا هَذَا الْقَحْطُ وَالْجُوعُ إِلَّا مِنْ شُؤْمِكَ وَلَمَّا طَالَتِ  
 الْمَشَاجِرُ وَالْمَخَاصِمَاتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ انْتَفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ  
 عَلَى أَنْ يَهْجُمُوا عَلَيْهِ فِي دَارِهِ بَيَاتًا وَيَقْتُلُوهُ ثُمَّ يَنْكُرُوا ذَلِكَ فَلَمَّا أَنْ كَانَ اللَّيْلُ قَامَ  
 جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ وَدَخَلُوا عَلَى صَالِحٍ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لِيَقْتُلُوهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَلَائِكَةً مِنْ  
 السَّمَاءِ رَمَوْا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أَوْلَئِكَ الْكَفْرَةَ بِحَجَرٍ فَمَاتَ بِسَاعَتِهِ حَتَّى قَتَلُوهُمْ عَلَى  
 آخِرِهِمْ وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِي قَوْمِ ثَمُودَ وَعَادَ سَابِقًا فِي سُورَةِ الْأَحْقَافِ وَهُودَ وَ  
 غَيْرِهِمَا وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ فِي قِصَّتِهِمَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا وَلِنَرْجِعَ إِلَى تَفْسِيرِ أَلْفَاظِ  
 الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ بِوَسْطَةِ صَالِحِ النَّبِيِّ، فَأَسْتَحَبُّوا الْعَمَى  
 عَلَى الْهُدَى، أَيْ إِخْتَارُوا الْكُفْرَ وَالضَّلَالَ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ عِبَادَتِهِمْ وَخُضُوعِهِمْ  
 لِلْأَصْنَامِ وَإِعْرَاضَهُمْ عَنِ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَتَرْكُهُمْ عِبُودِيَّتَهُ وَإِهْتِمَامَهُمْ بِقَتْلِ صَالِحٍ  
 كَمَا مَرَّ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 فِي الْقُرْآنِ

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ بِاخْتِيَارِهِمْ مِنْ  
 انْكَارِهِمُ التَّوْحِيدَ وَتَابِعَتَهُمُ الْكُفْرَ، وَأَمَّا صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ، فَقَدْ أَشَارَ اللَّهُ  
 تَعَالَى إِلَيْهَا حَيْثُ قَالَ: فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ<sup>(٢)</sup> وَ قَدْ

فَسَرْنَا الْآيَةَ هُنَاكَ فَلَا نَعِيدُهُ حَذْرًا مِنَ الْإِطَالَةِ وَ فِي قَوْلِهِ: يِمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ  
إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْعَذَابَ النَّازِلَ عَلَيْهِمْ كَانَ مَعْلُولًا وَ مُسَبِّبًا عَنْ أَعْمَالِهِمْ وَ إِنكَارِهِمْ  
الْحَقِّ وَ إِسْتِمْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ.

وَ نَجِّنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ

و هم صالح النَّبِيِّ وَ من آمَنَ معه روي أَنَّهُ لَمَّا كَانَ مَوْعِدُ الْعَذَابِ مِنَ اللَّيْلِ  
الرَّابِعَةِ وَ حُلُّ نِصْفِ اللَّيْلِ مِنْهَا وَ كَانَ صَالِحٌ قَدْ خَرَجَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَيْنِ  
أَظْهَرِهِمْ نَزَلَ عَلَى الْقَوْمِ جَبْرِئِيلُ بِأَمْرِ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ وَ صَرَخَ بِهِمْ صَرْخَةً خَرَقَتْ  
أَسْمَاعَهُمْ وَ فَلَقَتْ قُلُوبَهُمْ وَ صَدَعَتْ أَكْبَادَهُمْ وَ هَلَكُوا بِأَجْمَعِهِمْ بِأَقَلِّ مِنْ طَرْفَةِ  
عَيْنٍ وَلَمْ يَبْقَ مُتَنَفِّسٌ لَا مِنْهُمْ وَ لَا مِنْ مُوَاشِيهِمْ وَ أَنْعَامِهِمْ وَ أَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ  
مَوْتَى هَالِكِينَ ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ الْهَلَاكِ نَارًا مِنْ السَّمَاءِ فَأَحْرَقَتْهُمْ أَجْمَعِينَ  
وَلَمْ يَتْرَكْ لَهُمْ أَثَرًا وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ.

وَ يَوْمَ يُخْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ

الْجُمْهُورُ عَلَى قِرَاءَةِ الْبَاءِ فِي يُخْشَرُ، وَ مِنْهُمْ مَنْ قَرَأَ بِالنُّونِ، فَعَلَى قِرَاءَةِ النُّونِ  
هُوَ مِنَ الْأَخْبَارِ مِنَ اللَّهِ نَفْسُهُ وَ عَلَى قِرَاءَةِ الْبَاءِ الْمَضْمُومَةُ فَهُوَ مِنَ الْأَخْبَارِ عَمَّا  
سَيَقَعُ وَ هُوَ يَوْمُ الْبَعْثِ وَ عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ سُوءِ عَاقِبَةِ الْكُفَّارِ وَ  
أَنَّ مَا وَاهِمِ النَّارِ، وَ هُمْ يُوزَعُونَ، أَيِ يَمْنَعُونَ مِنَ التَّفَرُّقِ وَ التَّشْتُّبِ بَلْ بِأَجْمَعِهِمْ  
يَدْخُلُونَ النَّارَ.

حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِمَا  
كَانُوا يَعْمَلُونَ

الضَّمِيرُ فِي جَاءُوهَا، رَاجِعٌ عَلَى النَّارِ وَ الْمَعْنَى حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ النَّارَ  
شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوا بِهَا فِي الدُّنْيَا فَلَا  
يُمْكِنُ لَهُمُ الْإِنْكَارَ.

قال السَّدي و القَراء و عبيد الله بن أبي جعفر، المراد بالجلود في الآية الفروج على سبيل الكناية و الجمهور حملوا الجلود على ظاهرها و هو الحق.

و قالوا لجلودهم لم تشهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء و هو خلقكم أول مرة و إليه ترجعون

أي قال الكفار لجلودهم و أبصارهم و أسماعهم لم تشهدتم علينا، وإنما قالوا ذلك لأن شهادة الأعضاء على صاحبها خلاف الإنتظار منها و لم يعلموا أن الأعضاء لا تقدر على مخالفة الخالق و لذلك لما قالوا لجلودهم لم تشهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي نطق كل شيء فلم نقدر على عدم الجواب، و هو خلقكم أول مرة و إليه ترجعون، قيل هو إخبار منه تعالى و خطابٌ لخلقه بأنه الذي خلقهم في الإبتداء و يحتمل أن يكون من تئمة قول الجلود أي أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء و هو خلقكم أيضاً و إليه ترجعون و هذا الوجه أقوى عندي مما ذكره إذ لو كان المراد منه إخبار الله تعالى و الله خلقكم أول مرة و لم يقل ذلك بل قال و هو خلقكم.

و الظاهر أن الواو للعطف و مرجع الضمير، الله الذي أنطق كل شيء أي الذي خلقكم أول مرة و إذا كان هو الخالق لكم فهو القادر على الإنطاق أيضاً هذا ما خطر ببالي و الله أعلم.

إن قلت الشهود في الآية السَّمع و البصر و الجلود و المخاطب هو الجلود فقط حيث قالوا لجلودهم لم تشهدتم علينا و لم يقولوا لسمعهم و أبصارهم و جلودهم جميعاً و بعبارة أخرى المخاطب في الآية بعض الشهود لا جميعها.

قلت لعل المراد بالجلود الأجساد و الأبدان و السَّمع و البصر داخلان فيها إذ الجلد بما هو جلد لا ذنب له و لا شهادة و أنما الشهادة لما يحتوي عليه الجلد و هو الأعضاء و على هذا فالمعنى قالوا لأجسادهم هي تشمل السَّمع و البصر، و

في القرآن في تفسير القرآن



الجلد الخامس عشر

يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَخَاطَبُ الْجُلُودَ لِأَنَّهَا بَعْضُ الشُّهُودِ وَحُكْمُ الْأَمْثَالِ وَاحِدٌ فِيهِ الْحَقِيقَةُ قَالُوا الْجَمِيعُهَا لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا إِجْرَاءُ حُكْمِ ذَوِي الْعُقُولِ عَلَيْهَا حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ وَ لَمْ يَقُلْ قَالَتْ مَثَلًا، لِأَنَّهَا لَمَّا خَاطَبَتْ وَ خَوِطَتْ أَجْرِيَتْ مَجْرَى مَنْ يَعْقِلُ.

وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ

يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا، مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى أَيُّ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لَهُمْ أَيُّ لِلْكَفَّارِ مَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ، وَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْجَوَارِحِ وَ عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ فَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ فَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ شَهَادَةِ الْجَوَارِحِ عَلَيْهِمْ وَ إِعْتَرَاظِهِمْ عَلَيْهَا بِالشَّهَادَةِ، مَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَيُّ تُخْفُونَ أَعْمَالَكُمْ عَنِ الْجَوَارِحِ.

وَ قِيلَ لَمْ تَكُونُوا فِي دَارِ الدُّنْيَا تَسْتَخْفُونَ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ بِتَرْكِهِ وَ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا عِلْمَ لَهُ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَ إِنْ كَانَ مِنْ قَوْلِ الْجَوَارِحِ فَالْمَعْنَى أَيْضًا كَذَلِكَ فَرَقَ فِيهِ عَلَى الْقَوْلَيْنِ.

وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَبَكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ

وَ الْمَعْنَى أَنَّ ظَنُّكُمْ بِرَبِّكُمْ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ، أَرْدَبَكُمْ أَيُّ أَهْلَكُمْ وَ أَوْقَعَكُمْ فِي الْعَذَابِ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَ حَاصِلُ الْكَلَامِ أَنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَ أَقْوَالِهِمْ لِأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَ مَنْ ظَنَّ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ خَسِرَ خَسْرَانًا مُبِينًا.

فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ



الإستعتاب طلب الرضا، والمعنى فأن يصبروا هؤلاء الكفار فالتار مثوى لهم و أن يستعتبوا أي طلبوا الرضا لم ينفعهم ذلك بل لأبد لهم من النار، وقيل معنى الكلام إن يصبروا أو يجزعا فالتار مثوى لهم.

وقوله: **فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ** أي ليس بمرضى عنهم لأن السخط من الله تعالى بكفرهم قد لزمهم و زال التكليف عنهم فليس لهم طريق إلى الإعتاب و الى ذلك أشار الله تعالى بقوله: **إِضْلُوهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ** <sup>(١)</sup>.

**وإعلم** أن قراءة الجمهور فتح الياء في يستعتبون، و فتحها في المعتبين و قرأ عبيد بن عمر و أبو العالية، و أن يستعتبوا، بضم الياء بصيغة المجهول و فتح التاء و كسر التاء في المعتبين، و عليها فالمعنى إن أقالهم الله و ردهم إلى الدنيا لم يعملوا بطاعته أيضاً، لكن هذه القراءة لا يعتمد عليها.

**وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّاتُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ**

التقيض، إحواج بعض العباد إلى بعض كحاجة الرجل إلى المرأة و بالعكس و حاجة الفقير إلى الغني و بالعكس و قيل التقيض المماثلة، و المقايضة المقايضة. و قال بعضهم التقيض الإبدال و منه المقايضة يقال قايضت الرجل مقايضة أي عاوضته بمتاع و هما قِيْضَان كما نقول بيعان و قيل التقيض التسليط، التهيؤا.

قال النقاش، و قَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ، أي هيأنا لهم قرناء، و قال الآخر سَلَطْنَا عَلَيْهِمُ الْقُرَنَاءَ، و الْقُرَنَاءُ بضم القاف و فتح الراء جمع قرين و هو الجليس و بالفارسية (هم نشين) و المراد بالقرناء، القرناء من الجن و الشياطين و الإنس أيضاً و حاصل الكلام في معنى الآية يقول الله تعالى أنا قِيْضْنَا، وهيأنا، لهم، أي لهؤلاء الكفار،

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس

قرناء من الجنّ و الإنس و الشّياطين، فزَيَّنُوا، أي القراءاء، لهم، أي للكفّار ما بين أيديهم، من الأعمال و الأفعال الّتي يعملون بها في دار الدّنيا، و ما خلفهم، من أمر الآخرة و ذلك بدعاءهم الى أنّه لا بعث و لا جزاء و قيل، ما بين أيديهم، من أمر الآخرة فقط فأنّهم قالوا لا جنّة و لا نار و لا بعث و لا حساب، و ما خلفهم، من أمر الدّنيا فزَيَّنُوا لهم اللذات و جمع الأموال، و حقّ عليهم القول، بتصييرهم الى العذاب و العقاب و الخلود في النّار، في أمم قد خلت من قبلهم من الجنّ و الإنس، أي حقّ على هؤلاء الكفّار و على الأمم السّالفة من الجنّ و الإنس، أنّهم، أي هؤلاء الكفّار و الأمم الماضية كلّهم كانوا من الخاسرين هكذا قيل في معنى الآية.

و نحن نقول معنى الآية لا يحتاج الى هذه التكاليفات الّتي توجب الإختلال في فهمه.

فأنّ الله تعالى يقول أنّ للكفّار قراء و أمثال من شياطين الجنّ و الإنس في دار الدّنيا يزيّنون أعمال الكفّار في أعينهم و عقائدهم الباطلة بالنسبة الى ما خلفهم و هو الآخرة بإنكار البعث و الحساب و العقاب كما كان الأمر على هذا المنوال في الأمم السّالفة و لذلك حقّ القول و هو كلمة العذاب عليهم أسلافهم لأنّهم كانوا من الخاسرين و على هذا فالذي حصل لنا من الآية هو الإجتنب عن قراء السّوء في دار الدّنيا ففي الآية إرشادٌ من الله تعالى لمن كان له عقل و فهمٌ و أنّ الإنسان ينبغي أن لا يغرّر بعمله و لا يجالس قراء السّوء يعتني بوساوسهم الّتي توجب البعد عن الحقّ و القرب الى الباطل فإنّ ذلك هو الخسران المبين نعوذ بالله منه.



وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَ  
الْعُوا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ (٢٦) فَلَنَذِقَنَّ الَّذِينَ  
كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي  
كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ  
الَّذِينَ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا  
بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا  
أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ  
نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ  
(٢٩) إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفَامُوا  
تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا  
تَحْزَنُوا وَابْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ  
(٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي  
الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَ  
لَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ  
(٣٢) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَ  
عَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَ  
لَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي  
هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ  
كَانَتْهُ وَلِيًّا حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ  
صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَ  
إِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ  
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦) وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ

وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا  
لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي  
خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ  
أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ  
بَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ  
آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا  
عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا  
لَمُخِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾  
إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا  
أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا  
يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ  
بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ  
وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ  
بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ  
حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ  
مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ  
أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا  
لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ  
لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا  
يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى  
أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ  
آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا

كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ  
 لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (٤٥) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا  
 فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ  
 لِلْعَبِيدِ (٤٦)

### ◀ اللغة

أَلْعَوْا: اللُّغُو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذي يورد لا عن رويّة و فكرٍ.  
 أَسْوَأُ: أفعال التّفضيل من السُّوء وهو القبح.  
 حَمِيمٌ: بفتح الحاء القريب الصّديق.  
 حَظٌّ: الحظّ النّصيب.

يَنْزَعَنَّكَ: يقال نزغ ينزغ نزغاً بين رجلين إذا دعاه إلى خلاف الحقّ و قيل  
 معناه الإغواء والوسوسة.

لَا يَسْتَمُونَ: السّام المالل أي لا يفترون ولا يملّون.  
 خَاشِعَةً: الخشوع الخضوع.  
 أَهْتَزَّتْ: الإهتزاز الحركة إلى العلو.  
 رَبَّتْ: أي ارتفعت.  
 يُلْحِدُونَ: الإلحاد الميل عن الحقّ والإعراض عنه.  
 لَقُضِيَ: القضاء الحكم.

### ◀ الإعراب

أَلْعَوْا فِيهِ بفتح الغين من لغى و بضمّها من لغا يلغو والمعنى سواء أَلْنَارُ  
 هو بدلٌ من جزاء أو خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ و ما بعده الخبر، و جزاء مصدر

أي جوزوا جزاء و يجوز أن يكون حالاً نَزُلًا مصدر في موضع الحال من الهاء المحذوفة أو من ما و قيل هو جمع نازل مثل صابر و صبر فيكون حالاً من الواو في تدعون أو من الكاف و الميم في، لكم، كَأَنَّهُ وَلِيٌّ هُوَ حَالٌ مِنْ، الَّذِي بَصَلْتَهُ، وَ الَّذِي مَبْتَدَأٌ، وَ إِذَا لِلْمُفَاجَأَةِ وَ هِيَ خَيْرُ الْمَبْتَدَأِ، وَ قِيلَ هُوَ خَيْرُ الْمَبْتَدَأِ وَ، إِذَا، ظَرَفَ لِمَعْنَى التَّشْبِيهِ وَ الظَّرْفُ يَتَقَدَّمُ عَلَى الْعَامِلِ الْمَعْنَى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا خَيْرٌ (إِنْ) مُحذوف أي معاندون أو هالكون أَعْجَمِي عَلَى الْإِسْتِفْهَامِ وَ يقرأ بهَمْزَةً وَاحِدَةً عَمِي مصدر عَمِيَ مثل صَدَى وَ صَدَى فَلَنْفَسِهِ خَيْرٌ مَبْتَدَأٌ مُحذوف أي فهو لِنَفْسِهِ أَسَاءَ فَعَلَ مَاضٍ وَ الْمَصْدَرُ مِنْهُ إِسَاءَةٌ.

### ◀ التفسير

وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَ أَلْغُوا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ

حكى الله تعالى عن الكفار أنه قال بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن و الغو فيه لعلكم تغلبون أي لكي تغلبون.

اختلف المفسرون في قوله: وَ أَلْغُوا بعد إتفاقهم على أنه مشتق من اللغو الكلام الذي لا فائدة فيه و لا يعتد به، فمنهم من قال و أَلْغُوا فيه بالمكاء و التصفيق و التخليط في المنطق حتى يصير لغواً، قاله مجاهد.

و قال ابن عباس قال أبو جهل إذا قرأ محمد فصيحا في وجهه حتى لا يدري ما يقول.

و قال الضحاك معناه أكثروا الكلام ليتخلط عليه ما يقول و قال أبو العالية قعوا فيه و عيّبوه، و قيل أنهم فعلوا ذلك لما أعجزهم القرآن، و غرضهم من هذا الكلام أن محمداً ﷺ لا يستميل القلوب بقرأة القرآن.

و قوله تعالى: لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ أي لكي تغلبون فَأَنْ التَّرجي في حق الله تعالى

لا معنى له و عليه إتّفاق المفسّرين، هذا كلّ بناءً على الفتح، في الغين كما عليه الجمهور و هو على هذا من لغى يلغى، و قرأ بعضهم بضمّ الغين من لغى يلغوا و على هذه القراءة معناه عارضوه بكلام لا يفهم.

فَلَنَذِقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ

الدّوق وجود الطّعم بالفم و أصله فيما يقلّ تناوله دون ما يكثر فأَنْ ما يكثر منه يقال له الأكل و هذا هو الفرق بين الدّوق و الأكل ثمّ أَنْ الدّوق يختصّ بالمحسوسات كما أَنْ الأكل أيضاً كذلك فإذا أستعمل في المعقولات فهو مجاز كما يقال فلان لم يذق حلاوة العلم مثلاً و ما نحن فيه من هذا القبيل فأَنْ العذاب و أن كان محسوساً إلاّ أنّه لا يدخل في الطّعم فأَنْ الطّعم لا يدرك إلاّ بالفم، و كيف كان فقد أختير في القرآن لفظ الدّوق في العذاب في أكثر الآيات:

قال الله تعالى: نُقِ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ<sup>(٤)</sup>.

قال الله تعالى: لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَ لَا شَرَابًا<sup>(٥)</sup> والآيات كثيرة.

و يستعمل في الرّحمة أيضاً مثل:

قال الله تعالى: وَ إِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ<sup>(٦)</sup>.

قال الله تعالى: وَ إِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا<sup>(٧)</sup>.

نبأ القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

١- الدّخان = ٤٩

٢- الأعراف = ٣٩

٣- الأعراف = ٣٩

٤- الأعراف = ٣٩

٥- الأعراف = ٣٩

٦- الأعراف = ٣٩

٧- الأعراف = ٣٩

١- الدّخان = ٤٩

٢- الأعراف = ٣٩

٣- الأعراف = ٣٩

٤- الأعراف = ٣٩

٥- الأعراف = ٣٩

٦- الأعراف = ٣٩

٧- الأعراف = ٣٩

قال الله تعالى: ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ<sup>(١)</sup>.

و غيرها من الآيات إلّا أنّ إستعمال اللفظ في العذاب أكثر منه في الرحمة. فقلوه تعالى: فَلَنُذِيقَنَّ مُؤَكِّدًا بِالنُّونِ الثَّقِيلَةِ يَدَلُّ عَلَى أَنَّ الْعَذَابَ وَاقِعٌ عَلَيْهِمْ قَطْعًا لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَجَحَدُوا آيَاتِهِ. وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ الْمَعَاصِي، وَقِيلَ أَرَادَ بِذَلِكَ الْكِبَائِرَ مِنَ الْمَعَاصِي دُونَ الصَّغَائِرِ.

أقول يظهر من الآية أنّ الجزاء والعقاب يوم القيامة على أسوأ الأعمال، مثلاً النظر إلى الأجنبية بقصد الشهوة حرام ومعصية، وتقبلها أيضاً حرام ومعصية، والزنا بها أيضاً معصية، وقتلها بغير حقّ معصية، فالجزاء يوم القيامة على القتل لأنه في المثال أسوأ الأعمال وأكبر المعاصي، وهكذا سبّ المؤمن فسوق فهو معصية، و ضرب المؤمن ظلماً معصية و قتل المؤمن ظلماً معصية فالعقاب على القتل الذي هو أسوأ الأعمال وهكذا فإنّ كلّ الصِّيد في جوف الفراء.

ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ

ذلك، إشارة إلى ما تقدّم من الوعيد وقوله: النَّارُ بَدَلٌ مِنْ، ذَلِكَ وَلِذَلِكَ رَفَعْتُ وَ الْمَعْنَى ذَلِكَ الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ مِنَ الْوَعِيدِ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ ثُمَّ بَيَّنَّهَ بِقَوْلِهِ: النَّارُ.

أقول الحقّ أنّ النار خبر مبتدأ محذوف و تقدير الكلام هو النار فكأنّه قيل ما جزاء أعداء الله فقال هو النار، إلّا أنّ المبتدأ محذوف للدلالة الكلام عليه، و يحتمل أن تكون النار مبتدأ، و لهم فيها دار الخلد خبره و المعنى النار لهؤلاء الكفار في جهنّم التي هي دار الخلد لهم جزاءً بما كانوا بآياتنا يجحدون، و المراد بالآيات





و ليس شيطاناً برأسه فالتقسيم بإعتبار الظهور و الوسوسة لا بإعتبار الحقيقة و الماهية ضرورة أَنَّ الشَّيْطَانَ فِي الْحَقِيقَةِ وَاحِدٌ لَا ثَانِي لَهُ وَ مَا سِوَاهُ مِنْ أَعْوَانِهِ وَ أَنْصَارِهِ أَوْ ذُرِيَّتِهِ وَ كَيْفَ كَانَ لَا شَكَّ أَنَّ الشَّيْطَانَ أَضْلَهُمْ وَ أَوْقَعَهُمْ فِي الْعَذَابِ وَ لَذَلِكَ قَالُوا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا إِلَى قَوْلِهِمْ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ أَي فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

و أَمَّا قَالُوا ذَلِكَ بَعْدَ الْمَوْتِ وَ رُؤْيَا الْعَذَابِ وَ هَذَا الْكَلَامُ لَا فَائِدَةَ فِيهِ بَعْدَهُمَا وَ أَنَّمَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ لِيَعْتَبِرَ بِهِ مَنْ بَعْدَهُمْ مِمَّنْ سَلَكَ مَسْلَكَهُمْ وَ أَمَّا قُلْنَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ لِأَنَّ لِلشَّيْطَانَ أَنْ يَقُولَ فِي جَوَابِهِمْ أَنَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ أَوْ مَطْلَقِ الْمَعَاصِي وَ الْأَنْبِيَاءُ دَعَوْكُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَ تَرَكَ الْمَحْرَمَاتِ وَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَعْطَاكُمْ الْعَقْلَ فِي الدُّنْيَا وَ الْعَقْلُ يَحْكُمُ بِأَنَّ مَتَابَعَةَ الشَّيْطَانَ تَوْجِبُ خَسْرَانَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ مِضَافاً إِلَى الْآيَاتِ الَّتِي تُوَيِّدُ حُكْمَ الْعَقْلِ.

وَ مَتَابَعَةُ الْأَنْبِيَاءِ تَوْجِبُ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ وَ حِلَاوَةَ النَّشَاطَيْنِ فَلَمْ يَخْتَرْتُمْ مَسْلَكَ الشَّيْطَانَ وَ تَرَكْتُمْ مَسْلَكَ الْأَنْبِيَاءِ وَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَأَنْتُمْ مَقْصُورُونَ وَ الْعَجَبُ أَنَّ الْبَشَرَ بِسُوءِ سِرِيرَتِهِ وَ حَبَّةٍ لِلدُّنْيَا وَ زَخَارِفِهَا يَعْصِي اللَّهَ وَ يَطِيعُ الشَّيْطَانَ ثُمَّ يَدَّعِي أَنَّهُ أَضَلَّنَا وَ لَا ذَنْبَ لَنَا مَعَ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَمْ يَجْبِرْ أَحَدًا عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَ تَرَكَ طَاعَتَهُ وَ أَنَّمَا تَبَعَ الشَّيْطَانَ وَ عَصَى اللَّهَ بِاخْتِيَارِهِ وَ إِرَادَتِهِ مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّ الشَّيْطَانَ ضَالٌّ وَ مَضَلٌّ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهُ.

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن المؤمنين الذي استقاموا على إيمانهم قولاً و فعلاً و اعتقاداً بأن الملائكة تنزل عليهم على لسان الأنبياء و الآيات و يقولون لهم لا تخافوا من الموت و ما بعده من الحساب و لا تحزنوا و أبشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها من قبل الله و أخبركم بها أنبياء.

فقوله تعالى: **قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ** إشارة إلى الإقرار باللسان بأن يقول أشهد أن لا إله إلا الله و قوله: **ثُمَّ أَسْتَقَامُوا** إشارة إلى الاعتقاد الراسخ و الثبات عليه و الإستمرار به عملاً فأن الإستقامة الثبات و عدم الإضطراب في الاعتقاد و يظهر من الآية أن مجرد القول باللسان لا يكفي فأن المناقق يقرّ و يعترف باللسان، ألا ترى أن أباسفيان و معاوية و يزيد و أمثالهم أقرّوا بالتوحيد و النبوة لساناً و أنكروهما قلباً و اعتقاداً فلما وجدوا أعواناً و أنصاراً أظهرُوا ما كان في قلوبهم و فعلوا ما فعلوا فالمراد بالإستقامة الثبات على الإيمان و الإقرار اللساني إعتقاداً و عملاً و بعبارة أخرى حفظ الإيمان صعبٌ عسير و أما إظهاره فلا.

و الحاصل أن بشارة الملائكة بدخول الجنة و عدم الخوف و الحزن في الدارين تتوقّف على أمرين:

**أحدهما:** الإيمان الذي يتحقّق بالإقرار و الاعتقاد.

**الثاني:** الإستقامة و الثبات عليه قولاً و فعلاً في طاعة الله.

و قال بعضهم المراد بالإستقامة الإستمرار عليه بأن إستمرّوا على ما توجبه الرّبوبية و أنت ترى أن المأل واحدٌ و اللفظ مختلف و ذلك لأن الثبات لا يحصل إلا بالإستمرار و يظهر من بعض الأخبار أن المراد بالإستقامة الموت على الإيمان لا الإستمرار إلى حين الموت فمن مات على الإيمان فقد إستقام عليه.

كما روي في مجمع البيان في هذه الآية عن أنس، قال: قرأ علينا رسول الله هذه الآية ثم قال **ﷺ**: قد قالها ناسٌ ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتّى يموت فهو ممّن إستقام عليها إنتهى.

و يظهر من أخبار أهل البيت أن المراد بالإستقامة الولاية

فقد روي عن محمّد بن الفضيل قال: سئلت أبا الحسن الرضا **عليه السلام** عن الإستقامة قال **عليه السلام**: هي و الله ما أنتم عليه إنتهى.

و في تفسير أهل البيت عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر **عليه السلام**

في القرآن  
في قوله  
بإستقاموا

جزء ٢٤

الجلد الخامس  
من

قول الله عز وجل: **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا** قال **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: هي والله ما أنتم عليه إنتهى.

و عن أصول الكافي بأسناده عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** عن قول الله عز وجل: **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا** فقال أبو عبد الله **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: إستقاموا على الأئمة واحداً بعد واحد، تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون إنتهى.

إن قلت ليس في الآية ذكر من الولاية ولو كان المراد بالإستقامة الولاية والإستقامة على الأئمة واحداً بعد واحد فينبغي أن يذكر فيها.

قلت ليس في الآية ذكر من النبوة أيضاً فلو كانت الآية على ظاهرها فمن قال بالتوحيد وأنكر النبوة يدخل الجنة ولا يقول به عاقل فضلاً عن مسلم، وأما قلنا ذلك لأن الآية تقول **أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ**، وهو قال به وإستقام عليه إلى آخر عمره وأما النبوة فليست داخلية في الآية وإلا قال ربنا الله وإعتقد النبوة ولم يقل ذلك وقد إتفق المسلمون على أن منكر النبوة كافراً وإن أقر بالتوحيد ولذلك حكموا بإرتداد من أنكر النبي وإن أقر بالتوحيد و ظاهر الآية يدل على عدم اشتراط النبوة ومجرد التوحيد يكفي وليس كذلك، فما تقول في دخول النبوة في الآية نقول به في دخول الولاية فيها، وحل الإشكال أن القائل بالتوحيد لا بد له من القول بالنبوة أيضاً لأن معنى قوله: **رَبُّنَا اللَّهُ** إطاعة الرب لا مجرد اللفظ وإطاعة الرب لا تتحقق إلا بإطاعة الرسول الذي أرسله الله إلى خلقه ولذلك قرنت شهادة النبوة بشهادة التوحيد وبهما معاً يحكم بإسلام الكافر لا بأحدهما فلو قال الكافر أشهد أن لا إله إلا الله ولم يقل أشهد أن محمداً رسول الله لم يحكم بإسلامه بل نقول أشهد أن محمداً رسول الله **وَاللهُ وَكَذَلِكَ** يتضمن التوحيد وأشهد أن لا إله إلا الله لا يتضمن النبوة فثبت أن القائل بالتوحيد بقوله: **رَبُّنَا اللَّهُ** لا بد له من القول

بِالنَّبِوةِ أَيْضاً فَلَا إِحْتِيَاجَ إِلَى ذِكْرِ النَّبِوةِ فِي الْآيَةِ وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَمْ يَذْكُرِ النَّبِوةَ لِعَدَمِ الْإِحْتِيَاجِ إِلَيْهَا فِي اللَّفْظِ وَمَعَ ذَلِكَ دَلَّتِ الْآيَاتُ الْكَثِيرَةُ عَلَى أَنَّ إِطَاعَةَ الرَّسُولِ إِطَاعَةُ اللَّهِ وَبِالعَكْسِ.

قال الله تعالى: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً<sup>(٤)</sup>.

قال الله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ<sup>(٥)</sup> وَالْآيَاتُ كَثِيرَةٌ.

وَأَنْتَ تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَرْنَ طَاعَةَ الرَّسُولِ بِطَاعَتِهِ وَبِالعَكْسِ فَلَا طَاعَةَ لِلَّهِ إِلَّا بِطَاعَةِ رَسُولِهِ وَلَا طَاعَةَ لِلرَّسُولِ إِلَّا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَمَحْصَلُ الْكَلَامِ أَنَّ طَاعَةَ اللَّهَ طَاعَةَ رَسُولِهِ وَطَاعَةَ الرَّسُولِ طَاعَةَ اللَّهِ وَعَلَى هَذَا فَقَوْلُ الْقَائِلِ رَبَّنَا اللَّهُ مَعَ إنْكَارِ الرِّسَالَةِ لَا مَعْنَى لَهُ وَوُجُودُهُ كَالْعَدَمِ.

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَتَقُولُ، إِطَاعَةُ الرَّسُولِ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِمُتَابَعَتِهِ قَوْلًا وَفِعَالًا لِأَنَّهُ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيِي يُوحَى، فَمَنْ قَالَ بِلِسَانِهِ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَخَالَفَهُ فِي قَوْلِهِ وَفَعَلَهُ فَلَمْ يَطِيعْهُ وَمَنْ لَمْ يَطِيعْهُ فَقَدْ لَمْ يَطِيعِ اللَّهَ بِالْبَيَانِ الْمُتَقَدِّمِ وَدَلَالَةِ الْآيَاتِ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الرَّسُولَ نَصَّ عَلَى خُلَفَاءِهِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ أُولَئِهِمْ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَآخَرُهُمْ حُجَّةُ بْنُ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيُّ فِي غَدِيرِ خَمٍّ وَغَيْرِهِ وَ

بَابُ الْقُرْآنِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ



المجلد الخامس عشر

٢- النِّسَاء = ٦٩

٤- الْأَحْزَاب = ٧١

١- النِّسَاء = ١٣

٣- النِّسَاء = ٨٠

٥- النِّسَاء = ٦٤

قد تضافرت الروايات من العامة والخاصة بذلك في كتب الفريقين مثل قوله: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه الخ.

و قوله: يا عليّ من أطاعك فقد أطاعني و من عصاك فقد عصاني و من أبغضك فقد أبغضني و من أنكرك فقد أنكروني، يا عليّ حربك حربي و سملك سلمى ...

و قد صرح رسول الله في خطبة الغدير بأسماء خلفاء بعد عليّ عليه السلام واحداً بعد واحد و لا نحتاج إلى ذكر الأخبار الواردة في المقام لأنّ كتابنا هذا ليس موضوعاً لهذه الأبحاث و قد إستوفينا الكلام في هذا الباب في شرحنا على نهج البلاغة و لا سيما في الخطبة الشقشقية أن أردت الوقوف على ما ذكرناه هناك من الآيات و الأخبار من العامة والخاصة و الدلائل العقلية فعليك بمراجعتة <sup>(١)</sup>.

و إذا كان الأمر على هذا المنوال فمن لا يقول بالإمامة لا يقول بالنبوة و من لا يقول بالنبوة لا يقول بالتوحيد فمن لا يقول بالإمامة لا يقول بالتوحيد المطلوب فتحقق ممّا ذكرناه أنّ قوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا** معناه قالوا ربنا الله و محمداً رسول الله و عليّ و أولاده الأئمة واحداً بعد واحد أولياء الله **تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ** إلى آخر الآية و نحن نعتقد بذلك و عليه نحيّا و نموت إن شاء الله.

و حيث إنجّر الكلام إلى هذا المقام فلا بأس بالإشارة إلى ما ذكره الزمخشري بالكشاف لتعرف أهل الإيمان و الإنصاف قال في تفسير الآية ما لفظه:

ثمّ، للتراخي أي تراخي الإستقامة عن الإقرار في المرتبة و فضلها عليه لأنّ الإستقامة لها الشأن كلّ و نحوه قوله: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزَأُوا** <sup>(٢)</sup> و المعنى ثمّ أثبتوا على الإقرار و مقتضياته.

و عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه إستقاموا فعلاً كما إستقاموا قولاً و عنه أنّه

تلاها ثم قال ما تقولون فيها، قالوا لم يذنبوا، قال حملتم الأمر على أشده. قالوا فما تقول قال لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان.

و عن عمر رضي الله عنه إستقاموا على الطريقة و لم يروغوا وروغان الثعلاب، و عن عثمان رضي الله عنه، أخلصوا العمل و عن علي رضي الله عنه أدوا الفرائض.

و قال سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قلت يا رسول الله أخبرني بأمر أعتصم به قال صلى الله عليه وسلم قل ربي الله ثم أستقم، قال فقلت ما أخوف ما تخاف علي فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه فقال هذا إنتهى موضع الحاجة من كلامه.

**أقول** أما قوله: ثم للتراخي لأن الإستقامة لها الشأن كله فهو حق لا كلام فيه و هكذا قوله: ثم أثبتوا على الإقرار و مقتضياته، فإنه أيضاً حق لا خلاف فيه، ولكنه لم يبين معنى المراد بالمقتضيات فإن كان المراد بمقتضيات الإقرار ما ذكرناه من النبوة و الولاية و متابعة النبي قولاً و فعلاً فهو حق و أن كان غيره فكان عليه أن يبينه.

و أما ما نقله عن أبي بكر أنه قال إستقاموا فعلاً كما إستقاموا قولاً، فنحن أيضاً نقول به إلا أننا نقول إستقاموا على فعل النبي كما إستقاموا على قوله أي عملوا بما عمل النبي لا أنهم إستقاموا على أفعالهم و أقوالهم كما شاءوا و أرادوا.

و أما نقله عنه أنه تلاها، إلى أن قال لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان، فهذا كلام باطل لا معنى له.

**أما أولاً:** فلأن الآية لم تنزل في المشركين بل نزلت في جميع المؤمنين، و على فرض نزولها فيهم أيضاً لا معنى لكلام أبي بكر، لأن المشرك لو آمن بالله و لم يرجع إلى عبادة الأوثان و ارتكب المعاصي من قتل النفس و الزنا و شرب الخمر و غيرها من المحرمات و لم يأت بألواجبات يدخل النار بلا كلام و يحرم عليه الجنة و لو لم يرجع إلى عبادة الأوثان و الحاصل أن دخول النار لا يختص بالكافر العابد للوثن و أما على قول أبي بكر يلزم أن يكون أبو سفيان و معاوية و يزيد بن

معاوية و عبد الملك و الحجاج بن يوسف الثقفي كلهم من مصاديق المؤمنين الذين إستقاموا على إيمانهم لأنهم لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان أظنّ عاقلاً يقول به فضلاً عن أبي بكر الذي هو أفضل الناس بعد النبي على مذهب صاحب الكشف و غيره من العامة. و هل يقول أفضل الناس ما لا يقوله أجهلهم.

و هكذا ما نقله عن عمر و هو أفضل و أعلم بعد أبي بكر عن غيره بزعم الزمخشري و أنّ كلامه أحسن من كلام أبي بكر لأنّ الإستقامة على الطريقة لها وجهٌ وجيه، و أمّا نقله عن عثمان أنّه قال: أخلصوا العمل، فيه أن الإستقامة على الأمر الثبات عليه و الإستمرار فيه، و أمّا الإخلاص في العمل فهو أمرٌ قلبي لا ربط له بما نحن فيه.

و أمّا نقله عن عليّ في آخر كلامه أنّه قال أدّوا الفرائض، فهو بهتانٌ عليه و مع ذلك لا يشبه بكلام عليّ أصلاً و العاقل لا يقول أنّ إداء الفرائض فقط هو الإستقامة، فضلاً عن أمير المؤمنين و مع ذلك أهل البيت أدري بما في البيت فكلامه عليه السلام كلام الصادق و الباقر و الرضا و قد نقلناه و أمّا الحديث الذي رواه عن رسول الله ﷺ و هو أنّه أخذ بلسان نفسه و قال هذا.

فيلزم منه أنّ المقرّ بالتوحيد لو كف لسانه عن الكفر طول حياته و عمل عمل الكفار فهو ممن إستقام على توحيده و دخل الجنة كما ترى. و إنّما نقلنا كلام صاحب الكشف لتعلم أنّهم كيف فسّروا كلام الله في هذه الآية و أمثالها فأقض ما أنت قاض، و إلى الله عاقبة الأمور.

نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا  
تَشْتَهُي أَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ

لَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ بِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ  
إِسْتَقَامُوا عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِمْ وَ بَشَارَتِهِمْ بِإِنَّا هُمُ الْآيَةُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ



لهم، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ أي أنصاركم في الحياة الدُّنيا والآخرة ويقولون لهم أيضاً على سبيل البشارة وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ أي ولكم في الجنة ما تشتهي أنفسكم من أنواع المأكولات والمشروبات وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ أي ما تستدعونونه وَ تَحْبُونَهُ وَلَا شَكَّ أَنَّ فِي هَذِهِ الْبَشَارَةِ حُجَّةٌ عَلَى شَرَفِ الْإِسْقَامَةِ عَلَى الْإِيمَانِ وَ فِي الْحَقِيقَةِ فِيهَا بَشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ سَعَدُوا وَ فَازُوا فِي الدَّارِينَ.

و قال بعض المفسرين في قوله: نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ أي نحن قرناءكم الذين كنا معكم في الدُّنيا وَ حفظنا أعمالكم فإذا كان يوم الْقِيَامَةِ لَا نَفَارَكُمْ حَتَّى نَدْخُلَكُمْ الْجَنَّةَ، وَ أَحْتَمِلَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ أَنَّ قَوْلَهُ: نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لَا مِنْ قَوْلِ الْمَلَائِكَةِ، وَ لَكِنْ ظَاهِرُ سِيَاقِ الْآيَةِ وَ الْإِتْيَانِ بِكَلِمَةِ، نَحْنُ الَّتِي تَفِيدُ الْجَمْعَ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقَالَ أَنَّ، نَحْنُ، لِلتَّعْظِيمِ وَ قَدْ عَبَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ كَثِيراً مِثْلَ قَوْلِهِ: إِنَّا نَحْنُ قَرْبُلَانَا أَلَذِّكَرُ وَ إِنَّا لَهُ لَخَافِضُونَ<sup>(١)</sup> وَ الَّذِي يَقْوِي فِي النَّظَرِ هُوَ أَنَّ الْمَالَ فِي الْإِحْتِمَالِينَ وَاحِدٌ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ مَلَائِكَةُ اللَّهِ وَ الْبَشَارَةُ فِي الْحَقِيقَةِ بَشَارَةُ اللَّهِ لَكُونِهِمْ مَأْمُورِينَ مِنْ قَبْلِهِ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ أَوْ مِنْ قَوْلِ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا أَنَّ الظَّاهِرَ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ وَ كَيْفَ كَانَ فَالْأَمْرُ سَهْلاً بَعْدَ وَضُوحِ الْمَعْنَى، وَ قَدْ رَأَيْتُ فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ إِحْتِمَالاً آخَرَ لَا بَأْسَ بِذِكْرِهِ وَ هُوَ أَنَّ الْمَرَادَ بِقَوْلِهِ: مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ الْبَقَاءَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْتَهَوْنَ الْبَقَاءَ فِي الدُّنْيَا أَيْ لَكُمْ فِيهَا أَيْ فِي الْجَنَّةِ مَا كُنْتُمْ تَشْتَهَوْنَهُ مِنَ الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا وَ لَكُمْ فِي الْجَنَّةِ مَا كُنْتُمْ تَتَمَنُونَهُ مِنَ النَّعِيمِ إِنَّتَهَى.

وَ أَنْتَ تَرَى أَنَّ هَذَا الْإِحْتِمَالَ يَنَافِي مَقَامَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي إِسْتَقَامَ عَلَى إِيْمَانِهِ فَأَنَّهُ لَا يَشْتَهِي الْبَقَاءَ فِي الدُّنْيَا وَ هُوَ ظَاهِرٌ.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

و قد روى في البحار بأسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: قال رسول الله عليه السلام أخبرني جبرئيل أن ريح الجنة توجد من مسير ألف عام، ما يجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان ولا جَارَ أزاره خيلاء فتانٌ ولا مَنانٌ ولا جعظريٌّ قال قلت فما الجعظري قال صلى الله عليه وسلم الذي لا يشبع من الدنيا إنتهى.

و على هذا فكيف يقال ما احتمله هذا القائل من أن المراد بقوله: مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ البقاء في الدنيا لأنهم كانوا يشتهون البقاء مضافاً إلى أن حب الدنيا رأس كل خطيئة ولا فرق بين حب الدنيا وإشتهاء البقاء فيها.

نَزْلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ

نزلاً، نصب على المصدر أو على الحال.

فَعَلَى الْأَوَّلِ: معنى الكلام أنزلكم ربكم ما تشتهون من النعمة نزلاً.

عَلَى الثَّانِي: لكم في الجنة ما تشتهي أنفسكم منزلاً كما تقول جاء زيد مشياً تريد ماشياً و يحتمل أن يكون (نزلاً) جمع نازل أي لكم ما تدعونه و تتمنونه نازلين و على هذا فيكون حالاً من الضمير المرفوع في (تدعون) أو من المجرور في (لكم).

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَ عَمِلَ صَالِحًا وَ قَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ

كلمة، من، إستفهامية ومعناها التفي أي ليس أحسن قولاً ممن دعا إلى الله أي إلى طاعته، و عمل الصالحات من الأعمال و يقول مع ذلك إنني من المسلمين أي المستسلمين المتقادين لأمر الله و نهيه.

و قال بعضهم أن المراد بمن دعا إلى الله، النبي صلى الله عليه وسلم لأنه الداعي إلى الله حقاً و مخلصاً، و قيل نزلت الآية في المؤذنين لأنهم يدعون الناس إلى الله في أذانهم.

**أَقُولُ** والأحسن حمل الكلام على العموم أعني به كلّ داع إلى الله وطاعته ولا شكّ أنّه من أحسن الأقوال والوجه في كونه أحسن الأقوال أنّ المدعو أعظم وأشرف وأكمل الموجودات وهو الله تعالى واللفظ بما هو هو لا حكم له حسناً وقبحاً وأنّما يحكم عليه بالحسن والقبح باعتبار ما يراد منه ويدعوا إليه فإذا كان المدعو باللفظ أشرف الموجودات وأكملها فاللفظ أيضاً كذلك.

وأما قوله: **وَعَمِلَ صَالِحًا** إشارة إلى أنّ الأمر بالمعروف والداعي إليه ينبغي أن يكون عاملاً بما يدعو إليه وإلا يكون منافقاً إذ لا نعي بالمنافق إلا من كان ظاهره غير باطنه وقوله على خلاف فعله، فالداعي إلى الله إذ لا يعمل بما يدعو إليه يعدّ منافقاً.

قال الله تعالى: **لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ** <sup>(١)</sup> فالعمل الصالح يكشف عن صدق الداعي وإخلاصه في الدعوة.

وأما قوله: **إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** أي من المطيعين المنقادين لله تعالى فهو في الحقيقة تفسير لقوله: **وَعَمِلَ صَالِحًا** فإنّ العمل الصالح لا يصدر إلا من المطيع المنقاد ومحصل الكلام في الآية أنّ الداعي إلى الله قولاً والعامل بما أمر الله على سبيل الإخلاص والإنقياد فعلاً، وهو مؤمن حقاً.

**وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**

كلمة، لا، في قوله تعالى: **وَلَا السَّيِّئَةُ لِلتَّأْكِيدِ**، والمعنى أنّهما لا يتماثلان، عقلاً ونقلاً، والمراد بالحسنة كلّ ما يحسنه العقل والشرع كالطاعات والعبادات والإحسان إلى الغير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإعانة المظلوم والإنفاق في سبيل الله والجهاد كذلك وبالجملة جميع أفعال الحسنة، والمراد بالسّيئة خلافها من قبائح الأفعال كالكذب والغيبة والتّهمة وأمثالها من الأقوال وإرتكاب

في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس

الأعمال القبيحة من الزَّنا و شرب الخمر و الظُّلم بأنواعه من الأفعال و أتما حكم بأنهما لا يستويان، لأنَّ الحسنات توجب سعادة الدَّارين و السيئات توجب خسران النَّسأتين و لظهور أثارهما لا نحتاج إلى تفصيل الكلام فيهما فإنَّ كلَّ عاقلٍ يعلم و يقطع بأنَّ الحسنات خيرٌ من السيئات و لا يقاس أحدهما بالآخر.

و قوله: **أَدْفَعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ** أمر نبيِّه أن يدفع السيئة بالتِّي أي بالحسنة التي هي أحسن من السيئة و بعبارة أخرى أجب السيئة بالحسنة.

و قيل المراد بالحسنة هاهنا المداراة، و بالسيئة الغلظة، و على هذا فالمعنى إدفع الغلظة بالمداراة و كيف كان أدب الله نبيِّه بهذا الأدب، و الخطاب و أن كان للنبي ظاهراً إلا أنَّ المراد جميع الأمة فإنَّ المسلم الحقيقي ينبغي أن يكون كذلك و المقصود من هذا الكلام حسن العشرة و الإحتمال و الإغضاء.

قال ابن عباس أي إدفع بحلمك من يجهل عليك و عنه أيضاً هو الرَّجل يسبَّ الرَّجل فيقول الآخر أن كنت صادقاً فغفر الله لي و أن كنت كاذباً فغفر الله لك.

و قوله: **فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَدَاوَةٌ فَحَاصِلُ مَعْنَاهُ** أنَّ المداراة مع القوم توجب المحبة حتَّى بالنسبة إلى من كان بينك و بينه عداوة فإنَّ العدو يصير بذلك ولياً و حميماً لك.

فعن أمالي الصدوق بأسناده إلى عبد الله بن وهب بن زهير قال وفد العلاء بن الحضرمي على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أن لي أهل بيت أحسن إليهم فيسيئون و أصلهم فيقطعون؟ فقال رسول الله ﷺ: **إِدْفَعِ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ** فإذا الذي بينك و بينه عداوة كأنَّه وليٌّ حميمٌ فقال العلاء بن الحضرمي أنِّي قد قلت شعراً هو أحسن من هذا فاقلَّ ﷺ و ما قلت فأنشد:

وحيُّ ذوي الأضغان تسب قلوبهم  
فأن أظهروا خيراً فجاز بمثله  
فأن الذي يؤذيك منه سماعه  
فأن الذي قالوا وراك لم يقل

فقال النبي ﷺ: أَنْ مِنَ الشَّعْرِ لِحْكَمًا وَأَنْ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا وَإِنْ شَعْرَكَ لِحَسَنٍ وَأَنْ كِتَابَ اللَّهِ أَحْسَنُ إِنَّتَهَى.

و عن كتاب الخصال فيما علّم أمير المؤمنين أصحابه من الأربع مائة باب ممّا يصلح للمسلم في دينه و دنياه، صافح عدوك وإن كرهه فأنّه ممّا أمر الله به عباده و يقول إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك و بينه عداوة كأنّه وليّ حميم، إنتهى و الأحاديث في الباب كثيرة.

وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ مَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ  
أي و ما يلقيها، هذه الفعلة الكريمة و الخصلة الشريفة، إلا الذين صبروا، بكظم الغيظ و احتمال الأذى وَ مَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ أي ذو نصيب و أمر من الخير، قيل المراد بالخط العظيم الجنة، و قيل الكناية في (يلقيها) أي عن الجنة، و قيل الضمير في يُلْقِيهَا يرجع على البشري، أي و ما يلقي البشري من الملائكة إلا ذو نصيب وافر، و ذلك لأن كظم الغيظ صعب جدًا.

وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ  
الْعَلِيمُ

إمّا بكسر الألف مركبة من، إن و ما، و إن، شرطية، و ما، زيد عليها تأكيداً و لذلك قيل هو أشبه القسم و لذلك دخلت نون التأكيد في قوله: يَنْزَغَنَّكَ كما تقول و الله ليخرجنّ، و النَّزْغُ النَّخَسُ بما يدعو إلى الفساد من الشيطان و سوسته و دعاءه إلى معصية الله بإيقاع العداوة بين من يجب موالاته يقال نزغ نزغاً، و فلان ينزغ فلاناً كأنه ينخسه بما يدعو به إلى خلاف الصواب قاله في التبيان.

خاطب الله نبيه و قال له فأن منعك و صرفك الشيطان عمّا وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن، فاستعذ بالله من شره و أمض على شأنك و لا تطعه، هكذا فسر الكلام في الكشف، و الظاهر من الآية هو المعنى العام إختصاص له بالدفع بالتي

هي أحسن في الإستعاذة من الشَّيْطَانِ إِلَى اللَّهِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَغْوِي مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ وَ يُوَسَّوِسُ بِأَنْحَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَالْمَعْنَى وَ أَنَّ مَا يَدْعُوكَ إِلَى الْمَعَاصِي بِالْإِغْوَاءِ وَ الْوَسْوَسةِ أَيْةٌ مَعْصِيَةٌ كَانَتْ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ أَنَّهُ أَيْ أَنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ أَيْ أَنَّهُ يَسْمَعُ بِمَعْنَى عِلْمِهِ بِالْمَسْمُوعَاتِ وَ يَعْلَمُ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ وَ فِي الْآيَةِ نِقَاطٌ وَ لَطَائِفٌ لَا بَأْسَ بِالْإِشَارَةِ إِلَيْهَا عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ:

**أَحَدُهَا:** أَنَّ نَزْعَ الشَّيْطَانِ لَا يَخْتَصُّ بِقَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ وَ لَا بِشَخْصٍ دُونَ شَخْصٍ بَلْ هُوَ عَامٌّ بِالنَّسْبَةِ إِلَى جَمِيعِ أَوْلَادِ آدَمَ حَتَّى الْأَنْبِيَاءِ وَ الْأَوْصِيَاءِ إِلَّا أَنَّهُ لَا سُلْطَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ، أَمَّا أَنَّ نَزْعَهُ وَ وَسْوَستَهُ عَامٌّ لِلْجَمِيعِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا<sup>(١)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ<sup>(٣)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ<sup>(٤)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَ كَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا<sup>(٥)</sup>.

وَ الْآيَاتُ كَثِيرَةٌ وَ هَذَا أَيْ أَنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لِأَوْلَادِ آدَمَ كَانَتْ مِنْ كَانَ لَا كَلَامَ فِيهِ بِصَرِيحِ الْآيَاتِ وَ إِذَا ثَبَتَ عِدَاوَتُهُ ثَبَتَ نَزْعَتُهُ وَ وَسْوَستَهُ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْعَدُوِّ. وَ أَمَّا أَنَّهُ لَا سُلْطَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ<sup>(٦)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ

١- الإسراء = ٥٣

٢- يوسف = ٥٣

٣- الأعراف = ٥٣

٤- الإسراء = ٥٣

٥- الحجر = ٤٢

٦- الإسراء = ٥٣

٧- الأعراف = ٥٣

٨- الفرقان = ٢٩

يَتَوَكَّلُونَ<sup>(١)</sup>.قال الله تعالى: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا<sup>(٢)</sup>.

و من المعلوم أَنَّ الأنبياء والأوصياء لم يكونوا من الغاوين بل كانوا من رؤس المؤمنين الذين كانوا على رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ والحاصل أَنَّ الشَّيْطَانَ لا سلطان له عليهم.

أَنْ قلت إذا كان الأمر على هذا المنوال فما معنى الآية حيث قال تعالى: وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ نَزْغُ الْوَسْوَسةِ والإغواء عن طريق الصَّواب. قلت أَنَّ الله تعالى نفى عنه السُّلْطَان ولم ينف عنه الإغواء والوسوسة فلا تنافي بين الآيات والمعنى أَنَّهُ يَنْزِعُ ويوسوس كما هو دأبه إِلَّا أَنَّ نَزْغَهُ وسوسته لا يؤثر في الأنبياء والأوصياء والأولياء وذلك لِإِسْتِعَاذَتِهِم بِاللَّهِ وَتَوَكَّلْتَهُمْ عَلَيْهِ في جميع أمورهم فنفى السُّلْطَانة مستندٌ إِلَى اللَّهِ في الحقيقة لا إِلَهُم من عند أنفسهم و لذلك قال تعالى حكاية عن يوسف الصِّدِّيق:

وَمَا أَزِيؤُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي<sup>(٣)</sup>.

والذي يستفاد من الآية أَنَّ الإنسان لا يمكن له التخلُّص عن كيدهِ وسوستهِ إِلَّا أَنَّ النِّجَاةَ من إغواء الشَّيْطَان وسأوسه في تَرْبُّبِ الأَثَارِ عليه تحصل بالإِسْتِعَاذَةِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ الْمَطْلُوب.

فَلَايَةً وَأَنْ كَانَ الْمُخَاطَبُ فِيهَا النَّبِيَّ ﷺ إِلَّا أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا الْعُمُومُ فَهِيَ قَاعِدَةٌ كَلِيَّةٌ لِلْخَلَاصِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَلا مَخْلَصَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا بِمَا ذَكَرَهُ فِي الْآيَةِ مِنَ الْإِسْتِعَاذَةِ بِهِ تَعَالَى، بَلْ نَقُولُ إِذَا كَانَ النَّبِيُّ مَعَ عُلُوِّ شَأْنِهِ مُحْتَاجٌ إِلَى الْإِسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ فِي التَّخْلَصِ مِنْ شَرِّهِ فَمَا ظَنُّكَ بِغَيْرِ النَّبِيِّ فِهَذَا الْحُكْمُ فِي غَيْرِ النَّبِيِّ ثَابِتٌ بِطَرِيقٍ

في القرآن  
في تفسيره  
في القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

أولى وهو واضح لا خفاء فيه.

وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ  
وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ

أخبر الله تعالى في هذه الآية أَنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِهِ الدَّالَّةِ  
على خالقيته ثم نهى عن عبادة الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، ثم أمر بعبادة من خلقهن دون  
غيره فالبحث حول الآية في فصول:

**الفصل الأول:** أَنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِهِ، فالآيات جمع آية و  
هى العلامة الظاهرة و حقيقته لكل شيء ظاهر هو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره فمتى  
أدرك مدرك الظاهر منها علم أَنه أدرك الآخر الذي لم يدركه بذاته إذ كان حكمهما  
سواء و ذلك ظاهر في المحسوسات و المعقولات فمن علم ملازمة العلم للطريق  
المنهج ثم وجد العلم علم أَنه وجد الطريق و كذا إذا علم شيئاً مصنوعاً علم أَنه لأبد  
له من صانع و اختلفوا في اشتقاقها، ف قيل أَنها مشتقة من، أَي فأنها هى التى تبين  
أَنه من أي.

و قيل أَنها مشتقة من التَّابِي الذي هو التَّثْبِت و الإقامة على الشيء يقال، تَأَي أي  
ارفق أو من قولهم، أوي إليه و قيل للبناء العالى آية و منه قوله تعالى: **أَنْتَبِثُونَ بِكُلِّ  
رَبْعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ** (١).

إذا عرفت هذا فنقول، لكل جملة من القرآن دالة على حكم آية، سورة كانت أو  
فصولاً أو فصلاً من سورة و قد يقال لكل كلام منه منفصل بفصل لفظي آية فقول  
تعالى: **وَمِنْ آيَاتِهِ كَلِمَةٌ**، من، للتبعض، و فيه إشارة إلى أَنَّ اللَّيْلَ و  
النَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ بضع آيات الله فَأَنَّ الآيات الدالة على وجوده و  
جوبه و خالقيته كثيرة لا تحصى كما قيل:

بسم القرآن في تفسير القرآن

العبد الخامس عشر

جزء ٢٤



وفي كلّ شيءٍ له آيةٌ تَدُلُّ على أنّه واحدٌ

وَأَمَّا خَصُّ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمَا مِنْ عَجَائِبِ خَلْقِهِ مضافاً إلى كونهما محسوسين لكلِّ أحدٍ فلا سبيل إلى إنكارهما أصلاً وإذا كانا موجودين فلا بدّ لهما من موجِدٍ وخالقٍ أوجدتهما وهو الله تعالى وَأَمَّا قلنا لا بدّ لهما من موجِدٍ لأنّ الأثر يدلّ على المؤثّر.

فَأَنْ قُلْتُ أَيُّ دَلِيلٍ دَلَّ عَلَى أَنَّهُمَا مِنَ الْأَثَارِ حَتَّى يَقَالَ بِاحْتِيَجِهِمَا إِلَى الْمُؤَثَّرِ. قُلْتُ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُمَا مِنَ الْأَثَارِ حَدُوثُهُمَا فَأَنَّ الْأَثَرَ لَا يَكُونُ إِلَّا حَادِثًا، وَبِالْعَكْسِ فَكُلُّ أَثَرٍ حَادِثٌ وَكُلُّ حَادِثٍ أَثَرٌ، وَالْمُرَادُ بِالْحَدُوثِ تَغْيِيرُهُمَا فَاللَّيْلُ يَوْجَدُ بِذَهَابِ النَّهَارِ وَالنَّهَارُ يَوْجَدُ بِذَهَابِ اللَّيْلِ وَلَا نَعْنِي بِالْحَدُوثِ إِلَّا هَذَا، فَإِذَا ثَبَتَ التَّغْيِيرُ ثَبَتَ الْحَدُوثُ وَإِذَا ثَبَتَ الْحَدُوثُ فَهُمَا مَخْلُوقَانِ لِغَيْرِهِمَا لِأَنَّ الْحَادِثَ مُسَبُّوقٌ بِالْعَدَمِ وَإِلَّا لَا يَكُونُ حَادِثًا إِذِ الْحَدُوثُ عِبَارَةٌ عَنْ وَجُودِ الشَّيْءِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا، وَكُلُّ مُسَبُّوقٍ بِالْعَدَمِ يَحْتَاجُ إِلَى غَيْرِهِ فَثَبَتَ أَنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ خَلَقَهُنَّ اللَّهُ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

وَمَحْصَلُ الْكَلَامِ أَنَّ الْمَوْجُودَ الْمُتَغَيِّرَ الْحَادِثَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَخْلُوقًا لِغَيْرِهِ وَهَذَا مِمَّا لَا خِلَافَ فِيهِ عَقْلًا وَنَقْلًا.

الفصل الثّاني: في تفسير قوله: لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ السَّجُودَ في الأصلِ التَّطَامُنُ وَالتَّذَلُّلُ وَجَعَلَ ذَلِكَ عِبَارَةً عَنِ التَّذَلُّلِ لِلَّهِ وَعِبَادَتِهِ وَهُوَ عَامٌّ فِي الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالْجِمَادَاتِ إِذَا عَرَفَتْ هَذَا فنقول:

الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مَخْلُوقَانِ لِلَّهِ تَعَالَى كَمَا عَرَفْتَ فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ وَالْمُرَادُ بِالسَّجُودِ فِي الْآيَةِ سَجْدَةُ الْعِبَادَةِ أَيْ لَا تَجْعَلُوهُمَا مَعْبُودِينَ لِأَنْفُسِكُمْ لَا مَطْلُوقَ الْخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ وَأَنْ كَانَ الْخُضُوعُ أَيْضًا قَبِيحٌ كَمَا سَيَتَضَحَّى لَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. ثُمَّ أَنَّ الْمَخْلُوقَ لَا يَكُونُ مَعْبُودًا عَقْلًا وَنَقْلًا.

أَمَّا الْعَقْلُ فَلَا تَهَّ يَحْكُمُ بَأَنَّ حُكْمَ الْأَمْثَالِ وَاحِدٌ وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُمَا مَخْلُوقَانِ كَمَا أَنَّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

الإنسان أيضاً مخلوق و على هذا فسجود المخلوق لمخلوقٍ آخر لا معنى له إذ لا ترجيح لأحدهما من حيث أنه مخلوق على الآخر و من المعلوم أن المسجود أفضل و أشرف من السَّاجِد و فى المقام ليس كذلك و قد ثبت أن التَّرجيح بلا مَرَجَحٍ قبيحٌ عقلاً مضافاً إلى أن الشَّمْس و القمر من أصناف الجمادات و الإنسان من أصناف الحيوانات و الحيوان أشرف من الجماد فكون الجماد معبوداً للحيوان معناه تقديم المفضول على الفاضل بمرتبتين توضيح ذلك أن المخلوقات على أصنافٍ:

الأول: الملائكة.

الثانى: الجنّ.

الثالث: الإنسان.

الرابع: الحيوان.

الخامس: النباتات.

السادس: الجماد و قد يعبر عن غير الملائكة بالمواليد و كيف كان لا شك أن الجمادات أخسّ الموجودات و ذلك لأنها لا حيات لها فلا تكامل فيها بخلاف النباتات و الحيوانات و الإنسان و السَّرفيه أن في الجماد روحٌ واحدٌ و هو روح الجمادى و فى النبات روحان، جمادى و نباتى.

و فى الحيوان ثلاثة، جمادى و نباتى و حيوانى.

و فى الإنسان أربعة، جمادى و نباتى و حيوانى، و النَّفْس النّاطقة القدسيّة فالإنسان أفضل من الحيوان و الحيوان أفضل من النبات و النباتات أفضل من الجماد فخضوع الإنسان و عبادته للشَّمْس و القمر اللذين من الجمادات من أقبح القبائح.

و إن شئت قلت هو سقوط الإنسان عن مقام الإنسانيّة و لذلك قلنا أن العقل يحكم بقبح العبادة لكل مخلوق فضلاً عن مخلوقٍ هو أخسّ المخلوقات و حيث

أَنَّ الشَّمْسَ و القمرَ من أخصِّها فالمطلوب ثابت و المقصود حاصل هذا أولاً.  
ثانياً: نقول إتخاذ المعبود و الخضوع له لا يخلو، إمّا أن يكون لأجل الشُّكر  
على النُّعمة الّذي يحكم العقل بوجوبه فأَنْ شكر المنعم واجب عقلاً، و إمّا لدفع  
الضرر دنيوياً كان أو آخروياً.

و أمّا لجلب النِّفع كذلك و أمّا في غير هذه الصُّور فلا معنى لإتخاذ المعبود و  
الخضوع و العبادة له عقلاً و لا شكَّ أَنَّ الشَّمْسَ و القمر بل كلّ مخلوق غير متصفِّ  
بواحدٍ منها فضلاً عن جميعها لا يصلح للعبادة و هو واضح لا يحتاج إلى توضيح  
أكثر ممّا ذكرناه فالخضوع لهما لغو و عبث فثبت و تحقّق أَنَّ السُّجود لهما محكومٌ  
عقلاً و لذلك نهى الله عنه.

الفصل الثالث: قوله وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ و هذا الحكم أيضاً  
مؤيّدٌ بالعقل، لأنَّ شكر المنعم واجب عقلاً و لا خلاف فيه بين العقلاء و لا نعمة  
أشرف و أفضل من نعمة الوجود و الله تعالى هو المعطي للوجود فهو المنعم  
بقولٍ مطلق لا غيره كائناً ما كان فالعقل السّليم يحكم بشكر العبد لخالقه الّذي  
خلقه و لا نعني بالشُّكر إلّا معرفته و من عرفه فقد عبده.

و إن شئت قلت أَنَّ الله تعالى خلق الشَّمْسَ و القمر و غيرهما فإذا أراد العبد أن  
يتخذ لنفسه معبوداً ينبغي أن يتخذ الخالق معبوداً دون المخلوق الّذي لا يقدر  
على شيء و هو محتاج في بقاءه الى خالقه و لعلّه لهذه الدقّيقة قال: إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ  
تَعْبُدُونَ.

و قال بعض المفسّرين، معناه، إن كنتم تقصدون بعبادتكم الله فوجّهوا العبادة  
اليه تعالى دون الشَّمْسَ و القمر الّذين هما مخلوقان مثلكم، و هذا قريبٌ ممّا  
ذكرناه و أنما الاختلاف في الألفاظ و ما ذكرناه أولى و أكمل.

فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ هُمْ  
لَا يَسْمَعُونَ

بَابُ الْقُرْآنِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

أي فإن إستكبروا، يعني عبدة الشَّمْس و القمر أو جميع الكفَّار و المشركين على أصنافهم عن عبادة الله الَّذي لا إله إلا هو خالق السَّموات و الأرض و ما بينهما، فالَّذين عند ربِّكَ، و هم الملائكة، يَسْبَحُونَ له بالليل و النَّهار يعني في جميع الأوقات و هم لا يَسْأَمُونَ، أي لا يملُّون و لا يفترون عن عبادته.

و في هذا الكلام نكتة خفيّة لا بأس بالإشارة إليها و هي أَنَّ الله تعالى لا يحتاج الى عبادة العباد لأنّه غنيّ عمّا سواه و لا ينفعه طاعة من أطاعه كما لا تضرّه معصية من عصاه ولو كان محتاجاً الى التَّسبيح و التَّقديس ففي تسبيح الملائكة و تقديسهم أيّاه كفاية لكثرتهم و دوام تسبيحهم فأَنَّ عدد الملائكة لا يعلمه إلاّ الله. إن قلت، أن كان ما ذكرت من عدم إحتياجه تعالى تسبيح الخلق فلم هدّدهم و وبّخهم على كفرهم في كثيرٍ من الآيات كما لا يخفى على أحدٍ.

قلت أَنَّ الله تعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيّاً عن طاعتهم آمناً من معصيتهم و لكنّه رؤفٌ بعباده و قاعدة اللُّطف تقتضي أن يرشدهم الى الكمال المترقّب و البلوغ الى المقصد الأعلى و لذلك بعث اليهم الأنبياء واحداً بعد واحدٍ و كلّفهم بالتكاليف الشرعيّة من الصَّوم و الصَّلاة و الحَجّ و الجهاد و بالجملة فعل الواجبات و ترك المحرمات كلّ ذلك لأجل إيصالهم الى الكمال و بلوغهم الى سعادة الدارين لا لأجل الإنتفاع بعبادتهم فأَنَّ فوائد الطّاعة و الإنقياد ترجع اليهم لا اليه فالعاصي المتمرّد مبعوضٌ له لأنّه لم يعرف ربّه و لم يطعه فيما أمره به و نهاه عنه فالتهديد و التَّوْبِيخ و العذاب يوم القيامة على تمرّد العبد و طغيانه على ربّه الَّذي خلقه لا على عدم تسبيحه و تقديسه.

و أن شئت قلت التَّهْدِيد و العذاب على السَّبب لا على المسبَّب و السَّبب ليس إلاّ كفران النّعمة تبركه شكر المنعم الَّذي حكم عقله بوجوبه عليه و من كان كذلك يستحقّ العقاب قطعاً.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ  
 اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
 قَدِيرٌ

ثم قال تعالى: وَمِنْ آيَاتِهِ مَرَّ الكَلَامِ فِي مَعْنَى الْآيَةِ وَقُلْنَا هِيَ الْعَلَامَةُ فِي  
 الْمَحْسُوسَاتِ وَالذَّلَالَةِ فِي الْعَقَلِيَّاتِ وَكَلِمَةً، مِنْ، أَيْضاً لِلتَّبَعِيضِ فَأَنَّ الْآيَاتِ  
 كَثِيرَةٌ: وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا<sup>(١)</sup>.

أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً يَعْنِي دَرَسَةً وَأَنْ شَتَّتْ قَلَّتْ مَيْتَةً لَا نَبَاتَ فِيهَا:  
 فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ وَهُوَ الْمَطَرُ، أَهْتَزَّتْ أَيْ تَحَرَّكَتْ هَكَذَا قَلِيلٌ وَ  
 الْأَحْسَنُ أَنْ يُقَالَ إِرْتَفَعَتْ وَعَلَتْ وَتَزَيَّنَتْ وَرَبَتْ يَعْنِي عَظُمَتْ.

إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَعْنِي أَنَّ  
 الَّذِي أَحْيَى الْأَرْضَ بِسَبَبِ الْمَطَرِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَيْتَةً لِمُحْيِي الْمَوْتِ أَيْضاً لِأَنَّهُ قَادِرٌ  
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فِي هَذَا الْكَلَامِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ إِحْيَاءَ الْمَوْتِ يَوْمَ الْبَعْثِ لَيْسَ أَصْعَبُ  
 مِنْ إِحْيَاءِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا فَكَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحْيَاهَا بِحَيِّهِ الْمَوْتِ أَيْضاً.

شَبَّهُ إِحْيَاءَ الْأَرْضِ بِإِحْيَاءِ الْمَوْتِ وَحُكْمَ أَنَّ حُكْمَ الْأَمْثَالِ وَاحِدٌ وَلَا فَرْقَ فِي  
 الْإِحْيَاءِ بَيْنَ إِحْيَاءِ الْأَرْضِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتِ وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِعُمُومِ قُدْرَتِهِ وَقَالَ:  
 إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَتَقْرِيبَ الْإِسْتِدْلَالِ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِحْيَاءِ  
 الْمَوْتِ فَهُوَ عَاجِزٌ عَنْهُ وَالْعَجْزُ الضَّعْفُ وَهُوَ ضِدُّ الْقُدْرَةِ وَكُلُّ ضَعِيفٍ يَحْتَاجُ إِلَى  
 غَيْرِهِ وَكُلُّ مُحْتَاجٍ مُمْكِنُ الْوُجُودِ وَكُلُّ مُمْكِنٍ مَخْلُوقٌ وَقَدْ فَرَضْنَاهُ خَالِقاً قَادِراً  
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 فِي الْقُرْآنِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ  
 خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

## بَصِيرٌ

الإلحاد الإعراض عن الحقّ والميل الى الباطل يقال الحد يلحد إلحاداً فهو ملحد، أي معرض عن الحقّ، وحيث أنّ الآيات التكوينية والأنفسية كلّها دلالات على خالقها بلسان الإشارة فالإلحاد فيها الإعراض عنها وعدم التدبر والتّفكير فيها عمداً أو إنكارها بعد العلم بدالاتها وأنما قلنا عمداً إذ الإعراض لا يكون بغير عمدٍ فإن كان من غير عمد فهو غفلة والغافل لا يدخل تحت الإلحاد وستفاد من كلمة الإلحاد أنّ المراد المعرضين عن الحقّ بعد وضوحه عناداً وليس المراد المعرض عن جهلٍ وغفلةٍ وكيف كان أخبر الله في الآية أنّ الملحدين لا يخفون عليه أي أنّه تعالى يعرفهم فإنّ الخالق أعرف بالمخلوق من المخلوق نفسه وإلاّ لا يكون خالقاً، ثمّ قسم الله الناس على قسمين فقال تعالى: أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ لَأَنْ حَصَر عَقْلِي فَأَنَّ الْإِنْسَانَ أَمَّا ملحدٌ أو غير ملحدٍ وبعبارة أخرى إما أن يكون الإنسان معرضاً عن الحقّ أو لا يكون فالأول ملحدٌ والثاني غير ملحدٍ ثمّ أخبر الله تعالى أنّ الملحد يلقي في النار وغير الملحد يكون آمناً من العذاب يوم القيامة ومن المعلوم أنّ إلامن العذاب خير ممّن يلقي في النار ويعذب فيها أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ أي إذا عرفتم معنى الإلحاد في آيات الله و علمتم أنّ الملحد يلقي في النار وغير الملحد يكون آمناً يوم القيامة إعملوا ما شئتم في الدنيا ما تشاؤون من خيرٍ أو شرٍّ فإنّ الله بما تعملون فيها بصير لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وأقوالكم و نيّاتكم، فإنّا هديناكم السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا وبعبارة أخرى إنّنا لا نجبركم على عملٍ في الدُّنيا

بل

نُرشدكم

الى ما هو الحقّ وأعطيناكم العقل لتمييز الحقّ عن الباطل و بعثنا اليكم الأنبياء بالبينات وبالجملة أتممنا عليكم الحجّة الظاهرة والباطنة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عنها مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ وهذا الكلام صريح في

الإختيار بل نصّ عليه إذ لو كان العبد مجبوراً في أفعاله لا معنى لقوله: **أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ** وهو واضح وقد تكلمنا في هذا الباب سابقاً وسيأتي الكلام فيه أيضاً.

**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ**

اتفق المفسرون على أنّ المراد بالذكر القرآن وقيل سمّي ذكراً لأنه تذكر به وجوه الدلائل المؤدية الى الحق والمعاني التي يعمل عليها فيه وأصل الذكر ضدّ السهو وهو حضور المعنى للنفس **لَمَّا جَاءَهُمْ** أي حين جاءهم وخبر إنّ محذوف وتقديره أنّ الذين كفروا بالذكر هلكوا وشقوا به.

وقيل تقديره إنّ الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به فحذف لدلالة الكلام عليه هذا ما قاله في التبيان، وقال في الكشف، إنّ الذين كفروا بالذكر، بدل من قوله: **إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا** والذكر القرآن لأنهم لكفروهم به وطعنوا فيه وحرّفوا تأويله.

**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ** أي منيع محمى بحماية الله تعالى إنتهى.

أقول يظهر من كلام صاحب الكشف أنّ قوله: **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا** لا يحتاج إلى الخبر لأنه بدل من قوله: **إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا** فكأنه قيل من الذين يلحدون في الآيات، قيل أنّ الذين كفروا هم الذين يلحدون في آياتنا وأنما قلنا ذلك لأنه لم يتعرّض للخبر بعد قوله بالبدلية وهذا ممّا لا إشكال فيه.

وفي المقام قول آخر غير ما ذكرناه من الأقوال وهو أن يكون الخبر قوله: **أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ**.

وقول آخر وهو أن يكون: **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ** في موضع الخبر ولا يخفى على الناقد البصير أنّ لكل واحد من هذه الوجوه وجه وجيه، والذي يقوّي في النظر والله أعلم بما قال هو أنّ الخبر قوله: **أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ** ومعنى الآية أنّ الذين كفروا بالذكر وهو القرآن وكفروهم به إنكارهم القرآن وأنّه لكتاب عزيز، بأنّه لا يقدر أحد أن يأتي بمثله، أو أنّه عزيز بإعزاز الله إياه إذ حفظه

في آيات القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

من التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ، وَلَا يَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ الْوَاقِعُ فِيهِ، أَنَّهُ، لِلْحَالِ أَيْ وَالحَالِ أَنَّ الْقُرْآنَ لِكِتَابٍ عَزِيزٍ وَمَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَيْفَ أَنْكَرُوهُ.

لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ  
حَمِيدٍ

وصف الله القرآن بأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ذكر المفسرون في معناه أقوالاً نقلها في التبيان:

أحدها: أنه لا تعلق به الشبهة من طريق المشاكلة ولا الحقيقة من جهة المناقضة وهو الحق المخلص والذي لا يليق به الدنس.

الثاني: قال قتادة والسدي معناه لا يقدر الشيطان أن ينقص منه حقاً يزيد فيه باطلاً.

الثالث: أن معناه لا يأتي بشيء يوجب بطلانه مما وجد قبله ومعه ولا مما يوجد بعده، وقال الضحاك لا يأتيه كتاب من بين يديه يبطله ولا من خلفه حديث من بعده يكذبه.

الرابع: قال ابن عباس معناه لا يأتيه الباطل من أول تنزيله ولا من آخره.

الخامس: أن معناه لا يأتيه الباطل في إخباره عما تقدم ولا من خلفه عما تأخر إنتهى ما ذكره في التبيان من الأقوال.

وقال في الكشاف لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ مَثَلُ كَأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ وَلَا يَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا مِنْ جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهِ وَيَتَعَلَّقَ بِهِ إِنَّتْهِ.

وقال بعض المعاصرين في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه، وقوله: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ إتيان الباطل إليه وُزُودُهُ فِيهِ وَصِرُورَةُ بعض أجزائه أو جميعها باطلاً بأن يصير ما فيه من المعارف الحقّة أو بعضها غير



حَقَّةٌ أَوْ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ وَمَا يَلْحَقُهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ أَوْ بَعْضُهَا لَغِي لَا يَنْبَغِي الْعَمَلُ بِهِ وَعَلَيْهِ فَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: **مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ** زَمَانُ الْحَالِ وَالْإِسْتِقْبَالِ أَيْ زَمَانُ النَّزُولِ وَمَا بَعْدَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ جَمِيعَ الْجِهَاتِ كَالصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ كُنَايَةً عَنِ الزَّمَانِ كُلِّهِ فَهُوَ مَصْنُوعٌ مِنَ الْبَطْلَانِ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ وَ سَاقِ الْكَلَامِ إِلَى أَنْ قَالَ وَالْمَدْلُولُ عَلَى أَيْ حَالٍ أَنَّهُ لَا تَنَاقُضَ فِي بَيَانَاتِهِ وَلَا كَذِبَ فِي أَخْبَارِهِ بَطْلَانٌ يَتَطَرَّقُ إِلَى مَعَارِفِهِ وَحُكْمِهِ وَشَرَائِعِهِ وَلَا يَعَارِضُ وَلَا يَغْيِرُ بِإِدْخَالِ مَا لَيْسَ مِنْهُ فِيهِ أَوْ بِتَحْرِيفِ آيَةٍ مِنْ وَجْهِ إِلَى وَجْهِ إِنَّتَهَى.

هَذَا مَا قَالُوهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ وَالَّذِي يَقْوَى فِي النَّفْسِ أَنَّ الْمُرَادَ بِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، الْحَالُ وَالْإِسْتِقْبَالُ وَمَعْنَى الْآيَةِ لَا يَأْتِيهِ، أَيْ لَا يَأْتِي الْقُرْآنُ **الْبَاطِلُ** وَهُوَ خِلَافُ الْحَقِّ **مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ** أَيْ فِي زَمَانِ النَّزُولِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا مِنْ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَةِ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ كَالْتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالصُّحُفِ وَغَيْرِهَا. **تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** وَصِفٌ لِلْقُرْآنِ ظَاهِرًا وَلِجَمِيعِ الْكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ وَاقِعًا أَيْ كَيْفَ يَعْقِلُ أَنْ يَكُونَ بَاطِلًا مَا أُنْزِلَهُ اللَّهُ الْحَكِيمُ الْحَمِيدُ، وَعَلَى هَذَا فَالْآيَةُ وَأَنْ كَانَتْ فِي الظَّاهِرِ دَالَّةٌ عَلَى حَقَانِيَةِ الْقُرْآنِ وَأَنَّهُ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ إِلَّا أَنَّهُا فِي الْوَاقِعِ تَنْفِي الْبَطْلَانِ عَنْ جَمِيعِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَةِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: **مِنْ خَلْفِهِ** لِأَنَّ فِيهَا بَشَارَةَ نَبْوَةِ الرَّسُولِ وَنَزُولِ الْقُرْآنِ.

أَمَّا أَنَّهُ أَيْ الْقُرْآنُ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ يَصْدُقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَأَمَّا أَنَّهُ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ خَلْفِهِ فَأَنَّ الْكُتُبَ السَّمَاوِيَةَ السَّابِقَةَ قَدْ صَدَّقَتْهُ وَبَشَّرَتْ بِهِ، وَهَذَا مِمَّا لَا خِلَافَ فِيهِ هَذَا مَا فَهَمْنَاهُ مِنَ الْآيَةِ وَأُظِّنُّ أَنَّهُ أَوْفَقُ بَسْيَاقِ الْكَلَامِ وَأَنْسَبُ بظَاهِرِ أَلْفَاظِ الْآيَةِ مِنْ غَيْرِ تَصْرُِّفٍ فِيهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِكَلَامِهِ.

مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَ

## ذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ

كلمة، ما، ما يقال نافية، بإتفاق المفسرين إلا أنهم اختلفوا في القائل هل هو الكفار، أم الله تعالى على قولين:

**فعلى الأول:** معنى الآية أن ما يقول لك المشكرون من التكذيب والجحد لنبوئك ونسبة السحر إليك لا يكون مختصاً بك بل قالوا مثل ذلك أو أفحش منه للأنبيا قبلك فليس هذا أول قارورة كسرت في الإسلام فإن المنافقين والكفار المخالفين للحق لا يكونون مختصين بزمانٍ دون زمان وذلك لأن الحق مرٌّ وأمرٌ منه العمل به والكافر أو المنافق بعيدٌ عن متابعة الحق.

**على القول الثاني:** معنى الآية ما يوحى إليك من الله تعالى إلا ما يوحى الى الرُّسل من قبلك فكما أن الكفار كذبوا من قبلك من الرُّسل كذلك كذبك من كان بعدهم من أعقابهم وأتباعهم في زمانك فإن حكم الأمثال واحداً للتقديرين في الآية تسليّة للنبي في تكذيب الكفار أيّاه ثم قال تعالى: **إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَ ذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ** أي أن ربك يغفر ويعذب، يغفر لمن آمن به و برسوله ثم إهتدى، ويعذب لمن بقى على الكفر والإلحاد حتى مات عليه.

**تَنْبِيْهٌ**

يستفاد من الآية أمورٌ لا بأس بالإشارة إليها على سبيل الإجمال.

**أحدها:** أن أعداء الحق كثيرة في كل زمانٍ وأهل الحق قليل والنزاع بين الحق والباطل مستمرٌ الى يوم القيامة ثم إن أهل الباطل حيث أنه لا دين لهم ولا يخافون المعاد لعدم إعتقادهم به يؤذون أهل الحق بأفعالهم وألسنتهم وإستهزاءهم وغيرها وهذا ممّا لا شك فيه لأنه محسوسٌ حتى في زماننا هذا، وهذه السيرة الرديئة لا تنقطع الى يوم الوقت الموعود كما كانت في الأزمنة السالفة، وإذا كان الأمر على هذا المنوال فوظيفة المؤمن الصبر على الأذى أو

ترك الإيمان ومتابعة أهل الباطل في آراءهم وأفعالهم، لا سبيل الى الثاني لأن الكفر بالله و أنبياءه و شرائعه ومتابعة الشيطان يوجب خسران الدارين و هلاك الشأتين فلا محيص له إلا الصبر في طريق الحق و تحمّل أنواع المشاق من المخالف ولله عاقبة الأمور:

**الثاني:** أن الله تعالى غافر الذنب و قابل التوب كما دلّت عليه الآيات و إتفقت عليه العقول فلا نحتاج الى ذكر الآيات و الأخبار الواردة في الباب لوضوح المدعى و إتفاق الكل عليه و فيه إشارة الى أن العبد ينبغي أن لا يأس من رحمة ربه على كل حال فإن اليأس من رحمة الله من أكبر الكبائر و أعظم الذنوب.

**الثالث:** أن الله تعالى مع سعة رحمته و مغفرته من أشد المعاقبين لأن العقاب و العذاب لا يكون إلا عن غضبه فكما أن رحمته و مغفرته و عفوه لا حد له و لا نهاية كذلك غضبه لا نهاية له و حيث أن العقاب ثمرة الغضب فهو أيضاً لا حد له فهو تعالى أرحم الراحمين في موضع اللطف و الرحمة و أشد المعاقبين في موضع الغضب و النقمة.

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَ شِفَاءً وَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي أَذَانِهِمْ وَقْرٌ وَ هُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ  
أي ولو جعلنا الذكر قرآناً أعجمياً، أي بلغة غير العرب لقالوا هؤلاء الكفار لولا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أي لولا بيّنت آيات القرآن بلغة العرب فإننا عرب لا نفهم الأعجمية (قُلْ) يا محمد لهم، هو، أي القرآن لِلَّذِينَ آمَنُوا بالله و رسوله هُدًى وَ شِفَاءً هدى لكل من آمن به إلى طريق الحق و شفاء لقلوبهم من الرّيب و الشك.

وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رُسُولِهِ وَ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ عَلَيْهِ فِي أَذَانِهِمْ

وَقُرَّ أَيُّ صَمَمٍ مِنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَذَلِكَ لِعَدَمِ إِيْمَانِهِمْ بِهِ وَأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ وَهُوَ أَيُّ الْقُرْآنِ عَلَيْهِمْ عَمًى حَيْثُ خَلَوْا عَنْهُ وَلَمْ يَتَدَبَّرُوا فِيهِ فَكَأَنَّهُ عَمًى عَنْهُمْ.  
أَوَّلُكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ يُنَادُونَ بِفَتْحِ الدَّالِّ بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ وَهُوَ عَلَى وَجْهِ الْمَثَلِ أَيُّ كَأَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَلَا يَفْهَمُونَ الْمَعْنَى مِنْ حَيْثُ لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ إِذَا عَرَفَتْ تَفْسِيرَ أَلْفَاظِ الْآيَةِ فَإَعْلَمَ أَنَّ فِيهَا أَبْحَاثَ وَفَوَائِدَ:

أَحَدُهَا: قَرَأَ أَبُو بَكْرٍ وَحُمَزَةُ وَالْكَسَائِيُّ، أَعْجَمِيٌّ بِهَمْزَتَيْنِ مُخْتَصَّصَيْنِ وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَنَصْرَبْنِ عَاصِمَ وَالْمَغِيرَةَ وَهَشَامَ عَنْ أَبِي عَامِرٍ أَعْجَمِيٌّ بِهَمْزَةٍ وَاحِدَةٍ.

فَعَلَى قِرَاءَةِ الْأُولَى هَمْزَةُ الْإِسْتِفْهَامِ لِلإِنْكَارِ فَادْخُلْ حَرْفَ الْإِسْتِفْهَامِ عَلَى أَلْفِ أَعْجَمِيٍّ وَهِيَ أَلْفٌ قَطَعَ وَمِنْ حَقَّقَهَا فَلَا تَهَا الْأَصْلَ وَعَلَى هَذَا فَمَعْنَى الْكَلَامِ وَلَوْ جَعَلْنَا الذِّكْرَ قِرَاءَةً أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا أَيُّ هَؤُلَاءِ الْكَفَّارِ (أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ) أَيُّ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى أَيْ كَوْنِ الْقُرْآنِ أَعْجَمِيٍّ وَالنَّبِيِّ عَرَبِيٍّ، هَذَا مِمَّا لَا يَكُونُ وَلَا يَعْقِلُ.

وَأَمَّا عَلَى الْقِرَاءَةِ الثَّانِيَةِ فَلَيْسَتْ فِي الْكَلَامِ هَمْزَةُ الْإِسْتِفْهَامِ، بَلْ هِيَ وَاحِدَةٌ عَلَى الْخَبَرِ وَالْمَعْنَى لَوْلَا فَصَّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ، فَكَانَ مِنْهَا عَرَبِيٌّ يَفْهَمُهُ الْعَرَبُ وَأَعْجَمِيٌّ يَفْهَمُهُ الْعَجَمُ.

وَرَوَى أَنَّ قَرِيشًا قَالَتْ، لَوْلَا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ أَعْجَمِيًّا وَعَرَبِيًّا فَيَكُونُ بَعْضُ آيَاتِهِ عَجَمِيًّا وَبَعْضُ آيَاتِهِ عَرَبِيًّا فَنَزَّلَتْ الْآيَةَ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الْعَجَمِيَّ يُقَالُ لِمَنْ لَيْسَ مِنَ الْعَرَبِ فَصِيحًا كَانَ أَوْ غَيْرَ فَصِيحٍ وَالْأَعْجَمِيُّ الَّذِي لَا يَفْصَحُ سِوَاءَ كَانَ مِنَ الْعَرَبِ أَمْ مِنَ الْعَجَمِ فَالْعَجَمُ ضِدُّ الْفَصِيحِ وَهُوَ الَّذِي لَا يَبِينُ كَلَامَهُ وَيُقَالُ لِلْحَيَوَانِ غَيْرِ النَّاطِقِ أَعْجَمُ.  
وَالْحَاصِلُ أَنَّ الرَّجُلَ الْعَجَمِيَّ الَّذِي لَيْسَ مِنَ الْعَرَبِ قَدْ يَكُونُ فَصِيحًا بِالْعَرَبِيَّةِ،

و قد يكون العربي غير فصيح وإن شئت قلت كل إنسان لا يكون من العرب فهو من العجم فالأعجمي والعرب متقابلان.

**الثالثة:** أن قوله: **لَوْلَا فَصَّلْتُ آيَاتَهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ** حكاة الله تعالى عن الكفار أي لو جعلنا القرآن أعجمياً لقالوا ذلك وفيه نكتة خفية لم يتدبروا فيها وهي أن هؤلاء الكفار لعنادهم وخبث طبيعتهم لا يؤمنون بالقرآن وأنه منزل من عند الله أبداً وذلك لأن القرآن أنزلناه عربياً قالوا هذا أساطير الأولين ولم يؤمنوا به فلو جعلناه أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أيكون القرآن أعجمياً والنبي عربي.

**الزابعة:** **قُلْ هُوَ الَّذِي هَدَىٰ وَ شَفَاءُ** أثبت الله تعالى للقرآن وصفين لمن آمن به فقال أنه هدى وشفاء للمؤمنين.

أما أنه هدى، فلائه يهديهم إلى طريق الحق.

وأما أنه شفاء، أي شفاء لمرض الجهل والشك و أنما خصّ الوصفين بالمؤمن لأن غير المؤمن لا ينتفع به لعدم قابليته وقد ثبت في العلوم العقلية أن من شرائط تأثير العلة في المعلول أن يكون المعلول قابلاً للتأثر ومستعداً له يكفي في تحقق التأثير وجودهما فقط ألا ترى أن النار لا تحرق الحجر و تحرق الخشب حتى أن القابلية الذاتية أيضاً لا تكفي بل عدم المانع شرط في التأثير فأً الخشب قابل للإحترق ذاتاً وأما إذا كان رطباً لا يقبل الإحترق لوجود المانع وهو الرطوبة إذا عرفت هذا فنقول:

قلب الإنسان بمنزلة المعلول والقرآن بمنزلة العلة، والقلب بما هو هو مستعد وقابل للقبول ذاتاً وإلا يلزم التكليف بما لا يطاق وأن شئت قلت بالمحال وقد قال تعالى: **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** فلو كان قلب الكافر غير قابل للإهداء ذاتاً بحسب الخلقة فلم يقبل الهداية فلا ذنب له و أنما الذنب ثابت لخالقه الذي خلقه غير قابل للإهداء وقبول الإيمان وهو الجبر الذي حكم العقل والنقل بإستحالة ولا يجوز لخالقه أن يكلفه بالتكليف لأن المفروض أنه

خلقه غير قابل للإهتداء ذاتاً.

و حيث أننا نرى أن الله تعالى كلف العبد بقبول الإيمان و لذلك أرسل الرُّسل و أنزل الكتب نعلم علماً قطعياً أنه أي العبد قابل للإهتداء مستعد لقبول الإيمان ذاتاً، و أنما المانع من قبول الإيمان و متابعتة الحق هو كفره و عناده و هما عرضا على قلبه لا خلقهما الله فيه فيمكن للعبد إزالتهما عن قلبه بإختياره كما أثبتهما فيه كذلك و هذا أي وجود الكفر و العناد و اللجاج هو المانع عن قبول التأثير بأيات الله و مواعظ أنبياءه و لأجل ذلك كلفهم الله بالإيمان.

فالإيمان شرط في قبول الإهتداء و الكفر مانع منه و رفع المانع بإختيار العبد و بعد رفع المانع يتحقق الشرط فيتحقق التأثير و التأثير و لأجل ذلك قال تعالى: قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى لا لغيرهم ممن لم يؤمنوا.

الخامسة: قوله: وَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي أَذَانِهِمْ وَقْرٌ وَ هُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى الوقر الثقل و أنما قال في أذانهم وقْر، لأن تأثير الكلام في القلب من طريق السمع فإذا لم يسمع الإنسان شيئاً كيف تأثر قلبه.

و في التعبير بالوقر إشارة إلى أنهم بمنزلة ذلك من حيث عدم إنتفاعهم بالقرآن فإذا لا فرق بينهم و بين من في أذانهم وقْر واقعاً لأن الملاك و هو عدم الإنتفاع فيهما على السواء فأَيُّ فرق بين من لا يسمع أصلاً و بين من سمع و لم يترتب على إستماعه أثر و لذلك قال هو، أي القرآن عليهم عَمًى، حيث ضلُّوا منه و لم يتدبروا فيه فكأنه عَمًى لهم و هذا حكم ثابت في جميع الأعضاء من السمع و البصر و القلب و غيرهما فأن الغرض الأصلي في جعل هذه الأعضاء هو ترتيب الآثار عليها لا مجرد الإدراك بها كيف إتفق، و هذا هو الفرق بين الإنسان و الحيوان، و إلا فالإدراك ثابت للحيوان أيضاً بل هو في الحيوان أقوى منه في الإنسان كما هو ظاهر.

و إلى هذا المعنى أشار الله تعالى بقوله: وَ لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَ

الْإِنْسَ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ<sup>(١)</sup>.  
ولذلك قال الله تعالى: أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ أَمَّا ذَكَرَهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِ الْمَثَلِ، أي مثل هؤلاء الكفار مثل من يسمع الصَّوت من مكانٍ بعيدٍ ولا يفهم المعنى وهو واضح.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ  
ولقد آتينا موسى الكتاب، وهو التَّوراة (فَاخْتَلَفَ فِيهِ) في حياته بأن أمن به قومٌ وكذَّب قومٌ وفي مماته بتحريفه و تغييره عما كان عليه.  
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ فِي إِمهَالِهِمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) بتعجيل العذاب عليهم وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ أي شديد الرِّيبَةِ في أنه منزلٌ من عند الله.

والمقصود من هذه الآية هو أنَّ إختلاف النَّاسِ في قبول الكتاب والإيمان به وعدم القبول لا يختص بقومك بل كان هذا في الأمم السَّالفة أيضاً إلا أنا نمهل قومك في الدُّنْيَا وأُخْرنا عذابهم إلى يوم القيامة وذلك لأنَّ الدُّنْيَا دار العمل والأخرة دار الجزاء ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

قال بعض المفسرين في الآية تسليَةً لِلنَّبِيِّ عَنْ جُحُود قَوْمِهِ وَإِنْكَارِهِمْ نَبَوَّتِهِ فَقَالَ لَهُ تَسْلِيَةٌ لَهُ <sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> لَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ، وهو تأخير العذاب إلى يوم القيامة، لقضي بينهم، يعني بحلول العذاب عليهم.

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢٤

المجلد الخامس عشر

## لِلْعَبِيدِ

من عمل صالحاً، أي فعل فعلاً هو طاعة، هكذا قيل، والحق أن العمل الصالح أعم من ذلك وهو كل عمل يحكمه بصلاحه العقل والشرع، فَلِنَفْسِهِ أي ثوابه يرجع إليه وَمَنْ أَسَاءَ أي عمل عملاً غير صالح فعلها، أي فعلى ضرر نفسه لأن ثمره إساءة الفعل راجعة إليه وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ فَأَنْهَمُ كانوا أنفسهم يظلمون.

وحاصل معنى الآية أن الثواب في الآخرة والمدح في الدنيا وهكذا العقاب والذم يترتبان على العمل و يرجعان إلى صاحبه أن خيراً فخيئراً وإن شراً فشرأ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وقد مرّ نظير هذه الآية مراراً وتكلمنا فيها فلا نحتاج إلى الإطالة في المقام.

هذا تمام الكلام في الجزء الرابع والعشرين و يتلوه الجزء الخامس والعشرون إن شاء الله تعالى ونسأل الله أن يوفقنا لإتمام بقية أجزاءه بمحمد وآله الطاهرين.





**الجزء**

**الخامس والعشرون**



إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ  
 مِنْ أَكْثَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ  
 إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءِي قَالُوا  
 أَذُنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (٤٧) وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا  
 كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ  
 مَحْصَصٍ (٤٨) لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ  
 الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَوْسُقْ فَنُوطُ (٤٩) وَ  
 لَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ  
 لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَ  
 لَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى  
 فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ  
 مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى  
 الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَ نَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ  
 فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٥١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ  
 عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي  
 شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٢) سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ  
 فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ كَمْ  
 يَكْفُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلَا  
 إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ

## شَيْءٌ مُحِيطٌ (٥٤)

## ◀ اللُّغَةُ

الْسَّاعَةُ: هي في الأصل جزء من أجزاء الزَّمان و يعبرُ بها عن القيامة تشبيهاً بذلك لسرعة حسابه.

ثَمَرَاتٍ: جمع ثمرة و التَّاء للوحدة و الثَّمَرُ اسمٌ لكلِّ ما يَتَطَّعم من أعمال الشَّجر الواحدة ثمرة و الجمع ثمار و ثمرات.

أَكْمَامُهَا: جمع كمّ بكسر الكاف و هو ما يغطى الثمرة و قيل واحدها كمّة، بكسر الكاف الطَّرَف المحيط بالشَّيْء و المراد بها هاهنا ليف النَّخيل، قاله الحسن. أَذْ نَاكَ: يقال أذن يؤذن، إذا أعلم و منه الأذان و هو الإعلام، و المعنى أعلمناك. لَا يَسْتَمُّ السَّامُ المَلالة أي لا يملّ من دعاءه بالخير. فَيَوْسُ قَنُوطٌ: اليأس إنتفاء الطَّمع و القنوط اليأس من الخير يقال قنط يقنط قنوطاً إذا يأس.

نَا: أي بعد بجانبه كبيراً.

شِقَاقٍ: الشَّقَاق الميل إلى شقّ العداوة لا لاجل الحقّ.

## ◀ الإِعْرَابُ

وَمَا تَحْمِلُ مَا، نافية لأنّه عطف عليها وَ لَا تَضَعُ ثُمَّ نَقَضَ النَّفْيَ بِالْأَمْ، ولو كانت بمعنى، الَّذِي، معطوفة على السَّاعَةِ لم يستقيم ذلك أَذْ نَاكَ هذا الفعل يتعدى إلى مفعول بنفسه و إلى آخر بحرف جرٍّ و دُعَاءٍ الْخَيْرِ مصدر مضاف إلى المفعول و الفاعل محذوف لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي جواب الشَّرْط و الفاء محذوفة بِرَبِّكَ هو فاعل يَكْفٍ و المفعول محذوف أي ألم يكفك ربك أَنَّهُ في موضع البدل من الفاعل.

## ◀ التفسير

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْثَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَثْقَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءِي قَالُوا أَدْثَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ

الظاهر أَنَّ الصَّمِيرَ فِيهِ، إِلَيْهِ، رَاجِعٌ إِلَى الرَّبِّ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ وَالْمَعْنَى إِلَى الرَّبِّ أَوْ إِلَى اللَّهِ يَرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا الْجَزَاءُ لِلْمَطِيعِ وَالْعَاصِيِ وَمَعْنَى رَدُّ الْعِلْمِ إِلَيْهِ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ حِينَ وَقْتُ السَّاعَةِ إِلَّا هُوَ قِيلَ أَنَّ الْكَفَّارَ قَالُوا يَا مُحَمَّدُ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَخَبِّرْنَا مَتَى قِيَامُ السَّاعَةِ فَنَزَلَتْ الْآيَةُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي وَقَدْ أَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْكِتَابِ.

قال الله تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِيهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: أَوْ تَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ<sup>(٤)</sup>.

قال الله تعالى: يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا<sup>(٥)</sup>.

وغيرها من الآيات و أنت ترى أَنَّ جميع الآيات مشعراً أو مصرحاً بأنَّ علم الساعة عند الله و قد تظافرت الروايات أيضاً بذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

١- ٢ يوسف = ١٠٧

٢- الحج = ٧

١- الأعراف = ١٨٧

٣- النحل = ٧٧

٥- الأحزاب = ٦٣

منها، ما رواه في البحار بأسناده عن الصادق عليه السلام: قال عيسى لجبرئيل متى قيام الساعة فإنتفض جبرئيل إنتفاضة أغمي عليه منها فلما أفاق قال ياروح الله ما المسئول أعلم بها من السائل وله من في السموات والأرض لا تأتیکم إلا بغتة إنتهى.

و الأخبار كثيرة سیأتی بعضها فی المستقبل إن شاء الله تعالى.  
وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمامِهَا الْوَاوِلِّ لِلْعُطْفِ أَيْ وَإِلَيْهِ يَرْدُ عِلْمُ مَا تَخْرُجُ مِنْ أَكْمامِهَا أَيْضاً مِنْ الثَّمَرَاتِ قُلْنَا فِي شَرْحِ اللَّغَاتِ أَنَّ الْأَكْمامَ جَمْعُ كَمٍّ، بِكَسْرِ الْكَافِ أَوْ جَمْعُ كَمَّةٍ وَهُوَ الطَّرْفُ الْمُحِيطُ بِالشَّيْءِ.  
و قال الحسن الأكمام هاهنا ليف التخيل و قيل من أكمامها معناه خروج الطلع من قشره و كيف كان لا علم بما تخرج من الأكمام إلا لله تعالى و بعبارة أخرى العلم به مختص به.

وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ هَذَا أَيْضاً مُعْطُوفٌ عَلَىٰ مَا قَبْلَهُ أَيْ لَا يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَىٰ مِنْ ذِكْرِ أَوْ أُنْثَىٰ.

قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ <sup>(١)</sup>.

و قوله: وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ هَذَا أَيْضاً مُعْطُوفٌ عَلَىٰ مَا قَبْلَهُ أَيْ كَمَا أَنَّهُ عَالِمٌ بِمَا تَحْمِلُ أُنْثَىٰ كَذَلِكَ هُوَ عَالِمٌ بِوَضْعِ حَمْلِهَا أَيْ يَعْلَمُ حِينَ وَ زَمَانَهُ، وَيَسْمَىٰ هَذَا الْعِلْمُ بِالْعِلْمِ الْمَكْنُونِ وَ الْمُخْزُونِ وَ الْمُسْتَوْرِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ.

و قوله: وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءِي قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ أَيْ يَوْمَ يَنَادِيهِمْ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، مَنَادٍ، إِيخْتَلَفُوا فِي الْمَنَادِي فَقِيلَ هُوَ اللَّهُ وَ قِيلَ هُوَ الْمَلَائِكَةُ، فَيَقُولُ الْمَنَادِي لَهُؤْلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، أَيْنَ شُرَكَائِي، قَالُوا فِي الْجَوَابِ أَدْنَاكَ

أي أعلمناك ما ممّا من شهيد، أي لا شاهد لنا و قيل معناه ما ممّا أحد ليشهد بأن لك شريكاً وذلك لأنهم لما عاينوا القيامة تبرأوا عن الأصنام والأوثان و تبرأت الأصنام منهم كما تقدّم هذا المعنى في غير موضع.

وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَ ظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ  
 قيل الظنّ في الآية بمعنى اليقين والمعنى، وضلّ عنهم، أي بطل عنهم، ما كانوا يدعون، أي يعبدون، من قبل، أي في الدّنيا و علموا و أيقنوا ما لهم من محيص، أي من مخلص و لات حين مناصب.

لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَوْسُقْ قَنُوطُ  
 أشار في هذه الآية إلى سرعة حال الإنسان و تقلّبه من حالٍ إلى حالٍ و ذلك لأنّه لا يسأم و لا يملّ من دعاء الخير من طلب المال أو صحّة الجسم و قيل معناه لا يملّ من الخير الذي يصيبه في الدّنيا، و أمّا إن مسّه الشرّ كال فقر و المرض و الإبتلاء بالمصائب فيؤسّ قنوط أي يقنط من رحمة الله و ييأس من روحه.

و حاصل المعنى عدم رضا العبد بقضاء الله و قدره بمعنى أنّه إذا كان القضاء موافقاً لطبعه و ميله فهو راضٍ به و إلّا فلا و من المعلوم أنّ هذا الحكم بإعتبار الأغلب و الأكثر كما هو شأن أكثر الأحكام لولا جميعها و إلّا فال مؤمن الرّاضي بقضاءه و قدره ليس كذلك لأنّه متوجّه إلى قوله تعالى:

وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ <sup>(١)</sup>.

و على هذا فكلّ شيء ممّا قدره الله لعبده فهو خيرٌ له فإنّ الله أعلم بمصالح العبد منه و أمّا من لا إيمان له أو ضعف إيمانه فهو كما أشار الله تعالى في الآية و قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ.

نبأ القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ  
الدُّوق وجود الطَّعم بالفم وأصله فيما يقل تناوله دون ما يكثر فإن ما تكثر منه يقال له الأكل وأختير في القرآن لفظ الدُّوق في العذاب لأن ذلك وأن كان في التعارف للقليل فهو مستصلح للكثير أيضاً فخصه بالذكر ليعم الأمرين وكثر استعماله في العذاب.

قال الله تعالى: ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: وَ نَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْخَرِيقِ<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ<sup>(٣)</sup>.

ومعنى الآية وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ أَي أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ كَالصَّحَّةِ بَعْدَ الْمَرَضِ وَالْغِنَى بَعْدَ الْفَقْرِ وَالْعِزَّ بَعْدَ الذُّلِّ لَيَقُولَنَّ الْإِنْسَانُ هَذَا لِي، أَي أَنَا حَقِيقٌ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ وَهِيَ حَقٌّ لِي وَمِنْ أَحَقِّ بِهَا مِنِّي.  
وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ وَالْقِيَامَةَ قَائِمَةً لِلْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي بَعْدَ الْمَوْتِ إِنَّ لِي عِنْدَهُ أَي عِنْدَ رَبِّي لِلْحُسْنَى يَعْنِي الْجَنَّةَ أَوْ مَطْلُقَ الثَّوَابِ.

فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا الْإِنْبَاءَ الْإِخْبَارَ وَمِنْهُ النَّبِيُّ لِأَنَّهُ يَخْبِرُ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى أَي وَلَنُخَبِّرَنَّ الْكَفَّارَ بِمَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ أَي وَلَنُجْزِيَنَّهُمْ بَعْدَ أَنْ نَعْلَمَهُمْ مَا عَمِلُوا مِنْ كُفْرِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ ثُمَّ نَجَازِيَهُمْ عَلَيْهَا بِأَنْ نَذِيقَهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ أَي شَدِيدٍ مُوجِعٍ.



وَ إِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَ نَا بِجَانِبِهِ وَ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَدَّوْ دُعَاءٍ عَرِيضٍ

الواو للعطف فَأَنَّ هذه الآيات تحكي عن حالات الإنسان و تطوّراته و إنتقاله من حالٍ إلى حالٍ و عدم ثباته على حالةٍ واحدة و إلى ذلك أشار تعالى بقوله: وَ إِذَا أَنْعَمْنَا آيَةً نِعْمَةٍ كَانَتْ عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ الإعراض الإِدْبَارُ أي أعرض عن الحمد و الشُّكر لخالقه و منعمه وَ نَا بِجَانِبِهِ أي بعد بجانبه كبراً و تجبراً عن الإعراف بنعم الله و الشُّكر له و قيل معناه، بعد عن الواجب عليه. و لعلَّ المراد وجوب شكر المنعم عقلاً وَ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ وَ هو النُّقْمَةُ كالمرض و الفقر فَدَّوْ دُعَاءٍ عَرِيضٍ أي يدعو الله كثيراً عند ذلك فَأَنَّ العريض كناية عن السَّعة و الكثرة.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ

قُلْ، يَا مُحَمَّدُ لهؤلاء الكفار أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مَا أُعْطِيتُمْ مِنَ النِّعَمِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ أي كفرتم بما أنعم الله عليكم مَنْ أَضَلُّ و أغوى مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ الشَّقَاقُ الميل الى شقِّ العداوة، و قوله: بَعِيدٍ أي بعيدٌ عن الحقِّ، و من أَضَلُّ مِمَّنْ أنكر حكم العقل بوجوب شكر المنعم و أي شيءٍ أَقْبَحُ من كفران النعمة.

سَرِّبْهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

قد مرَّ الكلام في الآية و قلنا هي العلامة و الدلالة في المحسوسات و الآيات كثيرة وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا<sup>(١)</sup> إذا عرفت هذا فأعلم أنَّ الألفاظ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢٥

الجزء الخامس عشر

موضوعة للمعاني العامة فالآية موضوعة لكل شيء يدلنا على المقصود والمدلول سواء كان الشيء مادياً أم مجرداً معقولاً أو محسوساً وعلى هذا فالآية الدالة على وجود الخالق لا تنحصر بآية خاصة ولذلك قيل.

و في كل شيء له آية  
ثم أن الآيات على قسمين:

تدويني، و تكويني:

فالتدويني هو ما بين الدفتين المسمى بالقرآن، من قرأ إذا جمع باعتبار وجودها الجمعي، و الفرقان باعتبار وجوده الفرقي المنزل من عند الله عز وجل على نبيه المرسل و أما سميت بالتدويني لأنها دوت في الكتاب.

و أما الآيات التكوينية فهي على قسمين:

أفاقي و أنفسي:

و المراد بالأفاقي كلية العالم و قيل هو كتاب المبين و أم الكتاب و كتاب الإثبات.

قال الله تعالى: **يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** <sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: **و لَا رَطْبٌ وَ لَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** <sup>(٢)</sup>.

و المراد بالأنفسي النفوس الموجودة، في الأبدان قال رسول الله ﷺ: من عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ، و لا آية في عالم الوجود أظهر و أدل على وجود الخالق و صفاته من النفس، و لذلك قال الباقر عليه السلام: و لا معرفة كمعرفتك نفسك، وللمبحث فيه مقام آخر، إذا علمت ما تلوناه عليك.

فنقول قوله: **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** معناه سنريهم آياتنا في الأفاق، يعني بالبصر و في أنفسهم يعني بالبصيرة و الرؤية القلبية لأن الآيات الأنفسية لا يمكن رؤيتها بالبصر وإلى هذا

المعنى أشير في الكتاب بقوله: **وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**<sup>(١)</sup> أي أفلا تبصرون بالرؤية القلبية التي تحصل للإنسان بعد التفكير والتدبر وإمعان النظر والمقصود من الآية أنَّ الإنسان كيف ينكر ربَّه مع وجود هذه الآيات الكثيرة.

قال بعض المحققين في معنى هذه الآية ما هذا لفظه يعني سأكحل عين بصيرتهم بنور توفيقى و هدايتى ليشاهدوا بها في مظاهري الأفاقية و ألا نفسيه مشاهدة عيان حتى يتبين لهم أنه ليس في الأفاق و لا في الأنفس إلا الوصفاتي و أسمائي و أنا الأول و الآخر و الظاهر و الباطن ثم أكد بقوله أو لم يكف على سبيل التعجب.

قال أميرالمؤمنين **عليه السلام**: **أَنَّ اللَّهَ تَجَلَّى بِعِبَادِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ رَأَوْهُ وَأَرَاهُمْ نَفْسَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَجَلَّى لَهُمْ.**

فقوله **عليه السلام**: تجلّى لعباده أي أظهر ذاته في مرآة كلّ شيء يمكن أن يرى رؤيته عيان من غير أن رأوهم بهذا التجلّي رؤية عيان لعدم معرفتهم بالأشياء من حيث مظهريّتها له، و أراهم نفسه أي أظهرها لهم في آيات الأفاق و الأنفس من حيث أنّها شواهد ظاهرة له دلالات باهرة عليه فرأوه رؤية علم و عرفان.

وقوله **عليه السلام**: (من غير أن يتجلّى لهم) أي من غير أن يظهر ذاته فيها عياناً بحيث يعرفون أنّها مظاهر له و مرايا لذاته و أنّه الظاهر فيها بذاته إنتهى كلامه.

أقول قال أميرالمؤمنين **عليه السلام**: ما رأيت شيئاً إلّا و رأيت الله قبله و بعده و معه.

ولنعم ما قيل بالفارسيّة:

دلی کز معرفت، نور و صفا دید به هر چیزی که دید اول خدا دید

و قال سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، الحسین ابن علی (صلوات الله علیهما) فی دعاء العرفة:  
 کَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ، أَيْکُونُ لِغَيْرِكَ  
 مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهَرُ لَكَ، مَتَى غَبَتْ حَتَّى  
 نَحْتَاجَ إِلَيَّ دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ وَ مَتَى بَعُدَتْ حَتَّى تَكُونَ الْآثَارُ هِيَ الَّتِي  
 تُوصِلُ إِلَيْكَ، عَمِيَتْ عَيْنٌ لَا تَرَكَ عَلَيْهَا رَقِيباً وَ خَسِرَتْ صَفَقَةٌ  
 عَبْدٌ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيباً.

و قد شرحنا هذه الكلمات في شرحنا على دعاء عرفة بما لا مزيد عليه.

و قال عليه السلام في موضع آخر: تعرّفت لكل شيء فما جهلك شيء.

و قال عليه السلام: تعرّفت إلي في كلّ شيء فرأيتك ظاهراً في كلّ شيء.

و روي الصدوق بأسناده في كتاب التوحيد عن أبي بصير قال:  
 قلت لأبي عبد الله عليه السلام أخبرني عن الله عزّ وجل هل يراه  
 المؤمنون يوم القيامة قال عليه السلام: نعم، و قد رأوه قبل يوم القيامة  
 فقلت متى قال عليه السلام: حين قال لهم ألسن برّ بكم قالوا بلى، ثمّ  
 سكت عليه السلام ساعة ثمّ قال و أنّ المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم  
 القيامة ألسن تراه في وقتك هذا قال: أبو بصير فقلت له جعلت  
 فداك أفأحدث بهذا عنك فقال عليه السلام: لا فأنتك إذا حدثت به فأنكره  
 منكراً جاهل بمعنى ما تقول ثمّ قدر أنّ هذا تشبيه كفر و ليست  
 الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين تعالى عمّا يصفه المشبهون  
 الملحدون إنتهى.

و عن الكاظم عليه السلام: ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه احتجب  
 بغير حجابٍ محبوب و أستتر بغير سترٍ مستور انتهى.

و لنعم ما قيل في الفارسيّة:

أز فريب نقش نتوان خامه نقّاش دید

ورنه در این سقف زنگاری یکی در کار هست

قال بعض أهل المعرفة، أن العالم غيب لم يظهر قطّ والحقّ تعالى هو الظاهر ما غاب قطّ والناس في هذه المسئلة على عكس الصواب فيقولون العالم ظاهر والحقّ تعالى غيب وقد عافى الله تعالى بعض عبده عن هذا الداء وقد قال الله تعالى في كتابه: **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ** والكلام في الباب طويل والبحر عميق ولنعم ما قيل:

در آين ورطه كشتی فروشد هزار

نـباشد آزان تـخته آي بـر كنار

وقد ورد في الأخبار إذا بلغ الكلام إلى الله فأمسكوا فنحن أمسكنا من الكلام وقلنا لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً والحمد لله رب العالمين.

وأما قوله تعالى: **حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** معناه تبين لهم أنه الحق الذي لا سبيل للبطلان إليه أو أنه الحق الذي قائم بذاته وما سواه قائم به أو هو الذي منزلة عن التغير والحدوث وأمثال ذلك من التعابير فإن الحق يطلق على جميعها والله تعالى حق من جميع الجهات وقوله: **أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** فالهزمة للإستفهام الإنكاري أي يكفي ربك.

قال بعضهم الباء زائدة والتقدير أو لم يكف ربك أنه عالم بجميع الأشياء. وقال الآخر معناه أليس في الله كفاية في معاقبة هؤلاء الكفار على كفرهم إذ كان عالماً بكل شيء مشاهداً لجميع ما يفعلونه قادراً على مجازاتهم عليه وكما أنه شهيد على ذلك هو شهيد على جميع الحوادث ومشاهد لجميعها وعالم بها لا يخفي عليه شيء من موضعها ذكره في التبيان.

وقال صاحب الكشف **بِرَبِّكَ** في موضع الرفع على أنه فاعل (كفى) و**أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** بدل منه وتقديره (أو لم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد) ومعناه أن هذا الموعود من إظهار آيات الله في الأفاق أنفسهم سيرونه وشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد إلى آخر ما قال إنتهى موضع الحاجة من كلامه.

بَابُ الْقُرْآنِ فِي تَفْسِيرِهِ

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

أقول ما ذكروه في المقام لا بأس به إلا أنه ليس من تفسير الآية بشئ، وذلك لأن الله تعالى لما قال في صدر الآية، سَنُرِيهِمْ أَي سَنُرِي الكَفَّارَ الْمُنْكَرِينَ للتَّوْحِيدِ، أو سنري جميع المرتابين و الشَّاكِّين في توحيد الله، آياتنا في الأفاق و في أنفسهم، يعني سنريهم آياتنا الأفاقية و الأنفسية حتَّى يتبين لهم أَنَّهُ الْحَقُّ، أي حتَّى يظهر أَنَّهُ تعالى هو الْحَقُّ الثَّابِت الدَّائِم الَّذِي لا سبيل للبطلان إليه.

ثم قال على سبيل التعجُّب أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ على سبيل الإنكار أي يكفي في إثبات وجوده وصفاته و أَنَّهُ خالق جميع الأشياء شهوده و حضوره معهم و أَنَّهُ ليس بغائب عنهم كما قال تعالى: وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ.

و بعبارة أخرى، و هو أقرب إليكم من حبل الوريد، و لتوضيح ذلك نقول، الشُّهُود و الشَّهادة الحضور مع المشاهدة إمَّا بالبصر أو بالبصيرة و قد يقال للحضور مفرداً كقوله تعالى: غَالِمٌ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةُ لکن الشُّهُود بالحضور المجرد أولى كما أَنَّ الشَّهادة مع المشاهدة أولى و لذلك قال أَنَّهُ على كُلِّ شَيْءٍ شهيد و لم يقل أَنَّهُ شاهد على كُلِّ شَيْءٍ، أو على كُلِّ شَيْءٍ شاهد، فالمشهود في الآية بمعنى الحضور فقوله على كُلِّ شَيْءٍ شهيد، أي حاضرٌ مع كُلِّ شَيْءٍ و في كُلِّ مَكَانٍ و زمانٍ لا غائب عنه و هذا معنى قول سيد الشهداء عَلَيْهِ السَّلَام: متى غَبَّت حتَّى تحتاج إلى دليلٍ يدلُّ عليك و متى بعدت حتَّى تكون الآثار هي الَّتِي توصل إليك، و إذا كان الأمر على هذا المنوال فمعنى الآية يكفي في كونه حقاً حضوره معك أينما كنت فلا تحتاج إلى دليلٍ آخر لو كنت عاقلاً و لهذا جئنا الكلام بالإستفهام الإنكاري ولنعم ما قيل بالفارسية:

سألها دل طلب جام جم از ما می‌کرد

آنچه خود داشت ز بیگانه تَمَنَّا می‌کرد

گوهری کر صدف کون و مکان بیرون بود

طلب از گمشدگان لب دریا می‌کرد

بیدلی در همه احوال خدا با او بود  
او نمی دیدش و از دور خدایا می کرد

أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ مَا تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِيهِ أَخْبَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ  
الْكَفَّارَ الْمُنْكَرِينَ لِلْحَقِّ فِي شَكٍّ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ، أَيَّ مِنْ لِقَاءِ ثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ لِإِنْكَارِهِمُ  
الْبَعْثَ وَ النَّشُورَ فَمَنْ أَنْكَرَ اللَّهَ أَنْكَرَ الْبَعْثَ بِطَرِيقٍ أَوَّلَى وَ أُنْثَمَا فَسَّرَ الْمَفْسَّرُونَ لِقَاءَ  
الرَّبِّ بِلِقَاءِ ثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ لِأَنَّ اللَّقَاءَ الْحَقِيقِي فِي حَقِّهِ تَعَالَى مُحَالٌ فِي الدُّنْيَا وَ  
الْآخِرَةِ.

و قال بعض المفسرين:

الَّذِي يَفِيدُهُ سِيَاقُ الْآيَةِ هُوَ أَنَّ فِيهَا تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ بِالْإِحْتِجَاجِ عَلَى  
وَحْدَانِيَّتِهِ بِكَوْنِهِ شَهِيدًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ أَقْوَى بِرَاهِينِ التَّوْحِيدِ وَ أَوْضَحُهَا لِمَنْ  
تَعَقَّلَ لِأَنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ وَ شَكٍّ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ غَيْرَ مُحْجُوبٍ بِصِفَاتِهِ وَ أَعْمَالِهِ عَنْ شَيْءٍ  
مِنْ خَلْقِهِ إِنْتَهَى.

أَقُولُ: مَا ذَكَرَهُ لَا بَأْسَ بِهِ وَ قَدْ تَحَصَّلَ مِنْ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ أَنَّ الْكُفْرَ إِذَا ضَمَّ بِهِ  
الْعِنَادَ وَ الدَّلَّاجَ لَا فَائِدَةَ فِي الْإِحْتِجَاجِ وَ إِقَامَةِ الْبِرْهَانِ عَلَى إِثْبَاتِ الْمَدْعَى فَإِنَّ  
الْمَعَانِدَ كَثِيرًا مَا يَنْكَرُ الْحَقَّ بِلِسَانِهِ وَلَوْ كَانَ مُعْتَقِدًا بِقَلْبِهِ وَ هَذَا دَاءٌ لَا دَوَاءَ لَهُ إِلَّا مِنْ  
أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ عَنِ الْأَفَاتِ.

وَ أَمَّا قَوْلُهُ: أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ فَمَعْنَاهُ وَاضِحٌ إِذْ الْخَالِقُ مُحِيطٌ  
بِمَخْلُوقِهِ وَ إِلَّا لَا يَكُونُ خَالِقًا لَهُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر





## سُورَةُ الشُّورَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْ (١) عَسَقَ (٢) كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى  
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) لَهُ مَا  
فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ  
الْعَظِيمُ (٤) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطُّنَ مِنْ  
فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ  
يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ  
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ  
أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ  
بِوَكِيلٍ (٦) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا  
لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ  
الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ  
فِي السَّعِيرِ (٧) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً  
وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ  
الظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٨) أَمْ  
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَ  
هُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

(٩) وَ مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى  
 اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ  
 (١٠) فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ  
 أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا  
 يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ  
 الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ  
 عَلِيمٌ (١٢) شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ  
 نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ  
 إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ  
 لَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ  
 إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ  
 مَنْ يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا  
 جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ  
 مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ  
 الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ  
 مِنْهُ مُرِيبٍ (١٤) فَلِذَلِكَ قَادَعُ وَاسْتَقِيمَ كَمَا  
 أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَ قُلْ أَمِنْتُ بِمَا  
 أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ  
 اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ  
 لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ  
 الْمَصِيرُ (١٥) وَالَّذِينَ يُخَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ

بَعْدَ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِندَ  
 رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ  
 (١٦) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْ  
 الْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧)  
 يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ  
 آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا  
 إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ  
 بَعِيدٍ (١٨) اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ  
 وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (١٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ  
 الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ  
 حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ  
 مِنْ نَصِيبٍ (٢٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ  
 مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ  
 الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ  
 عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا  
 كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا  
 يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ  
 (٢٢) ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا  
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ  
 أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ  
 حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ

(٢٣)

## ◀ اللُّغَةُ

يَتَفَطَّرْنَ: الفطر الشَّقُّ.  
 أُمُّ الْقُرَى: أرض مكة المكرمة.  
 فَرِيقٌ: الفريق الطائفة والجماعة.  
 يَذْرُؤُكُمْ: الذَّرءُ في الأصل الظُّهور والمراد إظهار الشَّيْءِ بإيجاده.  
 مَقَالِيدُ: بفتح الميم المفاتيح.  
 شَرَعَ: بَيَّنَّ وأظهر.  
 يَجْتَبِي: الإجتباء الاختيار.  
 يُنِيبُ: الإنابة الرُّجوع بالطاعة والإنقياد.  
 بَغْيًا: البغي التَّجاوز عن الحدِّ.  
 دَاخِضَةٌ: أي باطلة دحض الشَّيْءِ أي بطل.

## ◀ الأعراب

كَذَلِكَ يُوحِي يُوحي بياء مضمومة على ما سَمِيَ فاعله و الفاعل الله أي  
 يوحي الله و ما بعده نعتٌ له و الكاف في موضع نصبٍ بيوحي، و قد يقرأ، بترك  
 التَّسمية وفيه وجهان:

أحدهما: أن، كذلك مبتدأ، و يوحي الخبر، والله فاعل لفعلٍ محذوف كأنَّه قيل  
 من يوحي، فقال، الله، و ما بعده نعتٌ له و يجوز أن يكون الْعَزِيزُ مبتدأ و الْحَكِيمُ  
 نعتٌ له أو خبر لهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ خبر أو خبر ثانٍ.

والوجه الثاني: أن يكون كَذَلِكَ نعتاً لمصدرٍ محذوف و إِلَيْكَ قائم مقام

الفاعل أي وحيًا مثل ذلك فَرِيقٌ هو خبر مبتدأ محذوف، أي بعضهم فريق في الجنة وبعضهم فريق في السَّعِيرِ ويجوز أن يكون التَّقدير منهم فريق في الجنة ومنهم فريق في السَّعِيرِ وَالظَّالِمُونَ مبتدأ وما بعده الخبر ذَلِكُمْ مبتدأ و اَللَّهُ عطف بيان أو بدل و رَبِّي الخبر فَاطِرُ السَّمَوَاتِ بِالْجَزْرِ بدلاً من الهاء في عليه و التَّقدير، هو فاطر السموات و الهاء في فِيهِ ضمير الجعل، و الفعل قد دُلَّ عليه و الكاف في كَمِثْلِهِ زائدة و الباقي واضح.

## ◀ التفسير

### حَمْ، عَسَقَ

قد مرَّ الكلام في الحروف المقطعة في أوائل السُّور غير مرَّة و قلنا و قالوا لا يعلم معناها إلا الله و الحقُّ أنَّها رموزٌ للسُّور و قيل غير ذلك و الحقُّ ما ذكرناه لأنَّها من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله و الراسخون في العلم و على هذا فما قال المفسِّرون في معناها قالوا من عند أنفسهم نهينا عنه في تفسير الآيات، ثمَّ أنَّ القراءة المشهور في يُوحِيّ ضَمَّ الياء و كسر الحاء على ما يسمَّى فاعله و الفاعل هو الله، و ما بعده نعتٌ له و قرأ ابن كثير و مجاهد و ابن محيضر، يوحى بفتح الياء على ما لا يسمِّ فاعله و على هذه القراءة فيكون الجَّار و المجرور في موضع رفع لقيامه مقام الفاعل.

و قال بعضهم يجوز أن يكون، إسم مالم يسمِّ فاعله، مضمراً أي يوحى اليك القرآن الذي تضمَّنته هذه السُّورة و يكون، إسم، الله، مرفوعاً بإضمار فعل، و التَّقدير يوحيه الله اليك.

أقول الحقُّ هو القراءة الأولى و الفعل على ما سَمِّي فاعله و أمَّا ما نقلوه عن ابن كثير و مجاهد و هو فتح الياء على ما لا يسمِّ فاعله فهو من قبيل الأكل من القفا فلا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢٥

الجزء الخامس

يعتدّ به فالإعراض عنه أولى و على ما اخترناه فمعنى الآية كذلك يوحي اليك يا محمد و الى الذين من قبلك من الأنبياء، الله العزيز الحكيم، أي القادر الحكيم بمصالح الأمور و أمّا الوحي فقد مرّ الكلام فيه غير مرّة و قلنا أنّه في الأصل الإشارة السريعة و هو قد يكون بالكلام على سبيل الرّمز و التعريض و قد يكون بصوت مجرد من التركيب بإشارة بعض الجوارح و بالكناية، و يقال للكلمة الإلهية التي تلقى على أنبياءه و أولياءه وحيّ و ذلك إمّا برسولٍ مشاهدٍ ترى ذاته و يسمع كلامه كتبليغ جبرئيل للنبي في صورة معيّنة و أمّا بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله بإلقاء في الرّوح كما قال رسول الله ﷺ: أَنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوحِي.

و أمّا بالهام نحو و أوحينا إلى أم موسى، و إمّا بتسخير نحو قوله تعالى: وَ أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ<sup>(١)</sup> أو بمنام كما قال ﷺ: أَنْقَطَعَ الْوَحْيُ وَ بَقِيَتِ الْمُبَشِّرَاتُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ، و الحاصل أنّ الوحي إلى الأنبياء لم يكن على و تيرة واحدة كما أشرنا إليه.

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

اللام في له إمّا للملك أو الإختصاص و المأل فيهما إلى شيء واحد فإن الخالق يكون مالكا لما خلقه و المخلوق أيضاً مملوك له أو مختصّ به و حيث أنّ السموات و الأرض و ما فيهما من المخلوق أوجدهم الله و خلقهم فصحّ قوله: لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ أي أنّه المُسْتَعْلَى على كلّ قادرٍ و العظيم في صفاته التي لا يشاركه فيها أحد و من المعلوم أنّ المملوك مطيعٌ لمالكة متقادّ له فمن تخلّف عنه يكون عاصياً و مذموماً عقلاً و نقلاً و هو ظاهر.

تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ  
قراءة العامة، بالتاء و قرأ نافع و الكسائي بإلواء، في تكاد، و قوله: يَتَفَطَّرْنَ المشهور بإلواء و التاء و التشديد و عليها المصاحف فعلاً.

و قرأ أبو عمرو و أبوبكر و المفضل و أبو عبيد (يَنْفَطَّرْنَ) من الإنفطار، و إما معنى الكلام فقال ابن عباس (يتفطرن) أي تكاد كل واحدة منها تنفطر فوق التي تليها من قول المشركين اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا و قال السدي و الضحاك، يتفطرن أي يتشقق من عظمة الله و جلاله فوقهن، و قيل معنى الكلام أن السموات تكاد تنفطرن من فوقهن إستعضاماً للكفر بالله و العصيان له من خلقه مع عقوبته الواجبة على خلقه و ذلك على وجه التمثيل، لا أن السموات تفعل شيئاً أو تنكر شيئاً و إنما المراد أن السموات لو إنشقت لمعصية إستعضاماً لها أو لشيء من الأشياء لتفطرن إستعضاماً لكفر من كفر بالله و عبد معه غيره المقام قول آخر ذكره بعض المفسرين ممن عاصرناه و حاصله أن سياق الآية يقتضي أن يكون الكلام مسروداً لبيان حقيقة الوحي و غايته و آثاره و أن يكون المراد من تفطر السموات من فوقهن تفطرها بسبب الوحي النازل من عند الله العلي العظيم المار بهن سماء بعد سماء حتى ينزل على الأرض فأن مبدأ الوحي هو الله سبحانه و السموات طرائق إلى الأرض و ساق الكلام إلى أن قال على ما فيه من إعظام أمر الوحي و إعلاؤه فإنه كلام العلي العظيم فلكونه كلام ذي العظمة المطلقة تكاد السموات يتفطرن بنزوله و لكونه كلاماً نازلاً من عند ذي العلو المطلق يتفطرن من فوقهن لو تفطرن فلاية في إعظام أمر كلام الله من حيث نزوله و مروره على السموات إنتهى موضع الحاجة من كلامه.

أقول ما ذكره في لا يرجع إلى محصل و إن أتعب نفسه في إبداع هذا القول و ذلك لوجوه:

**أحدها:** أَنْ قوله سياق الآية يقتضي أَنْ يكون الكلام مسروداً لبيان حقيقة الوحي وغايته وأثاره، على خلاف السياق وذلك لِأَنَّ مسألة الوحي قد تَمَّت بقوله: **كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ** ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، أَيَّ أَنَّهُ تَعَالَى خَالِقُهُمَا وَمَالِكُهُمَا. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ: **تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ** إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ، وَعَلَى هَذَا فَلَوْ إِعتَبَرْنَا السِّيقَ يَكُونُ الْكَلَامُ مَسْرُوداً لِبَيَانِ حَقِيقَةِ الْمَالِكِيَّةِ وَالِإِخْتِصَاصِ لِهَمَا لَا لِبَيَانِ حَقِيقَةِ الْوَحْيِ مُضَافاً إِلَى أَنَّ مَا ذَكَرَهُ لَيْسَ لِبَيَانِ حَقِيقَةِ الْوَحْيِ أَثَارُهُ وَغَايَتُهُ وَأَنَّمَا هُوَ شَيْءٌ آخَرُ لَا رِبْطَ لَهُ بِالْوَحْيِ.

**الثَّانِي:** أَنَّ تَفَطَّرَ السَّمَوَاتِ بِسَبَبِ الْوَحْيِ النَّازِلِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لَا مَعْنَى لَهُ وَلَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْوَحْيَ لَيْسَ مِنَ الْأَجْسَامِ الثَّقِيلَةِ حَتَّى يُوجِبَ تَفَطَّرَهَا وَشَقَّهَا وَوَأَوْهَنَ مِنْهُ قَوْلُهُ، **الْمَارَبَهْنَ سَمَاءً بَعْدَ سَمَاءٍ حَتَّى يَنْزَلَ عَلَى الْأَرْضِ**، وَجِهَ الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ فِي هَذَا الْكَلَامِ.

**أما أولاً:** لَا يَنْسَبُ إِلَيْهِ الْمُرُورُ فَأَنَّ الْمُرُورَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ.

**ثانياً:** أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ سَمَاءٌ بَعْدَ سَمَاءٍ حَتَّى يَمُرَ الشَّيْءُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ حَتَّى يَنْزَلَ عَلَى الْأَرْضِ كَمَا فَضَّلْنَا الْكَلَامَ فِيهَا سَابِقاً وَعَلَى فَرْضِ التَّسْلِيمِ كَيْفَ يَعْقِلُ مُرُورَ الْوَحْيِ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ وَعَلَى فَرْضِ تَسْلِيمِهِ كَيْفَ يَعْقِلُ أَنَّ الْوَحْيَ الَّذِي لَيْسَ مِنَ الْأَجْسَامِ يُوجِبُ تَفَطَّرَ السَّمَوَاتِ.

**الثَّالِث:** أَنَّ قَوْلَهُ فَأَنَّ مَبْدَأَ الْوَحْيِ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَالسَّمَوَاتِ طَرَائِقُ إِلَى الْأَرْضِ. فَفِيهِ أَنَّ مَبْدَأَ الْوَحْيِ هُوَ اللَّهُ لَا كَلَامَ فِيهِ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ مَكَانٌ فَوْقَ السَّمَوَاتِ بَلْ جَمِيعُ الْأَمْكِنَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ تَعَالَى عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ** وَلَيْتَ شَعْرِي مَا الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَى هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ الْبَارِدَةِ وَالِإِسْتِخْرَاجَاتِ الظَّنِّيَّةِ الَّتِي لَا فَائِدَةَ فِيهَا بَلْ تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ أَصْلاً وَعَدَمُهَا أَوْلَى مِنْ جُودِهَا وَلَوْلَا مَخَافَةُ الْإِطْنَابِ لَقَلْنَا فِي الْجَوَابِ غَيْرَ مَا ذَكَرْنَاهُ.



ولذلك أعرضنا عما دركه صاحب الكشف في المقام فإنه لفق في تفسير الآية ما لم يلقه أحد أن شئت الإطلاع عليه فعليك بكتابه وهكذا غيره ممن تبعه وقلده وبعد اللتيا واللتيا لم نر في تفاسيرهم ما تطمئن به النفس ويقبله العقل فيما ذكرناه كفاية من نقل أقوالهم والذي خطر ببالنا بعد التأمل والتدبر في الآية هو أن الله تعالى أشار في الآية إلى أمور:

أحدها: تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطُّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ.

الثاني: وَ الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ.

الثالث: وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ.

وهذه الأمور لابه لها من أن يرتبط حدها بالآخر إذا عرفت هذا فنقول:

أشار بالأول: إلى كثرة الملائكة والثاني إلى تسييحهم وعبادتهم.

بالثالث: إلى إستغفارهم لمن في الأرض ونحن نتكلم في هذه الأمور إجمالاً:

أما الأمر الأول: وهو قوله: تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطُّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ

بالملائكة ففيه إشارة إلى كثرة الملائكة فوق السموات بحيث لا يعلم عددهم إلا الله تعالى وقوله: تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطُّرْنَ أتما جي به على وجه التمثيل لأن السموات تفعل شيئاً أو تنكر شيئاً ولأجل هذا قال تعالى: تَكَادُ السَّمَوَاتُ، أي تقرب فهذا اللفظ كناية عن الكثرة.

قال الله تعالى: وَ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ (١).

قال الله تعالى: وَ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ

يَتَذَكَّرُونَ (٢).

و الأمثال في القرآن كثيرة إذ المثل يقرب المعنى المراد إلى الذهن ومن هذا القبيل.

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ<sup>(١)</sup>.

أيظنُّ العاقل أنَّ الجبل صار كذلك مع كونه جماداً والخشية من صفات القلب وكذلك الخشوع والجماد لا قلب له فلا خشية له وأنما الغرض من ذكر الجبل عظمة القرآن وبيان تأثيره لا أنه لو نزل على الجبل صار الجبل خاشعاً متصدعاً حقيقةً وذلك لأننا علمنا بالضرورة أنَّ القرآن لا ينزل على الجماد أصلاً لعدم قابليته وهكذا الكلام فيما نحن فيه فأننا نعلم أنَّ السَّمَوَاتِ لا يتفطرْنَ من فوقهنَّ بالملائكة لأنَّ الملك لا جسم له ليكون له وزن فيتَّصف بالثقل نعم له جسم شفاف على ما قيل وهو ممَّا لا ثقل له وإذا لم يكن له ثقل فكيف يتفطرن السَّمَوَاتِ.

فالغرض من هذا الكلام الإشارة إلى كثرة الملائكة وإن شئت قلت إن كان لهم أجسام ثقيلة صارت السَّماء منفطرة لكثرة الملائكة وثقلها والدليل على ما ذكرناه، قوله: مِنْ فَوْقِهِنَّ وَ الْمَلَائِكَةُ، والباء للسبب أي بسبب وجود الملائكة على السَّموات ويؤيد ما ذكرناه وحملنا الآية عليه.

ماروي عن رسول الله ﷺ حيث قال: أَطَّتِ السَّمَاءُ وَ حَقُّ لَهَا أَنْ تَنْطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعَ بَشَرٍ إِلَّا وَ فِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ إِنْتَهَى.

وهذا الحديث تفسير لقوله تعالى تكاد السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ بالملائكة بل كلام.

**الأمر الثاني:** إشارة إلى أنهم يسبحون الله ويقدسونه في جميع الأوقات وهم لا يفترّون وقد مرَّت الآيات الدالة عليه.

قال الله تعالى: سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ<sup>(٤)</sup>.

قال الله تعالى: فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ<sup>(٥)</sup>.

و الآيات كثيرة فلا نحتاج إلى ذكر الأخبار الواردة في الباب.

الأمر الثالث: وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أي للمؤمنين، لا لجميع أهل الأرض من الكفار و الفساق فاللفظ عام و المعنى خاص ثم قال الله تعالى بعد ذلك.

أَلَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ تارةً بالتوبة و تارةً بالعفو كل ذلك تفضلاً منه و رحمةً لهم، هذا ما خطر ببالي في تفسير الآية و الله من وراء القصد و الحمد لله رب العالمين.

وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ

وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَي من دون الله، أَوْلِيَاءَ وَ هم الكفار الذين اتَّخَذُوا الأصنام و الأوثان و غيرهما من المخلوق آلهة لأنفسهم و جُهِوا عبادتهم في الدنيا إليها و أعرضوا عن عبادة خالقهم الذي خلقهم، اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ أَي حافظٌ عليهم أعمالهم فلا يعزب عنه شيء منها وَ مَا أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ بِوَكِيلٍ عَلَيْهِمْ

في القرآن  
بالحمد لله رب العالمين

جزء ٢٥

الجلد الخامس

٢- الرَّعْد = ١٣

٤- الأنبياء = ٢٠

١- الحديد = ١

٣- الأعراف = ٢٠٦

٥- فصلت = ٣٨

أَي لست وكيلاً بحفظ أعمالهم و أنما أنت منذرٌ لهم، و مرشدهم الى الطَّرِيق السَّوِي و حسابهم على الله ففي الآية دلالة على أَنَّ الأنبياء ليس لهم إِلَّا إرشاد النَّاس و هدايتهم الى الحقِّ فمن قبل منهم فلنفسه و من ردَّ عليهم و أنكرهم فعليها مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ و قد مرَّ نظير الآية كثيراً فيما مضى.

وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَ تُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ قال المفسرون معنى الآية، مثل ما أوحينا الى من تقدّمك من الأنبياء بالكتب الذي أنزلنا عليهم أوحينا اليك أيضاً قرآنًا عربيًّا.

أقول و الأحسن أن يقال في معنى الآية كما أوحينا الى من تقدّمك و أنزلنا عليهم الكتب بلسان قومهم كذلك أوحينا اليك و أنزلنا عليك الكتاب القرآن بلسان قومك أعني به لسان العرب لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى أي أهل مكة المكرمة، و من حولها، أي و لتنذره من حولها، و هم الأعراب الذين كانوا في حوالي مكة، و يحتمل أن يكون المراد بمن حولها جميع النَّاس من العرب و العجم الذين كانوا بلادهم و لم يكونوا من أهل مكة و هذا الإحتمال أقرب من تخصيص الحول بأطراف مكة و ذلك لأنَّ رسول الله ﷺ كان مبعوثاً الى شرق العالم و غربه و بعبارة أخرى أرسله الله تعالى الى كافّة الخلق أينما كانوا في كرة الأرض و على هذا فقوله تعالى: وَ مَنْ حَوْلَهَا يشمل جميع النَّاس الذين كانت بلادهم خارجة عن مكة، و قوله: وَ تُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فالمراد به يوم الحشر، و قبل يوم القيامة و هو اليوم الذي لا ريب فيه فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ثُمَّ قَسَمَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ: فَرِيقٌ أَي جماعة منهم في الجنة و فريق في السَّعِير أي نار جهنم جزاءً على معاصيهم التي ارتكبوها في الدُّنيا، و هذا تفسير ألفاظ الآية و الذي حصل لنا منها أمورٌ لا بأس بالإشارة اليها إجمالاً.

**أحدها:** أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ بِطَرِيقِ الْوَحْيِ وَ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِ.

**الثاني:** أَنَّ الْقُرْآنَ الْمَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ بِلُغَةِ الْعَرَبِ لَا بَغِيرَهَا مِنَ اللُّغَاتِ وَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْكُتُبَ السَّمَاوِيَةَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ رَسُولِ الْإِسْلَامِ أَيْضاً كَانَتْ بِلِسَانِ قَوْمِهِمْ وَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: **كَذَلِكَ** كَمَا أَنَّ الرَّسُولَ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ فِي كُلِّ زَمَانٍ كَانَ بِلِسَانِ قَوْمِهِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ<sup>(١)</sup>**.

**الثالث:** أشار الله تعالى إلى وظيفة الرسول وقال: **لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا** وَ فِي قَوْلِهِ: **وَمَنْ حَوْلَهَا** إشارة إلى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مَبْعُوثاً إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ وَ أُمَّ الْقُرَى، أَرْضُ مَكَّةَ الْكَرْمَةِ سَمَّيَتْ بِهِ لِأَنَّ الْأَرْضَ دَحِيتَ مِنْ تَحْتِهَا وَ لِذَلِكَ سَمِّيَ يَوْمَ الْخَامِسِ وَ الْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ يَوْمَ دَحَوِ الْأَرْضِ، وَ كَلِمَةً، أُمَّ، فِي اللُّغَةِ الْأَصْلِ كَمَا قِيلَ أُمَّ السَّيِّ أَصْلُهُ.

و **الْقُرَى** بضم القاف جمع قرية وَ هِيَ كُلُّ بَقْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ اخْتَارَهَا النَّاسُ لِلسَّكْنَى، فَأَمَّ الْقُرَى مَعْنَاهُ أَصْلُ الْأَرْضِ وَ لِذَلِكَ يَقَالُ أَنَّ أَرْضَ مَكَّةَ أَشْرَفُ بَقَاعِ الْأَرْضِ، وَ لَوْ قَوَّعَ الْبَيْتَ فِيهَا، وَ أَمَّا خَصَّ الْإِنْذَارَ بِالذِّكْرِ دُونَ الْإِرْشَادِ وَ الْهَدَايَةِ لِأَنَّ الْإِنْذَارَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنَ النَّبِيِّ وَ أَمَّا الْهَدَايَةِ وَ الْإِرْشَادِ وَ الْمَوْعِظَةِ وَ غَيْرَهَا، فَمَشْتَرِكٌ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ وَصِيِّهِ بَلْ عُلَمَاءُ أُمَّتِهِ أَيْضاً فَأَنَّهَا مِنْ وَظَائِفِ جَمِيعِ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ عَلَى أَسَاسِ السُّنَّةِ.

وَ أَمَّا الْإِنْذَارُ فَلَا يَتَأْتِي إِلَّا مِنْهُ هَذَا كُلُّهُ مُضَافاً إِلَى أَنَّ الْإِنْذَارَ مُقَدَّمٌ عَلَى جَمِيعِ الْأُمُورِ وَ فِي تَخْصِيصِ يَوْمِ الْجُمُعِ بِالذِّكْرِ مَعَ أَنَّهُ كَانَ دَاخِلاً فِي الْإِنْذَارِ إِشَارَةً إِلَى أَهْمِيَةِ الْقِيَامَةِ وَ أَنَّهَا يَوْمٌ عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرٌ.

**الرابع:** أَنَّ النَّاسَ عَلَى قِسْمَيْنِ صَالِحٍ وَ غَيْرِ صَالِحٍ وَ هَذَا التَّقْسِيمُ عَقْلِيٌّ إِذِ الْأَمْرُ

جاء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس

دائري بين النَّفْيِ والإِثْبَاتِ فإذا كان الإنسان صالحاً فهو من أهل الجنة وإلا فهو من أهل النار وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله: **فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ** فمن أقر بالتوحيد واعتقده وعمل صالحاً فهو من أهل الجنة ومن أنكر التوحيد ولم يعمل عملاً صالحاً فهو من أهل النار وهو واضح.

**وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ**  
أخبر الله تعالى في هذه الآية عن قدرته بأنه لو شاء أن يلجأهم إلى الإيمان ودين الإسلام لكان قادراً على ذلك.

و قال الضَّحَّاك لجعلهم أمة واحدة أي أهل دين واحد، و أهل ضلالة أو أهل هدى.

**أقول** في هذه الآية أشار الله تعالى إلى أمرين:  
**أحدهما:** أنه تعالى قادرٌ على كل شيء و هذا ممَّا لا شك فيه.

**الثاني:** أن إختلاف الأمم في الإيمان والكفر و ما يتفرع عليهما أنما هو معلول إختيارهم و إرادتهم فمنهم من يختيار الكفر و منهم من يختيار الإيمان ولو شئنا وحدة كلمتهم و إعتقادهم لفعلنا ذلك و لكن لم نفعل ذلك لأنه يبطل الغرض بالتكليف و توضيحه أن الله تعالى خلق الإنسان و كلفه بالتكاليف الشرعية بإختياره و إرادته و لم يجبره على قبول التكليف و عدمه بل جعله مختاراً في ذلك ليستحق الثواب على الطاعة و العقاب على المعصية بسبب فعله و هذا هو الغرض من التكليف و ذلك لأنَّ الله غير محتاج إلى عبادة العبد فإذا كان الغرض من التكليف أن يفعل العبد العبادة على وجه يستحق بها الثواب فلا بد أن يكون العبد مختاراً في فعله إذ لو كان مجبوراً عليه لم يستحق الثواب فأَنَّ الثواب يترتب على الفعل الإختياري كما أن العقاب أيضاً كذلك.

و حيث أنَّ الله أراد أن يكون الفعل الصادر من العبد عن إختياره ليرتّب عليه

الجزء لم يجعله مضطراً فيه.

إذا عرفت هذا فاعلم أنّ الجعل في إصطلاح الفلاسفة على قسمين، بسيطٌ و مركّبٌ، فالجعل البسيط إيجاد الشئ فقط.

و المركّب جعل الشئ شيئاً فالجعل البسيط ما كان متعلّقه الوجود النفسي و الجعل المؤلّف ما كان متعلّقه الوجود الرّابط فأنّ الأوّل جعل الشئ وإفاضة نفس الشئ و بلسان الأدباء الجعل المتعدّي إلى الواحد.

**الثاني:** جعل الشئ شيئاً و الجعل المتعدّي لأثنين إذا عرفت هذا الإصطلاح في الجعل، فالجعل المركّب أو المؤلّف يختصّ تعلّقه بالعرضيّات المفارقة، لخلو الذات عنها و لا يتصوّر بين الشئ و نفسه و لا بينه و بين ذاتياته و لا بينه و بين عوارضه اللازمة كالإنسان إنساناً و الإنسان حيوان لأنّ الإنسانيّة من ذاتياته و الحيوانيّة من عوارضه اللازمة له و هكذا الأربعة زوج و الثلاثة فرد لأنّها نسبٌ ضروريّة و مناط الحاجة هو الإمكان، و الوجوب و الإمتناع مناط الغنا. و لذا قال الشيخ ابن سينا ما جعل الله الشمس مشمساً و لكن أوجده يدلّ هذا الكلام من الشيخ على عجز الخالق و ضعف قدرته بل يدلّ على أنّ المشمشيّة للمشمس و الزوجيّة للأربعة و الفرديّة للثلاثة و الحرارة للنار و الرطوبة للماء بعضها من الذاتيات و بعضها من العوارض اللازمة التي لاتنفك عن معروضاتها و هي غير قابلة للجعل مستقلاً و أنّها هي مجعولات بتبع الذات و المعروض و هما مجعولان بالجعل البسيط أعني به الإيجاد فإيجاد الإنسان يكفي في إنسانيّته أو حيوانيّته كما أنّ إيجاد الأربعة يكفي في زوجيّته و هكذا إيجاد النار يكفي في حرارته و قس على هذا غيره و بعد بيان هذه المقدّمة نرجع إلى ما نحن بصدد إثباته و هو أنّ الإنسان موجود مركّب من الماهيّة و الوجود و أنّما قلنا ذلك لأنّ الإنسان ممكن الوجود.

و قد قالوا في تعريف الممكن أنّه زوجٌ تركيبّي و نسبته الماهيّة إلى الوجود و العدم على حدّ سواء فهي محتاجة إلى غيرها في خروجها عن حدّ الإستواء، ثمّ أنّ

في القرآن في  
بعض الآيات

جزء ٢٥

الجعل الخامس

المخرج لها عن حدّ الإستواء لا محالة يكون موجوداً إذ المعدوم لا يكون علّة للوجود والإيجاد، و الموجود لا يخلو إمّا أن يكون واجباً او ممكناً، لإنحصار الموجود فيهما عقلاً لا سبيل إلى الثّاني لأنّ حكم الأمثال واحد فلو كان المخرج ممكناً ننقل الكلام إليه لوجود المناط و هو الإحتياج فيه إلى غير النّهاية وهذا هو التّسلسل الذي اتّفقوا على إستحالاته، فالمخرج ليس إلّا الواجب تعالى وهذا ممّا لا كلام فيه عقلاً و نقلاً كما ثبت في محلّه.

فتحصّل ممّا ذكرناه أنّ الخالق هو الواجب في جميع الموجودات و منها الإنسان، وهذا ممّا لا كلام فيه و أنّما الكلام في كفره وإيمانه و بعبارة أخرى ليس الكلام في خالق الإنسان و أنّما الكلام في أنّ الإنسان الكافر مخلوق أو مجعول بما هو هو مع قطع النّظر عن الكفر و هكذا المؤمن تعلّق به الجعل بما هو هو أو تعلّق بهما و بكفرهما أو إيمانهما و أن شئت قلت مجعول بالجعل البسيط و هو الإيجاد المجرد أو مجعول بالجعل المركّب و هو جعل الشّيء شيئاً أعني به جعل الإنسان كافراً أو مؤمناً فأن قلنا بالجعل البسيط كما هو الحقّ فالله تعالى أوجده و الكفر و الإيمان ليسا بمجعولين.

**على الثّاني:** فهما أيضاً مجعولان بمعنى أنّ الله تعالى خلقه أو جعله أو أوجده كافراً أو مؤمناً و هذا غير معقول، و ذلك لأنّ الكفر و الإيمان ليسا من الذاتيين للإنسان و لا من العوارض اللاّزمة لمعروضاتها و هو واضح إذ لو كان الكفر و الإيمان من الذاتيات للإنسان فلم يمكن للكافر أن يؤمن بالله و لا للمؤمن أن يكفر به و نحن نرى الكافر يصير مؤمناً و المؤمن يصير كافراً و ليسا أيضاً من العوارض اللاّزمة التي لا تنفك عن معروضاتها كالزّوجية للأربعة و الفردية للثلاثة، لما ذكرناه من إمكان الإنفكاك و إذا كان كذلك فجعل الإنسان و إيجاده ليس جعل كفره و إيمانه و إذا لم يكن الكفر و الإيمان من المجعولات لله تعالى فهما مجعولان للإنسان نفسه و لا نعني بالإختيار إلّا هذا و إذا ثبت هذا فلنرجع إلى



تفسير الآية ونقول قوله تعالى: **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً** معناه أمة واحدة على الكفر أو أمة واحدة على الإيمان بأن جعلهم الله كافرين أو مؤمنين إلا أنه تعالى لم يشأ ذلك لا أنه لم يكن قادراً عليه بل لمصلحة إقتضاها التكليف وعبارة أخرى لو شاء الله لجعل الكفر والإيمان من ذاتيات الإنسان كالحويّة أو من عوارضه اللازمة له كالزوجيّة للأربعة ولكنّه لم يشأ لما ذكرناه من المصلحة فالآية دالة على كمال قدرته وأن أعمال القدرة على أساس المصلحة.

ولعمري أن الآية وأمثالها من أدلّ الدلائل على الإختيار ونفي الجبر فإفهم هذا وإغتنم فإنّ هذا التّحقيق حول الآية لا تجده في غير هذا الكتاب والحمد لله على كلّ حالٍ.

وقوله: **وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ**، فأنه حق لا مرية فيه وذلك أن معطي الشئ لا يكون فاقداً له، فمن أعطى الإختيار إلى عباده هو أولى بالإختيار منهم فيدخل من يشاء في رحمته وهو العبد المطيع، ولا يدخل غير المطيع وهو الظالم في رحمته.

ومن المعلوم أن العبد الكافر أو العاصي الذي طرده الله عن رحمته وأخرجه من الولاية التي ثبتت للخالق بحكم الخالق لا ولي له ولا نصير.

**أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**

قيل، أم، بمعنى، بل، أي بل إتخذ هؤلاء الكفار من دون الله أولياء، لما قال تعالى في الآية السابقة ما لهم من ولي ولا نصير قال في هذه الآية بل إتخذوا من دون الله أولياء من الأصنام والأوثان وغيرهما.

**فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ** لا غيره لأنّ تقديم المسند إليه يفيد الحصر. **وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** أي أن الولي يحيي الموتى وهو على كلّ شيء قدير، فمن لا يقدر على إحياء الأموات ولا يقدر على

كُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ لَيْسَ بُولَىٍّ وَ حَيْثُ أَنَّ هَاتَيْنِ الصَّفَتَيْنِ أُعْنِيَ بِهِمَا إِحْيَاءُ الْمَوْتَى وَ الْقُدْرَةُ الْمَاطِلَقَةُ مِمَّا لَا يَوْجَدُ فِي غَيْرِ اللَّهِ فَالْوَلَايَةُ عَلَى الْخَلْقِ مَنْحَصَرَةٌ بِهِ تَعَالَى.

وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

ما، موصولة بمعنى الذي والإنباء الرجوع ومعنى الآية أن الذي اختلفتم فيه في أمر دينكم وديناكم فحكمه إلى الله تعالى لأنه الحاكم على عباده والفاصل بين الحق والباطل، وقيل معناه، وما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين من أمر الدين فقولوا لهم حكمه إلى الله لا إليكم.

أقول ما ذكره هذا المفسر لا دليل عليه و ذلك لأنّ الاستفادة من الآية عموم الحكم في موارد الإختلاف فتخصيصه بأهل الكتاب والكفار لا دليل عليه، وقد أشار الله تعالى إلى عموم هذا الحكم في كثير من الآيات.

قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولُ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا<sup>(١)</sup>.

و أنما قال تعالى ذلك لئلا يتحاكموا إلى الطاغوت في موارد الإختلاف:

قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولُ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا، أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ مَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَ يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا<sup>(٢)</sup>.

فمن زعم أن الحكم في الآية راجع إلى الآخرة، فقد أخطأ و ذلك لأن الإختلاف بين الناس في الدنيا و أما في الآخرة فلا إختلاف فيها بين الناس.

وقوله تعالى: **فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ** في الآخرة لا في الدنيا إذ الحكم في الآخرة مختص به، لا يثبت مدعاه فإن الحكم في الدنيا أيضاً مختص به تعالى إلا أنه في الدنيا بواسطة الرسول وأوصيائه فإن حكمهم حكم الله وهو واضح.

وقوله: **ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي** أي الموصوف بهذه الصفات وهو أنه الولي ومحي الموتى وعلى كل شيء قدير، ربي، الذي خلقتني ورباني وإليه أنيب، وأرجع بعد الموت بعد توكلتي عليه في الدنيا في جميع أموري و من يتوكل على الله فهو حسبه.

**فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّوَكُمْ فِيهِ لَبَنٌ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**

قوله: **فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هو فاطر السموات، أو أنه بدل من، الله في قوله: **ذَلِكُمُ اللَّهُ** والفطر في الأصل الشق طويلاً وفطر الله الخلق هو إيجاده الشيء وإيداعه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال و أما عبّر عن الخلق بالفطر الذي هو في الأصل الشق، لأن الممكن من شأنه أن يكون ليساً ومن علته أن يكون آيساً، والآيس الوجود، والله تعالى أخرج المخلوق من اللبسية المحضة إلى الوجود فكأنه شقها ولا يقدر على ذلك غيره، و يحتمل أن يكون المراد أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقهما أي شقهما، و كيف كان لا شك أن الله تعالى خالق السموات والأرض.

**جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا** يعني أشكالا مع كل ذكر أنثى ليسكن إليها و يألفها وفي قوله: **مِّنْ أَنْفُسِكُمْ** إشارة إلى وحدة النوع أي أن الأزواج من جنس البشر.

في القرآن  
في تفسير  
في القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

و قال القرطبي و غيره من مفسري العامة، **أَزْوَاجًا** أي أنثاء، و من أنفسكم، لأنه خلق حواء من ضلع آدم، و قد مرَّ الكلام في هذا الباب عند البحث في كيفية خلق آدم و حواء و قلنا هناك أنَّ القول بأنَّ حواء خلقت من ضلع آدم، من الأقوال السخيفة الموهومة لا يساعده العقل و النقل الصحيح فلا نطيل الكلام بذكره ثانيًا.

**وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا** و المراد بالأنعام الإبل و البقر و الضأن و المعز، و أزواجها أنثائها، فجعل من الإبل اثنين و من البقر اثنين و من الضأن اثنين و من المعز اثنين ذكوراً و أنثاء فجعل الله لكل حيوان زوجاً من شكله على ما تقتضيه الحكمة فيه و هي التي أشار إليها بقوله: **يَذَرُوكُمْ فِيهِ** أي يخلقكم و يكثركم فيه يعني في التزويج و في ما حكم فيه، و الذرء في الأصل إظهار الشيء بإيجاده يقال ذرأ الله الخلق ذراً أي أظهرهم بالإيجاد من العدم.

و المقصود من قوله: **يَذَرُوكُمْ** هو كثرة النسل في الإنسان و الحيوان ممَّا لا خفاء فيه إذ لولا خلق الأزواج لانتفى النسل و هو خلاف الحكمة و المصلحة ثم وصف نفسه فقال: **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** الكاف زائدة بإتفاق المفسرين و التقدير ليس مثله شيء، هكذا قالوا، و الحق أنها ليست بزائدة بل الكاف لتأكيد النفي تنبيهاً على أنه لا يصح استعمال المثل و لا الكاف فنفي، بليس، الأمرين جميعاً و قبل المثل هاهنا بمعنى الصفة و معناه ليس كصفته صفة تنبيهاً على أنه و إن وصف بكثير ممَّا يوصف به البشر فليس تلك الصفات له تعالى على حسب ما يستعمل في البشر لأنَّ الصفات في الخالق عين الذات و في المخلوق زائدة عليها، و المشهور عند المحققين أنَّ المراد بالمِثْل الذات و ذلك لأنَّ المِثْل عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أي معنى كان و هو أعمُّ الألفاظ الموضوعية للمشابهة، فأنَّ النَّدَّ يقال فيما يشارك في الجوهر فقط، و الشَّبه يقال فيما يشارك في الكيفية فقط، و المساوي يقال فيما يشارك في الكمية فقط، و الشكل يقال فيما يشاركه في القدر و المساحة فقط.

و أما المثل فهو عامٌ في جميع ذلك فلما أراد الله تعالى نفي التشبيه من كل وجهٍ خصّه بالذِّكر فقال: **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ولما نفي المثلية أشار إلى وصفين ثابتين له وهو أنه سميعٌ أي عالمٌ بالمسموعات بصيرٌ أي عالمٌ بالمبصرات لا أنه يسمع بألة السَّمع و يبصر بألة البصر لأنَّ السَّمع و البصر بهذا المعنى من لوازم الأجسام التي لها أجزاء وكل جسم مركَّب من الأجزاء فهو محتاج إلى أجزاء وكل محتاج ممكن الوجود وكل ممكن مخلوق.

**لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنََّّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**

مَقَالِيدُ، بفتح الميم جمع مقلد كمنجل، ومقلاد كمصاييح جمع مصباح وقيل أنه جمع لا واحد له والأقليد المفتاح لغة يمانية معرَّب وأصله بالرومية إقليدس و الجمع أقليد و القلائد ما يقلد به الهدى من نعلٍ أو غيره ليعلم بها أنه هدى، و المعنى له، أي لله تعالى مقاليد السموات أي مفاتيحها، وقيل خزائنها، وقيل أي ما يحيط بها والحق أن كلَّها يرجع إلى معنى واحد وهو قدرته عليها وحفظه لها، فالمقاليد كناية عن القدرة وأنَّ الأمور بيده يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وإلى هذا المعنى أشار بقوله: **يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ** أي يضيِّق فأَنَّ توسعة الرِّزْق و تقديره معناه يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، وذلك لأنَّ الرِّزْق قسمان، مقدَّرٌ وغير مقدَّرٌ وبعبارة أخرى معيَّنٌ محتومٌ وغير معيَّنٌ.

**فالأول:** لا زيادة فيه ولا نقصان.

**الثاني:** ليس كذلك لأنَّه من فضله وهو الذي يبسطه لمن يشاء و يقدر، و الأدعية الواردة في طلب زيادة الرِّزْق يحتمل على هذا المعنى ولذلك ورد، **أُطْلِبُوا الزَّيَادَةَ مِنْ فَضْلِهِ** وأنَّ بعض الأعمال يوجب زيادة الرِّزْق وبعضها يوجب نقصانه كما ورد ذلك في الأجل أيضاً.

وقوله تعالى: **أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** إشارة إلى أنَّ الله يعلم مصالح العباد و

مفاسده و لا يخفى عليه شيء فمن بسط في رزقه أو قدر فيه فالمصلحة إقتضت ذلك و الله تعالى يحكم بما يشاء و يحكم بما يريد و لا راد لقضائه لا يسأل عما يفعل و هم يسألون.

حاصل الكلام في الآية الشريفة أن الله الذي خلق السموات و الأرض و ما فيهما من المخلوق يدبر الأمر كيف يشاء و له الحكم بما أراد في خلقه أو يريد كما هو مقتضى الإيجاد و الخلق فينبغي للعبد أن يعرف خالقه و يعبده و أن لا يشرك بعبادته ربه أحداً و لا يطلب حاجة من غيره و لا يستعين بغيره، و هذا هو المقصود من ذكر الآية و أمثالها.

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَ مَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ

الشَّرع نهج الطريق الواضح يقال شرعت له طريقاً ففعله تعالى: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا إشارة الى الأصول التي تتساوى فيها الملل يصح عليها النسخ كمعرفة الله و معرفة أنبياءه و معرفة المعاد و غير ذلك مما دل عليه قوله تعالى: وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ<sup>(١)</sup>.

و قال بعضهم معنى، شرع، أظهر و بين.

أقول لما بين الله تعالى فيما مضى أنه فاطر السموات و الأرض و هو الذي جعل لكم من أنفسكم أزواجاً و من الأنعام كذلك و هو الذي بيده مقاليد السموات و الأرض و يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر هذه النعم كلها من سنخ الماديات التي يحتاج الموجود إليها في حياته لبقاء جسمه و إدامة حياته المادية

المشتركة بين الإنسان والحيوان.

أشار في هذه الآية الى ما يتعلّق بكمال الرُّوح وهو الذي يكون الإنسان بالإنصاف به إنساناً واقعاً ومن لا يتّصف به لا يكون له من الإنسانيّة حظٌ نصيبٌ وهو الكمالات التي بها يمتاز الإنسان من الحيوان من العلم والجود والشجاعة والعدالة والصُّبر وغير ذلك من الصفات ويعبر عن مجموعها بالدين فأَنَّ الدِّينَ حاوٍ لجميع الكمالات و نافيٌ لجميع النَّقائض فالأعمال والأفعال التي لها دخلٌ في صعود البشر الى مقام الإنسانيّة والقرب الى ما خلق لأجله فهو مأمورٌ به في الدِّين وما ليس كذلك فهو منهيٌّ عنه ولذلك قلنا أَنَّ الدِّينَ جامعٌ لجميع الكمالات والصفات التي تحصل السَّعادة للبشر فمن لا دين له لا يكون إنساناً واقعاً إذا عرفت هذه المقدّمة النّافعة فنقول.

قوله تعالى: **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا** الخطاب للرسول والأمة جميعاً وقوله ما وصّى به نوحاً، فيه إشارة الى أَنَّ نوح النبي كان أوّل من شرع له الدِّين أعني به الأحكام الشرعية فأَنَّ الشريعة مشتملة على عقائد وأحكام ويقال أَنَّ نوحاً أوّل من أتى بها هكذا قيل وعليه المفسرون من العامة والحقُّ أَنَّ ما ذكره لا يعتمد عليه فأَنَّ لازم ذلك أن يكون البشر غير مكلفٍ بالتكاليف الشرعية من زمان آدم الى زمان نوح وهو كما ترى.

قال القرطبي وهو من أعيان العامة في تفسيره لهذه الآية ما لفظه.

قال القاضي أبو بكر بن العربي ثبت في الحديث الصحيح أَنَّ النبي ﷺ قال في الحديث المشهور، ولكن إئتوا نوحاً فإنه أوّل رسول بعثه الله الى أجل الأرض فيأتون نوحاً فيقولون له أنت أوّل رسول بعثه الله الى أهل الأرض، وهذا صحيح لا إشكال فيه كما أَنَّ آدم أوّل نبي بغير إشكال لأنَّ آدم لم يكن معه إلا نبوة ولم تفرض له الفرائض ولا شرعت له المحارم وأنما كان تنبيهاً على بعض الأمور وإقتصاراً على ضرورات المعاش وأخذاً بوظائف الحياة والبقاء وإستمرّ المدى

بَابُ التَّوْحِيدِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

إلى نوح فبعثه الله بتحريم الأمهات والبنات والأخوات ووظف عليه الواجبات و أوضح له الأداب في الديانات ولم يزل ذلك يتأكد بالرُّسل و يتناهى الأنبياء (و يتناثر خ ل) صلوات الله عليهم واحد بعد واحد و شريعة أثر شريعة حتى ختمها الله تعالى بخير الملل ملتنا على لسان أكرم الرُّسل نبينا محمد ﷺ فكان المعنى أوحيناك يا محمد و نوحاً ديناً واحداً يعني في الأصول التي لا تختلف فيها الشريعة و هي التوحيد و الصلاة و الزكاة الخ إنتهى.

و تبعه على ذلك أكثر العامة أو جميعهم و أنما قالوا ذلك لأنهم قالوا في كيفية إزدواج أولاد آدم بصحة تزويج الأخ مع الأخت كما مرّ الكلام فيه سابقاً في كيفية كثرة النسل في أولاد آدم و قلنا هناك ما هو الحق في المسألة و الذي نقول به في المقام أن ما ذكره القرطبي من أن آدم لم يكن معه إلا نبوة و لم تفرض له الفرائض و لا شرعت له المحارم.

و أن نوحاً أول من بعثه الله بتحريم الأمهات والبنات والأخوات كلام بلا محصل و كيف يعقل أن يكون آدم نبياً و لم تفرض له الفرائض و لا شرعت له المحارم أليس النبي مخبراً عن الله تعالى إلى خلقه فإذا لم يكن حكم من الله تعالى فما معنى نبوة آدم هذا أولاً.

ثانياً: نقول لازم ذلك عدم التكليف في أولاد آدم إلى زمن نوح و أن يكون الإنسان كالحيوان يفعل ما يشاء من عند نفسه و قد ثبت في الأخبار أن آدم عاش في الدنيا تسع مائة و ثلاثون سنة (٩٣٠ سنة) و لمّا حان أجله أوصى إلى ابنه شيث بأمر من الله تعالى و هو عاش في الدنيا (٩١٢ سنة) و لمّا إنقضت أيامه أوصى إلى ابنه أنوش و هو عاش (٧٠٥ سنة) و قام بعده بالأمر (قينان) و بعده (مهلائيل) و بعده (يرد) و بعده إدريس النبي و بعده (متوشلخ) و بعده (لمك) و هو والد نبي الله نوح و قد عاش في الدنيا (٩١٩ سنة) ثم بعده قام بالأمر نوح النبي جد إدريس بالنبوة و كان اسمه عبد الغفار أنما سمّي نوحاً لكثرة نواحه و بكاه مدة خمس



مائة سنة خوفاً من الله على ضلالة أمته أول الأنبياء الخمسة أولي العظم المبعوثين إلى الجنّ والإنس كافة وهم أفضل الأنبياء والأربعة بعد نوح هم إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وهو سيدهم وأفضلهم صلوات الله عليهم أجمعين.

إذا عرفت هذا فلنرجع إلى تفسير الآية ونقول خصّ الله تعالى هذه الخمسة بالذكور لأنهم أفضل الأنبياء وأولوا العظم منهم وقدم نوح النبي في اللفظ لأنه كان أقدمهم وأسبقهم وأن شئت قلت أولهم لما ذكره من أنه لم يكن قبله فرائض وأحكام فإن الأرض لا تخلو من حجة إلى يوم القيامة.

قال الصادق عليه السلام: الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق.

قال عليه السلام: لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها.

ولا نعني بالحجة إلا النبي أو وصي النبي ففي الآية إشارة إلى أن أصول الأحكام في جميع الأديان واحدة وهي التوحيد والنبوة والمعاد وأما الأحكام الفرعية فهي تختلف باختلاف الأزمنة حسب ما تقتضيه المصلحة.

وقال بعض المفسرين المراد بالأصول التي لا تختلف هي التوحيد والصلاة والزكاة والحج والتقرب بصلاح الأعمال والصدق والوفاء بالعهد وأداء الأمانة صلة الرحم وتحريم الكبر والزنا إلى آخر ما قال وكيف كان فالأمر سهل لأن جميع الأصول والأحكام يرجع إلى التوحيد.

قال الله تعالى لرسوله: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ<sup>(١)</sup>.

وأما قوله تعالى: أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ قِيلَ فِي مَوْضِعٍ أَنْ أَقِيمُوا دُجُوهَ مِنَ الإِعْرَابِ:

بَابُ الْقُرْآنِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

**أحدها:** أن يكون نصباً بدلاً من، ما، في قوله: **مَا وَصَّى**.

**الثاني:** أن يكون جرّاً بدلاً من الهاء في (به).

**الثالث:** أن يكون رفعاً على الإستئناف و التقدير (هو أن أقيموا) أي ما وصّى به نوحاً هو أن أقيموا الدين قبل المراد بإقامة الدين الإخلاص له تعالى و عبادته، و أظهر أن المراد بها العمل بالأحكام و الإتيان بها على ما ينبغي. و قال مجاهد لم يبعث نبي إلا أنه أمر بإقامة الصلاة و إيتاء الزكاة و الإقرار بالله و طاعته فهو إقامة الدين.

و قوله: **وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** من إقامة الدين بل تفسير له من وجه فإن التفرق فيه ينافي إقامته بل يوجب إعوجاجه و إنحرافه و لذلك قال الله تعالى:

**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا<sup>(١)</sup>.**

و لا نعني بإقامة الدين إلا إجراء الأحكام على وجهها فإنه يوجب تأليف القلوب في الدنيا و النجاة من العذاب في الآخرة و هذا الحكم عام يشمل جميع الأمم.

و قوله: **كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ** أي ما تدعوهم إليه من التوحيد و النبوة و المعاد و معنى، كبر، ثقل، و ذلك لكفرهم و عنادهم و خبت طينتهم، و يحتمل أن يكون المعنى، كبر عليهم كونك داعياً إلى الله و مدعياً للنبوة و أنت مثلهم بشر و من قبيلتهم أنك نبي و ليس لهم ذلك و لم يعلموا أن أمر النبوة بيد الله كما قال: **اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ** الإجتباء الاختيار أي أن الله تعالى يختار من يشاء للنبوة و الرسالة و يهدي إلى طريق الحق من يرجع إليه بالتوبة و الإنابة، ففي هذا الكلام إشارة

إلى أَنْ إِيْتِيَ الرِّسُولُ مِنَ اللَّهِ وَ قَبُولِ التَّوْبَةِ أَيْضاً مِنْهُ.

وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيّاً بَيْنَهُمْ وَ لَوْلَا كَلِمَةُ  
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَيَّ أَجَلَ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا  
الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ

«ما» نافية؛ بمعنى ليس، اختلفوا في المراد بالمتفرقين من هم، فقال بعضهم  
المراد بهم الكفار والمشركون والمعنى أَنَّ هؤلاء الكفار لم يختلفوا عليك إلا بعد  
أن أتاهم طريق العلم بصحة نبوتك فعدلوا عن النظر فيه بغياً منهم للحسد و  
العداوة والحرص على طلب الدنيا وإتباع الهوى، وقيل أَنَّ هؤلاء لم يختلفوا إلا عن  
علم بأنَّ الفرقة ضلالة ولكن فعلوا ذلك للبغي هذا ما ذكره في التبيان.

وَقَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ الضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى أُمَّمِ الْأَنْبِيَاءِ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ  
الْأَمَدُ فَأَمَّنْ قَوْمٌ وَ كَفَرُوا قَوْمٌ، وَقِيلَ الضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمَشْرِكِينَ.

أَقُولُ الظَّاهِرُ أَنَّ الضَّمِيرَ يَرْجِعُ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَ النَّصَارَى فَأَنَّهُمْ  
بَعْدَ مُوسَى وَ عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ تَفَرَّقُوا فِي دِينِهِمْ فَالْمُرَادُ بِالتَّفَرُّقِ التَّفَرُّقُ فِي الدِّينِ فَفِي  
بَعْضِ الْأَخْبَارِ أَنَّ قَوْمَ مُوسَى إِفْتَرَقُوا، عَلَى إِحْدَى وَ سَبْعِينَ فِرْقَةً وَ أُمَّةً عِيسَى عَلَى  
أَثْنَيْنِ وَ سَبْعِينَ فِرْقَةً وَ سَتَفَرَّقَ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَ سَبْعِينَ فِرْقَةً.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: بَعِيّاً بَيْنَهُمْ إِيضاً إِلَى أَنَّ إِفْتِرَاقَهُمْ لَمْ يَكُنْ عَنْ جَهْلِهِمْ بَلْ  
كَانُوا عَالِمِينَ بِضَلَالَتِهِ وَ مَعَ ذَلِكَ إِفْتَرَقُوا بَغِيّاً وَ ظُلْماً وَ حُبّاً لِلدُّنْيَا وَ عِنَاداً لِلْحَقِّ،  
إِنْ قُلْتَ كَيْفَ يَقَالُ هَذَا وَ نَحْنُ نَرَى أَكْثَرَ أَهْلِ الضَّلَالِ مِنَ الْعَوَامِ وَ الْجُهَالِ  
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً.

قُلْتَ نَعَمْ وَ لَكِنْ هَؤُلَاءِ الْجُهَالُ لَيْسُوا مِنَ الْمَخَاطِبِينَ فِي الْكَلَامِ بِالْإِصَالَةِ وَأَمَّا  
الْمَخَاطَبُ بِهِ مِنْ أَضْلَاهُمْ وَ أَغْوَاهُمْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ فَأَنَّ الْعَوَامَ كَالْأَنْعَامِ وَ الْأَغْنَامِ وَ  
أَمَّا الْوُزَرُ عَلَى سَائِقِهِمْ وَ صَاحِبِهِمْ وَ هُوَ الْعُلَمَاءُ فِي كُلِّ عَهْدٍ وَ زَمَانٍ.  
وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ عُلَمَاءَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي جَمِيعِ الْأُمَمِ كَانُوا عَالِمِينَ بِالْحَقِّ وَ

لكن حبّ الدنيا دعاهم إلى الباطل فضلوا وأضلوا كثيراً و لعمري أنّ التفرّق في الدّين من أعظم الأفات و أسوء البليّات كما نرى و نشاهد في الإسلام أيضاً، كما أنّ الإتّفاق و الإتحاد في الدّين يوجب عزّة الإسلام و المسلمين و هكذا في جميع الأديان و هذا ممّا لا يحتاج إلى إطالة الكلام لأنّه محسوس و مشاهد و من أنكر حسّه أنكر حياته و وجوده.

و لَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَيَّ أَجَلٌ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ قِيلَ المراد بالكلمة التي سبقت، هو عدة التّأخّر إلى يوم القيامة لأنّه يوم الجزاء و قيل المراد بها أنّ الله تعالى أخبر بأنّه يبيعهم و هو الأجل المسمّى.

و القول الأول أحسن و ذلك لأنّ اليوم عمل و لا حساب و غداً حساب عمل و قوله تعالى: لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ أي لولا الأجل المضروب لهم على وجه المصلحة إلى زمانٍ خاصّ و زمانٍ معيّن لا يعلمه إلّا الله، لقضي بينهم، و أنزل عليهم ما يستحقونه من العذاب عاجلاً.

وَ إِنَّ الَّذِينَ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ وَ هُوَ الْقُرْآنُ مِنْ بَعْدِهِمْ يعني من بعد اليهود و النصارى لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ أي من الدّين، و قيل الذين أورشوا الكتاب من بعد اليهود و النصارى في شكٍّ من الدّين مرّيب و هم الكافرون بالقرآن و الشاكّون في صحته و أنّه من عند الله من سائر الكفار و المنافقين.

و قال بعض المفسّرين المراد بالكتاب هنا التّوراة و الإنجيل و المعنى أنّ الذين أورشوا الكتاب و هم اليهود و النصارى مِنْ بَعْدِهِمْ أي من بعد المتخلّفين في الحقّ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ أي من الذي أوحى به الأنبياء إنتهى.

و الذي خطر ببالي في معنى الكلام هو أنّ المراد بالذين أورشوا الكتاب، هم اليهود و النصارى و قوله: مِنْ بَعْدِهِمْ أي من المتفرّقين في الحقّ عن علم بغياً منهم.

و قوله: لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ أي أنّهم بعد ما رأوا تفرّق السّابقين صاروا شاكّين في حقانيّة التّوراة و الإنجيل و قالوا لو كان الكتاب حقّاً و منزلاً من عند الله

لما تفرّقوا علماؤنا فيه فلمّا تفرّقوا مع كونهم أعلم بالكتاب ممّا فلا نسلم أنّه من عند الله، و على هذا فكان منشأ شكّهم تفرّق علماؤهم فيه و هذا كما نرى في زماننا هذا أنّ العوام إذا رأوا أنّ العلماء أو بعضهم لا يعملون بما في الكتاب من العمل بالأحكام و مراعاة شئونه قالوا بهذه المقالة و أنكروا ما في الكتاب و قالوا لو كان الكتاب من عند الله و اوجب الإتيان بالعمل به العلماء.

و الوجه في ذلك أنّ العوام ينظرون في كلّ زمانٍ إلى علمائهم و لذلك قال رسول الله: إذا فسد العالم فسد العالم.

فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَ اسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَ قُلْ أُمِنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ

قال الشيخ رحمته الله في التبيان عند تفسيره لهذه الآية معناه، فالى ذلك فأدع كما قال تعالى: بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْخِي لَهَا<sup>(١)</sup> أي أوحى إليها يقال دعوته، لذا، وبذا، وإلى ذا، و قيل معناه، فلذلك الدين فادع إنتهى.

و قال القرطبي أي إلى ذلك الدين فادع، فاللّام بمعنى، إلى، وذلك، بمعنى هذا. و قال صاحب الكشف فلذلك أي فلاجل التفرّق و لما حدث بسببه من تشعب الكفر شعباً فادع إلى الإتفاق و الإلتفاف على الملة الحنيفيّة القديمة وَ اسْتَقِمْ عليها و على الدّعوة إليها كما أمرك الله إنتهى ما ذكره.

أقول ما ذكره صاحب الكشف أوفق بسياق الآية مضافاً إلى أنّ اللّام في فلذلك على هذا التفسير على بابه و لا نحتاج إلى تأويله بالى، و أنما قلنا هذا التفسير أوفق بسياق الآية لأنّ هذه الآيات من قوله تعالى: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢٥

الجلد الخامس عشر

الَّذِينَ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا إِلَى هَذِهِ آيَةَ تَدُورُ مَدَارَ التَّفَرُّقِ فِي الدِّينِ وَعَدَمِهِ فَأَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي وَصَّى بِهِ نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَأَوْحَى إِلَى مُحَمَّدٍ أَيْضًا وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ: فَلِذَلِكَ لِلتَّفَرُّعِ وَالْمَعْنَى فَلِأَجْلِ مَا ذُكِّرْنَا مِنْ إِقَامَةِ الدِّينِ وَوَصِينَا بِذَلِكَ نُوحًا وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَاسْتَقَمَّ كَمَا أُمِرَتْ بِقَوْلِنَا (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) وَأَدْعُ النَّاسَ إِلَى هَذَا الْأَصْلِ الْأَصِيلِ وَاسْتَقِمَّ عَلَى دَعْوَتِكَ إِيَّاهُمْ مِنْ غَيْرِ فُشْلٍ وَإِضْطِرَابٍ فِي الْكَلَامِ حَتَّى عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى الْحَقِّ أَوَّلًا، وَ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ وَالثَّبَاتِ وَالتَّجَبُّبِ عَنِ الشَّكِّ وَالْإِضْطِرَابِ وَالتَّزَلُّزِ فِي الْأَمْرِ ثَانِيًا فَلَا مَرَّ بِالْإِسْتِقَامَةِ بَعْدَ الدَّعْوَةِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الدَّعْوَةَ بِدُونِ الْإِسْتِقَامَةِ لَا فَائِدَةَ فِيهَا سِوَاهُ كَانَ الدَّاعِي عَلَى الْحَقِّ أَمْ عَلَى الْبَاطِلِ.

وإلى ذلك أشار الله تعالى:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ<sup>(١)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا<sup>(٣)</sup>.

وغيرها من الآيات والمقصود أَنَّ مجرد الدعوة من الداعي لا تكفي إذا لم يكن الداعي على الإستقامة والثبات فيما يدعوا إليه وإلى هذا أشار الشاعر بقوله:

چو کرد او بر صراط حقّ إقامت

به امر فإستقم می داشت قامت

ثمَّ أُنَّ المراد بالإستقامة الإستقامة على الحقّ لأنها هي التي تنزّل الملائكة الرّحمة و تبشّر صاحبها بالجنّة و أمّا الإستقامة على الباطل فهي مذمومة و صاحبها ملعون، و الدّليل على ذلك بعد حكم العقل قوله: **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا** و أمّا الذين قالوا ربّنا الشّيطان فلا، و في الآية أيضاً قال **فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَ اسْتَقِمْ** أي فادع إلى الحقّ و إستقم عليه، و قد إستقام النّبي ﷺ على دعوته إلى آخر عمره كما هو لا يخفى على من مارس خلال هذه الدّيار و أخرج التّعصب و العناد عن قلبه هذا إذا قلنا أنّ المراد بالإستقامة المأمور بها هو الثّبات و عدم الإضطراب في ما يدعو إليه، و يحتمل أن يكون المراد بها المشي على طريق الحقّ و الإنحراف عن التّعدي المعبر عنه بالعدالة في جميع الشّئون و بعبارة أخرى عدم الالتفات إلى اليمين و الشّمال و التّوجه إلى طريق المستقيم الذي لا عوج فيه و قد يعبر عنه بالطريق الوسطى الذي

قال الله تعالى: **وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** (١).

و قد قال أمير المؤمنين عليه السلام: **اليمين والشّمال مَضَلَّة والطّريق الوسطى هي الجادة**، و هذا أيضاً صادق في حقّه ﷺ فإنّ النّبي ﷺ لم يعدل عن الحقّ في عمره أبداً و قد مرّ الكلام في هذا الباب في سورة هود عند قوله تعالى: **فَاسْتَفْتِمُ كَمَا أُمِرْتُ وَ مَنْ تَابَ مَعَكَ وَ لَا تَطْغَوْا** (٢) و قلنا هناك ما قلنا من صعوبة المشي على هذا الأمر و لذلك قال رسول الله ﷺ: **شيبتي سورة هود** لمكان هذه الآية أي لصعوبة المشي عليها و قوله: **وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ** أي

جاء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

أهواء الكفار، وهذا الكلام بمنزلة التفسير لقوله: وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ إِذْ لَاشَكَّ أَنَّ أهواء الكفار تكون على الباطل دائماً أو غالباً فمن تبع أهوائهم لا يكون على طريق الحق وهو خلاف الأمور به ولذلك أمر الله نبيه بالاستقامة ونهاه عن متابعة أهواء الكفار، ثم أمر الله نبيه ثانياً.

وَقَالَ: وَقُلْ أَمِنْتُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ أَيُّ قُلْ لَهُؤُلَاءِ الْكَافَرُ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَيَّ وَعَلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي وَأُمِرْتُ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ، أَيُّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنِي بِالْقِسْطِ وَالْعَدْلِ بَيْنَكُمْ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: اْعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ<sup>(١)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ<sup>(٢)</sup>.  
وَالْحُكْمُ عَامٌّ يَشْمَلُ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الظُّلْمَ قَبِيحٌ وَلَا سِيَّمَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَقَبِيحٌ مِنَ الْمُسْتَقْلَاتِ الْعَقْلِيَّةِ (اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) أَيُّ إِلَهَانَا وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ الَّذِي خَلَقَنَا وَخَلَقَكُمْ وَبَعَثَ أَنْبِيَائَهُ إِلَى الْخَلْقِ لِإِجْرَاءِ الْعَدَالَةِ بَيْنَهُمْ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ<sup>(٣)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ<sup>(٤)</sup>.

وَلَمْ يَفِرْقِ اللَّهُ تَعَالَى فِي إِجْرَاءِ الْعَدَالَةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلكُمْ أَعْمَالُكُمْ إِذْ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ.

فَقِيلَ مَعْنَاهُ لَا خِصُومَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحَقَّ قَدْ ظَهَرَ فَسَقَطَ الْجِدَالُ وَالْخِصُومَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ الْحُجَّةَ لَنَا عَلَيْكُمْ لظهورها وليس بيننا



بالإشتباه والإلتباس، وقيل معناه لا حجة بيننا وبينكم لظهور أمركم في البغي علينا والعداوة لنا ذكر هذه الوجوه في التبيان، ولكل منها وجهٌ وجيه والذي يخطر بالبال في معنى الكلام هو أنَّ الحجة في الآية بمعنى دفع الخصومة والمعنى لا الدافع للخصومة بيننا وبينكم في الدنيا فأنها باقية فيها حتى يجمع الله بيننا وبينكم يوم القيامة وإنما عبّر عن رفع الخصومة بين المؤمنين والكفار بالحجة لأنها تفصل بين الحق والباطل بحكم الحق بين العباد في يوم الميعاد وأية حجة أكبر وأعظم بين المتخاصمين من حكم الله تعالى الذي لا مرد له وعلى هذا فقوله لا حجة بيننا وبينكم، معناه لا رافع للخصومة في الدنيا أحد من آحاد الناس لأن المعاند لا يقبل قول غيره ولذلك قال: **اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**.

**وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**

قال صاحب الكشاف **يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ** يخاصمون في دينه من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الإسلام، ليردوهم إلى دين الجاهلية.

كقوله تعالى: **وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا**<sup>(١)</sup>. كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر وأظهر دين الإسلام إنتهى موضع الحاجة من كلامه.

وقال بعض المفسرين المراد بهم المشركون وقوله: **مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ**.

قال مجاهد من بعد ما أسلم الناس وهؤلاء قد توهّموا أنَّ الجاهلية لتعود. وقال قتادة الذين يحاجون في الله اليهود والنصارى ثم ذكر ما نقلناه عن

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

صاحب الكشف هذا ما ذكره في تفسير الآية والذي يَقْوِي في النَّفس أَنَّ المراد بالَّذِينَ يَحَاجُّونَ فِي الآية ليس جماعة خاصّة من اليهود أو النَّصارى أو المشركين بل المراد جميع المحاجِّين من الكفَّار الَّذِينَ طلبوا المعجزة عن النَّبي وبعد الإتيان بها حملوها على السَّحر وكذَّبوا النَّبي في دعوته إِيَّاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ فَقوله تعالى: **مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتَجِيبَ لَهُ بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ** يدلُّ عَلَى أَنَّ الكفَّارَ اسْتَدْعَوْا المعجزة والنَّبي أَتَى بها ومع ذلك لم يؤمنوا به تعالى: **حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ** أي باطلة مشعر بأنَّ الإحتجاج بعد تماميّة الحجّة لا فائدة فيه ولذلك قال: **وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ** يوم القيامة لأنَّهم في الحقيقة كانوا كالمستهزئين بالله ورسوله والله أعلم.

**اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ**

المراد بالكتاب القرآن ثم وصفه بالحقّ لأنّه كلام الحقّ وكلام الحقّ حقّ ولا سبيل للبطلان إليه وقوله: **وَالْمِيزَانَ الظَّاهِرَ** أن الواو للعطف أي وأنزل الميزان الفارق بين الحقّ والباطل.

قال المفسّرون المراد بالميزان، العدل لأنّ الميزان إظهار التَّسْوِيَةِ من خلافها فيما للعباد إليه حاجة في المعاملة أو التَّفَاضُل، وعند مقايضة القرآن بغيره من الكتب المنزلة تعرف فضيلته وبانت حجّته فلذلك وصفه بالميزان وعلى هذا فالعطف تفسيريّ ووصف للكتاب ومعنى الآية أن الله تعالى هو الذي أنزل القرآن المتّصف بكونه حقاً وميزاناً.

وقوله: **وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ** أي لا تعلم أنت يا محمّد غيرك متى تجي السّاعة فإنّ العلم بوقتها عند الله تعالى وهو من العلم المخزون الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، وأنما قال قريب ولم يقل قريبة مع تأنيث السّاعة لأنّ تأنيثها ليس بحقيقي وقيل التّقدير، مجيئها قريب، وقيل في وجه إخفاء السّاعة، ووقت مجيئها

عن العباد، أن ذلك ليكونوا على خوفٍ و يبادروا بالتَّوبَةِ واللَّهِ أعلم.

يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَ  
يَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ  
بَعِيدٍ

الضمير في، بها، يرجع على السَّاعَةِ قَسَمَ اللَّهُ تعالى النَّاسَ على قسمين:  
أحدهما: الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالسَّاعَةِ.

الثاني: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهَا، و الحصر عقليّ دائريّ بين النَّفي والإثبات لأنَّ الإنسان  
إما مؤمنٌ بالقيامة أو لا.

ثمَّ حكم الله على غير المؤمنين بها بأنَّهم يستعجلون بها أي يقولون متى تجي  
السَّاعَةُ مثلاً أن كانت حقاً و لم يعلموا أنَّ لكلِّ شيءٍ أَجَلٌ و وقتٌ معيَّن على ما  
إقتضته المصلحة، و أمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِهَا فهم مشفقون أي خائفون منها لعلمهم بما  
فيها من الأهوال.

وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ بِهَا لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ  
السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ثُمَّ هَدَّدَ اللَّهُ غَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ وَخَوْفُهُمْ وَقَالَ: أَلَا إِنَّ الَّذِينَ  
يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ أَيَّ أَنَّ الَّذِينَ يَشْكُونَ وَيَخَاصِمُونَ  
فِي قِيَامِ السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ، أَي بعيد عن الحقِّ و طريق الاعتبار إذ لو تذكروا و  
تفكروا في أنفسهم لعلموا أنَّ الَّذِي أَنشَأَهُمْ و أوجدَهُم و أخرجَهُم من العدم إلى  
الوجود قادرٌ على أن يبعثَهُم فَأَنَّ الإحياء بعد الموت مع فرض بقاء المادَّة التُّرابية  
أسهل من الإيجاد الأوَّل و هو ظاهرٌ.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ

اللطيف إذا وصف به الجسم فهو ضدَّ الضخامة يقال جسمٌ لطيف أي غير

ضخيم، يعبر باللطافة واللطف عن الحركة الخفيفة وعن تعاطي الأمور الدقيقة، وقد يعبر باللطائف عما لا تدركه الحاسة ويصح أن يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه.

و أن يكون لمعرفته به دقائق الأمور.

و أن يكون لرفقه بالعباد لهدايتهم إلى الحق و كيف كان فهو من أسماء الله تعالى و هو الرفيق بعباده الذي يوصل إليهم ما ينتفعون به في الدارين و يهيئ لهم ما ينتسبون به إلى المصالح من حيث لا يعلمون و من حيث لا يحتسبون بل نقول إيجاد الإنسان من اللطف و بعثه الأنبياء و الشرائع و التكليف كلها من اللطف و إعطاء الرزق من اللطف و بالجملة جميع ما يصل من الله إلى العبد منشأ اللطف و لذلك وصف الله تعالى نفسه به في كثير من الآيات و الأمر أوضح من أن يخفى على أحد.

و قوله: وَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ يعني هو القادر الذي لا يعجزه شيء و العزيز الذي لا يغالb.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ

الحَرْث بفتح الحاء في الأصل إلقاء البذر في الأرض و تهيؤها للزَّرع و يسمَّى المحروث حرثاً، و تصوّر منه العمارة التي تحصل منه و قد ذكر في مكارم الشريعة كون الدنيا محرثاً للناس و كونهم حرثاً فيها كيفية حرثهم.

و روي: أصدق الأسماء الحارث. و ذلك لتصور معنى الكسب منه.

و روي: أحرت في الدنيا لأحرتك. و يقال أحرت القرآن أي أكثر تلاوته.

و قال رسول الله ﷺ: الدنيا مزرعة الآخرة، أي مكان حرثها.

إذا عرفت معنى الحرث فنقول، أخبر الله تعالى في هذه الآية أن الحرث تارة

يكون في الدنيا للدنيا و أخرى يكون فيها للأخرة ثم حكم بأن الحارث للأخرة نزل له في حرثه بالخير والبركة أي نجزيه بأحسن ممّا عمل به كما قال: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أََمْثَالِهَا<sup>(١)</sup> فَأَنَّ المَرَاد بالحرث للأخرة ليس إلاّ العمل الصّالح فالعمل بمنزلة البذر، والأجر بمنزلة الثمرة، ثم حكم الله تعالى بأن الحارث للدنيا نؤته منها أي من الدنيا وذلك لأنّه حرث لها.

و من المعلوم أنّ الدنيا لا خير فيها لعدم بقاءها مضافاً إلى أنّها دارٌ بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة، و نعمها محفوفة بالأحزان والهموم وهذا بخلاف الآخرة فأنّها باقية لا زوال لها.

و في قوله تعالى: نُؤْتِيهِ مِنْهَا إشارة إلى نقطة خفيّة وهى أنّ الله تعالى بمقتضى عدله لا يضيع عمل عاملٍ في الدنيا إلاّ أنّ الثمرة المترتبة عليه تارة تكون الدنيا وما فيها و تارة تكون الآخرة.

و حاصل الكلام أنّ طالب الدنيا يصل إليها و طالب الآخرة أيضاً يصل إليها و الآخرة خيرٌ من الدنيا فطالبها رابحٌ و طالب الدنيا خاسرٌ قل كلّ يعمل على شاكلته.

روي في مشكاة الأنوار عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: من أصبح وأمسى والدنيا أكبر همّه جعل الله الفقر بين عينيه و شتّت أمره ولم ينل من الدنيا إلاّ ما قسم له، و من أصبح وأمسى والآخرة أكبر همّه جعل الله الغنى في قلبه و جمع له أمره إنتهى.

و عنه عليه السلام قال: كم من طالبٍ للدنيا لم يدركها، و مدرّكٌ لها قد فارقتها فلا يشغلنك طلبها عن عملك و إلتمسها من معطيها ومالكها فكم من حريصٍ على الدنيا قد صرعه و إشتغل بما أدرك منها من عملٍ آخر حتّى إنقضى عمره و أدرك أجله إنتهى.

إن قلت هذا الحديث ينافي الآية وذلك لأنّه عليه السلام قال: كم من طالبٍ للدنيا لم

يدركها والآية تقول مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا كَيْفَ التَّوْفِيقِ  
بينهما.

قلت كلاً منافاة بينهما لأن الآية لا تقول من كان يريد حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مَا أَرَادَ  
بل قالت نُؤْتِهِ مِنْهَا، وكلمة، من، للتبعية أي نُؤْتِهِ بِعَظْمِ مَا طَلَبَ وَ أَرَادَ، وَ  
الحديث أيضاً يقول به والدليل على ما ذكرناه أَنَّ طَالِبَ الدُّنْيَا لَا يَصِلُ إِلَى مَطْلُوبِهِ  
أَبْدًا وَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ فَالنَّصِيبُ الْحِظُّ وَ  
المعنى أَنَّهُ عَمِلَ لِلدُّنْيَا وَ نَالَ مِنْهَا وَلَمْ يَعْمَلْ لِلْآخِرَةِ فَلَا نَصِيبَ لَهُ مِنْهَا وَ الْأَعْمَالُ  
بِالْبَيِّنَاتِ.

أَمْ لَهُمْ شُرَكَوًا شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَ لَوْلَا  
كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ  
أَمْ لِلْأَصْنَامِ بَعْضٌ (بل) وَ الْمَعْنَى بِلَهُمْ، أَيْ لِهَؤُلَاءِ الْكَفَّارِ شُرَكَوًا لِلَّهِ مِنْ  
الْأَصْنَامِ وَ الْأَوْثَانِ وَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى بِلَهُمْ شُرَكَاءَ فِيمَا يَفْعَلُونَهُ أَيْ  
أَشْرَكُوهُمْ مَعَهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ شَرَعُوا هَؤُلَاءِ الشُّرَكَاءَ لَهُمْ أَيْ لِهَؤُلَاءِ  
الْكَفَّارِ مِنَ الدِّينِ الَّذِي قَلَّدُوهُمْ فِيهِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ أَيْ لَا يَأْمُرُهُ اللَّهُ وَلَا  
أُذِنَ فِيهِ وَ لَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ أَيْ الْحُكْمُ بِتَأْخِيرِ عِقَابِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ  
الْمَعْلُومِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَ فَصَّلَ الْحُكْمَ وَ عَوَّلُوا بِمَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنَ الْعَذَابِ  
لَظْلَمَهُمْ وَ تَعَذَّبَهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَيْ شَدِيدٌ  
مُوجِعٌ.

أقول يظهر من الآية أَنَّ الْمُرَادَ بِالظَّالِمِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، الَّذِينَ ابْتَدَعُوا فِي دِينِ  
اللَّهِ أَيْ أَدْخَلُوا فِي الدِّينِ مَا لَيْسَ مِنْهُ بِمَعُونَةٍ شُرَكَائِهِمْ وَ لَيْسَ الْمُرَادُ بِهِمُ الْكَفَّارُ وَ  
بِالشُّرَكَاءِ الْأَصْنَامِ وَ الْأَوْثَانِ وَ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْمُبْتَدِعَ فِيهِ لَا يَكُونُ إِلَّا مَنْ كَانَ دَاخِلًا  
فِيهِ ظَاهِرًا وَ هُوَ الْمُنَافِقُ الَّذِي يَظْهَرُ الْإِسْلَامَ وَ يَبْطِنُ الْكُفْرَ، وَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ  
الْمُرَادُ بِالشُّرَكَاءِ شُرَكَائِهِمْ فِي الْكُفْرِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْأُمَمِ السَّالِفَةِ مِنَ الْيَهُودِ

النّصارى و على هذا فالمقصود منها أنّ التّشريع في الدّين ليس منحصرأ بهؤلاء الكفّار الذين في زمانك يا محمّد بل لهم شركاء في الأديان السّابقة أيضاً وكيف كان فأنهم من الظّالمين الذين يستحقّون العذاب يوم القيامة.

تَرَى الظّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَ هُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَ الَّذِينَ أَمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن حال الكفّار أو الظّالمين و أن كانوا من المسلمين ظاهراً، فحمل الآية على الكفّار و أنّ المراد بالظّالمين الكفّار لا دليل عليه و لا نعلم بأيّ دليل حملوا الآية على الظّالمين من الكفّار، مع أنّ الظّالم كما يصدق على الكافر لكفره يصدق على المسلم أيضاً لظلمه و الحاصل أنّ المذكور في الآية الظّالمون و الحكم ثابت لهم و هو أي الظّلم لا يختصّ بالكافر فالآية يحمل على العموم و لا يبعد أن يكون المراد بهم المبتدعين من هذه الأمة الذين أشار اليهم في الآية السّابقة على ما فسّرناها و على هذا فالظّالمون في هذه الآية هم الذين حكم الله عليهم في الآية السّابقة بالعذاب الأليم، و على أيّ تقدير فمعنى الآية أنّ الظّالمين مشفقين أي خائفين ممّا كسبوا بأيديهم في الدّنيا (وهو) أي الخوف أو العذاب واقع بهم لا محالة فلا ينفعهم إشفاقهم منه لأنّ السّبب أي سبب العذاب قد تحقّق منهم في الدّنيا فالمسبّب و هو العذاب و الخوف منه مترتّب على السّبب و هذا حكم عقلي لا محيص عنه و هو ظاهر.

إن قلت ما الدّليل على أنّ الظّالم يكون مشفقاً خائفاً ممّا كسب ولو كان خائفاً ممّا فعل ما فعله قطعاً و حيث أنّه فعل ما فعل من المعاصي فهو دليل على عدم خوفه.

قلت العقل يحكم بوجود دفع الضرر المحتمل و احتمال الضرر ثابت للظّالم

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

مسلمًا كان أو كافرًا، أمّا الظّالم المسلم فواضحٌ و أمّا الكافر فهو أيضًا داخل في الحكم لأنّ الحكم عقليٌّ و الكافر مسلوب الإيمان لا مسلوب العقل فكما أنّ الكافر لا قطع له بالحساب والقيامة والثواب والعقاب كذلك لا قطع له بعدمه فهو أي الجزء محتملٌ عند عقله وإن لم يكن مقطوعاً به وإذا كان العقاب محتملاً فالخوف ثابت له وإذا كان هذا الإحتمال ثابتاً له عقلاً فثبوته للمسلم بطريقٍ أولى فظهر أنّ الظّالم مسلمًا كان أو كافر خائف وهو المطلوب.

ثم أشار الله تعالى إلى أحوال المؤمنين وقال: **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ** قد مرّ مراراً أنّ المؤمن، من آمن بالله ورسوله وجميع ما جاء به الرسول إعتقاداً ولساناً، ثم العمل بما أمر الله ورسوله به جوارحاً و أركاناً و بعبارة أخرى المؤمن هو المقرّ بالسان والمعتقد بالجنان والعامل بالأركان والعمل الصّالح كلّ عمل كان مرضياً عند الله ورسوله فمن كان مؤمناً وعمل صالحاً فهو في روضات الجنّات بعد الموت وأيّ مكان أحسن منها وهي مكان الأنبياء والأوصياء والأولياء وقد ثبت أنّ شرف المكان بالمكين.

**لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** أي لهؤلاء المؤمنين في روضات الجنّات ما يشاؤون ويميلون اليه من أنواع النعم وفيها ما تشتهيهِ النفس وتلدّ الأعين وأفضل من هذا كلّ مقام العنديّة التي ثبتت لهم بقوله: **عِنْدَ رَبِّهِمْ** ولعمري ذلك هو الفضل الكبير الذي لا يتصور فضل فوقه و لمثل ذلك فليعمل العاملون و إلى ذلك أشار الله بقوله:

**ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**

**ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ذلك إشارة إلى ما أعطاهم الله في روضات الجنّات من الكون عند ربهم وأنّ لهم



ما يشاؤون من أنواع النعم وأن شئت قلت إشارة الى الفضل الكبير فهذا هو الذي يبشر الله عباده المؤمنين العاملين عملاً صالحاً به وهو من أحسن البشارات ثم أمر الله نبيه وقال: **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** أي قل يا محمد لهم لا أسئلكم عليه، أي على تبليغ رسالتي اليكم من قبل الله أجراً منكم **إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**.

قال صاحب الكشف يجوز أن يكون إستثناءً متصلاً أي لا أسئلكم أجراً إلا هذا وهو أن تودّوا أهل قرابتي ولم يكن هذا أجراً في الحقيقة لأن قرابته قربتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المروة، ويجوز أن يكون الإستثناء منقطعاً أي لا أسئلكم أجراً قط ولكنني أسألكم أن تودّوا قرابتي الذين هم قرابتكم تؤذوهم. وقال الشيخ رحمته في التبيان قيل في هذا الإستثناء قولان:

**أحدهما:** أنه منقطع لأن المودة في القربى ليس من الأجر ويكون التقدير لكن أذكركم الله المودة في قرابتي.

**الثاني:** أنه إستثناء حقيقة ويكون أجري المودة في القربى كأنه أجرٌ وأن لم يكن أجراً وختلفوا في معنى المودة في القربى فقال عليّ ابن الحسين عليه السلام وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب معناه أن تودّوا قرابتي وهو المرؤي عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله عليه السلام وقال الحسن معناه، إلا المودة في القربى، الى الله تعالى والتودّد بالعمل الصالح اليه، وقال ابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد وعطاء بن دينار معناه، إلا أن تؤدّوني لقرابتي منكم وقالوا كل قريش كانت بينه وبين رسول الله قرابة ويكون المعنى إن لم تؤدّوني لحق النبوة أفلا تؤدّوني لحق القرابة والأول هو الإختيار عندنا إنتهى كلامه.

وقال بعضهم معناه، إلا أن تصلوا قرابتكم.

وقال القرطبي، في تفسيره لهذه الآية ما لفظه، قال الزجاج، إلا المودة إستثناء ليس من الأول، أي إلا أن تؤدّوني لقرابتي فتحفظوني والخطاب لقريش خاصة

وبه قال ابن عباس ومجاهد وأبو مالك والشعبي وغيرهم قال الشعبي أكثر الناس علينا في هذه الآية فكتبنا إلى ابن عباس نسأله عنها فكتب أن رسول الله ﷺ كان أوسط الناس في قریش فليس بطن من بطونهم إلا ولده، فقال الله له: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى أَي إِلَّا أَنْ تُوَدُّونِي فِي قُرَابَتِي مِنْكُمْ أَي تَرَاوَعُوا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَتَصَدَّقُونِي فَالْقُرْبَى هَا هُنَا قُرَابَةُ الرَّحِمِ وَ سَاقِ الْكَلَامِ إِلَى أَنْ قَالَ فَالْقُرْبَى قُرَابَةُ الرَّحِمِ وَالْمَعْنَى قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا لَكِنْ أَذْكُرْكُمْ قُرَابَتِي ثُمَّ نَقَلَ الْقُرْطُبِيُّ مَا نَقَلْنَاهُ عَنِ التَّبَّيَّانِ مِنْ قَوْلِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ أَنَّ الْمُرَادَ أَنْ تُوَدُّوا قُرَابَتِي وَأَهْلَ بَيْتِي إِنْ تَهَيَّيَ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ مِنْ كَلَامِهِ وَ قَدْ أَطَالَ الْمُفَسِّرُونَ الْبَحْثَ حَوْلَ الْآيَةِ وَنَقَلَ الْأَقْوَالُ فِيهَا وَمَنْ أَرَادَ الْوُقُوفَ عَلَى أَقْوَالِهِمْ فَلَعَلَّهِ بِالْمَرَا جُوعَةٍ إِلَى تَفَاسِيرِهِمْ وَ الَّذِي حَصَلَ لَنَا فِي الْمَقَامِ بَعْدَ الْفَحْصِ فِي كَلِمَاتِهِمْ هُوَ أَنَّ الْمُتَعَصِّبِينَ مِنَ الْعَامَّةِ قَدْ اتَّعَبُوا نَفُوسَهُمْ لِإِطْفَاءِ نُورِ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَأَقْلَامِهِمْ وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَتَمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْآيَةَ لَا خَفَاءَ فِيهَا وَ لَا تَحْتَاجُ إِلَى هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ الْبَارِدَةِ وَ الْاسْتِنْبَاطَاتِ السَّخِيفَةِ فَأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ أَوْضَحَ مِنَ الشَّمْسِ وَ أَبْيَنَ مِنَ الْأَمْسِ.

و المراد بالقربى في الآية أهل بيت الرسول الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً.

أما عندنا معاش الشيعة فلا خلاف فيه و لا نحتاج إلى نقل الأخبار الواردة عن أهل البيت في الباب و لنشر إلى بعض ما ورد في المقام من طرق العامة إتماماً للحجة على الخصم المعاند فنقول.

روي الشيخ سليمان الحنفي البلخي في كتابه ينابيع المودة و هو من أعيان العامة و كتابه من أشهر الكتب بينهم ما هذا لفظه.

الباب الثاني و الثلاثون في تفسير قوله تعالى: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا

إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى أَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدِهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ  
 إِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا  
 الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَجِبَتْ لَنَا مَوَدَّتُهُمْ  
 قَالَ ﷺ: عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، أَيْضاً أَخْرَجَ هَذَا الْحَدِيثَ  
 الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ، إِبْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ، الْحَاكِمُ فِي الْمَنَاقِبِ،  
 الْوَاحِدِيُّ فِي الْوَسِيطِ، أَبُو نَعِيمٍ الْحَافِظُ فِي حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ، الثَّعْلَبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ،  
 الْحَمَوِيُّ فِي فَرَائِدِ السَّمْطَيْنِ وَفِي صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، سَثَلُ إِبْنِ عَبَّاسٍ  
 عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ هِيَ قُرْبَى آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، جَوَاهِرُ الْعَقْدِينَ  
 أَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ إِبْنُ حَيَّانٍ فِي كِتَابِهِ الثَّوَابِ مِنْ طَرِيقِ الْوَاحِدِيِّ عَنْ إِبْنِ هَاشِمٍ  
 الرَّمَانِيِّ عَنْ زَاوَانَ عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ قَالَ ﷺ:

فِينَا آلُ حَمْعَسَقٍ، آيَةٌ لَا يَحْفَظُهَا مِنْ مَوَدَّتِنَا إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ ثُمَّ قَرَأَ،  
 قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى.

أَخْرَجَ الْمَلَأُ فِي سِيرَتِهِ وَقَالَهُ الْمَحَبُّ الطَّبْرِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ  
 قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ أَجْرِي عَلَيْكَ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَإِنِّي سَأَلْتُكَ  
 غَدًا عَنْهَا.

وَفِي الْمَنَاقِبِ عَنْ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: قُلْ  
 مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ يَقُولُ الْأَجْرُ الَّذِي هُوَ الْمَوَدَّةُ فِي  
 الْقُرْبَى الَّتِي لَمْ أَسْأَلْكُمْ غَيْرَهَا فَهُوَ لَكُمْ تَهْتَدُونَ بِهَا وَتَسْعَدُونَ بِهَا  
 وَتَنْجُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَالْمَوَدَّةُ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْوَدِّ وَهُوَ  
 الْحَبُّ الْقَوِيُّ الدَّائِمُ الثَّابِتُ.

أَخْرَجَ أَبُو الْمُؤَيَّدِ مَوْفِقُ بْنُ أَحْمَدَ الْخَوَارِزْمِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:  
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَزُولُ قَدَمُ عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
 حَتَّى يَسْأَلَ عَنْ عَمَلِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ مَالِهِ مِمَّ كَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَ

عن حَبْتَا أَهْلِ الْبَيْتِ إِنَّتَهَى<sup>(١)</sup>.

و روي الحافظ الحسكاني و هو من أعيان العامة في كتابه المسمى بشواهد التنزيل بأسناده عن ابن عباس قال: لَمَّا نَزَلَتْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَمَرَنَا اللَّهُ بِمَوَدَّتِهِمْ قَالَ ﷺ: عَلِيٌّ وَ فاطمة و ولدهما إِنَّتَهَى.

و أيضاً بأسناده عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآية قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ قَرَابَتِكَ الَّتِي افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْنَا مَوَدَّتِهِمْ قَالَ ﷺ: عَلِيٌّ وَ فاطمة و ولدها إِنَّتَهَى.

و بأسناده عن الاعمش عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: لَمَّا نَزَلَتْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ قَرَابَتِكَ الَّذِينَ وَجِبَتْ عَلَيْنَا مَوَدَّتِهِمْ قَالَ ﷺ: عَلِيٌّ وَ فاطمة و أبيניהما.

و قال الإسماعيلي و ابنيهما و قال الزمخشري في الكشف عند تفسيره لهذه الآية، و القربى مصدر كالزلفى و البشرى بمعنى القرابة و المراد في أهل القربى.

و روي أنها لَمَّا نَزَلَتْ قيل يا رسول الله مِنْ قَرَابَتِكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَجِبَتْ مَوَدَّتِهِمْ قَالَ ﷺ: عَلِيٌّ وَ فاطمة و إبناهما.

و يدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه شكوت الى رسول الله ﷺ حسد الناس لي فَقَالَ ﷺ: أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ رَابِعَ أَرْبَعَةٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَنَا وَ أَنْتَ وَ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ وَ أَزْوَاجُنَا عَنْ إِيْمَانِنَا وَ شِمَائِلِنَا وَ ذُرِّيَّتِنَا خَلْفَ أَزْوَاجِنَا.

و عن النَّبِيِّ ﷺ: حَرَمَتِ الْجَنَّةَ عَلَى مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ بَيْتِي وَ آذَانِي  
 فِي عَتْرَتِي وَمَنْ إصْطَنَعَ صَنِيعَةً إِلَى أَحَدٍ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ وَلَمْ  
 يَجَازِهِ عَلَيْهَا فَأَنَا أَجَازِيهِ عَلَيْهَا غَدًا إِذَا لَقِينِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.  
 وَ رَوَى أَنَّ الْأَنْصَارَ قَالُوا فَعَلْنَا وَ فَعَلْنَا كَأَنَّهُمْ إِفْتَخَرُوا فَقَالَ عَبَّاسٌ  
 أَوْ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَنَا الْفَضْلُ عَلَيْكُمْ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ  
 اللَّهِ ﷺ فَاتَاهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ  
 تَكُونُوا أَذَلَّةً فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ بِي قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ ﷺ:  
 أَلَمْ تَكُونُوا ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ.  
 قَالَ ﷺ: أَفَلَا تَجِيبُونِي؟ قَالُوا مَا نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ ﷺ:  
 أَلَا تَقُولُونَ أَلَمْ يَخْرُجْ قَوْمُكَ فَأَوَيْنَاكَ، أَوْ لَمْ يَكْذِبُوكَ فَصَدَّقْنَاكَ،  
 أَوْ لَمْ يَخْذُلُوكَ فَنَصَرْنَاكَ، قَالَ: فَمَا زَالِ يَقُولُ حَتَّى حَتُّوا عَلَى  
 الرِّكْبِ وَ قَالُوا أَمْوَالَنَا وَ مَا فِي أَيْدِينَا لِلَّهِ وَ رَسُولُهُ فَنَزَلَتِ الْآيَةُ  
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَنْ مَاتَ  
 عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ شَهِيدًا، أَلَا وَ مَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ  
 مَاتَ مَغْفُورًا لَهُ أَلَا وَ مَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مُؤْمِنًا تَائِبًا، أَلَا وَ  
 مَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ مُؤْمِنٌ مُسْتَكْمِلُ الْإِيمَانِ، أَلَا وَ مَنْ  
 مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ، بَشَّرَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ بِالْجَنَّةِ ثُمَّ مَنَكَرَ وَ  
 نَكِرَ، أَلَا وَ مَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ يُرْفُ إِلَى الْجَنَّةِ كَمَا تُرْفُ  
 الْعُرُوسُ إِلَى بَيْتِ زَوْجِهَا، أَلَا وَ مَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ فَتَحَ  
 فِي قَبْرِهِ بَابَانِ إِلَى الْجَنَّةِ، أَلَا وَ مَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ جَعَلَ  
 اللَّهُ قَبْرَهُ مَزَارَ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ، أَلَا وَ مَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ  
 مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ أَلَا وَ مَنْ مَاتَ عَلَى بَغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ جَاءَ

يوم القيامة مكتوبٌ بين عينيه آيسٌ من رحمة الله، ألا و من مات على بغض آل محمّد مات كافراً، ألا و من مات على بغض آل محمّد لم يشم رائحة الجنّة إنتهى.

ما ذكره الزّمخشري في الكشف.

وإني أظنّ أنّ فيما ذكرناه و نقلناه عن العامة في الباب كفاية في معنى المراد من الآية و لا نحتاج الى إطالة الكلام في نقل الأحاديث من طرق الخاصّة بقي في المقام شيء لا بدّ لنا من التنبيه عليه و هو أنّ المراد بالموّدة ليس مجرد الحبّ كيف إنّفق بل المراد حبّ أهل البيت على الولاية و بعبارة أخرى، الحبّ يتصوّر على قسمين:

**أحدهما:** لأجل الكمالات النفسانية كالعلم و السخاوة و الشجاعة و العدالة و أمثال ذلك فإنّ هذه الصّفات محبوبة مطلوبة للبشر العاقل فكلّ من إنّصف بها فهو محبوبٌ للنّاس مؤمناً كان أو كافراً و حيث أنّ أهل البيت عليهم السّلام كانوا واجدين لها منصفين بها كانوا محبوبين عند جميع النّاس أو أكثرهم.

**الثاني:** أن يكون الحبّ لأجل كون المحبّوب من أولياء الله و حُبّه حبّ الله و بغضه بغض الله و من أطاعه أطاع الله و من أبغضه أبغض الله و هذا الحبّ عبّر عنه بالموّدة في الآية و نعبر عنه بالحبّ لله و في سبيل طاعة الله و لأجل هذه الدقيقة قال تعالى: **إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** ولم يقل إلّا الحبّ في القربى فإنّ الحبّ المطلق غير مقصود في الآية قطعاً ألا ترى أنّ الكافر العادل محبوبٌ عند النّاس حتّى عند المؤمنين، و المؤمن العادل أيضاً محبوبٌ عند النّاس حتّى عند الكافر، و الفرق بينهما أنّ الكافر العادل محبوبٌ لعدله لا لذاته و أن شئت قلت عدله محبوبٌ لا ذاته و هذا بخلاف المؤمن العادل فإنّّه محبوبٌ لإيمانه الذي نشأ منه عدله و صدقه فهو محبوبٌ لذاته و إيمانه و لذلك قال حبّ المؤمن حبّ الله و

بغضه بغضه فمن أحبَّ علياً عليه السلام مثلاً لأنه كان شجاعاً أو عالماً أو عادلاً فهو في الحقيقة أحبَّ الشَّجاعة والعلم والعدل لا علياً من حيث أنه ولي الله ومظهر صفاته وهكذا في سائر الأئمة.

والحاصل أنَّ المراد بالمودَّة في الآية هو الحبَّ على أساس الولاية كما أنَّ حبَّ النبي ينفع إذا كان الحبَّ لأجل النبوة لا غيرها من الصفات وإذا كان كذلك فهذه الأحاديث التي نقلناها عن العامة وغيرها ممَّا لم نذكرها حجة عليهم يوم القيامة ولا سيما ما ذكره صاحب الكشف في تفسيره لهذه الآية وقد نقلناه عنه بطوله وتفصيله وهو من فحول العلماء عندهم وكلامه حجة لهم ونحن لا ننكر فضله ودقته ومهارته ولكن نقول له أنت رويت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: حرمت الجنة على من ظلم أهل بيته وآذاني في عترتي ومعنى آذاني في عترتي أنَّ من آذاهم آذاني، وعلى هذا الحديث فالجنة حرام على من ظلم وآذى فاطمة بنت النبي لأنَّه آذى النبي في عترته، وإذا كانت الجنة عليه حرام فهو أهل النار قطعاً، ومن أحبَّ أهل النار فهو منهم. ثم نقول هل كانت فاطمة مظلومة بعد أبيها، أم لا، فإن لم تكن مظلومة فلم أوصت أن تدفن ليلاً، وإن كانت مظلومة فمن ظلمها وغصب حقها وأذاها وإذا كان كذلك فمن أحبَّ أعداء ذوي القربى كيف يدعي المودَّة في القربى والكلام طويل وليس كتابنا هذا موضوعاً لهذه الأبحاث وعلى هذا فقطع الكلام أولى ومن أراد الوقوف على هذا الموضوع وأمثاله فعليه بمراجعته شرحنا على الخطبة الشفشفقية من كتابنا المسمَّى بمفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة فأنه يجده بحرّاً لا ساحل له أن كان من أهل الإنصاف وبعد اللتيا والتي نرجع إلى تفسير الآية.

ونقول الحقَّ أنَّ الإستثناء في قوله تعالى: **إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ مٌتَّصِلٌ** والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المسلمين لا أسألكم أجراً على تبليغ الرسالة إلا هذا و

هو أن تؤدُّوا أهل قرابتي، و المودَّة لذوي القربى و أن لم تكن أجراً و جزاءً على تبليغ الرِّسالة حقيقةً لأنَّ الأجر و الجزاء الحقيقي على تبليغ الرِّسالة من الله تعالى و أن شئت قلت الأجر على المرسل و هو الله، إلَّا أنَّه أُجِرَّ و جزاء من ناحية المبعوث إليهم و قد يعبر عنه بالشُّكر على النِّعمة فأنَّ من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق و حيث أنَّ الشكر لسانى و عملى و قلبى فهو من الشُّكر القلبى فهو داخل في الأجر مجازاً لا حقيقةً و بعبارة أخرى قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة أداءً لحقِّ الشُّكر و هذا هو المراد من الآية إلَّا أنَّ المسلمين بعد الرِّسول لم يراعوا ذلك و سيعلم الَّذِينَ ظلموا أيُّ منقلبٍ ينقلبون إنا لله و إنا إليه راجعون و نعم الحكم، الله تعالى.

وَمَنْ يَفْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ  
الإقتراف الإكتساب و أصل القرف الكسب يقال فلان يفترف لعياله أي يكسب و هو مأخوذ من قولهم رجلٌ قرفة إذا كان محتالاً، و المعنى من يكتسب حسنةً أيَّة حسنة كانت، نزد له، أي لفاعلها حسناً أي نضاعفها.

و نقل القرطبي في تفسيره لهذه الآية عن ابن عباس أنَّه قال الحسنه في المقام المودَّة لأل محمَّد ﷺ و قوله: نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا، أي نضاعف له الحسنه بعشر فصاعداً، أنَّ الله غفورٌ، للذنوب، شكورٌ للحسنات.

أقول ما ذكره لا بأس به و أيُّ حسنةٍ من مودَّة أل محمَّد و سياق الكلام أيضاً يؤيد ما ذكره ابن عباس لأنَّ الله تعالى ذكر الحسنه بعد المودَّة في القربى فكانه سَرَّ المودَّة بالحسنه و هو من تفسير الكلام بأحسن مصاديقه و الله أعلم.





أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَاءِ  
 اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَ  
 يُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ  
 (٢٤) وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَ  
 يَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥) وَ  
 يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ  
 يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ الْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ  
 شَدِيدٌ (٢٦) وَ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا  
 فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ  
 بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧) وَ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ  
 الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَ يَنَشِّرُ رَحْمَتَهُ وَ هُوَ  
 الْأَوَّلَى الْآخِرَةُ (٢٨) وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ  
 السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ ذَاكِه وَ  
 هُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩) وَ مَا  
 أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَعْفُوا  
 عَنْ كَثِيرٍ (٣٠) وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي  
 الْأَرْضِ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا  
 نَصِيرٍ (٣١) وَ مِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ  
 كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ  
 رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ  
 صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوقِفُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَ  
 يَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٤) وَ يَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ

فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ (٣٥) فَمَا أَوْتِيْتُمْ  
 مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ  
 خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ  
 يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ  
 وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧)  
 وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ  
 أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ  
 (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ  
 يَنْتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا  
 فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا  
 يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنْ آتَنَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ  
 فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ  
 عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي  
 الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ  
 (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ  
 الْأُمُورِ (٤٣) وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ  
 مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ  
 يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (٤٤)

### ◀ اللّٰغَة

أَفْتَرَى: الإفتراء الكذب والظلم والشُّرك وقد أستمعل في كلِّ وادٍ منها في

القرآن، و قيل الإفتراء البهتان و التُّهمة.

بَسَطَ: البسط السَّعة.

لَبَّغُوا: البغي طلب تجاوز الإقتصاد يقال بغيت الشَّيْ إذا طلبت أكثر ما يجب و  
إبتغيت كذلك.

قَنَطُوا: القنوط اليأس.

بَثَّ: البَثَّ الإنتشار و الدَّابة يقال لكل ما يدُب في الأرض.

الْجَوَار: بفتح الجيم جمع جارية و المراد بها السُّفن الجارية في البحر.

الْأَعْلَام: واحدها، علم قيل الإعلام القصور، و قيل البال. و قال الخليل كلَّ  
شَيْ مرتفع عند العرب فهو علم.

رَوَّاءِ كَد: واحدها راكد يقال ركد الماء ركوداً إذا سكن و كذلك الرِّيح و السَّفينة  
و قيل كلَّ ثابتٍ في مكانٍ فهو راكد.

يُؤَبِّقُهُنَّ: يقال وَبِق إذا تَبَّطَ فهلك، و أوبقه أهلكه.

مَحْصٍ: أصل المحص تخليص الشَّيْ ممَّا فيه من عيبٍ كالفحص لكن  
الفحص يقال في إبرار الشَّيْ من أثناء ما يختلط به و هو منفصلٌ عنه و المحص  
يقال في إبراره عمَّا هو متصطلٌ به و المراد به في المقام الملجأ أى مالهم من ملجأ  
يلتجئون به و الباقي واضح.

في القرآن في تفسير القرآن

## الإعراب

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

يَخْتِمُ هو جواب للشرط و يَمَحُوا مرفوع مستأنف و ليس من الجواب الَّذِينَ  
أَمَّنُوا مفعول به إذا يَشِىَّ العامل في إذا جَمَعَهُمْ لا، قدير و مَا أَصَابَكُمْ ما،  
شرطية في موضع رفع بالابتداء فِيمَا كَسَبَتْ جوابه الْجَوَار مبتدأ فى الْبَحْرِ حال  
منه و العامل فيه الإستقرار و كَالْأَعْلَام حال ثانية أو هو حال من الضمير في  
الجوار يُسْكِنِ جواب الشرط فَيُظْلَلْنَ معطوف على الجواب و يَعْلَمَ الَّذِينَ

يجوز فيه النَّصْبُ عَلَى تقدير و، أن يعلم، لأنَّه صرفه عن الجواب و عطفه على المعنى، و يجوز فيه الكسر على أَنه مجزومٌ حُرْكَ لِإِلْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، و يجوز فيه الرَّفْعُ عَلَى الْإِسْتِنَافِ مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصِ الْجُمْلَةِ الْمَنْفِيَةِ تَسَدُّ مَسَدَ مَفْعُولِي، عملت وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ مَعْطُوفَ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى لِلَّذِينَ آمَنُوا و يجوز أن يكون في موضع نصب بإضمار، أعني، أو رفع على تقدير، هم، هُمْ يَغْفِرُونَ مبتدأ وخبر و الجملة جواب، إذا وَلَمَنْ صَبَرَ مِنْ، شرطية و، صبر، في موضع جزم بها والجواب إِنَّ ذَلِكَ و قيل، من، بمعنى الَّذِي والعائد محذوف أي أن ذلك منه.

### ◀ التفسير

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَ يَمُحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَ يُحَقِّقُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ  
قال بعض المفسرين الميم، صلة و التقدير يقولون، افترى على الله كذباً.

قال صاحب الكشاف، أم، منقطعة و معنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل أيتما لكون أن ينسبوا مثله على الإكتراء ثم إلى الإفتراء على الله الذي هو أعظم الفرى و أفحشها.

و قال بعضهم أم، للإضراب بمعنى، بل و المعنى بل يقولون هؤلاء الكفار يامحمد افترت على الله كذباً في إدعائك رسالة على الله، و هذا هو الحق الحقيق بالاتباع و إن كان للوجهين الأولين أيضاً وجهٌ وحيه كما لا يخفى.

فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ إختلفوا في معناه فقال قتادة معناه على قلبك فينسبك القرآن فأخبرهم الله أنه لو افترى عليه لفعل بمحمد ﷺ ما أخبرهم به في هذه الآية.

و قال مجاهد و مقاتل معناه، إن يشأ الله يربط على قلبك بالصبر على أذاهم

حَتَّى لَا يَدْخُلَ قَلْبُكَ مَشَقَّةَ مِنْ قَوْلِهِمْ، وَ قِيلَ الْمَعْنَى، إِنْ يَشَأْ يَزِلُّ تَمْيِيزَكَ مَعْنَاهُ لَوْ حَدَّثَتْ نَفْسُكَ بِأَنْ تَفْتَرِي عَلَى اللَّهِ كَذِباً لَطُبِعَتْ عَلَى قَلْبِكَ وَأَذْهَبَتْ الْوَحْيَ الَّذِي أُتِيتَ لَأَنْتِ أَمْحُوا الْبَاطِلَ وَأَحَقِّ الْحَقَّ.

و قال صاحب الكشف معناه فأن يشأ الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذب فإنه لا يجتري على إفتراء الكذب على الله إلا من كان في مثل حالهم إنتهى.

و قال البيضاوى فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمُ عَلَى قَلْبِكَ إِسْتِبْعَادَ لِلإِفْتِرَاءِ عَنْ مثله بالإشعار على أنه أنما يجتري عليه من كان محتوماً على قلبه جاهلاً بربه فأما من كان ذا بصيرة و معرفة فلا و كأنه يقال إن يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجتري بالإفتراء عليه إلى آخر ما قال من نقل الأقوال و قد ذكرناها، فهذه هي كلمات القوم في تفسير الآية و عليك بالتأمل فيها.

و عندي أن أحسن الأقوال المذكورة هو قول البيضاوي و إن كان قوله هذا مأخوذاً من قول صاحب الكشف كما هو دأبه في تفسيره و لذلك يقال أنه خلاصة الكشف، و الذي يخطر ببالي في تفسير الآية هو أن الله تعالى ردّ على الكفار القائلين بالإفتراء و توضيح ذلك أنهم أنكروا القرآن و أنه من عند الله و ادّعوا أن النبي إفتري على الله و قال هذا كلام الله، فقال تعالى مخاطباً لنبيه فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمُ عَلَى قَلْبِكَ كما ختم على قلوب الكفار.

قال الله تعالى: خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ<sup>(١)</sup>.

و ذلك لأن القلوب بيد الله و تحت قدرته لأنه مقلب القلوب و الأبصار، و قد ذكرنا عند الكلام في تفسير الآية هناك أن المراد بالختم على قلوب الكفار ليس

الخلق على ذلك لأنه مستلزم للجبر بل المراد أنهم سؤدوا قلوبهم بسبب المعاصي ولم يقبلوا الحق فوكلهم الله إلى أنفسهم فصاروا عبيد الشيطان وأطاعوه وحيث أن الله تعالى خالق الكل نسب الختم الى نفسه وقال: **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ**.

ف قوله تعالى: **فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ** كلمة أن، شرطية، ويختتم، جواب الشرط والمعنى إن شاء الله وأراد لفعل، لأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو على كل شيء قدير لكنه لم يفعل ذلك بل نور قلبك بالوحي وهو أدل دليل على أن الله إصطفاك وإختارك من الخلق للنبوة والرسالة ومن كان كذلك كيف يفترى على الله وحيث أن هؤلاء الكفار لم يفرقوا بينهم وبينك فقالوا ما قالوا من الإفتراء.

أما قوله تعالى: **وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ففيه إشارة إلى نقطة أخرى وهي أن الإفتراء على الله ليس مثل الإفتراء على الخلق وذلك لأن الإفتراء على الله يوجب إضلال الناس في دينهم بخلاف الإفتراء على الخلق، فلو كان القرآن من سنخ الإفتراء كما زعمه الكفار يجب على الله تعالى ردع المفتري من باب قاعدة اللطف.

وإلى هذا المعنى أشار الله تعالى بقوله: **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**<sup>(١)</sup> ولذلك قال يمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته الآية وحيث أنه تعالى أثبتته وأيده فهو ليس من الإفتراء بل هو حق حقيق بالإتباع فما قاله الكفار كذب محض وهو المطلوب هذا ما إستفدناه من الآية والله تعالى أعلم بما قال.

**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**

أصل التَّوب رجوع الشَّيْءِ إلى حالته الأولى التي كان عليها أو إلى الحالة المقدَّرة المقصودة بالفكرة وهي الحالة المشار إليها بقولهم، أوَّل الفكرة آخر العمل يقال، تاب يتوب توباً إذا رجع.

قال بعض المحققين من علماء الأخلاق التَّوبَة هي الرَّجوع عن الذَّنْب القولِي والفعلِي والفكري وبعبارة أخرى هي تنزيه القلب عن الذَّنْب والرَّجوع من البعد إلى القرب وبعبارة أخرى ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الإِسْتِقْبال وتدارك ما سبق من التَّقْصِير وتوضيح حقيقة التَّوبَة أنه إذا علم العبد أن ما صدر عنه من الذَّنُوب حائلة بينه وبين محابته ثار من هذا العلم تألَّم القلب بسبب فوات المحبوب و صار متأسِّفاً على ما صدر عنه من الذَّنُوب سواء كانت أفعالاً أو تروكاً للطَّاعَات ويسمَّى تألَّمه بسبب فعله أو تركه لمحبوبه ندماً، وإذا غلب هذا النَّدَم على القلب إنبعثت منه حالة أخرى تسمَّى إرادةً وقصدًا إلى فعلٍ له تعلق بالحال بترك الذَّنْب الَّذِي كان ملابساً له وبالإِسْتِقْبال بعزمه على ترك الذَّنْب المَفُوت لمحبوبه إلى آخر عمره وبالماضي بتلافيه ما فات بالجبر والقضاء فالعلم بكون الذَّنُوب سموماً مهلكة هو الأوَّل ومطلع البواقي إذ هو الَّذِي يثمر نار النَّدَم على القلب بسبب الذَّنْب الَّذِي صدر منه، فالعلم والنَّدَم والقصد المتعلِّق بالترك في الحال والإِسْتِقْبال والتَّلَافِي للماضي ثلاثة معانٍ في الحصول ويطلق إسم التَّوبَة على مجموعها وربما أطلقت التَّوبَة على مجرَّد النَّدَم.

و إلى هذا المعنى أشار النَّبِيُّ ﷺ بقوله: النَّدَم توبَة إذا عرفت معنى التَّوبَة فاعلم أن الله تعالى هو الَّذِي يقبل التَّوبَة عن عباده وقد ثبت أن تقديم المسند إليه يفيد الحصر وهذا ممَّا لا يحتاج إلى دليلٍ من العقل والنَّقل لأنَّ المفروض أن العبد عصى ربَّه فالقبول وعدم القبول منه تعالى لا من غيره وهذا معنى قوله: وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ثُمَّ أَنَّ التَّوبَة من الذَّنُوب واجبة إجماعاً وعقلاً

و نقلًا.

أما الإجماع فلا ريب في إنعقاده من جميع علماء الإسلام ولم يخالف فيه أحد. أما العقل فلأن من علم معنى الوجوب ومعنى التوبة فلا يشك في ثبوته لها، و بيان ذلك، أن معنى الواجب وحقيقته هو ما يتوقف عليه الوصول إلى سعادة الأبد و النجاة من هلاك السُرمَد ولولا تعلق السعادة و الشقاوة بفعل الشئ و تركه لم يكن معنى لوجوبه فالواجب وسيلة و ذريعة الى سعادة الأبد و لا ريب في أنه لا سعادة في دار البقاء إلا في لقاء الله و الأنس به فكل من كان محجوباً عن اللقاء و الوصال محروماً عن مشاهدة الجمال و الجلال فهو شقي لا محالة محترق بنار الفراق و نار جهنم و من المعلوم أنه لا مبعث عن لقاء الله إلا إتباع الشهوات النفسانية و الأنس بهذا العالم الفاني و الأكباب على حب ما لا بد من مفارقتها قطعاً و يعبر عن ذلك بالذنوب كما لا مقرب من لقاء الله إلا قطع القلب من زخرف هذا العالم و الإقبال بالكلية على الله طلباً للأنس به بدوام الذكر و المحبة له بدوام الفكر في عظمته و جلاله و جماله على قدرة طاقته ريب أن الإنصراف عن طريق البعد الذي هو الشقاوة واجب الوصول الى القرب الذي هو السعادة و لا يتم ذلك إلا بالتوبة التي عبارة عن العلم و الندم و العزم و لا يتم الواجب إلا به فهو واجب عقلاً فالتوبة واجبة قطعاً المطلوب.

قال بعض المحققين كيف لا تكون التوبة من المعاصي واجبة مع أن العلم بضرر المعاصي و كونها مهلكة من أجزاء الإيمان و وجوب الإيمان ممّا لا ريب فيه و العالم بهذا العلم إذا لم يعمل به فلا يكون له هذا الجزء من الإيمان فالعلم بضرر الذنوب يكون باعثاً على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد هذا الجزء من الإيمان و هو المراد بقول النبي ﷺ: لا يزني الزاني حين يزني و هو مؤمن، و ما أراد به نفي الإيمان بالله و وحدانيته و صفاته و كتبه و رسله فإن ذلك لا ينافي الزنا و المعاصي و أنما أراد به نفي الإيمان بالله لكون الزنا مبعثاً عن الله و



موجباً لسخطه وليس الإيمان باباً واحداً بل هو كما ورد نيّف وسبعون باباً أعلاها الشّهادتان وأدناها إحاطة الأذى عن الطُّرق ومثاله قول القائل ليس الإنسان موجوداً واحداً بل هو نيّف وسبعون موجوداً أعلاها الرُّوح والقلب وأدناها إحاطة الأذى عن البشرة بأن يكون مقصوص الشَّارب مقلوم الأظافر في البشرة من الخبث حتّى يتميّز عن البهائم المرسلّة المتلوّثة بأرواثها المستكرهة الصُّور بطول مخالبتها وأظفارها فالإيمان كالإنسان وفقد الشّهادتين كفقد الرُّوح الذي يوجب البطلان بالكلية والذي ليس له إلاّ شهادة التوحيد والرّسالة ويترك سائر أجزاءه من الإيمان فهو كإنسانٍ مقطوع الأطراف مفقود العينين فاقد لجميع أجزاءه الظّاهرة والباطنة إلاّ أصل الرُّوح الى آخر ما قاله وحقّقه و يظهر ممّا ذكره وحقّقه أنّ التّوبة واجبة على الفور ولا يجوز فيها التّراخي فإنّ في التّأخير آفات، فيجب على كلّ مسلم أن يتوب عن ذنوبه فوراً و لذلك قال لقمان لأبنه و هو يعظه يا بني لا تؤخّر التّوبة فإنّ الموت يأتي بغتةً ومن ترك المبادرة الى التّوبة بالتّسويّف كان بين خطرين عظيمين.

**أحدهما:** تراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتّى يصير ديناً وطبعاً فلا يقبل المحو.

**الثاني:** أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد المهلة بالإشتغال بالمحو و لذلك ورد أنّ أكثر صياح أهل النّار من التّسويّف فما هلك من هلك إلاّ به ثمّ أنّ التّوبة تجب على العموم لقوله تعالى: **و تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً<sup>(١)</sup>** والدليل عليه من العقل أنّ كلّ فردٍ من أفراد النّاس إذا بلغ سنّ التّكليف والتّمييز قام القتال والنّزاع في مملكة بدنه بين الشّهوات التي هي جنود الشّياطين وبين العقول أحزاب الملائكة وإذا قام القتال بينهما يحكم العقل والشرع أن يغلب جنود الله على

جنود الشَّيْطَان بِكسر الشَّهَوَات وَرَدَّ النَّفْسَ عَلَى سَبِيلِ الْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ عَلَى الصِّفَاتِ  
المَحْمُودَةِ وَالْعِبَادَاتِ وَ لَا نَعْنِي لَوْجُوبَ التَّوْبَةِ عَلَى كُلِّ مَكْلَفٍ عَاقِلٍ إِلَّا هَذَا.

وَأَمَّا الدَّلِيلُ التَّقْلِي عَلَى وَجُوبِهَا فَلَا نَحْتَاجُ إِلَى ذِكْرِهِ بَعْدَ نصوصِ الْقُرْآنِ وَمَعَ  
ذَلِكَ نَشِيرُ إِلَى شَطْرِ مِنَ النُّصوصِ تَكْمِيلاً لِلْبَحْثِ فَمِنْ الْآيَاتِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ<sup>(١)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا<sup>(٤)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ<sup>(٥)</sup>.

وَالْآيَاتُ كَثِيرَةٌ جَدًّا وَكَفَى فِي مَدْحِ التَّوْبَةِ وَوَجُوبِهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّ فِي

كِتَابِهِ سُورَةً بِهَا.

وَأَمَّا الْأَخْبَارُ فَهِيَ أَيْضًا كَثِيرَةٌ وَلِنَشْرُ إِلَى شَطْرِ مِنْهَا.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: التَّائِبُ حَبِيبُ اللَّهِ وَالتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ

لَا ذَنْبَ لَهُ إِنْتَهَى.

قَالَ الْبَاقِرُ عليه السلام: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَشَدَّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ

أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ وَزَادَهُ فِي لَيْلَةٍ ظُلْمَاءَ فَوَفَّجَهَا فَالَّهِ تَعَالَى أَشَدَّ

فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ حِينَ وَجَّدهَا إِنْتَهَى.

وَقَالَ عليه السلام: التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ وَالمَقِيمُ عَلَى الذَّنْبِ وَ

هُوَ مُسْتَغْفَرٌ مِنْهُ كَالْمُسْتَهْزَأِ إِنْتَهَى.

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ عِبَادَهُ الْمُفْتَئِنَّ التَّوَابِ يَعْنِي كَثِيرِ

الذنب كثير التوبة إنتهى.

وقال عليه السلام: إذا تاب العبد توبةً نصوحاً أحبه الله فستر عليه فقلت كيف يستر عليه قال عليه السلام ينسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه و يوحى الى جوارحه و الى بقاع الأرض أن أكتمي عليه ذنوبه فيلقى الله عزّ وجلّ حين يلقاه و ليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب إنتهى.

وقال الصادق عليه السلام: أن الله عزّ وجلّ أعطى التائبين ثلاث خصال لو أعطي خصلة منها جميع أهل السموات و الأرض لنجوا بها قوله عزّ وجلّ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا إِلَى قَوْلِهِ: هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: وَ الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لَا يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَ يَخُلُدْ فِيهِ مُهَانًا، إِلَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا<sup>(٣)</sup> إنتهى.

وقال أبو الحسن عليه السلام: أحبّ العباد الى الله المنيبون التوابون إنتهى.

قال الباقر عليه السلام: لمحمد بن مسلم ذنوب المؤمن إذا تاب عنها

مغفورة له فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التَّوبَةِ والمغفرة أما و  
 اللَّهُ أَنَّهُا لَيْسَتْ إِلَّا لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَنْ عَادَ بَعْدَ التَّوبَةِ وَ  
 الْإِسْتِغْفَارِ مِنَ الذَّنُوبِ وَ عَادَ فِي التَّوبَةِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ  
 أَتَرَى الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ يَنْدِمُ عَلَى ذَنْبِهِ وَ يَسْتَغْفِرُ مِنْهُ وَ يَتُوبُ ثُمَّ لَا  
 يَـقْبَلُ

اللَّهُ تَوْبَتَهُ، قَالَ فَأَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ مَرَارًا يَذْنِبُ ثُمَّ يَتُوبُ وَ يَسْتَغْفِرُ  
 فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كُلَّمَا عَادَ الْمُؤْمِنُ بِالْإِسْتِغْفَارِ وَ التَّوبَةِ عَادَ اللَّهُ عَلَيْهِ  
 بِالْمَغْفِرَةِ وَ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يَقْبَلُ التَّوبَةَ وَ يَعْفُو عَنْ السَّيِّئَاتِ  
 فَأَيَّاكَ أَنْ تَقْنَطَ الْمُؤْمِنُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ  
 هَذِهِ وَ أَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى حُلُقِهِ لَمْ تَكُنْ لِلْعَالَمِ تَوْبَةً وَ كَانَتْ لِلْجَاهِلِ  
 تَوْبَةً، وَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ يَا رَبِّ سَلَّطْتَ عَلَيَّ  
 الشَّيْطَانَ وَ أَجْرِيته مِنِّي مَجْرَى الدَّمِّ فَأَجْعَلْ لِي شَيْئًا فَقَالَ تَعَالَى يَا  
 آدَمُ جَعَلْتُ لَكَ أَنَّ مِنْ هَمٍّ مِنْ ذَرِيَّتِكَ سَيِّئَةٌ لَمْ تَكْتَبْ عَلَيْهِ فَأَنْ  
 عَمَلَهَا كَتَبْتُ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ وَ مِنْ هَمٍّ بِحَسَنَةٍ فَأَنْ لَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبْتُ لَهُ  
 حَسَنَةً فَأَنْ عَمَلَهَا كَتَبْتُ لَهُ عَشْرًا، قَالَ يَا رَبِّ زِدْنِي.  
 قَالَ جَعَلْتُ لَكَ أَنَّ مِنْ عَمَلٍ مِنْهُمْ سَيِّئَةٌ ثُمَّ اسْتَغْفَرَ غَفَرْتُ لَهُ، قَالَ يَا  
 رَبِّ زِدْنِي، قَالَ جَعَلْتُ لَهُمُ التَّوبَةَ وَ بَسَطْتُ إِلَيْهِمُ التَّوبَةَ حَتَّى تَبْلُغَ  
 النَّفْسُ هَذِهِ قَالَ يَا رَبِّ حَسْبِيَ إِنَّتَهِى.

و الأحاديث في الباب كثيرة و فيما ذكرناه كفاية لأولي الدَّراية<sup>(١)</sup>.

و بما ذكرناه في معنى التَّوبَةِ علمت أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوبَةَ وَ لَا زَمَ  
 ذَلِكَ هُوَ الْعَفْوُ عَنْ السَّيِّئَاتِ وَ مَحْوُ آثَارِهَا وَ لَا نَعْنِي بِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَ يَعْفُوا عَنْ  
 السَّيِّئَاتِ إِلَّا هَذَا وَ أَمَا قَوْلُهُ فِي آخِرِ الْآيَةِ وَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ إشارة إلى أَنَّ اللَّهَ

تعالى لا يخفى عليه شيء.

وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ  
وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ

الإستجابة والإجابة بمعنى واحد قال الشاعر:

وداع دعا يا من يجيب الى النداء فلم يستجبه عند ذاك مجيبٌ  
لمَّا أخبر الله تعالى أنه يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات بعد التوبة و  
أنه يعلم ما يفعلونه من طاعة أو معصية وأنه يجازيهم بحسنها ذكر في هذه الآية  
أنه يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أي يجيبهم إذا دعوه ثم أفاد أنه من  
فضله وفيه إشارة الى أن قبول التوبة وإجابة الدعوات من العباد لا يجب عليه  
عقلاً وإنما هو من فضله ورحمته التي وسعت كل شيء لأنه تعالى دائم الفضل  
على البرية باسط اليدين بالعطية وخص الإجابة بالمؤمنين الذين عملوا  
الصالحات لأن غير المؤمن لا يدعوه وإذا دعاه لم يستجب له لأن شرط الإجابة  
الإيمان والإيمان لا يحصل إلا بالعمل الصالح.

وقال بعض المفسرين في قوله: مِنْ فَضْلِهِ معناه ويزيدهم من فضله زيادةً  
على ما يستحقونه من الثواب، وقيل معناه يستجيب دعاء المؤمن يستجيب دعاء  
الكافر لأنه ثواب ولا ثواب للكافر ولذلك قال ولهم عذابٌ شديد.

وعن معاذ بن جبل أن الله يجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات في دعاء  
بعضهم لبعض، وقال بعضهم، قوله تعالى: وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ يدل على أن  
الزيادة من فضله لا أصل الثواب فإنه على الإستحقاق، وكيف كان فالأمر سهل و  
المعنى واضح.

وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ  
مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ

جاء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لو بسط الرزق لعباده أي لو وسّع عليهم أرزاقهم وسوّى بينهم في سعة الرزق لبغوا في الأرض أي لبطروا النعمة وتنافسوا وتغالبا وكان ذلك يؤدي إلى وقوع الفساد بينهم والقتل وتغلب بعضهم على بعض وإستعانة بعضهم ببعض ببذل الأموال قاله بعض المفسرين ولا مشاحة فيه وذكر بعضهم أن الآية نزلت في قوم من أهل الصفة تمنّوا سعة الرزق. وقال خناب بن الأرت فينا نزلت، نظرنا إلى أموال بني النضير وقريظة و بني قينقاع فتمنّيناها فنزلت.

**أقول** ما ذكره في شأن نزول الآية لا بأس به إلا أن الآية بصدد بيان حكم عام في جميع الناس وأن بسط الرزق أعني به كثرة المال يوجب البغي غالباً ألا ترى أن قارون كان من أقرباء موسى وقارياً للتوراة فلما كثر ماله فعل ما فعل وذلك لأن الغنى مبطّرة.

وإلى هذا المعنى أشار النبي ﷺ على ما روي عنه: أن أخوف ما أخاف على أمتي زهرة الدنيا وكثرتها وهذا ممّا لا شك فيه، وقصة الثعلبة مشهورة.

ومن المعلوم أن الحكم ناظر إلى الأغلب والأكثر ولا يضرّه خروج بعض الأغنياء عنه إذ ما من عامٍ إلا وقد خصّ ألا ترى أن سليمان بن داود سخر الله له ملك الجن والإنس وأعطاه ما أعطاه من المال والمقام والملك ومع ذلك كان من أعبد الناس وأزهدهم وأتقاهم ونظاره كثيرة إلا أن أكثر الأغنياء والسلاطين على خلاف ذلك.

وفي قوله: **وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ** إشارة إلى أن الأرزاق مقدّرة على طبق المصلحة التي لا يعلمها إلا الله فإن الخالق أعرف بحال مخلوقه منه نفسه.

و لذلك قال رسول الله ﷺ: أَنَّ الدِّينَارَ وَ الدَّرْهَمَ أَهْلَكَامِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَ هُمَا مَهْلَكَامِنْ أَنْتَهَى.

و عن الباقر عليه السَّلام قال: رسول الله ﷺ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ عِبَادًا لَا يَصْلَحُ لَهُمْ أَمْرٌ دِينُهُمْ إِلَّا بِالْغِنَى وَ السَّعَةِ وَ الصَّحَةِ فِي الْبَدَنِ فَأَبْلُوهُمْ بِالْغِنَى وَ السَّعَةِ وَ صَحَّةِ الْبَدَنِ فَيَصْلَحُ عَلَيْهِمْ أَمْرٌ دِينُهُمْ، وَ أَنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ عِبَادًا لَا يَصْلَحُ أَمْرٌ دِينُهُمْ إِلَّا بِالْفَاقَةِ وَ الْمَسْكِنَةِ وَ السُّقْمِ فِي أَبْدَانِهِمْ فَأَبْلُوهُمْ بِالْفَاقَةِ وَ الْمَسْكِنَةِ وَ السُّقْمِ فَيَصْلَحُ عَلَيْهِمْ أَمْرٌ دِينُهُمْ وَ أَنَا أَعْلَمُ بِمَا يَصْلَحُ عَلَيْهِ أَمْرٌ دِينِ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَهَى<sup>(١)</sup>.

و محصّل الكلام في الآية أَنَّ الْعَبْدَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رَاضِيًا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَ قَدْرِهِ فِي جَمِيعِ شُؤْنِهِ وَ أَنَّ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ النِّعَمِ قَلٌّ أَوْ كَثْرٌ كَانَ مُوَافِقًا لِلْمَصْلَحَةِ الَّتِي فِيهَا خَيْرُ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أَنَّ الْمَعْطَى وَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى لَا يَكُونُ فَقِيرًا بِخِيَالٍ وَ لَا ظَالِمًا وَ هُوَ بَعْبَادِهِ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ بَلْ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَ عَلَى هَذَا فُطُوْبِي لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ وَ عَمِلَ لِلْحِسَابِ وَ قَنَعَ بِالْكَفَافِ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

وَ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَ يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَ هُوَ أَوْلَىُّ الْاَحْمَدِ

الْقُتُوبُ بِضَمِّ الْقَافِ وَ النُّونِ الْيَاسِ وَ الْحَرَمَانِ وَ الْغَيْثُ بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمَطَرُ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ قُدْرَتِهِ وَ أَنَّ النِّعَمَ وَ الْبَرَكَاتِ تَنْزِلُ بِأَذْنِهِ وَ هَذَا مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ لِأَحَدٍ مِنَ الْعُقَلَاءِ فَإِنَّ الْبَرَكَاتِ السَّمَاوِيَّةَ خَارِجَةٌ عَنْ قُدْرَةِ الْبَشَرِ وَ مِنْهَا الْمَطَرُ الَّذِي يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى إِنْزَالِ الْمَطَرِ مِنَ السَّمَاءِ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى وَ أَنَّمَا قَالَ بَعْدَ مَا قَنَطُوا مَعَ أَنَّ نَزُولَ الْمَطَرِ بِأَذْنِ اللَّهِ وَ إِرَادَتِهِ تَعَالَى وَ لَا

جاء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

الجلد ٢٥

ربط له بالقنوط وعدمه لنقطة خفية وهى أن إنزال المطر بعد اليأس عنه أدعى إلى شكر الشاكر وتعظيمه والمعرفة بمواقع إحسانه الشدائد التي تمر بالإنسان و يأتي الفرج بعدها فإن نزول الرحمة من الله تعالى بعد اليأس عنها ألد وأحلى وأوقع في القلب منه قبل اليأس والسرف فيه أن العبد يعلم علماً قطعياً أنه لا ملجأ له إلا الله ولا يقدر على دفع الكربات والشدائد ورفعها إلا هو والعبد لا يصل إلى مطلوبه إلا بعد اليأس عن جميع ما سوى الله والإلتفات والتوجه بجميع شراشر وجوده إلى خالقه ولأجل هذا قال تعالى: **بَعْدَ مَا قَنَطُوا** أي قنطوا عن نزول الرحمة أو قنطوا عن غيره.

وفي قوله: **وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ** الحميد إشارة إلى أن رحمته وسعت كل شيء ولا اختصاص لها بقوم دون قوم فإن نشر الرحمة بسطها وسعتها بحيث يستفيد كل مخلوق منها وذلك لأنه تعالى خلق الخلق بمقتضى جوده وكرمه فهو الجواد المطلق الذي لا يبخل بمعروفه وينشر الرحمة لجميع خلقه ثم يضاعفها لمن يشاء كل ذلك على مقتضى الحكمة وحسن التدبير الذي ليس شيء أحسن منه وهو الولي الحميد، أي هو الأولي بكم وتدبير أموركم المحمود على جميع أفعاله لكونها منافعاً وإحساناً فتبارك الله أحسن الخالقين.

**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ**

لما ذكر الله تعالى في الآية السابقة أنه هو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا، ذكر في هذه الآية أن خلق السموات والأرض وما بينهما من الموجودات أيضاً من علامت توحيده وحججه الدالة على ربوبيته وذلك لأنه لا يقدر على خلق السموات والأرض وما فيهما إلا الله تعالى لما فيهما من عجائب الخلقة ما لا يخفى وقوله: **وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ** أصل البث التفريق وإثارة الشيء كبث



الرَّيحِ التَّرابِ، وَ بَثَّ النَّفْسَ مَا إِنطَوَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْغَمِّ وَالسَّرِّ يُقَالُ بَثَّتْ فِإِنْ بَثَّ. فقولُه عَزَّوَجَلَّ إشارَةٌ إلى إيجاده تعالى ما لم يكن موجوداً وإظهاره إيَّاه، وَ الدَّابَّةُ تَطْلُقُ عَلَى كُلِّ مَا يَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ وَ حَاصِلُ الْكَلَامِ أَنَّ خَالِقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ مَا فِيهِمَا مِنَ الْمَوْجُودَاتِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: وَ هُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ قِيلَ فِي مَعْنَاهُ أَنَّهُ تَعَالَى عَلَى جَمْعِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ حَشَرَهُمْ إِلَى الْمَوْقِفِ بَعْدَ إِمَاتَتِهِمْ قَادِرٌ، لِأَنَّ الْجَمْعَ أَسْهَلَ مِنَ الْخَلْقِ فَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْجَمْعِ كَيْفَ يَقْدِرُ عَلَى الْخَلْقِ وَ هُوَ ظَاهِرٌ.

وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ اِخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الْمَرَادِ بِهَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمَرَادَ بِالْمُصِيبَةِ فِي الْآيَةِ الْحُدُودُ عَلَى الْمَعَاصِي مِثْلَ حَدِّ شَرْبِ الْخَمْرِ وَ حَدِّ الزِّنَاءِ وَ حَدِّ السَّرْقَةِ وَ أَمْثَالِهَا قَالَهُ الْحَسَنُ.

وَ قَالَ الضَّحَّاكُ أَنَّهَا نَسِيَانُ الْقُرْآنِ بَعْدَ حِفْظِهِ وَ أَيُّ مُصِيبَةٍ أَعْظَمَ مِنْ نَسْيَانِ الْقُرْآنِ.

وَ قِيلَ، مَا، بِمَعْنَى الَّذِي وَ الْمَعْنَى الَّذِي أَصَابَكُمْ فِيمَا مَضَى بِمَا كَسَبْتَ أَيْدِيكُمْ. وَ نَقَلَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَدَّثَنَا بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَا عَلِيُّ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مَرَضٍ أَوْ عَقُوبَةٍ أَوْ بَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا فِيمَا كَسَبْتَ أَيْدِيكُمْ، وَ اللَّهُ أَكْرَمُ مَنْ أَنْ يَبْنِيَ عَلَيْكُمْ الْعُقُوبَةَ فِي الْآخِرَةِ وَ مَا عَفَا عَنْهُ فِي الدُّنْيَا فَاللَّهُ أَحْلَمُ مَنْ أَنْ يَعْاقِبَ بِهِ بَعْدَ عَفْوِهِ.

وَ قَدْ ذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ وَجُوهاً كَثِيراً وَ الْحَقُّ أَنَّ هَذِهِ الْوُجُوهَ كُلَّهَا عَاطِلَةٌ بِاطِلَةٌ لَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فَالْإِشْكَالُ وَ هُوَ أَنَّ تَكُونَ الْمَصَائِبُ مَعْلُومَةٌ

للالعمال المكتسبة باق على حاله، فما نقلوه عن الحسن من أَنَّ ذلك خاصّ في الحدود التي تستحقّ على وجه العقوبة كلامٌ لا طائل تحته و ذلك لأنّ الآية بظاهرها تدلّ على العموم و التخصيص بالحدود أو غيرها يحتاج إلى دليل عليه.

و هكذا قول من قال أَنَّ المصيبة في المقام هو نسيان القرآن و من المعلوم أَنَّ العقل لا يساعده مضافاً إلى أَنَّ اللُّغة أيضاً تأباه إذ لم يقل أحدٌ من أهل اللُّغة من عرف العقلاء أَنَّ نسيان القرآن من المصائب.

و أمّا ما نسبته القرطبي إلى عليّ عليه السلام من أَنَّ النَّبِيَّ قال له يا عليّ ما أصابكم من مرضٍ أو عقوبة أو بلاءٍ في الدُّنيا فبما كسبت أيديكم، فهو لا يشبه كلام رسول الله ﷺ و أظنّ أَنَّهُ من الموضوعات و يؤيد هذا الإحتمال إذعانه بأنّ الحديث مرفوعٌ لا مسند، و كيف قال رسول الله ذلك مع أَنّا نرى نزول أكثر المصائب على من لا ذنب له لعصمته كالأنبياء و الأوصياء عليهم السّلام من آدم الصّفي إلى خاتم الأنبياء فَأَنَّ جميع الأنبياء و الأوصياء إبتلوا بأعظم المصائب في الدُّنيا مع عصمتهم و طهارتهم.

أليس آدم عليه السلام إبتلى بمصيبة ولده هابيل بعد قتل قابيل إياه مع أَنّ آدم عليه السّلام لم يصدر منه ذنب أصلاً و هكذا نوح النَّبي و إبراهيم و موسى و عيسى و محمّد صلى الله عليهم أجمعين ثمّ تصل النوبة إلى أوصيائهم في نزول المصائب عليهم و أنت إذا تأملت فيما نزل على محمّد ﷺ و أوصيائه من المصائب لدريت صدق كلامنا.

ألا ترى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: ما أُوذي نبيّ مثل ما أُوذيت.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذَى، وَفِي الْحَلْقِ شَجَى<sup>(١)</sup> إِلَى آخر ... .

مع أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ مَعْصُومًا مِنَ الذَّنْبِ إِلَّا ذَنْبَ الرِّسَالَةِ وَ النَّبُوءَةِ وَ هِدَايَةِ الْخَلْقِ إِلَى طَرِيقِ الصَّوَابِ وَ هَكَذَا أَوْصِيَانَهُ، وَ أَشَدُّ الْمَصَائِبِ وَأَوْجَعُهَا مَا نَزَلَ بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَرْضِ كَرْبَلَاءَ وَ أَشَدُّ مِنْهَا مَا نَزَلَ بِأَوْلَادِهِ وَ عِيَالِهِ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ مِنَ الضَّرْبِ وَ الشَّتْمِ وَ الْأَسْرِ وَ غَيْرِهَا مِمَّا لَا يَقْدِرُ اللِّسَانُ عَلَى بَيَانِهِ وَ لَا الْقَلَمُ عَلَى تَحْرِيرِهِ وَ كِتَابَتِهِ، وَ أَيُّ ذَنْبٍ صَدَرَ مِنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا عَدَمُ بَيْعَتِهِ لِيَزِيدَ الْفَاسِقُ الْكَافِرُ فَإِنَّ كَانَ هَذَا ذَنْبٌ فَلَا كَلَامَ لَنَا وَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَبِأَيِّ ذَنْبٍ قَتَلَ الْحُسَيْنَ وَ أَصْحَابَهُ وَ أَنْصَارَهُ وَ سَبَّيْتَ أَهْلَ بَيْتِهِ وَ هَكَذَا الْكَلَامُ فِي غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْأَوْصِيَاءِ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْ حَبَسُوا أَوْ ظَلَمُوا فِي كُلِّ عَصْرِ وَ زَمَانٍ مِنْ غَيْرِ جَرَمٍ وَ لَا ذَنْبٍ، وَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَا مَعْنَى الْحَدِيثِ الَّذِي نَقَلَهُ الْقُرْطُبِيُّ، وَ حَاصِلُ الْكَلَامِ أَنَّ الْآيَةَ عَلَى مَا فَسَّرُوها فِي تَفَاسِيرِهِمْ لَا يُسَاعِدُهُ الْعَقْلُ السَّلِيمُ وَ الْإِنْصَافُ أَنَّ الْمَفْسِّرِينَ لَمْ يَتَأَمَّلُوا فِي مَعْنَى الْآيَةِ حَقَّ التَّأَمُّلِ وَ أَتَمَّا نَقَلُوا فِي تَفَاسِيرِهِمْ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ وَ أَنِّي بَعْدَ الْفَحْصِ فِي تَفَاسِيرِهِمْ وَ التَّأَمُّلِ فِي كَلِمَاتِهِمْ لَمْ أَجِدْ شَيْئًا اعْتَمَدَ إِلَيْهِ فِي حَلِّ الْإِشْكَالِ وَ حَيْثُ إِنْجَرَ الْكَلَامُ إِلَى هُنَا لَا بِأَسْ بِنَقْلِ مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمَعَاصِرِينَ فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ فَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِرَفْعِ الْإِشْكَالِ وَ نَحْنُ نَذْكُرُ مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ عِبَارَاتِهِ وَ أَلْفَاظِهِ إِدَاءً لِحَقِّ الْأَمَانَةِ ثُمَّ نَتَكَلَّمُ فِيهِ بِمَا عِنْدَنَا.

قَالَ الْمَصِيبَةُ النَّائِبَةُ تَصِيبُ الْإِنْسَانَ كَأَنَّهَا تَقْصِدُهُ وَ الْمَرَادُ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ الْمَعَاصِيَ وَ السَّيِّئَاتِ، قَوْلُهُ: **وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ** أَيَّ عَنْ كَثِيرٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ هِيَ السَّيِّئَاتِ وَ الْخَطَابُ فِي الْآيَةِ إِجْتِمَاعِي مُوجِبَةٌ إِلَى الْمَجْتَمَعِ غَيْرِ مَنْحَلٍّ إِلَى خُطَابَاتٍ جَزْئِيَّةٍ وَ لَازِمَةٌ كَوْنُ الْمَرَادِ بِالْمَصِيبَةِ الَّتِي تَصِيبُهُمُ الْمَصَائِبُ الْعَامَّةُ الشَّامِلَةُ كَالْفَحْطِ وَ الْغَلَاءِ وَ الْوَبَاءِ وَ الزَّلْزَالِ وَ غَيْرِهَا فَيَكُونُ الْمَرَادُ أَنَّ الْمَصَائِبَ وَ النَّوَائِبَ الَّتِي تَصِيبُ مَجْتَمِعَكُمْ وَ يَصَابُونَ بِهَا أُنَمَا تَصِيبُكُمْ بِسَبَبِ مَعَاصِيكُمْ وَ اللَّهِ يَصْفَحُ عَنْ كَثِيرٍ مِنْهَا فَلَا يَأْخُذُ بِهَا، فَالْآيَةُ فِي مَعْنَى:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**

لِيُذِقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ لَكِن كَذَّبُوا<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ<sup>(٣)</sup>.

و غير ذلك من الآيات الدالة على أن بين أعمال الإنسان و بين النظام الكوني إرتباطاً خاصاً فلو جرى المجتمع الإنساني على ما يقتضيه الفطرة من الإعتقاد و العمل لنزلت عليه الخيرات و فتحت عليه البركات و لو أفسدوا أفسد عليهم، هذا ما تقتضيه هذه السنّة الإلهية إلا أن ترد عليه سنّة الإبتلاء أو سنّة الإستدراج و الإملاء فينقلب الأمر.

قال الله تعالى: ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَ قَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَ السَّرَّاءُ فَآخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ<sup>(٤)</sup>.

و يمكن أن يكون الخطاب في الآية عامّاً منحلاً الى خطابات الأفراد فيكون ما يصاب كلّ إنسانٍ بمصيبةٍ في نفسه أو ماله أو ولده أو عرضه و ما يتعلّق به مستنداً إلى معصية أتى بها و سيئة عملها و يعفو الله عن كثيرٍ منها، و كيف كان فالآية خطاب لعامة الناس من المؤمن و الكافر و هو الذي يفيد السياق و يؤيده الآية التالية هذا أولاً.

و المراد بما كسبته الأيدي المعاصي و السيئات دون مطلق الأعمال، ثانياً و المصائب التي تصيب أئمة هي آثار الأعمال في الدنيا لما بين الأعمال و بينها من الإرتباط و التداعي دون جزاء الأعمال، و هذا ثالثاً.

و بما ذكر يندفع أولاً ما إستشكل على عموم الآية بالمصائب النازلة على الأنبياء عليهم السلام و هم معصومون لا معصية لهم و المصائب النازلة على

الأطفال و المجانين و هم غير مكلفين بتكليفٍ فلا معصية لهم فيجب تخصيص الآية بمصائب الأنبياء و مصائب الأطفال و المجانين.

وجه الإندفاع أن إثبات المعصية لهم في قوله: **فِيمَا كَسَبَتْ** أيديكم دليل على أن الخطاب في الآية لمن يجوز عليه صدور المعصية فلا يشمل المعصومين و غير المكلفين من رأس فعدم شمول الآية لهم من باب التخصيص دون التخصيص.

**ثانياً:** ما قيل أن مقتضى الآية مغفرة ذنوب المؤمنين جميعاً فأنها بين ما يجوزون عليها بإصابة المصائب و ما يعفى عنها.

وجه الإندفاع أن الآية مسوقة لبيان إرتباط المصائب بالمعاصي و كون المعاصي ذوات آثارٍ دنيويةٍ سيئةٍ منها ما يصيب الإنسان و لا يخطي و منها ما يعفى عنه فلا يصيب لأسباب صارفة و حكم مانعة كصلة الرحم و الصدقة و دعاء المؤمن و التوبة و غير ذلك مما وردت به الأخبار.

و أما جزاء الأعمال فالآية غير ناظرة إليه كما تقدّم على أن الخطاب في الآية يعمّ المؤمن و الكافر كما تقدّمت الإشارة إليه و لا معنى لتبعضها في الدلالة فتدلّ على المغفرة في المؤمن و عدمها في الكافر و بعد ذلك كلّ فالوجه الأول هو الأوجه إنتهى كلامه<sup>(١)</sup>.

و أنما نقلنا كلامه بطوله و تفصيله لأنه لا يخلو عن الفائدة في بعض موارد هذا أولاً.

**ثانياً:** لأنّ الناظر إلى كلامه لعلّه يستفيد منه غير ما إستفدناه و يفهم منه غير ما فهمناه، و الذي حصل لنا ممّا ذكره **وَيُؤْتِي** هو أن كلامه يدور مدار التخصيص لا التخصيص بالنسبة إلى الأنبياء و الأطفال و المجانين و غير المكلفين و هذا غير

جاء القرآن في تفسير

جزء ٢٥

المجلد الخامس

معقول لأنَّ التَّخْصِصَ لا يكون إلا بعد خروج الأنبياء عن مورد الحكم و شموله إياهم.

و مجرد عدم المعصية لا يدل على خروجهم لأنهم كانوا قادرين على السيئات إلا أنهم لم يعملوها بإختيارهم لمكان عصمتهم و قد ثبت أنَّ الإمتناع بالإختيار لا ينافي الإختيار و إذا كانوا قادرين على كسب السيئات فالحكم أعني به نزول المصيبة في صورة تحقق العصيان يشملهم مثل غيرهم من أفراد النَّاس و هذا لا يسمَّى تَخْصِصاً لدخولهم في النَّاس نعم لو كان النَّبي غير قادرٍ على فعل السيِّ فهو خارج عن الحكم تَخْصِصاً و إذ ليس فليس و إذا إنتفى التَّخْصِص يحتاج خروج النَّبي إلى التَّخْصِص و المفروض عدمه في الآية فالأنبياء حالهم في شمول الحكم إياهم كحال غيرهم في ترتب المصيبة على العمل.

و أما الأطفال و المجانين فهم أيضاً داخلون في الحكم لقدرتهم على السيئات و أن لم يكونوا مكلفين بالتكاليف الشرعية من الصَّوم و الصَّلاة و الزَّكاة و غيرها و ذلك لأنَّ الحكم في الآية ليس من الأحكام التَّكليفية المشروطة بالعقل و البلوغ حتَّى يقال بخروجهم عن مورد الحكم تَخْصِصاً، بل الحكم نزول العذاب مترتب على نفس العمل من أيِّ شخصٍ صدر.

و أن شئت قلت نزول المصيبة على ظاهر الآية معلولٌ لكسب السيئات فإذا وجدت العلة وجد المعلول و محصل الكلام أنَّ الحكم في الآية عامٌ يشمل الكل و لا تخصيص و لا تَخْصِص في الآية أصلاً و على المدَّعي الدليل على ما إدَّعاه و إذ ليس فليس فلا إشكال باقٍ على حاله و هو أنَّ من لا ذنب له كيف كالأنبياء و الأطفال و المجانين كيف تنزل المصيبة عليهم و العلة مفقودة على الفرض و بعبارة أخرى منطوق الآية أنَّ كلَّ مصيبة معلولة للعمل السيِّ و مفهومها أنَّ من لم يعمل عملاً سيئاً لا مصيبة له.

و نحن نرى نزول المصائب على الأنبياء و الأطفال و المجانين مع أنهم لم يذنبوا على الفرض و هذا خلاف ما يستفاد من الآية منطوقاً و مفهوماً و العجب من المفسرين حيث أنهم قنعوا في تفسير الآية بنقل الألفاظ أو إدعاء التخصيص و التخصص أو أنّ الحكم مخصوص بالحدود و أمثال ذلك من الأقوال التي لا دليل على صحتها إذا عرفت هذا فنقول:

المصائب الواردة على البشر على قسمين:

**أحدهما:** ما يرد عليه من قبل الله تعالى بقضاءه و قدره كال فقر و المرض و فقد الأولاد و الجنون و أمثالها.

**الثاني:** ما يرد عليه من ناحية أعماله و أفعاله كما ورد عن رسول الله ﷺ: من حفر بئراً لأخيه وقع فيه.

و قال ﷺ: من دقّ دقاً، و قال الله تعالى: **وَمَكْرُواْ وَ مَكَرَ اللّهُ وَ اللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ.**

قال الصادق عليه السلام: **بَرّواْ آبائكم يبرّكم أبناؤكم و غَضُّواْ عَنِ النِّسَاءِ يَغْضُ عَنْ نِّسَائِكُم.**

و غيرها من الأخبار و الآثار الدالة على من ظلم ظلم، و من نظر إلى امرأة غيره عن شهوة ينظر إلى إمرأته كذلك فهذه الأخبار تدلّ على أنّ الأفعال و الأعمال الصادرة عن الإنسان بمنزلة البذر للآثار المترتبة عليها على ما سيأتي الإشارة إليها تفصيلاً.

حياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

**أما القسم الأول:** من المصائب فهو خارج عن محلّ البحث و مورد الآية قطعاً ضرورة أنّ القضاء و القدر الإلهي تعلّق بها قبل خلق الإنسان في هذه الدنيا و لا دخل لعمل الإنسان و فعله و قوله و حركاته في دار الدنيا في تعلّق القضاء و عدمه و هذا ممّا لا شكّ فيه لأنّ المصائب المتعلقة بالقضاء و القدر قدّرت له قبل خلقه، و أمثله كثيرة، كالإنسان الذي خلق متّصفاً بالعمى أو الصّم من حين ولادته

أو خلق مفلوجاً معلولاً في أعضائه و جوارحه أو مجنوناً في عقله و دركه، أو لا يقدر على الحركة و المشي و التكلم و غير ذلك من الأمراض التي من أعظم المصائب في الحياة الدنيوية، فلا يمكن أن يقال أن هذه المصائب بما كسبت أيديهم بل يقال أنها بقضاء الله و قدره على طبق المصالح التي لا يعلمها إلا الله تعالى فحمل المصيبة المعلولة عما كسبت أيدي الناس في الآية على تلك المصائب غير معقول و لا مشروع لأنه من فعل الخالق في خلقه فقوله تعالى ناظراً إلى المصائب التي هي معلولة لأعمال الناس و أفعالهم و نيّاتهم و هي القسم الثاني من القسمين أعني به المصائب النازلة على الناس من ناحية أعمالهم في دار الدنيا. و إذا حملنا المصائب في الآية على هذا المعنى كما هو الحق لا نحتاج إلى التخصيص أو التخصّص لأن مصائب الأنبياء و الأوصياء من القسم الأول الذي هو خارج عن شمول الآية إيّاه و بعبارة أخرى الآية ناظرة بل مصرّحة بالمصائب المعلولة عن إكتساب الناس بأيديهم، لا بالمصائب على سبيل العموم.

ألا ترى أنه تعالى يقول: **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ** و المصيبة بالمعنى الأول ليس من المكتسب بالأيدي بل هي مكتسبة من القضاء الإلهي قبل خلق الأيدي فالآية أجنبية عن المصائب المقدّرة بقضاء الله.

إن قلت أي دليل على هذا التخصيص و لا مخصّص في المقام.

قلت خروج مصائب المقدّرة كمصائب الأنبياء و الأوصياء تخصّصي تخصيصي لأنها ليست ممّا كسبته أيدي الناس، و يمكن أن يستدل على إثبات المدعى من الآية أيضاً و هو أنه تعالى قال: **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ** و لم يقل ما أصابتكم مصيبة فيما كسبت أيديكم، و لا يبعد أن تكون كلمة من، للتبعية و المعنى ما أصابكم من بعض المصائب فيما كسبت



أيديكم لآكل المصائب والمراد ببعض المصائب ما ذكرناه من المصائب المعلولة عن كسب الأيدي، هذا ما فهمناه من الآية و أظن أنه حق حقيق بالإتباع والله أعلم بما قال و أنما فصلنا الكلام حول الآية لأنها من المعضلات.

و أما قوله تعالى: **وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ** فمعناه واضح إذ لولا عفو الله عن أكثر المعاصي و الأخذ بما كسبت أيدي الناس لم يبق على الأرض دابة فضلاً عن الإنسان.

قال الله تعالى: **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَ لَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى (١).**

قال الله تعالى: **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَ لَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى (٢).**

و هذا معني قوله: **وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ** و الحمد لله رب العالمين. ثم أتى أوصيكم يا إخواني بالتأمل في الآيات فأنها كلام الخالق و قد أمرنا الله بالتدبر فيها في كثير من الآيات:

قال الله تعالى: **أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٣).**  
تنبيه

و أعلم أنني بعد ما فسرنا الآية بما فسرت من أن المصائب على قسمين و حملت الآية على القسم الثاني منهما، فكنت مضطرباً خائفاً، لقوله **وَاللَّهُ وَاسِعٌ** من فسر القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار، و قلت في نفسي ظاهر الآية الإطلاق فحملها على بعض المصائب دون بعضها يمكن أن يكون من قبيل التفسير بالرأي و لا سيما أن ما ذكرته في تفسير الآية و حملتها عليه لم يقل به أحد

نبأ القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

من المفسرين و لذلك تتبعت و تفحصت الأخبار فوقفت على بعض الأخبار الواردة عن المعصومين و رأيتهامطابقة لما الهمني الله في تفسير الآية فصارت نفسي مطمئنة بما قلت و شكرت الله تعالى على ذلك و نشير الى شطر منها في المقام ختامه مسك و في ذلك فليتنافس المتنافسون.

ما رواه علي بن ابراهيم في تفسيره قال: حدّثني أبي عن الحسن بن محبوب عن علي بن رباب قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ الْخ قَالَ عليه السلام: أَرَأَيْتَ مَا أَصَابَ عَلِيّاً وَ أَهْلَ بَيْتِهِ هُوَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ هُمْ أَهْلُ الطَّهَارَةِ مَعْصُومُونَ، قَالَ عليه السلام: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَ يَسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَ لَيْلَةٍ مِئَةَ مَرَّةٍ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ أَنَّ اللَّهَ يَخْصُّ أَوْلِيَاءَهُ بِالصَّائِبِ لِيَأْجِرَهُمْ عَلَيْهَا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ.

قال الصادق عليه السلام: لَمَّا أَدْخَلَ عَلِيٌّ بَنَ الْحُسَيْنِ عَلَى يَزِيدٍ نَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يَا عَلِيُّ بَنَ الْحُسَيْنِ وَ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ فَقَالَ عَلِيُّ بَنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: كَلَّا، مَا فِينَا هَذِهِ نَزَلَتْ وَ أَنْمَّا نَزَلَتْ فِينَا (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا أَنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) فَحَنَزَ الَّذِينَ لَا نَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَنَا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَ لَا نَفْرَحُ بِمَا أُوتِينَا<sup>(١)</sup>.

ما رواه في قرب الأسناد عن ابن بكير قال سألت أبا عبد الله عن قول الله عزّ وجلّ: وَ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَقَالَ هُوَ: وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ، قَالَ قُلْتُ مَا أَصَابَ عَلِيّاً وَ أَشْيَاعَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ذَلِكَ،

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ.

أقول هذه الأخبار كما ترى تنادي بأعلى صوتها بصحة ما ذكرناه في تفسير الآية و الحمد لله على كل حال.

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ

الخطاب للكفار قاله الشيخ رحمته الله في التبيان ولا نعلم وجه تخصيصه بهم والحق أنه عام يشمل الجميع فإن بعدم الإعجاز في الأرض و الفرار من حكومة الله لا يختص بالكفار فقط كما هو ظاهر وإنما هو صادق في حق الجميع والمعنى لستم تفوتون الله بالهرب منه في الأرض ولا في السماء، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: ولا يمكن الفرار من حكومتك والوجه فيه ظاهر فإن المخلوق كيف يقدر أن يخرج عن ملك خالقه والمفروض أنه مخلوق له محتاج إليه موجود بوجوده و منه يظهر معنى قوله تعالى: وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ وذلك لأن جميع ما سوى الله مخلوق له وحكم الأمثال واحد فكيف يعقل أن يكون المخلوق ولياً و ناصراً لمخلوق آخر مثله وإذا كان كذلك ينبغي للمخلوق التوجه الى خالقه و معبوده لا غيره لأن الغير في الضعف مثله.

و قال بعض المفسرين معنى الكلام ليس لكم من يدفع عقاب الله عنكم إذا أراد فعله بكم.

بَابُ  
الْمَعْرِفَةِ  
فِي  
تَفْهِيمِ  
الْقُرْآنِ

جزء ٢٥

الجلد الخامس عشر

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ

الجوار بفتح الجيم جمع جارية وهي السفينة التي تجري في البحر، فالجوار السفن والمعنى من آياته الدالة على قدرته السفن الجارية في البحر التي كأنها من عظمها كالأعلام و الجبال وذلك لأن الله تعالى يسيرها بالريح ولا يقدر على

تسييرها كذلك إلا هو.

قال بعض المفسرين في توضيح الكلام أَنَّ اللَّهَ خلق الماء العظيم و عدل الرِّيح بما يمكن أن يجري فيه على حسب المراد لأنه إذا هَبَّت الرِّيح في جهة و سارت بها السَّفينة فيها فلو اجتمعت الخلائق على صرفها الى جهةٍ أخرى لما قدروا و كذلك لو سكنت الرِّيح لوقفت و ما قدر أحد على تحريكها و لا إجراءها غيره تعالى.

أقول ما ذكره <sup>في</sup> لا بأس به إلا أنه ليس من التعليل بشيء كما لا يخفى.

إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلِلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ

ثم بين الله تعالى ذلك و قال: إِنْ يَشَأْ أي إِنْ يَشَاءُ اللَّهُ و أراد وقوف السَّفينة، يُسْكِنِ الرِّيحَ أي إِنْ يَشَاءُ أَنْ يَسْكُنَهَا سكنت فَيَظْلِلْنَ السَّفنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ رواكد، جمع راكد و هو الواقف و المعنى تظل السُّفن واقفة على ظهر الماء لا تقدر على الحركة لعدم وجود الرِّيح المحرك لها.

و الحاصل أَنَّ محرك السَّفينة الرِّيح و هي تحت أمر الله و قدرته، إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ و علامات على قدرته لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ يعني في تسخير البحر و جريان السُّفن فيها لآيات واضحات لكل من كان صابراً على أمر الله شاكراً على نعمه التي لا تحصى كما قال: وَ إِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا <sup>(١)</sup>.

أَوْ يُوبِقْهُمْ بِمَا كَسَبُوا وَ يَغْفُ عَنْ كَثِيرٍ

قوله: أَوْ يُوبِقْهُمْ معطوف على قوله: فَيَظْلِلْنَ و التقدير إِنْ يَشَاءُ اللَّهُ يسكن الرِّيح فيظللن أي تظل السُّفن واقفة على ظهر الماء لا تتحرك و إِنْ يَشَاءُ يُوبِقْهُمْ،

أي يهلكهن بالغرق في البحر، بما كسبوا، أي بسبب ما كسبت أيديهم من المعاصي وإن شئت قلت جزءاً على المعاصي، ويعف عن كثير، من معاصيهم التي فعلوها فإن الله لا يعاجلهم بعقوبته والمقصود أن الحياة والموت بيد الله و هو ظاهر.

وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ

قيل هو إخبار من الله تعالى بأن الذين يجادلون في إبطال آيات الله ويدفعونها وينكرونها سيعلمون أنه ليس لهم محيص أي ملجأ وملاذ غير الله تعالى وأن أزمة الأمور بيده وتحت قدرته.

فَمَا أَوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

يقول الله تعالى مخاطباً لأهل الدنيا ما أوتيتُمْ وأعطيتم مِنْ شَيْءٍ أي من الأموال فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تنتفعون به عاجلاً، قيل المتاع يخبر به عن الإمتاع ويعبر به عن الأناث ففي ذلك ترهيد في الدنيا وحث على العمل للأخرة، وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ خَيْرٌ وَ أَبْقَى من هذه المنافع العاجلة الفانية التي هي قليلة والأخرة باقية دائمة لا زوال لها، والعقل السليم يحكم بأن الباقي خير من الفاني. أقول ما ذكره تعالى حق لا مرية فيه فإن الدنيا وما فيها لا بقاء لها أصلاً مضافاً إلى أنه نعمها ومتاعها ولذا نذرها محفوفة بالبلاء:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: الدُّنْيَا دَارٌ بِالْبَلَاءِ مُحْفُوفَةٌ وَ بِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في وصية لقمان لابنه، يابني أعلم أن الدُّنْيَا قليل وعمرك منها قليل من قليل ويقر من القليل قليل إنتهى. وقال عليه السلام: سبحان من لو كانت الدنيا خيراً لكُلِّها لما ابتلى فيها من

أحب، سبحان من لو كانت الدنيا شرّاً كلّها لما نجى منها من أراد  
إنتهى.

و عن أبان بن عثمان قال: شكى رجلٌ إلى أبي عبد الله عليه السلام  
الضيق، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما ذنبى أنتم إخترتموه قال  
الرجل ومتى إخترناه فقال عليه السلام: أن الله تعالى عرض عليكم الدنيا  
و الآخرة فإخترتم الآخرة على الدنيا و المؤمن ضيفٌ على الكافر  
ففي هذه

الدنيا و أنتم الآن تأكلون و تشربون و تلبسون و تنكحون و هم  
في الآخرة لا يأكلون ولا يشربون و لا يلبسون و لا ينكحون.  
و عن كتاب روضة الواعظين، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما الدنيا في  
الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم صبعه في التيم فلينظر بم يرجع  
إنتهى.

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الدنيا دار من لا دار له و مال من لا مال  
له و لها يجمع من لا عقل له و شهواتها يطلب من لا فهم له و عليها  
يعادي من لا علم له و عليها يحسد من لا فقه له و لها يسعى من لا  
يقين له إنتهى.

رُوي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: قرأ، أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو  
على نورٍ من ربه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أن النور إذا وقع في القلب إنفتح له  
و إنشرح فقالوا يا رسول الله هل لذلك علامة يعرف بها  
قال صلى الله عليه وآله وسلم: التجافي عن دار الغرور و الإنابة إلى دار الخلود و  
الإستعداد للموت قبل نزول الموت إنتهى <sup>(١)</sup>.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ فَحَذُّوا مِنْ مَمَرِكُمْ لِمَقَرِّكُمْ وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ وَأَخْرِجُوا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ... (١).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا غَنَاءٌ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ، فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ، مَنْ اسْتَعْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حُزِنَ، وَمَنْ سَاغَاها فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ... (٢).

و الأخبار و الآثار في ذمها كثيرة تكلمنا فيها غير مرة.  
و أما قوله: لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ فهو إشارة الى أن ما وصفه الله من نعم الآخرة و أنها أبقى، فهو مختص بالمؤمن المتوكل على الله في الدنيا و أما الكافر فلا حظ له مما عند الله من الخير و بعبارة أخرى ما عند الله خير للمؤمن و أما للكافر فليس له إلا العذاب و أن شئت قلت خير للمؤمن و شرٌّ للكافر ثم أشار الله تعالى الى أوصاف المؤمنين الذين قال فيهم و ما عند الله خيرٌ لهم و أبقى.

وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوَاحِشَ وَ إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ

الاول للعطف على قوله: لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ أي وما عند الله خيرٌ لهم و للذين يجتنبون كبائر الإثم ذكر فيها لهم ثلاث خصال:

الأولى: إجتناهم كبائر الإثم.

الثانية: إجتناهم عن الفواحش.

جاء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

## الثالثة: العفو حين الغضب.

أَمَّا كِبَائِرُ الْإِثْمِ، فَالْإِثْمُ الذَّنْبُ وَ الْكِبَائِرُ جَمْعُ كَبِيرَةٍ وَ فِي هَذَا الْكَلَامِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الذُّنُوبَ عَلَى قَسَمَيْنِ كَبِيرَةٌ وَ صَغِيرَةٌ.

قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ، إَعْلَمُ أَنَّ صَاحِبَ الشَّرْعِ قَسَمَ الذُّنُوبَ إِلَى كَبِيرَةٍ وَ صَغِيرَةٍ وَ حَكَمَ بِأَنَّ اجْتِنَابَ الْكِبَائِرِ يَكْفِرُ الصَّغَائِرَ.

ثُمَّ أَنَّ الْكَبِيرَةَ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ مَبْهُمٌ لَيْسَ لَهُ مَوْضُوعٌ خَاصٌّ فِي اللُّغَةِ وَ لَا فِي الْعَرَفِ وَ لَا فِي الشَّرْعِ لِأَنَّ الْكَبِيرَ وَ الصَّغِيرَ مِنَ الْمُضَافَاتِ وَ مَا مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا كَبِيرٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا دُونِهِ وَ صَغِيرٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا فَوْقَهُ وَ قَدْ اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَعْيِينِ الْكِبَائِرِ اِخْتِلَافًا لَا يَكَادُ يَرْجَى زَوَالُهُ وَ اِخْتَلَفَتِ الرُّوَايَاتُ فِيهَا أَيْضًا وَ الْأَظْهَرُ بِالنَّظَرِ إِلَى الرُّوَايَاتِ وَ إِلَى.

الْجَمْعُ بِنَهَا كَوْنِ الْكَبِيرَةِ عِبَارَةً عَمَّا تَوَعَّدُ بِالنَّارِ عَلَى فِعْلِهِ أَوْ مَا وَرَدَ فِي نَصِّ الْكِتَابِ النَّهْيِ عَنْهُ.

وَ يَعْنِي بِوصفه بِالْكَبِيرَةِ أَنَّ الْعُقُوبَةَ بِالنَّارِ عَظِيمَةٌ أَوْ أَنَّ تَخْصِيصَهُ بِالذِّكْرِ فِي الْقُرْآنِ يَدُلُّ عَلَى عَظَمِهِ وَ يُمْكِنُ أَنْ يَقَالَ أَنَّ الشَّرْعَ لَمْ يَعْنَيْنَهَا وَأَبْهَمَهَا لِيَكُونَ الْعِبَادُ عَلَى وَحْلِ مِنْهَا فَيَجْتَنِبُونَ جَمِيعَ الذُّنُوبِ كَمَا أَبْهَمَ لَيْلَةَ الْقَدَرِ لِيَعْظُمَ جَدُّ النَّاسِ فِي طَلِبِهَا وَ يُوَاطَبُونَ فِي لَيَالٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَلَى الْعِبَادَاتِ وَ كَمَا أَبْهَمَ إِسْمَ وَ الْأَعْظَمَ لِيُوَاطَبُوا عَلَى جَمِيعِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَ الْحَاصِلُ أَنَّ كُلَّ مَا لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ حَكْمٌ فِي الدُّنْيَا جَازٍ أَنْ يَتَطَرَّقَ إِلَيْهِ الْإِبْهَامُ وَ الْكَبِيرَةُ عَلَى الْخُصُوصِ لَا حَكْمَ لَهَا فِي الدُّنْيَا مِنْ حَيْثُ أَنَّهَا كَبِيرَةٌ فَأَنَّ مَوْجِبَاتِ الْحُدُودِ مَعْلُومَةٌ بِأَسَامِيهَا وَ أَنَّ حَكْمَ الْكَبِيرَةِ أَنَّ اجْتِنَابَهَا يَكْفِرُ الصَّغَائِرَ وَ أَنَّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ لَا تَكْفُرُهَا وَ هَذَا أَمْرٌ يَتَعَلَّقُ بِالْآخِرَةِ وَ الْإِبْهَامُ الْبَقِيَّةُ حَتَّى يَكُونَ النَّاسُ عَلَى وَجَلٍ وَ حَذَرٍ فَلَا يَتَجَرَّؤْنَ عَلَى الصَّغَائِرِ اعْتِمَادًا عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَ اجْتِنَابَ الْكِبَائِرِ اِنْتَهَى مَا ذَكَرَهُ ﷺ وَ الْإِنْصَافُ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ



حَقَّقَهُ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ إِذَا عَرَفْتَ هَذَا.

فَنَقُولُ أَمَّا قَالَ تَعَالَى: **يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ** وَلَمْ يَقُلْ **يَجْتَنِبُونَ الْإِثْمَ** مَثَلًا، لِأَنَّ اجْتِنَابَ الْإِثْمِ بِقَوْلٍ مُطْلَقٍ غَيْرِ مُقَدَّرٍ لِلْمُؤْمِنِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ جَائِزُ الْخَطَا إِلَّا مِنْ عَصَمَهُ اللَّهُ كَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ وَأَمَّا غَيْرُهُمْ كَأَنَّ مَنْ كَانَ قَدْ يَذْنِبُ وَيَخْطَأُ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَعْصُومٍ مِنْهُ وَأَمَّا اجْتِنَابُ عَنِ الْكَبَائِرِ وَهِيَ الذُّنُوبُ الَّتِي تُوَعَّدُ عَلَيْهَا بِالنَّارِ فَهِيَ لَا حَرَجَ فِي تَرْكِهَا أَوْ الْإِسْتِغْفَارِ عَنْهَا بَعْدَ فَعْلِهَا كَمَا قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: وَلَا صَغِيرَةٌ مَعَ الْإِصْرَارِ وَلَا كَبِيرَةٌ مَعَ الْإِسْتِغْفَارِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْكَبَائِرُ مِثْلُ الْقَتْلِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَالزَّوْنِ وَشَرْبِ الْخَمْرِ، وَالْقِمَارِ، وَالْغَيْبَةِ، وَالْكَذِبِ، وَأَكْلِ مَالِ الْغَيْرِ غَضَبًا، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ عَلَى إِخْتِلَافٍ فِيهَا. وَأَمَّا الْفَوَاحِشُ فَهِيَ جَمْعُ فَاحِشَةٍ وَهِيَ أَقْبَحُ الْقَبِيحِ، قَالَ السُّدِّيُّ يَعْنِي الزَّوْنِ وَقِيلَ الْكَبَائِرُ وَالْفَوَاحِشُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَكَرَّرَ لَتُعَدِّدَ اللَّفْظَ أَيَّ يَجْتَنِبُونَ الْمَعَاصِيَ لِأَنَّهَا كَبَائِرُ وَفَوَاحِشُ وَقَالَ مِقَاتِلُ، الْفَوَاحِشُ مَوْجِبَاتُ الْحُدُودِ وَقَوْلُهُ: **وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ** مَعْنَاهُ، أَنَّهُمْ يَتَجَاوَزُونَ مِمَّا يَفْعَلُ بِهِمْ مِنَ الظُّلْمِ وَالْإِسَاءَةِ. فَمِنْ كِتَابِ الْمَحَاسِنِ بِأَسْنَادِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: ثَلَاثَةٌ مِنْ مَكَارِمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ تَعْفُو عَنْ ظَلَمِكَ، وَتَصِلَ مِنْ قِطْعِكَ، وَتَحْلُمَ إِذَا جَهِلَ عَلَيْكَ إِنْتَهَى.

وَعَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام: ثَلَاثَةٌ لَا يَزِيدُ اللَّهُ بِهِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ إِلَّا عِزًّا، الصَّفْحُ عَنْ ظَلَمِهِ، وَإِعْطَاءُ مَنْ حَرَجَهُ، وَصَلَةُ مَنْ قَطَعَهُ إِنْتَهَى. وَعَنْهُ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَلَيْكُمْ بِالْعَفْوِ فَإِنَّ الْعَفْوَ لَا يَزِيدُ الْعَبْدَ إِلَّا عِزًّا فَتَعَاوَا يَعِزَّكُمْ اللَّهُ إِنْتَهَى <sup>(١)</sup>.

هَذَا إِذَا كَانَ الْمُرَادُ الْعَفْوُ عَنِ الْمَسِيءِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمَفْسَّرُونَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ

يكون المراد به كظم الغيظ بدليل قوله: إِذَا مَا غَضِبُوا فَأَنْ عَفُو عَنْهُ عِنْدَ الْغَضَبِ يَعْبَرُ عَنْهُ بِكُظْمِ الْغَيْظِ وَالْعَفْوُ بَعْدَهُ أَشَدُّ وَأَصْعَبُ وَعَلَى هَذَا فَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَإِذَا مَا غَضِبُوا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَكْظُمُ غَيْظَهُ وَغَضَبَهُ وَيَغْفِرُ لِلْمَسِيءِ يَعْمَلُ بِمَقْتَضَى غَضَبِهِ وَهُوَ أَيْضاً مِنْ أَحْسَنِ الصِّفَاتِ بَلْ هُوَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ مِنَ الْعَفْوِ عِنْدَ عَدَمِ الْغَضَبِ وَقَدْ وَرَدَتْ الْأَخْبَارُ بِمَدْحِهِ أَيْضاً.

قال أمير المؤمنين عليه السلام للحسين عليه السلام: يَا بَنِيَّ مَا الْحِلْمُ قَالَ عليه السلام كُظْمُ الْغَيْظِ وَ مَلِكُ النَّفْسِ.

و عن أبي جعفر عليه السلام قال: كَانَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَقُولُ أَنَّهُ لِيَعْبُدَنِي الرَّجُلُ أَنْ يَدْرِكَهُ حِلْمُهُ عِنْدَ غَضَبِهِ إِنْتَهَى.

و عن أبي جعفر عليه السلام قال: مَا مِنْ جُرْعَةٍ يَتَجَرَّعُهَا عَبْدٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جُرْعَةٍ غِيظٍ يَرُدُّهَا فِي قَلْبِهِ وَ رَدُّهَا بِصَبْرٍ أَوْ رَدُّهَا بِحِلْمٍ.

و عن أبي جعفر عليه السلام قال: مَا ظَلَمَ أَحَدٌ بِظُلَامَةٍ فَقَدَرَ أَنْ يَكْفِيَّ بِهَا وَلَمْ يَجْعَلْ إِلَّا أَبْدَلَهُ اللَّهُ مَكَانَهَا عَزًّا إِنْتَهَى.

و قال أبو عبد الله عليه السلام: مَا مِنْ عَبْدٍ كُظِمَ غَيْظُهُ إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عَزًّا وَجَلَّ بِهِ عَزًّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَ أَلْكَاطِمِينَ أَلْغَيْظَ وَ أَلْغَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَأَتَاهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ مَكَانَ غَيْظِهِ ذَلِكَ.

و قال أيضاً: مَنْ كُظِمَ غَيْظُهُ وَ هُوَ يَقْدِرُ عَلَى إِنْفَازِهِ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ أَمْنًا وَ إِيْمَانًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

و قال أيضاً: نَعِمْتَ الْجُرْعَةُ الْغَيْظُ لِمَنْ صَبَرَ عَلَيْهَا.

والأحاديث كثيرة<sup>(١)</sup>.

وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ

هذا وصف ثالث أثبتته الله تعالى للمؤمنين الذين وعدهم الله أن يعطيهم ما عنده مما هو خير وأبقى يوم القيامة وقد ذكر الله تعالى لهم أوصافاً:

**أحدها:** أنهم يستجيبون لرَبِّهم في ما دعاهم إليه أي يطيعونه في أوامره و نواهيه كما هو شأن العبد المؤمن بالله و من المعلوم أن إستجابة الرسول و وصيّه، إستجابة الله كما أن معصيته و مخالفته معصية الله.

**الثاني:** وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ قيل إقامة الصَّلَاة الإتيان بها مع جميع شرائطها مَرَّ البحث في الصَّلَاة و اجزائها و شرائطها فيما مضى و نقلنا الأخبار الواردة في فضلها و شرفها و قلنا أنها من أفضل القربات و لا شيء بعد الإيمان بالله أفضل و أعظم من الصَّلَاة.

**الثالث:** وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُم الشُّور بَصْم الشين ما يبدوا به المتاع يقال شرت العسل و أشرته أخرجته، و شرت الذّابة إستخرجت عدوه تشبيهاً بذلك، و التَّشاور و المشاورة و المشورة، إستخراج الرّأي بمراجعة البعض إلى البعض من قولهم شرت العسل إذا إتخذته من موضعه و إستخرجته عنه، و الشُّورى الأمر الذي يتشاور فيه، ذكره الرّاغب في المفردات إذا عرفت هذا فنقول:

لا شك أن المشورة ممدوحة مرَّغب فيه و الدليل عليه من النّقل نصّ الكتاب و قد أمر الله نبيّه بذلك حيث قال تعالى: **و شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**<sup>(٢)</sup>.

و أمّا العقل فأنّه يحكم بحسن المشورة قطعاً و ذلك لأنّها توجب إستخراج

بَابُ الْقُرْآنِ فِي تَرْجُمَةِ  
الْآيَاتِ

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

أحسن الأراء و لذلك أمرنا بالمشورة في الأمور عقلاً و شرعاً و هذا ممّا لا كلام فيه عند جميع العقلاء و أنّما الكلام في أمرين:  
أحدهما: أهل الشورى.

الثانى: الأمر الذى تعلّق به المشورة و بعبارة أخرى يتشاورون فيه.

**أما الأمر الأول:** أعني به أهل الشورى فهم عقلاء القوم فإنّ إستخراج الرأى السديد لا يمكن إلّا من طريق العقل و العقل لا يوجد إلّا في العاقل فالمشورة مع الجاهل لا فائدة فيها و هو لا يحتاج إلى دليل لوضوحه.

**أما الأمر الثانى:** و هو الأمر يتشاور فيه فالظاهر أنّه من الأمور الدنيوية المتعلقة بمصالح الإجتماع و مفسادها كالنكاح و الطلاق و البيع و الشراء و أمثال ذلك و أمّا الأمور الدينية فهي خارجة عن مفاد الآية و حكم العقل فلا تجوز المشورة فيها نفيّاً و إثباتاً و ذلك لأنّ حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة و حرامه كذلك و يستفاد ذلك من الآية أيضاً و ذلك لأنّه تعالى قال: **وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** لا كلّ أمرٍ من الأمور حتّى يشمل أمر الله فإضافة الأمر في الآية إلى ضمير، هم، أعني به المؤمنين إشارة إلى ما ذكرناه أي أمر المؤمنين شورى بينهم، أي بين المؤمنين فالمقصود من الآية أنّ المؤمن غير مستبدّ برأيه في أمر دنياه.

قال صاحب الكشّاف في تفسيره لهذه الآية، كانوا قبل الإسلام و قبل مقدّم رسول الله ﷺ المدينة إذا كان بهم أمرٌ اجتمعوا و تشاوروا فأثنى الله عليهم أي لا ينفردون برأى حتّى يجتمعوا عليه.

و عن الحسن ما تشاور قومٌ إلّا هدوا لأرشد أمرهم و الشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور و معنى قوله: **وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** أي ذو شورى قولهم ترك رسول الله ﷺ و عمر بن الخطّاب رضي الله عنه الخلافة شورى، هو أن يقتصروا في الإنصاف على ما جعله الله لهم و لا تعيدوا.

و عن النخعي أنّه كان إذا قرأها قال كانوا يكرهون أن يذلّوا أنفسهم فيجتري

عليهم الفساق.

فَأَنْ قُلْتَ أَهْمُ مَحْمُودُونَ عَلَى الْإِنْتِصَارِ.

قُلْتَ نَعَمْ لِأَنَّ مِنْ أَخَذَ حَقَّهُ غَيْرَ مُتَعَدٍّ حَدَّ اللَّهِ وَ مَا أَمْرُهُ فَلَمْ يَسْرِفْ فِي الْقَتْلِ أَنَّهُ كَانَ وَلَّى دِمٍ إِلَى آخِرِ مَا قَالَ إِنَّهُ يَكَلِّمُهُ.

أَقُولُ الْعَجَلُ مِنَ الزَّمْخْشَرِيِّ فِي قَوْلِهِ فِي مَعْنَى الْآيَةِ، وَ كَذَلِكَ قَوْلُهُمْ تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ وَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الْخِلَافَةَ شُورَى، وَ نَحْنُ نَقُولُ أَمَّا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَلَا كَلَامَ لَنَا فِي أَنَّهُ جَعَلَ الْخِلَافَةَ شُورَى بَيْنَ سِتَّةِ رِجَالٍ إِلَّا أَنَّ عَمَلَهُ كَانَ كَسَائِرِ أَعْمَالِهِ وَ لَا حِجَّةَ فِيهِ وَ قَدْ تَكَلَّمْنَا فِي شُورَى عُمَرَ، فِي شَرْحِ الْخُطْبَةِ الشَّقْشَقِيَّةِ بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ فِي كِتَابِنَا الْمُسَمَّى بِمِفْتَاحِ السَّعَادَةِ فِي شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ عِنْدَ قَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي اللَّهِ وَالشُّورَى وَ قُلْنَا هُنَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَرَادَ تَفْوِيضَ الْحُكُومَةِ إِلَى عُثْمَانَ وَ لِذَلِكَ جَعَلَ إِخْتِيَارَ الشُّورَى لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ لَعَلَّهُ بَأَنَّهُ أَيُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَا يَبَايِعُ عَلِيًّا أَبَدًا لِقُرَابَتِهِ لِعُثْمَانَ وَ عِدَاوَتِهِ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمَا فَعَلَهُ وَ سَمَّاهُ الشُّورَى، فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ يَكُنْ شُورَى، بَلْ كَانَ مَكْرًا وَ خُدْعَةً لِإِخْرَاجِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الزَّعَامَةِ وَ الْحُكُومَةِ وَ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ نَقُولُ بِأَنَّ شُورَى عُمَرَ كَانَ عَلَى خِلَافِ الشَّرْعِ وَ الْعَقْلِ كَمَا بَيَّنَّاهُ فِي مَوْضِعِهِ وَ لَا كَلَامَ لَنَا فِيهِ فَعَلًا لِبَطْلَانِهِ عِنْدَنَا.

وَ أَنَّمَا الْكَلَامُ فِي قَوْلِهِمْ تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ الْخِلَافَةَ شُورَى فَأَنَّ الْقَائِلَ بِهَذَا الْقَوْلِ نَسَبَ الْكَذِبَ إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ، وَ مِنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، تَوْضِيحُ ذَلِكَ إِجْمَالًا:

هُوَ أَنَّ مَسْأَلَةَ الْخِلَافَةِ كَمَسْأَلَةِ النَّبُوَّةِ فَكَمَا أَنَّ النَّبِيَّ مَنصُوبٌ مِنَ اللَّهِ لِلنَّبُوَّةِ كَذَلِكَ وَصِيَّهُ وَ خَلْفَتُهُ وَ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ فَلَيْسَ لِلنَّبِيِّ تَعْيِينَ خَلِيفَتِهِ فَضْلًا عَنْ النَّاسِ فَكَيْفَ تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ الْخِلَافَةَ شُورَى، فَأَنَّ كَانَتْ الْخِلَافَةُ شُورَى فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنَّ لَكَ

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتَهُ<sup>(١)</sup> يوم الغدير وما الَّذِي أنزل عليه فأن كان المنزل عليه الصلاة والصوم والحج وغيرها من الأحكام فالمفروض أَنَّهُ ﷺ قد بلغها من قبل نزول الآية وأن كان غير الأحكام فما هو ونحن قد تكلمنا حول الآية سابقاً ولا سيما في شرحنا على نهج البلاغة فلا نعيد الكلام بذكره ثانياً حذراً من الإطالة مضافاً إلى أَن كتابنا هذا ليس موضوعاً لهذه الأبحاث.

و الَّذِي نقول في هذا المقام هو أَن أمر الخلافة بيد الله تعالى لا غيره كائناً من كان فالحق أن يقال أَن الناس جعلوا الخلافة شورى و تبعهم في ذلك عمر بن الخطاب، ثم نقول لصاحب الكشف أن كان الرسول جعل الخلافة شورى كما إدّعت ففعل الرسول حجة على أمته و ذلك لأنَّ السُّنة عبارة عن قول الرسول و فعله و تقريره فما قاله الرسول أو فعله أو قرَّره و امضاه متَّبِعٌ لأَمته و من أعرض عن فعله أعرض عن سنَّته و من أعرض عن دينه و من أعرض عن دينه فهو كافر بالله و رسوله و على هذا فسنة الرسول ترك الخلافة شورى، فلم لم يترك أبو بكر الخلافة شورى ليكون تابعاً لسنة رسول الله بل عيَّن عمر للخلافة بعده من غير أن يجعلها شورى، هذا كله على ما إدَّعاه الخصم و يعتد به.

و أمّا على مذهب الحق فالخلافة ليست من أمور الدنيا و أهلها بل هي من مواهب الله يعطيها من يشاء و يصلح لها كالتبوة و لتفصيل الكلام في هذا الباب مقام آخر، و الآية لا ربط لها بمسألة الخلافة أصلاً و الحق أن خروجها عن عموم الآية تخصُّصي لا تخصيصي فأن الله قال أمرهم شورى بينهم لا أمر الله و هو واضح.

و أمّا قوله تعالى: وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فقد مرَّ الكلام فيه غير مرَّة فأنَّ المؤمن لا يكون بخيلاً.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لم نبعث لجمع

المال ولكن بعثنا لإنفاقه إنتهى.

و عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أُنَّ اللَّهَ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً لَمْ يَسْلُبْهُ إِيَّاهَا مَا إِسْتَقَامَ حَتَّى يَتَغَيَّرَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهَ فَإِذَا تَغَيَّرَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهَ تَغَيَّرَ اللَّهَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ إِنَّتَهَى <sup>(١)</sup>.

و الأخبار في مدح الإنفاق و ذم الإمساك و البخل كثيرة.

و الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ أَلْبَغْيٌ هُمْ يَنْتَصِرُونَ

وصف آخر لهم أنهم إذا أصابهم البغي و الظلم من غيرهم ينتصرون ممن بغى عليهم من غير أن يعتدوا فيها فيقتلوا غير القاتل و يجنوا على غير الجاني هكذا فسروا الكلام بعض المفسرين.

و قال صاحب الكشف في معناه هو أن يقتصروا في الانتصار على ما جعله الله لهم و لا يعتدوا، و هذا الذي ذكره يوافق ما نقلناه عن غيره.

و قال القرطبي أي أصابهم بغي المشركين و ذلك أنهم بغوا على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه و أصحابه و أذوهم و أخرجوهم عن مكة فأذن الله لهم بالخروج و مكّن لهم في الأرض و نصرهم على من بغى عليهم، و على هذا فالحكم خاص و به قال ابن عباس على ما نقلوا عنه و قيل هو عام في بغي كل باغ من كافر أي إذا نالهم ظلم من ظالم لم يستسلموا لظلمه و هذه إشارة إلى الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و إقامة الحدود.

و قال ابن العربي، ذكر الله الانتصار في البغي في معرض المدح، و ذكر العفو عن الجرم في موضع آخر في معرض المدح فإحتمل أن يكون أحدهما رافعاً للآخر و إحتمل أن يكون ذلك راجعاً إلى حالتين:

أحدهما: أن يكون الباغي معلناً بالفجور مؤذياً للصغير و الكبير فيكون الانتقام منه أفضل.

جاء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

**الثانية:** أن تكون الفتلة أو يقع ذلك ممّن يعترف بالزّلة و يسأل المغفرة فالعفو هاهنا أفضل و في مثله نزلت **وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى** إنتهى. كلامه هذا ما ذكره في تفسير الآية.

**أقول** النّصر و النّصرة العون و الانتصار و الإستنصار طلب النّصرة و البغي هو طلب تجاوز الإقتصاد فيما يتحرى تجاوزه أو لم يتجاوزه يقال بغيت الشّي إذا طلبت أكثر ما يجب ثمّ أنّ البغي على جزئين:

**أحدهما:** محمودٌ و هو تجاوز العدل إلى الإحسان و الفرض إلى التطوّع.

**الثاني:** مذموم و هو تجاوز الحقّ إلى الباطل و تجاوزه إلى الشبه كما قال **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: الحقّ بيّنٌ، و بين ذلك أمور مشتبّهات و من رتع حول الحمى أو شكّ أن يقع فيه إذا عرفت هذا فقد علمت أنّ البغي ليس في جميع الموارد مذموماً بل قد يكون مذموماً و قد يكون ممدوحاً.

نعم من فسّر البغي بالظلم فلا يكون ممدوحاً أبداً لأنّ الظلم مذمومٌ على كلّ حالٍ و لا إستثناء فيه و الذي يدلّ على ما ذكرناه من تقسيم البغي إلى الممدوح و المذموم هو قوله تعالى: **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**<sup>(١)</sup> و سيأتي الكلام فيها فأنّها تدلّ على أنّ البغي بالحقّ و هو الممدوح منه لا إشكال فيه إذا عرفت هذا فنقول:

دلّت الآية على من أصابه البغي و هو ينتصر أي يطلب النّصرة على دفع الظلم عنه لا إشكال فيه بل هو من أوصاف المؤمن فيستفاد من الآية أنّ الإنتصار ممدوحٌ مطلوبٌ إذا كان البغي مذموماً أي ظلماً و توضيح ذلك:

أنّ الظلم منكّرٌ في حدّ نفسه من أيّ شخص صدر و إذا كان الظلم مذموماً فالمظلوم ممدوح بحكم المقابلة و قد حكى العقل و الشرع بأنّ دفع المنكر واجبٌ حتّى الإمكان، فإذا كان المظلوم قادراً بشخصه على دفع الظلم أو رفعه عن



نفسه يجب عليه دفعه وإذا لم يقدر وجب عليه الانتصار أي طلب النصرة على دفع الظلم لأنه من المعروف وقد عدّه الشارع من وظائف المؤمن لثلاً يصدق عليه الإنظام فأنه مذمومٌ والإنظام قبول الظلم من الظالم وهذا هو الذي أخبر عنه الرسول بأن بعض المظلومين يحشر يوم القيامة مع الظالم الذي ظلم عليه قيل له يا رسول الله أما الظالم فمعلومٌ فما بال المظلوم في حشره معه في العذاب، قال ﷺ: **لأنه لم يدفع الظلم عن نفسه وكان قادراً عليه، فثبت وتحقق أن المظلومية ممدوحة وأما الإنظام فهو مذمومٌ.**

والحاصل أن دفع الظلم واجب عقلاً وشرعاً سواء كان الدفع بشخصه من غير الاستمداد عن الغير أم كان بالانتصار والاستعانة بالغير وطلب النصرة منه. **إن قلت ما فائدة الانتصار إذا لم يجيبه الناصر أو لا ينصره.**

**قلت** فائدته إتمام الحجة على الناصر يوم القيامة وعمل المستنصر بوظيفته المقررة له من الشارع فإن في السكوت شائبة الإنظام المذموم، ولأجل هذه الدقيقة إنتصرت فاطمة الزهراء سلام الله عليها من المسلمين لما ظلم عليها أبو بكر و غصب حقها ومنع ميراثها عن رسول الله ﷺ حيث قالت في خطبتها التي خطبت بها في مسجد المدينة في محضر المهاجرين والأنصار:

يا مَشْعَرَ لُفْتِيَّةٍ، وَأَعْصَادَ الْمِلَّةِ، وَ حَصَنَةَ الْإِسْلَامِ! مَا هَذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي؟  
وَالسَّنَّةُ عَنْ ظُلَامَتِي؟ أَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبِي يَقُولُ: «الْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي  
وُلْدِهِ؟» سَرَعَانَ مَا أَخَذْتُمْ، وَ عَجَلَانَ ذَا إِهَالَةٍ، وَ لَكُمْ طَاقَةٌ بِمَا أَحْوَلُ، وَ قُوَّةٌ  
عَلَى مَا أَطْلُبُ وَ أَزَاوِلُ! إِلَى آخِرِ مَا قَالَتْ.

و قالت سلام الله عليها في موضع آخر وهي تخاطب الأنصار:

أَيُّهَا بَنِي قَيْلَةَ! أَهْضَمُ تُرَاثٍ وَ أَبِي أَنْتُمْ بِمَرَأَى مَتَى وَ مَسْمَعٍ وَ مُتَنَدِّي وَ  
مَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمْ الدَّعْوَةُ، وَ تَشْمَلُكُمْ الْخَبْرَةُ، وَ أَنْتُمْ دَوُّ وَ الْعَدَدِ وَ الْغَدَةِ، وَ الْأَدَاةِ

وَالْقُوَّةَ، وَ عِنْدَكُمْ السَّلَاحَ وَ الْجَنَّةَ، تُؤَافِكُكُمْ الدَّعْوَةُ فَلَا تُجِيبُونَ، وَ تَأْتِيَكُمْ  
الْصَّرْحَةُ فَلَا تُغِيثُونَ، وَ أَنْتُمْ مُؤْصِفُونَ بِالْكِفَاحِ، مَعْرُوفُونَ بِالْخَيْرِ وَ الصَّلَاحِ، ...  
إِلَى آخِرِ الْخُطْبَةِ.

و قد شرحناها مفصلاً بالفارسية في كتاب مستقل إن شئت فراجعهُ فإنك تجد  
فيه ما لا يوجد في غيره و قد طبع غير مرّة.

و محضّ الكلام أَنَّ الزَّهْرَاءَ عليها السلام لَمَّا بَغُوا عَلَيْهَا إِنْتَصَرَتْ بِحُكْمِ الْآيَةِ وَ عَمِلَتْ  
بِوُضُوحِهَا إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَنْصُرُوهَا بَلْ نَصَرُوا أَعْدَاءَهَا وَلَمْ يَخَافُوا اللَّهَ وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ  
ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَ جَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَ أَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا  
يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

السَّيِّئَةُ الْفَعْلَةُ الْقَبِيحَةُ وَ هِيَ ضِدُّ الْحَسَنَةِ الَّتِي هِيَ الْفَعْلَةُ الْجَمِيلَةُ حُكْمُ اللَّهِ  
تَعَالَى فِي الْآيَةِ أَنَّ جَزَاءَ السَّيِّئَةِ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا، لَا أَكْثَرَ مِنْهَا، وَ هُوَ مُقْتَضَى الْعَدْلِ فَأَنَّ  
التَّعْدِيَّ عَنِ الْمِثْلِ يُوجِبُ الْبَغْيَ الْمَذْمُومَ لِأَنَّ فَاعِلَهُ تَجَاوَزَ عَنْ حُدِّهِ، وَ هَذَا بِخِلَافِ  
الْحَسَنَةِ فَأَنَّ التَّجَاوُزَ عَنْهَا بَعْشَرُ أَمْثَالِهَا هُوَ التَّجَاوُزُ مِنَ الْعَدْلِ إِلَى الْإِحْسَانِ وَ هُوَ  
الْبَغْيُ الْمَمْدُوحُ وَ عَلَى هَذَا فَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَ جَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا عَلَى  
أَسَاسِ الْعَدْلِ، وَ أَمَّا قَوْلُهُ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا <sup>(١)</sup> عَلَى أَسَاسِ  
الْإِحْسَانِ وَ هُوَ أَعْلَى وَ أَفْضَلُ مِنَ الْعَدْلِ، وَ هَكَذَا قَوْلُهُ: فَمَنْ عَفَا وَ أَصْلَحَ  
فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ داخل في الإحسان و من أحسن فجزاءه على المحسن  
الحقيقي و هو الله تعالى و أَمَّا عَبَّرْنَا عَنْهُ تَعَالَى بِالْمَحْسَنِ الْحَقِيقِيِّ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ  
أَحْسَنَ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ فَهُوَ بِتَوْفِيقٍ مِنْهُ بَلْ يَسْنَدُ الْإِحْسَانَ إِلَى الْخَلْقِ عَلَى  
سَبِيلِ الْمَجَازِ.

في القرآن  
في تفسير القرآن

جزء ٢٥

الجلد الخامس

وقوله: إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ لَأَنَّ الظُّلْمَ قَبِيحٌ وَلَا يُحِبُّ الْقَبِيحَ إِلَّا مَنْ  
إِتَّصَفَ بِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى مُنْزَعٌ عَنِ الْقَبَائِحِ فَلَا يُحِبُّ الْقَبِيحَ.

وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ

اختلفوا في معنى الآية فقال قتادة معناه بعد ظلمه في ما يكون فيه القصاص  
بين الناس في النفس أو الأعضاء أو الجراح فأما غير ذلك فلا يجوز أن يفعل لمن  
ظلمه ولا ذم له على فعله.

وقال قومٌ معناه أن له أن ينتصر على يد سلطانٍ عادلٍ بأن يحمله إليه ويطالبه  
بأخذ حقه منه لأنَّ السُّلْطَانَ هو الَّذِي يقيم الحدود و يأخذ من الظَّالِمِ للمظلوم.

وقال بعضهم، معناه أنَّ المسلم إذا انتصر من الكافر فلا سبيل إلى لومه بل  
يحمد على ذلك مع الكافر ولا لوم إن انتصر من المسلم (انتصر المظلوم خ ل)  
فلا ينتصر من الكافر حتمً و من المسلم مباح والعفو مندوبٌ، قاله القرطبي في  
تفسيره.

وقال في التَّبَيَّنِ هذا إخبار من الله أنَّ من انتصر لنفسه بعد أن كان ظلم و تعدَّى  
عليه، فأخذ لنفسه بحقه فليس عليه من سبيل.

أقول معنى الآية لا يحتاج إلى هذه التكاليف فأنَّ قوله تعالى: بَعْدَ ظُلْمِهِ مِنْ  
إضافة المصدر إلى المفعول بدليل قراءة من قرأ بعد ما ظلم، فأولئك إشارة إلى  
معنى، من، دون لفظه وقوله: مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ للمعاقب ومعنى الآية ولَمَنْ  
إنتصر بعد ظلمه، أي بعد ما ظلم عليه لإستيفاء حقه من الظَّالِمِ فلا سبيل عليه أي  
على المعاقب المستوفي حقه لأنَّه أخذ بحقه ولم يتعدَّ عنه و يمكن أن يستدلَّ  
بذلك على من ظلمه غيره بأخذ ماله كان له إذا قدر أن يأخذ من ماله بقدره فلا إثم  
عليه والظَّالِمِ هو الفاعل للظُّلْمِ، فَلَمَّا بَيَّنَّ أَنَّ للمظلوم أن يقتصَّ منه و أنَّه متى أخذ  
بحقه لم يكن عليه سبيل بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى حِكْمَ السَّبِيلِ وَقَالَ.

بَابُ الْقِيَامِ فِي الْقِيَامِ

جزء ٢٥

الجلد الخامس

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ السَّبِيلَ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ، أَيْ ظَلَمَ كَانَ وَ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أَيْ فَيَتَعَدُّونَ وَيَتَجَاوِزُونَ عَنْ حُدُودِهِمْ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْبَغْيَ قَدْ يَكُونُ بِالْحَقِّ كَالْتَجَاوِزِ مِنَ الْعَدْلِ إِلَى الْإِحْسَانِ، وَ الْعَفْوِ عَنْ الْمَذْنِبِ بِدَلِّ إِسْتِيفَاءِ الْحَقِّ مِنْهُ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ لِبَغْيِهِمْ وَ تَجَاوُزِهِمْ عَنْ حَقِّهِمْ وَ أَنْ شِئْتَ قُلْتَ لِأَخْذِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِمْ وَ لَا نَعْنِي بِالظُّلْمِ إِلَّا هَذَا.

وَ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ

أَيُّ وَلَمَنْ صَبَرَ، عَلَى الظُّلْمِ وَ الْأَذَى وَ غَفَرَ، وَلَمْ يَتَّصِرْ بِأَنْ فَوْضَ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ جَوَابُ الْقِسْمِ الَّذِي دُلَّ عَلَيْهِ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ وَ قِيلَ هِيَ فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ كَأَنَّهُ قَالَ أَنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ، أَيْ مِنْ ثَابِتِ الْأُمُورِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا وَ جَعَلَ عَلَيْهَا الْأَجْرَ يَوْمَ الْجَزَاءِ.

تَنْبِيْهُ

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ مَا هَذَا لَفْظُهُ:

وَ ذَكَرَ الْكَلْبِيُّ وَ الْفَرَاءُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ ثَلَاثِ آيَاتٍ قَبْلُهَا وَ قَدْ شَتَمَهُ بَعْضُ الْأَنْصَارِ فَرَضَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَمْسَكَ وَ هِيَ الْمَدَنِيَّاتُ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ، وَ قِيلَ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي الْمَشْرِكِينَ وَ كَانَ هَذَا فِي إِبْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ ثُمَّ نَسَخَتْهَا آيَةُ الْقِتَالِ وَ هُوَ قَوْلُ ابْنِ زَيْدٍ وَ قَدْ تَقَدَّمَ.

وَ فِي تَفْسِيرِ ابْنِ عَبَّاسٍ (وَلَمَنْ إِنْ تَصَرَّ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ) يُرِيدُ حِمْزَةَ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَ عُبَيْدَةَ وَ عَلِيًّا وَ جَمِيعَ الْمُهَاجِرِينَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ يُرِيدُ حِمْزَةَ وَ عُبَيْدَةَ وَ عَلِيًّا إِنَّمَا السَّبِيلُ

عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ يريد عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأبا جهل والأسود وكل من قاتل المشركين يوم بدر.  
وَيَنْبَغُونَ فِي الْأَرْضِ يريد بالظُّلم والكفر أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ  
يريد وجيع وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ يريد أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح و  
مصعب بن عمير وجميع أهل بدر إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ حيث قبلوا  
الفداء وصبروا على الأذى إنتهى كلامه.

أقول ما ذكره القرطبي في تفسير الآيات بقوله يريد، يريد إلى آخر ما قال لا دليل عليه ولم يقل به أحد من المفسرين سوى الكلبي المجهول المتعصب الجاهل وما أقبح بالرجل الذي يدعي الإسلام ويفسر كلام الله بزعمه أن يقول في تفسير كلام الله ما شاء وأراد ولم يعلم أن أبا بكر وعمر وأبا عبيدة وجودهم في غزوة بدر كعدمهم وفسر قوله تعالى: وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ بأبي بكر وعمر وأمثالهما وقال قبلوا الفداء وصبروا على الأذى.

ولقائل أن يقول أن التواريخ بين أيدينا فهذا تاريخ الطبري، والكامل لابن أثير والمروج الذهب للمسعودي وقد نقلوا قصة بدر وغيرها في تواريخهم ولن يذكرها لأبي بكر وعمر وأبي عبيدة أثراً في غزوة بدر وغيرها سوى أنهم كانوا من الناظرين المنتظرين لأخذ الغنائم الحاصلة بأيدي المسلمين وسيوفهم، والعجب من القرطبي وأمثاله كيف يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

نعم، لو كان مراد القرطبي من قوله (أنهم صبروا على الأذى) أن المسلمين صبروا على ما نالهم من الأذى فله وجه، أو كان مراده أن أبا بكر وعمر وأبا عبيدة نالهم الأذى يوم السقيفة حتى وصلوا إلى ما أرادوا، وأمثال ذلك من الوجوه المحتملة لا بأس به هذا، والحق أن الآيات بصدد بيان حكم كلي لأمة محمد ﷺ ولا ربط لها بشخص خاص أو أشخاص خاصة نعم من أظهر مصاديق المظلومين في الإسلام أهل بيت الرسول عليهم السلام ومن أظهر

مصاديق الظالمين من ظلم عليهم فأنهم الذين أصابهم البغي وكانوا ينتظرون، ولا ناصر لهم، ولله عاقبة الأمور.

وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَ تَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ

أخبر الله تعالى في هذه الآية والتي بعدها عن سوء عاقبة الظالمين بعد رؤيتهم العذاب يوم القيامة وتمنيهم الخروج منه، فقال: وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ أَي من بعد ضلّالته وكفره أو من بعد الله، وقيل معناه من أضله الله عن طريق الجنة إلى عذاب النار فليس له ناصر ينصره عليه ويرفعه عنه من بعد ذلك بالتخليص منه.

وقال بعضهم، أنّ من حكم الله بضلّالته وسمّاه ضالاً عن الحقّ فما له من وليٍّ ولا ناصر يحكم بهدايته ويسمّيه هادياً.

أقول ما ذكروه، لا بأس به والأحسن أن يقال معنى الكلام، أنّ من أضله الله فما له من بعد الضلال من وليٍّ، وإن شئت قلت من أضله الله فلا هادي له وولّيه الشيطان لقوله تعالى:

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ<sup>(١)</sup>

و تَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ أَي يقولون هل إلى الرجوع والرّد إلى دار، التّكليف من سبيل ومن المعلوم أنّه لا سبيل إليه فهو من قبيل قولهم: رَبِّ أَرْجِعُونِي، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ<sup>(٢)</sup> والجواب: كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا كما قيل بالفارسية:

في التّوقّات في تفسير القرآن

جزء ٢٥

العبد المذنب

ای که دستت می‌رسد کاری بکن پیش از آن‌که تو نیاید هیچ کار



وَتَرِيَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِيلِ  
يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا  
إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ  
أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي  
عَذَابٍ مُقِيمٍ (٤٥) وَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ  
يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ  
فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ (٤٦) اسْتَجَبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ  
قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ  
مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (٤٧) فَإِنْ  
أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ  
عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا  
رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ  
أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ (٤٨) لِلَّهِ مُلْكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ  
لِمَنْ يَشَاءُ إِنِاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَوَرِ  
(٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ  
يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠) وَ مَا كَانَ  
لِنَبِيِّ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ  
حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذُنِهِ مَا  
يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ (٥١) وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا  
إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا  
الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا



نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي  
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي  
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى  
اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

### ◀ اللغة

خَاشِعِينَ: الخشوع الإنكسار والتواضع.  
مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ: الطرف الخفي كناية عن الذلة والحقارة وقيل هو صفة الذلة.  
أَسْتَجِيبُوا: الاستجابة والإجابة بمعنى واحد أي أجيبوا.  
مَلَجًا: إسم مكان، أي مكاناً يلتجأون إليه.  
نَكِيرٌ: بفتح النون بمعنى المنكر كالأليم بمعنى المؤلم.  
عَقِيمًا: رجل عقيم أي لا يولد له وأصله القطع ومنه الملك العقيم والريح  
العقيم.

### ◀ الإعراب

يَنْصُرُونَهُمْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعٍ جَزْراً حَمَلاً عَلَى لَفْظِ الْمَوْصُوفِ وَرَفْعاً  
عَلَى مَوْضِعِهِ ذِكْرَانَا وَإِنَّا هُمَا حَالٌ وَالْمَعْنَى يَقْرُنُ بَيْنَ الصَّنَفَيْنِ أَنَّ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ  
أَنْ وَالْفِعْلُ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالْإِبْتِدَاءِ وَمَا قَبْلَهُ الْخَبَرُ إِلَّا وَحْيًا إِسْتِثْنَاءً مُنْقَطِعٌ لِأَنَّ  
الْوَحْيَ لَيْسَ بِتَكْلِيمٍ أَوْ مِنْ وَرَاءَ حِجَابٍ الْجَارُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ أَوْ أَنْ  
يُكَلِّمَهُ مَا كُنْتَ تَذَرِي الْجُمْلَةَ حَالٌ مِنَ الْكَافِ فِي إِلَيْكَ.

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

### ◀ التفسير

وَتَرِيَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ

الخطاب في قوله: وَ تَرِيَهُمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ أي و ترى يا محمد هؤلاء الظالمين يوم القيامة يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ أي يعرضون على النار في نهاية الذلة و الحقارة و هو معنى قوله: مِنَ الذَّلِيلِ و قوله تعالى: يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ أي ينظرون هؤلاء الظلمة، من طرفٍ خَفِيٍّ.

قال ابن عباس أي من طرفٍ ذليل.

و قال قتادة يسارقون النَّظَرَ لأنهم لا يجترؤون أن ينظروا إلى النار بجميع أبصارهم لما يرون من هول النار و ألوان العذاب، و قيل يرون النار بقلوبهم لأنهم يحشرون عمياء.

أقول قال الزاغب في المفردات، طرف الشئ جانبه و يستعمل في الأجسام و الأوقات و غيرهما و منه أستعير هو كريم الطرفين أي الأب و الأم و طرف العين جفنه و الطرف بسكون الراء تحريك الجفن و عبَّر به عن النَّظَر إذا كان تحريك الجفن لازمه النَّظَر و قوله: فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطُّرُفِ عبارة عن إغضائهن لعفتهن إنتهى.

و قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَي أَنَّ الْخَسِرِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ، بِاسْتِحْقَاقِ النَّارِ وَ خَسِرُوا أَهْلِيَهُمْ لِأَنَّ الْأَهْلَ أَنْ كَانُوا فِي النَّارِ فَلَا إِنْتِفَاعَ مِنْهُمْ وَ أَنْ كَانُوا فِي الْجَنَّةِ فَقَدْ حِيلَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُمْ إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ أَي دَائِمٌ لَا يَنْقَطِعُ، وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ قَوْلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ إِبْتِدَاءً، وَ لَبَّ الْكَلَامُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ الظَّالِمَ لَهُ عَاقِبَةُ السُّوءِ أَعَادَا اللَّهُ مِنْهُ وَ وَفَّقْنَا لِلتَّوْبَةِ قَبْلَ

الموت بمحمدٍ وأله الطاهرين.

وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ

أي وما كان لهؤلاء الظالمين يوم القيامة من أولياء ينصرونهم ويدفعون عنهم العذاب من دون الله، أي أنّ الذي يقدر على رفع العذاب أو رفعه هو الله تعالى لا غيره كائنًا من كان وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ بسبب أعماله وكلّه إلى نفسه وأبعده عن جوار رحمته فما له من سبيل، أي ما له طريق إلى الخروج عن العذاب لأنّه سدّ أبواب الخير بأعماله في الدّنيا مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ.

أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ

هذه الآية كأنّها تفسير لما قبلها وذلك لأنّ الله تعالى عيّن فيها سبيل الخروج عن عذاب الله وهو إستجابة الرّب في دار الدّنيا من الإيمان به والعمل بما أمر الله به ونهى عنه ولذلك أتى بصيغة الأمر والمعنى أن كنتم أردتم الخروج عن ورطة الشّقاوة والخسران فإستجيبوا لربكم وأمنوا به وإتبعوا رسوله قبل وقوع الحادثة و العذاب يوم القيامة إذ لا دافع للعذاب إلّا الإيمان والعمل الصّالح في الدّنيا التي هي مزرعة الآخرة وهذا ممّا يحكم به العقل قبل الشّرع فإنّ دفع الضّرر المحتمل واجب عقلاً فضلاً عن الضّرر المقطوع.

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِغْتَنِمُوا الْفُرْصَ فَإِنَّهَا تَمُرُّ مَرًّا السَّحَابِ.

ومن المعلوم أنّ الفرصة قبل الموت لا بعده وقوله: لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ قيل معناه لا مرجع له بعد ما حكم به وقيل لا يمكن لأحدٍ رده وهو اليوم الذي لا

في القرآن في سبيل الله

جزء ٢٥

العبد العاص

ملجأ) و لا ملاذ يومئذٍ لأحدٍ وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ أَي من ناصرٍ ينصركم قاله مجاهد.

و قيل النكير بمعنى المنكر أي لا تجدون يومئذٍ منكراً لما ينزل بكم من العذاب، و لمثل هذا فليعمل العاملون.

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَ إِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبَهَا وَ إِنَّ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ

لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ النَّاسَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ بِاجَابَةِ الدَّاعِي وَ قَالَ إِسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ، قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْ قَبُولِ الدَّعْوَةِ أَعْنِي بِهَا إِسْتِجَابَةَ الرَّبِّ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا أَي حَافِظًا تَمْنَعُهُمْ عَنِ الْكُفْرِ وَ الظُّلْمِ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ، إِنْ، نَافِيَةٌ أَي لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ، أَي تَبْلِيغُ الرِّسَالَةِ وَ ابْلَاغُ الْأَحْكَامِ الْإِلَهِيَّةِ إِلَى عِبَادِهِ وَ هَذَا الْكَلَامُ صَرِيحٌ فِي أَنَّ النَّبِيَّ مَبْلَغٌ لِلْحُكْمِ فَقَطْ فَمَنْ شَاءَ قَبْلَ وَ مَنْ شَاءَ أَنْكَرَ، وَ هُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ مُخْتَارٌ فِي الْقَبُولِ وَ عَدَمِهِ وَ فَائِدَةُ التَّبْلِيغِ مِنَ الرَّسُولِ هُوَ إِمْتَامُ الْحُجَّةِ عَلَى الْعَبْدِ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْهَا.

فَالنَّبِيُّ مَبْلَغُ الْحُكْمِ لَا جَاعِلَهُ وَ لَا مُجْرِيَهُ، بَلِ الْجَعْلُ بِيَدِ اللَّهِ وَ الْإِجْرَاءُ بِيَدِ الْعَبْدِ أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي قِصَّةِ الْغَدِيرِ: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ<sup>(١)</sup> حَيْثُ أَمَرَهُ بِتَبْلِيغِ حُكْمِ الْوَلَايَةِ وَ صَرَّحَ أَنَّهُ مِمَّا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ لَمْ يَأْمُرْهُ بِتَعْيِينِ الْوَلِيِّ بَعْدَ لَأَنَّ الْوَلَايَةَ مِنَ الْأَحْكَامِ وَ جَعَلَهَا بِيَدِ اللَّهِ فَالنَّبِيُّ لَمْ يَعْيِّنِ الْخَلِيفَةَ بَعْدَهُ بَلْ بَلَّغَهَا وَ عَرَّفَهَا لِلنَّاسِ بِقَوْلِهِ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ الْخ. وَ السَّرْفُ فِيهِ أَنَّ خَلِيفَةَ الرَّسُولِ لَا بَدَلَ لَهُ مِنْ مَقَامِ الْوَلَايَةِ وَ الْوَلَايَةُ مِنَ الْأَحْكَامِ اللَّهُ

في القرآن في تفسير القرآن

الجلد الخامس

يعطيه من يشاء فمن ليس له مقام الولاية لا يكون خليفة للرسول ولا كلام لنا معه.  
وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرِّحْنَا بِهَا آيَ فِرَاحٍ بِالنَّعْمَةِ لِأَنَّهَا  
موافقة لطبعه و غريزته كما أَنَّ الحيوان أيضاً كذلك فلا فرق بين الإنسان و الحيوان  
من هذه الجهة.

وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ آيَ وَإِنْ  
تصيبهم بليّة كالمرض و الفقر و أمثالهما فَأَنَّهُ كفور أي كافر بالنعمة و الكفور مبالغة  
في الكفران و المراد بالكفران عدم الشكر على كلّ حالٍ أو عدم الرضا بقضاء الله و  
قدره، و لا يبعد أن يكون قوله: بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إشارة إلى نقطة خفية التي  
قدّمنا ذكرها سابقاً و هي أَنَّ البلايا على قسمين:  
قسمٌ منها معلول للأعمال الصّادرة من العبد.

قسمٌ آخر ليس كذلك بل هو مستندٌ إلى القضاء و القدر، و الآية ناظرة إلى  
القسم الأول و أمّا القسم الثاني فلا، فالمقصود من الآية أَنَّ البليّة إذا كانت معلولة  
لأعمال المبتلي بها بمعنى أَنَّهُ فعل ما ترتب عليه البلاء فهو المقصّر لا غيره و مع  
ذلك يكون كفوراً.

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنِائًا  
وَ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الْذُّكُورَ

اللام في لله، للاختصاص أو الملك أي خلق السموات و الأرض مخصوص  
به تعالى أو أَنَّ السموات و الأرض ملكه التقديرين هو الخالق المالك لهما و إذا  
كان كذلك فيخلق ما يشاء كما خلقهما.

و في قوله: يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنِائًا إلى آخر... إشارة إلى أَنَّ مراتب الخلقة و  
الإيجاد مختلفة تابعة للمصالح و المفساد و مع ذلك هو دليل على أَنَّ الخالق  
مختارٌ في فعله و في قوله: يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إشارة إلى أَنَّ الخلق و الإيجاد

بمقتضى الجود والكرم ولذلك عبّر عن الإيجاد بالهبة وقال يهب، ولم يقل يخلق أو يوجد.

قال في المفردات الهبة أن تجعل لملك لغيرك بغير عوض و يوصف الله تعالى بالواهب والوهاب بمعنى أنه يعطي كلاً على إستحقاقه و قد إتفق العلماء على أن الهبة إذا كانت بغير عوض فهي باقية على ملك المالك وإذا كانت معوضة فهي خارجة عن ملكه لأنه أخذ العوض عما أعطاه و حيث أن الهبة من الله بغير عوض فهي باقية على ملكه فإذا أراد أن يأخذ ما أعطاه فهو له إعتراض عليه فالموهوب أمانة في يد المتّهب من قبل الواهب و على هذا فالوجود لكل مخلوق ملك الله و هو مالكة أن شاء أبقاها و أن شاء أفناه و هكذا في أصل الإيجاد إن شاء أوجد أثاثاً و إن شاء ذكوراً و ليس للمخلوق إلا الرضا بقضاءه و قدره.

أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِناثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ  
معطوفة على الآية السابقة و التزويج هاهنا هو الجمع بين البنين و البنات و المعنى أو يجمع الذكور و الإناث مثل أن تلد المرأة غلاماً ثم تلد جارية ثم تلد جارية ثم تلد غلاماً ثم تلد جارية و هكذا و قيل معناه أن تلد المرأة توأماً غلاماً و جارية.

و قال ابن زيد المراد أن يرزقه توأماً، ذكراً و أنثى، أو ذكراً و ذكراً أو أنثى و أنثى و الحاصل أن الله يخلق ما يشاء بأي نحو كان، كما أنه يجعل من يشاء من الرجل و المرأة عقيماً لا يكون له ولد و كل ذلك لأنه تعالى عليم بالمصالح قدير، أي قادر على كل شيء و هذا ممّا لا شك فيه.

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ

يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ

لَمَّا أشار الله تعالى في الآيتين السابقتين إلى أنه مالك السموات والأرض وهو الذي يخلق ما يشاء أشار في هذه الآية إلى كيفية تكلمه مع البشر وهو النبي والرَّسُول لأنَّ أصل التكلُّم ثابت بنصِّ القرآن ولا خلاف فيه وأما الخلاف في كيفية.

وأما قلنا بثبوت الأصل لقوله تعالى: **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا**<sup>(١)</sup> وأيضاً أنَّ الأنبياء قد أخبروا عن الله تعالى كما هو معنى النبي فلنقال أن يقول كيف أخبروا عنه تعالى فقال الله تعالى: **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ** وأما خصَّ الحكم بالبشر مع أنه جارٍ في حقِّ الملك أيضاً لأنَّ مورد السؤال البشر لقولهم: **مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا**<sup>(٢)</sup>.

وقال بعض المفسرين في سبب نزول الآية أنَّ اليهود قالوا للنبي ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى ونظر إليه فأنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال النبي ﷺ أنَّ موسى لن ينظر إليه فنزلت الآية.

وحاصل ما يستفاد من الآية أنَّ التكلُّم لم يكن من طريق النَّظَر بل كان من طريق الوحي أو من وراء حجاب، أو إرسال رسولٍ، أمَّا أنَّه لم يكن من طريق النَّظَر لأنَّ المنظور إليه لا بدَّ أن يكون من الأجسام القابل للرؤية أولاً. وأن يكون في الوضع والجهة ثانياً.

والله تعالى منزَّه عن الجسم والوضع والجهة وما شابه ذلك من النقائص الإمكانية وقد مرَّ الكلام فيه سابقاً بما لا مزيد عليه فالنَّظَر إلى الله معناه النَّظَر إلى آثاره وآياته الدالة على وجوده وقد ورت في الحديث: **أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ أَيَّ يَنْظُرُ إِلَيْهِ بِسَبَبِ نُورِهِ** أعني الإيمان الثَّابت في قلبه أو بنور علمه وإذا كان

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

كذلك فالتكلم مع الله لا يكون بالواجهة بل يكون بسبب من الأسباب و قد عده الله تعالى في الآية و يعبر عنه بالحجاب فليس المراد بالحجاب الشئ المانع عن الرؤية من الأجسام الخارجية كما توهمه بعض ضعفاء العقول و بعبارة أخرى لا شئ هناك مانعاً عن الرؤية حين التكلم إلا المانع العقلي فهذا هو الحجاب لا غيره و أن شئت قلت أن الله يوجد الصوت في الجبل أو الشجر مثلاً و المخاطب يسمع كلامه من الجبل أو الشجر وهكذا و محصل الكلام أنها أسباب و آلات لإستماع كلام الحق فتأمل فيه فإنه دقيق، ثم أن الله تعالى حصر الأسباب في ثلاثة: الوي، و الحجاب، و إرسال الرسول، أعني به الملك.

أما الوحي فهو في الأصل الإشارة السريعة و لتضمن السرعة قيل أمرٌ وحي و ذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز و التعريض و قد يكون بصوت مجرد عن التركيب و قد يكون بإشارة بعض الجوارح و بالكتابة و على ذلك حمل قوله تعالى عن زكريا حيث قال:

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا<sup>(١)</sup>.

فقد قيل زمر و قيل إعتباراً و قيل كتب و على هذه الوجوه:

قال الله تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوْلِيَاءَهُمْ<sup>(٣)</sup>.

فذلك بالوسواس، و يقال للكلمة الإلهية التي تلقى على أنبيائه و أوليائه وحي، و هذا هو المراد في الآية الشريفة إلا أنه على ضرب و ذلك أما برسل مشاهد ترى ذاته و يسمع كلامه كتبليغ جبرئيل عليه السلام للنبي في صورة دحية الكلبي.



وإمّا بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله، وأمّا بالقاء في الرّوع كما قال رسول الله ﷺ: (أنّ روح القدس نفث في روعي) وأمّا بإلهام نحو قوله: **وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ** <sup>(١)</sup>.

وأمّا بتسخير نحو قوله: **وَ أَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ** <sup>(٢)</sup>.

أو بمنام كما قال رسول الله ﷺ: **إِنْ قَطَعَ الْوَحْيُ وَبَقِيَتِ الْمُبَشِّرَاتُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ فَلَالِهَامُ وَالتَّسْخِيرُ وَالْمَنَامُ** دلّ عليه قوله: **إِلَّا وَحْيًا وَ سَمَاعَ الْكَلَامِ** دلّ عليه قوله: **مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ** و تبليغ جبرئيل في صورة معيّنة دلّ عليه قوله: **أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ**.

قال الله تعالى: **وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ** <sup>(٣)</sup>.

فهذا الوحي عام في جميع أنواعه:

قال الله تعالى: **وَ إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ** <sup>(٤)</sup>.

فذلك وحيّ بوساطة عيسى عليه السلام:

قال الله تعالى: **وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ** <sup>(٥)</sup>.

فذلك وحيّ إلى الأمم بوساطة الأنبياء، ومما ذكرناه قد ظهر لك أنّ الحجاب، وإرسال الرسول في الآية من شئون الوحي العام أي أنّ الوحي يتحقّق بهما وليس المراد أنّ إسماع الكلام من وراء حجابٍ أو بوساطة الملك، شيء آخر غير الوحي بل هما من مصاديقه كغيرهما من الأقسام المذكورة هذا ما فهمناه من الآية والله أعلم بما قال.

وأمّا قوله: **إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ** معناه أنّ الله تعالى هو العلّي عن الإدراك

نبأ القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

٢- النحل = ٤٨

٤- المائدة = ١١١

١- القصص = ٧

٣- الأنبياء = ٢٥

٥- الأنبياء = ٧٣

بالأبصار وهو الحكيم في جميع أفعاله لأنه وضع كل شيء في موضعه اللائق به على أساس الحكمة والمصلحة.

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

قد مرَّ الكلام في معنى الوحي والمعنى كما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك كذلك أوحينا إليك يا محمد وهذا الكلام وأمثاله في القرآن نص صريح في أن الأنبياء كانوا مبعوثين إلى الخلق من قبل الله تعالى وأن ما قالوه لأممهم كان على أساس الوحي من الله تعالى إليهم كما أشار الله تعالى إلى هذا المعنى في حق نبينا حيث قال: **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** <sup>(١)</sup>.

وقوله: **رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا** ف قيل المراد بالروح النور الذي يهدي به من يشاء من عباده إلى صراط مستقيم بصاحبه إلى الجنة والصراط المستقيم الطريق المؤدي إليها، وقيل المراد به النبوة، وقيل القرآن، وقيل جبرئيل، وأحسن الأقوال أن القرآن عبر عنه بالروح لأن حياة الجسم بالروح وسماء روحاً لأن في القرآن حياة لموت الجهل فكما أن حياة الجسم بالروح وحياة الأرض بالمطر كذلك حياة القلب بالقرآن وقوله تعالى: **مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ** فهو إشارة إلى أن القرآن والإيمان من مواهب الرب كما أن الوجود منه، وقيل، معناه لم تكن تعرف الطريق إلى الإيمان، وأنت ترى أن ظاهر هذا الكلام يدل على أن الرسول ﷺ ما كان قبل الإحياء متصفاً بالإيمان، ومن لم يتصف به فهو متصف بالكفر لعدم الوساطة بين الإيمان والكفر نعوذ بالله منه.

نقل بعض المفسرين في تفسيره لهذه الآية عن القيسري أنه قال والذي صار

في القرآن في تفسير القرآن

المجلد الخامس

جزء ٢٥

إليه المعظم أن الله تعالى ما بعث نبياً إلا كان مؤمناً به قبل البعثة فيه تحكماً إلا أن ثبت ذلك بتوقيف مقطوع به، وقال القاضي أبو الفضل عياض، وأما عصمتهم من قبل النبوة فلناس فيه خلاف، والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته إنتهى قوله.

**أقول** وقد تعاضدت الأخبار والآثار من الأنبياء بتنزيههم من هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والإيمان بل على إشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف السعادة ومن طالع سيرهم منذ ولدوا الى مبعثهم حقق له ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم وكفانا في ذلك قوله تعالى في حق يحيى مع أنه كان من الأنبياء ولم يكن رسولاً فضلاً عن أولي العظم منهم **وَ اتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً** وقد أطبق المفسرون على أن المراد بالحكم النبوة وهو كان ابن سنتين أو ثلاث على ما قيل، وقال تعالى في عيسى ابن مريم وهو في المهد قال: **إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ اتَّيْنِي الْكِتَابُ وَ جَعَلَنِي نَبِيّاً**<sup>(١)</sup> وأمثال ذلك من الآيات والأخبار الدالة على المدعى كثيرة ونحن قد فصلنا الكلام في هذا الباب في كتاب مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة<sup>(٢)</sup> وأثبتنا هناك أن النبي والوصي مؤمن بالله في بطن أمه قبل الولادة فمن قال غير ذلك لم يعرف النبي والوصي، والذي نقول به أن معنى قوله: **مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ** أن ما عندك من العلم بالكتاب وتوثر قلبك بالإيمان فهو مما أعطاك الله تعالى وليس من عند نفسك، وهذا مما لا شك فيه ولا يحتاج الى إطالة الكلام وإقامة الدلائل والبراهين عليه وذلك لأن المخلوق كائناً من كان نبياً كان أو غيره محتاج الى ربه في جميع شئونه فإذا كان الإيجاد وهو الأصل بيد الله وقدرته فما يتوقف وجوده عليه من العلم والقدرة والإيمان وغير ذلك من الصفات بطريق أولى وهذا حكم

نبينا القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

عام يشمل جميع الخلق ولا تخصيص فيه كأنه حكمٌ عقليٌّ والأحكام العقلية غير قابلة للتخصيص ومحصل الكلام هو أن ما عند النبي من العلم وما يدعو إليه أنما هو من عند الله وإفاضاته لا من قبل نفسه وقوله: **وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** فالضمير في، جعلناه، أما راجع إلى الروح الموحى إليه وأما إلى الإيمان والمعنى أن ما أوحينا إليك جعلناه نوراً ويحتمل أن يكون مرجع الضمير القرآن بناءً على أن المراد بالروح القرآن فالمعنى جعلنا القرآن نوراً، والتعبير عنه بالنور إشارة إلى نقطة وهي أن النور ظاهرٌ بذاته ومظهرٌ لغيره كما هو خاصية الوجود بعينه وذلك عبر حكماء الاشراق عن الله تعالى بنور الأنوار كما عبر عنه حكماء المشائين بواجب الوجود، وإذا كان الله تعالى نوراً فكلامه أيضاً نوراً فنورانية القرآن بذاته لأنه كلام الله تعالى ومع ذلك هو مظهرٌ لغيره أي يظهر الإيمان لمن تبعه وإقتدى به في أفعاله وأقواله بل الحق أنه لا نور إلا نور القرآن إذ به حياة القلب والبلوغ إلى مقام القرب وفي قوله: **مَنْ نَشَاءُ** إشارة إلى أن قبول الهداية بمشيئة الله وإرادته لا بمشيئة النبي، قال الله تعالى: **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** (١).

**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** أي أنك لتهدي الناس وتدعوهم إلى صراطٍ مستقيم كما أمرك الله وفي هذا الكلام إشعار بأن وظيفة النبي تبليغ الحكم وإرشاد الناس إلى طريق الحق وأما قبول الإرشاد فهو خارج عن وظيفته.

**صِرَاطٍ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ**

هذه الآية في الحقيقة تفسير و توضيح لقوله: صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ كأنه قيل و ما الصراط المستقيم الذي يدعوا النبي اليه، فقال تعالى هو: صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أي هو صراط الحق الذي خلق السموات والأرض و ما فيهما و ليس هو إلا الله تعالى الذي اليه تصير الأمور أي اليه ترجع الأمور و الى ربك المنتهى هذا تمام الكلام في تفسير سورة الشورى و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على محمد وآله الطاهرين.



## سُورَةُ الزُّحْرِفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ (١) وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا  
عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ  
لَدَيْنَا لَعَلَىٰ حَكِيمٍ (٤) أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ  
صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ (٥) وَ كَمْ  
أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦) وَ مَا يَأْتِيهِمْ  
مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَا  
أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَ مَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨) وَ  
لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضَ  
لَيَقُولَنَّ خَلَقْنَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩) الَّذِي جَعَلَ  
لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَ جَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا  
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) وَ الَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ  
مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ  
تُخْرِجُونَ (١١) وَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَ  
جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ  
(١٢) لِيَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ  
رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَ تَقُولُوا سُبْحَانَ

الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَ  
 إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤) وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ  
 عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (١٥) أَمْ  
 اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفِيكُمْ بِالْبَنِينَ  
 (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ  
 مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧) أَوْ مَنْ  
 يُنشِئُ فِي الْغَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ  
 مُبِينٍ (١٨) وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ  
 الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ  
 شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ  
 الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ  
 إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠) أَمْ اتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ  
 قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا  
 وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ  
 مُّهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ  
 فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا  
 آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ  
 (٢٣) قَالَ أُولَٰؤُ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ  
 عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ  
 (٢٤) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
 الْمُكَذِّبِينَ (٢٥)

نبأ القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

## ◀ اللّغة

أُمُّ الْكِتَابِ: أُمُّ الشَّيْءِ أَصْلُهُ.

صَفْحًا: الصَّفْحُ بَفَتْحِ الصَّادِ الْإِعْرَاضُ.

بَطْشًا: الْبَطْشُ بَفَتْحِ الْبَاءِ وَ سَكُونِ الطَّاءِ وَ الشَّيْنِ تَنَاوُلِ الشَّيْءِ بَصُولَةً.

سُبُلًا: جَمْعُ سَبِيلٍ وَ هُوَ الطَّرِيقُ.

فَأَنْشَرْنَا: النَّشْرُ بَفَتْحِ التَّوْنِ وَ سَكُونِ الشَّيْنِ الْبَسْطُ يُقَالُ نَشَرَ الثَّوْبَ،

بَسَطَهَا.

الْفُلُكُ: بَضْمُ الْفَاءِ وَ سَكُونُ اللَّامِ وَ الْكَافِ السَّفِينَةُ وَ يَسْتَعْمَلُ ذَلِكَ لِلوَاحِدِ وَ

تَقْدِيرُهُمَا مُخْتَلِفَانِ فَأَنَّ الْفُلُكَ أَنْ كَانَ وَاحِدًا كَانَ كِبَاءً (قُل) وَ أَنْ كَانَ جَمْعًا

فَكِبَاءٌ حَمَرٌ.

الْأَنْعَامُ: الْأَبْلُ وَ الْبَقَرُ وَ مَا جَرَى مَجْرَاهُمَا مِنَ الدَّوَابِّ وَ الْحَمِيرِ الَّتِي تَصْلَحُ

لِلرَّكُوبِ.

أَسْتَوَيْتُمْ: أَيِ رَكِبْتُمْ عَلَى وَجْهِ التَّسْلُطِ عَلَيْهِ.

مُفْرَنِينَ: أَيِ مَطِيقِينَ يُقَالُ أَقْرَنْتَ كَذَا أَيِ أَطْلَقْتَهُ وَ أَقْرَنَ لَهُ أَيِ قَوَى عَلَيْهِ وَ

أَطَاقَهُ كَأَنَّهُ صَارَ قَرْنًا.

أَصْفِيكُمْ: أَيِ أَخَصَّكُمْ وَ أَخْلَصَكُمْ الْإِصْطِفَاءُ يُقَالُ صَفَيْتُهُ بِكَذَا أَيِ

أَثَرْتُهُ بِهِ وَ أَصْفَيْتُهُ الْوَدَّ أَيِ أَخْلَصْتَهُ وَ إِخْتَرْتَهُ.

كَظِيمٌ: الْكَظَمُ الْحَزَنُ وَ قِيلَ الْكَرْبُ.

يُنَشَّؤُا: مُضَارِعٌ، وَ مَاضِيهِ، نَشَأَ بِالتَّشْدِيدِ وَ النِّشْوَ التَّرْبِيَةُ يُقَالُ نَشَأَتْ فِي بَنِي

فُلَانٍ نَشَأٌ وَ نَشْوَ إِذَا شَبِبَتْ فِيهِمْ.

الْحِلْيَةُ: بِكَسْرِ الْحَاءِ الزَّيْنَةُ.

الْخِصَامُ: بِكَسْرِ الْخَاءِ الْجِدَالُ أَيِ فِي الْمَجَادَلَةِ وَ الْإِدْلَاءِ.



أُمَّةٌ بَضُمَ الْأَلْفُ الْجَمَاعَةَ وَ قِيلَ الطَّرِيقَةُ، وَ قِيلَ الدِّينُ.  
مُتْرَفُوهَا: المترف بضم الميم و سكون التاء و كسر الراء المتنعم و الباقي واضح.

### ◀ الإعراب

وَ الْكِتَابِ الْوَاحِدِ لِلْقِسْمِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ يَتَعَلَّقُ بِعَلَى وَلَدَيْنَا بَدَلُ مِنَ الْجَارِ وَ  
الْمَجْرُورِ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالاً مِنَ الْكِتَابِ أَوْ مِنْ، أَمْ صَفْحًا: مصدر من معنى  
نَضْرِبُ لِأَنَّهُ بِمَعْنَاهُ، وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالاً وَ قَرِئَ بَضُمَ الصَّادُ أَيْضًا لَعَنَةِ أَنْ كُتِبَتْ  
مِنْ قَرَأَهَا بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ فَالْمَعْنَى لِأَن كُتِبَتْ، وَ مِنْ قَرَأَهَا بِكسر الْهَمْزَةِ فَهِيَ عَلَى الشَّرْطِ  
وَ مَا تَقَدَّمَ بَدَلُ عَلَى الْجَوَابِ وَ كَمْ أَرْسَلْنَاكُمْ، نَصَبَ بِأَرْسَلْنَا وَ بَطْشًا تَمْيِيزَ وَ قِيلَ  
مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ الْفَاعِلِ أَيْ أَهْلَكْنَاهُمْ بِأَشْيَيْنِ وَجْهَهُ مُسَوِّدًا إِسْمٌ كَانَ  
وَ خَبَرَهَا وَ هُوَ كَظِيمٌ فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ عَلَى الْحَالِ مِنْ إِسْمٍ، ظَلَّ أَوْ مِنْ الضَّمِيرِ  
فِي، مُسَوِّدًا أَوْ مَنْ مِنْ، فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ تَقْدِيرُهُ أَتَجْعَلُونَ مِنْ يَنْشَأُ فِي الْخِصَامِ  
يَتَعَلَّقُ بِمَبِينٍ قَالَ أَوْ لَوْ وَ قَدْ قَرِئَ بِلَفْظِ الْأَمْرِ وَ عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ هُوَ مُسْتَأْنَفٌ يَعْنِي  
النَّذِيرُ الْمَذْكُورُ.

### ◀ التفسير

خَم

قَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِي الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ فِي أَوَائِلِ السُّورِ وَ قُلْنَا أَنَّهَا مِنَ الرُّمُوزِ الَّتِي  
لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَ مَا قِيلَ فِيهَا أَوْ يُقَالُ لَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ.

وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ

تفسير القرآن في تفسير القرآن



المجلد الخامس عشر

هو القرآن و الواو للقسم، و قيل للعطف على قول من جعل حمّ قسمًا:  
**فعلى الأول:** معناه أقسم بالكتاب الظاهر المظهر للحق.  
**على الثاني:** حم، وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ

**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**  
 أي إِنَّا جعلنا الكتاب كذلك و قوله: عَرَبِيًّا أي جعلناه بلسان العرب و قوله:  
**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** قيل معناه جعلناه على هذه الصّفة لكي تعقلوا و تفكّروا في آياته  
 فتعلموا صدق من ظهر على يده و هو النّبي.

و قال بعض المفسّرين المراد بالكتاب جميع الكتب المنزلة على الأنبياء لأنّ  
 الكتاب إسم جنس فكأنّه أقسم بجميع ما أنزل من الكتب أنّه جعل القرآن عربيًّا.  
 أقول ما ذكره ليس بشيئ إذ هو من قبيل الأكل من القفا و أيّ إحتياج إلى ما  
 ذكروه غير تسويد الأوراق ثمّ أيّ إحتياج إلى أن يكون القسم بالكتب المنزلة على  
 إثبات المدعى و هو كونه عربيًّا مع ظهور اللفظ في معناه.

و الحقّ أن يقال في المقام أنّ الله تعالى جعله عربيًّا لأنّ النّبي المنزل عليه  
 القرآن كان من العرب و سنّة الله قد جرت بإنزال الكتب السّماوية في كلّ عصرٍ و  
 زمان بلسان النّبي المبعوث و قومه و هذا ممّا لا خلاف فيه و هذا هو السّر في قوله:  
**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** قال الله تعالى: **وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ**  
**لَهُمْ** (١).

و إذا كان الرّسول بلسان قومه فالكتاب أيضاً كذلك، ونعت الكتاب بالمبين لأنّ  
 الله بيّن فيه أحكامه و فرائضه و المراد بالتّعقل التّدبر و التفكّر في آياته.

**وَ إِنَّهُ فِي أَمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ**

و المراد بأم الكتاب قيل اللوح المحفوظ والمعنى أنه أي القرآن في أم الكتاب وأصله ثابت قبل النزول و يظهر منه أن القرآن أنزل من مقام الربوبي على اللوح المحفوظ أولاً.

و أنزل منه على النبي ثانياً على سبيل التدرج و على هذا المعنى يحمل قوله تعالى: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** أي على اللوح المحفوظ و سيأتي الكلام في معنى النزول و كيفيته هناك إن شاء الله تعالى.

و قوله: **لَعَلِّي حَكِيمٌ** أي رفيع محكم لا يوجد فيه إختلاف و لا تناقض، و قيل معناه أنه محفوظ من نقص أو تغيير و قيل غير ذلك مما يقارب هذا المعنى.

**أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ**

الهمزة للإنكار أي ليس كذلك، إختلفوا في المراد بالذكر فقال الضحاك المراد به القرآن، المراد به العذاب، و قيل الذكر التذكير، و قوله: **أَفَنَضْرِبُ** أي أفنصفح و على هذا فقله: **صَفْحًا** مفعول مطلق، و معنى الآية أفنصفح و نعرض عنكم صفحاً وإعراضاً **أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ**.

و قال ابن عباس معنى الآية أفحسبتم أن نصفح عنكم العذاب و لمّا تفعلوا ما أمرتم به.

**أقول** حاصل معنى الآية أفتركم سدى فلا أمر و لا نهى، و أمّا كلمة (أن) فالمشهور عند القراء فيها فتح الألف و عليه المصاحف، و منهم من قرأها بكسرها و عليه فهي شرطية و ما قبلها جواب لها لأنها لم تعمل في اللفظ الجواب محذوف دلّ عليه ما تقدّم كما تقول أنت ظالم إن فعلت و معنى الكسر عند الزجاج الحال لأن في الكلام معنى التقرير و التوبيخ.

**وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ، وَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢٥

الجزء الخامس عشر

## يَسْتَهْزِءُونَ

كم، هاهنا خبريّة و المراد بها التّكثير و ما، في ما يَأْتِيهِمْ نافية و معنى الآية ما أكثر ما أرسلنا من الأنبياء في الأوّلين من عهد آدم إلى زمن خاتم الأنبياء و المشهور أنّ الانبياء و المرسلين كانوا (١٢٤٠٠٠) على إختلافٍ في عدّتهم أوّلهم آدم أبو البشر و آخرهم خاتم النّبيّين ثمّ أخبر الله تعالى من تلك الأمم الماضية أنّه كان ما يجيئهم نبيّ من قبل الله إلاّ كانوا يستهزؤون به و الإستهزاء إظهار خلاف الإبطان إستغفاراً و إستحقاراً و في هذه الآية تسليّة للنبيّ ﷺ باستهزاء قومه و المقصود أنّ الإستهزاء من القوم لا يختصّ بك بل كان دأبهم و ديدنهم إنكار الأنبياء و إيذاءهم و الإستهزاء بهم و ليس هذا أوّل قارورة كسرت في الإسلام.

و السّر فيه أنّ دعوة الأنبياء كانت على خلاف أميالهم النفسانية و طبائعهم الحيوانيّة و لذلك أنكروا نبوتهم و لم يقبلوا دعوتهم و فعلوا بهم ما فعلوا أهلكتهم الله بعد تماميّة الحجّة عليهم كما قال.

فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَ مَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ

أخبر الله في هذه الآية أنّه تعالى أهلك الذين هم أشدّ بطشاً و قوّة من هؤلاء المشركين الذين كانوا في عصر النبيّ فلذلك قال، و مضى مثل الأوّلين، أي و هو مثل لهؤلاء الباقيين.

و قال قتادة، و مضى مثل الأوّلين، أي عقوبتهم، و قيل معناه مضى صفة الأوّلين هكذا فسّروا الكلام و الذي يخطر بالبال في معنى الكلام أنّه مضى في القرآن في مواضع كثيرة ذكر قصصهم و أحوالهم و كيفيّة العذاب النازل بهم و حيث أنّ حكم الأمثال واحد فحال هؤلاء المشركين المستهزئين بك حالهم فهذا في الحقيقة وعدّ للرّسول ﷺ و وعدّ للمنكرين و المستهزئين به و المراد بالأوّلين الذين

أهلهم الله قوم صالح وقوم هود وقوم نوح وقوم موسى وأمثالهم.

وَلِئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ  
الْعَلِيمُ

الخطاب للنبي ﷺ ولئن سألت من هؤلاء المشركين العابدين للوثن والصنم، من خلق السموات والأرض ليقولنَّ، لك في الجواب، خلقهنَّ العزيز العليم، وذلك لأنه لا جواب لهم غيره، وتوضيح ذلك إجمالاً أنه لا شك في وجود السموات والأرض لأنه من المحسوسات فمن أنكر وجودها أنكر إحساسه ودركه وهو كما ترى ثم نقول لا شك أيضاً في حدوثهما ومسبوقيتهما بالعدم وبعبارة أخرى كل موجود يوجد لابد له من موجد فثبت أن لهما موجد كغيرهما من المخلوق ثم أن الموجد للسموات والأرض وما فيهما من الخلق لا يعقل أن يكون حادثاً متغيراً لأن كل حادث محتاج إلى علّة لحدوثه وإذا لم يكن حادثاً فهو قديم لعدم الوساطة بين القديم والحادث، فأن الموجود منحصر فيهما والحصر عقلي ولا نعني بالقديم سوى الله تعالى إذ لا قديم سواه فثبت وتحقق أن خالق السموات والأرض هو الله تعالى وفي قوله: **الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ** إشارة إلى قدرة الخالق وعلمه، وهاتان الصفتان أيضاً ثابتان له عقلاً ونقلاً فأن معطي الشيء لا يكون فاقداً له وإلى هذا المعنى أشار الله بقوله:

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ  
تَهْتَدُونَ

بَيِّنَاتُ الْقُرْآنِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

أي كيف لا يكون الخالق عزيزاً عليمًا وهو الذي جعل لكم الأرض مهذاً، لتسكنوا فيها وجعل في الأرض سبلاً أي طرقاً لكي تهتدون بها في البلوغ إلى مقاصدكم في أسفاركم، وقيل معناه لتهتدوا بها إلى الحق في الدين والإعتبار الذي جعل لكم بالنظر فيها، وقيل، تهتدون بها إلى معاشكم، تعرفون نعمة الله عليكم،

و المأل في الكل واحد.

و في قوله تعالى: **جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا** إشارة إلى حركة الأرض و أنها ليست بساكنة كما هو شأن المهد و كل متحرك يحتاج إلى محرك و هو الله تعالى و قد مرَّ الكلام في هذا المعنى سابقاً.

**وَ الَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ**

الواو للعطف و في الآية إشارة أخرى إلى قدرته و علمه و حيث أنه تعالى أشار في الآية السابقة إلى خلق الأرض و جعلها مهذاً أشار في هذه الآية إلى حياتها و أنها بسبب الأمطار النازلة عليها فأُنِّ حياة كل شيء بحسبه فقال: **نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ** أي بقدر الحاجة لا زيادة عليها فيفسد و لا ناقصاً عنها فيضر و لا ينفع بل هو مطابق للحاجة و بحسبها و ذلك يدل على أن المطر ينزل بأمرنا على مختار على ما تقتضيه الحكمة و المصلحة.

و قوله: **فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا** فالإنشاز الإحياء و منه يوم النشور أي يوم البعث و هو الحياة بعد الموت فكما أن الله تعالى يحيي الأرض بعد موتها كذلك يحيي الأموات من القبور بعد الموت إذ لا فرق في الإحياء بين المقامين و إلى هذا المعنى أشار بقوله: **كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ** ثم أشار الله تعالى إلى أنواع آخر من من مظاهر قدرته.

**وَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَ جَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَ الْآتَعَامِ مَا تَرْكَبُونَ، لِيَسْتَوتُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَ تَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَ مَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ**

المراد من الأزواج الأشكال من الحيوان و الجماد، و من الحيوان الذكرو الأنثى

ومن غير الحيوان ممّا هو متقابل كالحلو والحامض والحلو والمر والرطب واليابس وغير ذلك من الأشكال.

وقيل المراد بالأزواج الشتاء والصيف والليل والنهار والشمس والقمر والسماء والأرض والجنة والنار، قاله الحسن.

وقال سعيد بن جبير المراد بالأزواج الأصناف كلّها، وقيل أراد أزواج النّبات كما:

قال الله تعالى: **وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** <sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: **أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ** <sup>(٢)</sup>.

وقيل المراد ما يتقلب فيه الإنسان من خير أو شر وإيمان وكفر ونفع وضر وفقر وغنى وصحة وسقم، هذا ما قاله المفسرون في تفسير الآية.

**أقول** ما ذكره في تفسير الأزواج لا بأس به فإن الأزواج عبارة عن الأشكال والأقران والأشباه وذلك لأنّه يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة زوج وكل قرينين فيها وفي غيرها زوج كالخف والنعل وكل ما يقترب بآخر مماثله أو مضاداً زوج.

قال الله تعالى: **فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى** <sup>(٣)</sup>.

وأمثالها من الآيات وهذا ممّا لا كلام فيه وبحسب ظاهر اللفظ. ولا يبعد أن يكون الأزواج التي جعلها الله في الأشياء إشارة نقطة أخرى أدق وأحسن ممّا ذكره وحملوا اللفظ عليه وهو أنّ الفرد منحصر بذاته وما سواه كأنّما ما كان زوج توضيح ذلك أنّ الله تعالى واجب الوجود وما سواه ممكن الوجود.

و قد ثبت في العلوم العقلية أن كل ممكن زوجٌ تركيبى له ماهية و وجود و حيث أن ماهية الممكنة نسبتها إلى الوجود و العدم على حد سواء فهي محتاجة في خروجها عن حد الإستواء إلى موجدٍ يخرجها عنه و هو الله تعالى لا غيره لأنَّ حكم الأمثال واحدٍ و معنى الإخراج هو إتصاف الماهية بالوجود فتصير الموجود بذلك زوجاً له ماهية و وجود و هذا حكمٌ عامٌ يشمل جميع الممكنات فصدق قوله تعالى أنه خلق الأزواج:

قال الله تعالى: **سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا** <sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: **وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** <sup>(٢)</sup>.

أليس في قوله هذا تنبيهٌ على أن الأشياء كلها مركبة من ماهية و وجود و أن شئت قلت من جوهرٍ و عرضٍ و مادةٍ و صورةٍ و أنه لا شيء يتعرى من تركيب يقتضى كونه مصنوعاً مخلوقاً و أنه لا بد له من صانع تنبئها على أنه تعالى هو الفرد و الله أعلم بما أراد.

و أمّا قوله: **وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ** عليها في أسفاركم و الفلك بضم الفاء السفينة و الأنعام الإبل و البقر و ما جرى مجراهما من الدواب و الحمير التي تصلح للركوب و قوله: **لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ** فالإستواء الإستيلاء أي لتستقرؤا على ظهور الأنعام و أنما قال على ظهوره يقل على ظهورها مع أن الأنعام جمع لوجهين:

**أحدهما:** أن مرجع الضمير، ما، في قوله، ما تركبون.

**الوجه الثاني:** في إضافة الظهور إلى واحد أن المراد به الجنس فصار الواحد في معنى الجمع بمنزلة الجيش و الجند فلذلك ذكره و جمع الظهور أي على ظهور هذا الجنس ذكر هذا الوجه الفراء و الوجه الأول أقوى و أنسب بسياق



الكلام كما هو ظاهر على المتأمل.

وقال بعض المفسرين المراد بالأنعام في الآية الإبل خاصة لأن البقرة خلقت للحرث لا للركوب عليها.

أقول الحق أن المراد بالأنعام كل حيوان يصلح للركوب عليه كالحمار والبغل والفرس وأما الإختصاص بالإبل لا دليل عليه ولا يساعده العقل والعرف وكيف كان فالأمر سهل بعد وضوح المعنى.

ثم أشار الله تعالى إلى وظيفة الراكب بعد إستواءه على ظهر المركوب أداءً لحق الشكر الواجب عليه عقلاً فأمره أن يقول: **سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ** وإلى هذا المعنى أشار بقوله: **ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ هُوَ وَجوب شكر المنعم عقلاً** وهذه القاعدة العقلية ثابتة جارية عند كل نعمة ولا شك أن خلق الأنعام من أحسن النعم فيجب الشكر عليه عقلاً.

فيقول: **سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا الْمَرْكَبَ وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ** أي مطبقين في قول ابن عباس وقيل ضابطين إختاره الأخفش وأبو عبيدة، مماثلين في الأيد والقوة من قولهم هو قرن فلان إذا كان مثله في القوة، كما يقال فلان مقررٌ لفلان أي ضابط له قال عمرو بن معد يكرب:

ركبتم صعبتي أشراً وحيفاً

ولستم للصعاب بمقرنين

وقال الآخر:

لقد علم القبائل ما عقيلٌ

لنا في الثائبات بمقرنين

**وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ**

معناه واضح فهو من قبيل قوله **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون**، فأن كل شيء يرجع إلى أصله وإلى ربك الرجعى.

في القرآن تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ

ذكر المفسرون فيه وجهان:

أحدهما: أنهم جعلوا لله جزءاً من عبادته لأنهم شركوا بينه وبين الأصنام.

الثاني: زعموا أن الملائكة بنات الله وبعضه فالجزء الذي جعلوه له من عبادته

هو قولهم (الملائكة بنات الله) ثم قال تعالى مخبراً عن حال الكفر لنعم الله فقال:

إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ، لنعمه جاحداً إياها مظهرٌ لكفره غير مستتر به.

أقول أما الوجه الأول فهو ينافي سياق الكلام لأن الله تعالى لم يقل وجعلوا

لعبادته جزءاً بل قال جعلوا له من عبادته جزءاً، أي جعلوا بعض عبادته جزءاً له

و بعبارة أخرى جعلوا بعض المخلوق جزءاً لخالقه، بمعنى أنهم جعلوا الخالق

مركباً من الأجزاء ولم يعلموا أن كل مركب من الأجزاء محتاج إلى أجزائه وكل

محتاج مخلوق وذلك لأن المركب من الأجزاء بما هو مع قطع النظر عن

أجزائه لا وجود له وأتما وجوده بوجود أجزائه فهو محتاج في بقاءه و وجوده

إلى أجزائه ولا نعني بالافتقار إلا هذا فالقول الثاني وهو أنهم جعلوا الملائكة

بنات الله هو المتبع لأن الولد من أجزاء الوالد ولذلك قال رسول الله: أَنَّ فاطمة

بِضْعَةِ مِنِّي من أذاها فقد أذاني ومن أحبها فقد أحبني.

و الوجه فيه ظاهر لأن الولد يوجد من نطفة أبيه ولذلك يقال الولد سرّ أبيه،

فالولد في الحقيقة جزء من أجزاء الوالد ولا فرق في ذلك بين أن يكون الولد ذكراً

أو أنثى فإذا كانت الملائكة بنات الله لزم التركيب في الله تعالى وهو كما ترى

خلاف العقل لخروج الواجب عن كونه واجباً ودخوله في سلسلة الممكنات و

قد ثبت بالدلائل العقلية تجرده تعالى عن شائبة التركيب وإلى هذه الدققة أشار

الله تعالى:

أَمْ آتَّخَذَ مِنْ مَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفِيكُمْ بِالْبَنِينَ

الميم صلة الكلام اِتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتًا كَمَا زَعَمْتُمْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ فَالْأَلْفُظُ لَفْظُ الْإِسْتِفْهَامِ وَمَعْنَاهُ التَّوْبِيخُ وَفِي قَوْلِهِ: أَصْفِيكُمْ بِالْبَنِينَ حِجَّةٌ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِحَكِيمٍ مَنْ يَخْتَارُ لِنَفْسِهِ أَدُونَ الْمُنْزَلَتَيْنِ وَغَيْرِهِمَا فَلَوْ كَانَ عَلَى مَا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ جَوَازِ إِتِّخَاذِ الْوَلَدِ عَلَيْهِ تَعَالَى لَمْ يَتَّخِذْ لِنَفْسِهِ الْبَنَاتِ وَ يَصِفُهُم بِالْبَنِينَ فَعَلُّوهُمَا فِي الْأَصْلِ الَّذِي هُوَ جَوَازُ إِتِّخَاذِ الْوَلَدِ عَلَيْهِ فَمَعْنَى أَصْفَاكُمْ، خَصَّكُمْ وَ أَثْرَكُم بِالذَّكُورِ وَ إِتَّخَذَ لِنَفْسِهِ الْبَنَاتِ فَفِي الْحَقِيقَةِ غَلَطُوا فِي أَصْلِ إِتِّخَاذِ الْوَلَدِ أَوَّلًا.

و فِي إِتِّخَاذِهِ لِنَفْسِهِ الْبَنَاتِ ثَانِيًا تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ ثُمَّ أَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى وَجْهِ إِتِّخَاذِهِمُ الْبَنِينَ لِأَنْفُسِهِمْ دُونَ الْبَنَاتِ:

وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ

أَيَّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْكَفَّارَ مَا أَنْصَفُوا فِي نِسْبَةِ الْبَنَاتِ إِلَى اللَّهِ وَ الْبَنِينَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا، وَ هُوَ إِتِّخَاذُهُ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتًا، ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا مِمَّا يَلْحَقُهُ مِنَ الْغَمِّ بِذَلِكَ وَ يَصِيرُ حَزِينًا وَ هُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْبَنِينَ عِنْدَهُمْ أَعَزُّ وَ أَشْرَفُ مِنَ الْبَنَاتِ وَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَيْفَ يَرْضُونَ لِلَّهِ تَعَالَى بِمَا لَا يَرْضُونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَ فِي هَذَا الْكَلَامِ حِجَّةٌ أُخْرَى عَلَيْهِمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَ هُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ

النَّشَأُ التَّرْبِيَةُ وَ الْحِلْيَةُ بِكَسْرِ الْحَاءِ الزَّيْنَةُ وَ الْمَرَادُ بِهِ النِّسَاءُ عَلَى قَوْلِ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ وَ الْإِسْتِفْهَامُ فِي قَوْلِهِ: أَوْ مَنْ لِلْإِنْكَارِ وَ الْمَعْنَى أَوْ مَنْ يَنْشَأُ وَ يَرْبَى فِي الزَّيْنَةِ الْمَرْأَةُ فَأَنَّ زَيْنَهَا غَيْرُ زَيْنِ الرِّجَالِ وَ لِذَلِكَ رَخَّصَ لَهَا فِي الشَّرِيعَةِ إِسْتِعْمَالَ الذَّهَبِ وَ الْحَرِيرِ دُونَ الرِّجَالِ.

و قَوْلُهُ: وَ هُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ أَيَّ مَنْ يَنْشَأُ، فَالْصَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى

جزء ٢٥

الجلد الخامس عشر

من، و الخصام المجادلة والإدلاء و ملخص الكلام أن من كان كذلك أي يتربى في الزينة والنعمة و هو إذا احتاج إلى بحاثات الخصوم و مجارة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان و لا يأتي ببرهانٍ يحتج به من يخاصمه و ذلك لضعف عقول النساء و نقصانهن عن فطرة الرجال قاله صاحب الكشف.

و قال بعض المعاصرين في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه:

أي و جعلوا لله سبحانه من ينشأ في الحلية و هو في الخصام غير مبين أي يتربى في الزينة و هو في المخاصمة و المحاجة غير مبين لحجته لا يقدر على تقرير دعواه إنتهى.

أقول أكثر المفسرين على أن المراد، بمن ينشأ في الحلية النساء و قالوا في قوله: **وَ هُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ** أن المرأة في المخاصمة و المحاجة غير مبين لحجته لا يقدر على تقرير دعواه و هذا كما ترى لا يمكن أن يحكم العقل بصحته بطريق العموم فأننا نرى كثيراً من النساء على خلاف هذا الحكم اللهم إلا أن يقال أن الحكم ناظر إلى النوع.

و قال بعض المفسرين المراد بمن ينشأ في الحلية، الأصنام و الأوثان لأن المشركين كانوا في عهد الجاهلية يزنون الأصنام بأنواع الحلى و من المعلوم أن الصنم و الوثن في الخصام غير مبين و هذا القول بعيد عن الصواب غاية البعد فالقول الأول هو المتبع إلا أن الحكم فيه أغلب لا شمولي كما هو كذلك في أكثر الأحكام لولا جميعها و الله أعلم.

**وَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاءً أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ  
سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَ يُسْأَلُونَ**

أخبر الله تعالى في هذه الآية أن الملائكة عباد الرحمن، و الكفار قالوا بأنوثيتهم و أنهم بنات الله أشهدوا خلقهم، الهمة للإنكار أي لم يشهدوا خلقهم و

إذا كان كذلك فكيف حكموا ألم يعلموا أننا سنكتب شهادتهم و يسألون عنها يوم القيامة.

وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ

أي قال المشركون لو شاء الرحمن ما عبدناهم، أي ما عبدنا الملائكة ومعنى هذا الكلام أن الله تعالى أراد كفرهم ولو لم يشأ ذلك لما كفروا فقال الله تعالى لهم على وجه التّكذيب، ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون (إن) نافية أي ليس يعلمون صحة ما يقولون به و أنهم لكاذبون و بعبارة أخرى ليس هم إلا كاذبين، و الدليل على كذبهم و عدم علمهم بما يقولونه أن قولهم هذا عين الجبر و معناه سلب الاختيار عن العبد و هو ينافي العدل فهذه الآية تدلّ على نفي الجبر و لازم ذلك ثبوت الاختيار للعبد و قد مرّ الكلام في الباب غير مرّة.

أَمْ اتَّيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ

هذا معادل، أشهدوا خلقهم، والمعنى، أحضروا هؤلاء الكفار خلق الملائكة و حكموا بأنوثيتهم، أَمْ اتَّيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ أي من قبل القرآن فهم مستمسكون به في قولهم هذا و بعبارة أخرى من أين علموا ما حكموا به و المفروض أنهم لم يشهدوا خلقهم و لم يكن قبل القرآن ما تمسكوا به في صدق مقاتلتهم نعم أنهم قالوا ذلك تبعاً لأبائهم و أسلافهم كما قال الله:

بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ

أي قال المشركون أننا وجدنا آبائنا على أمة أي على ملّة أي ملّة الكفر و قري، إمة بكسر الهمزة و هي الطّريقة، و أنا على آثارهم، أي أثار الأباء مهتدون، نهتدي بهداهم و هذا الذي حكاه الله تعالى عنهم من تقليد الأباء و الأسلاف من أظهر

الدَّلَالِ عَلَى أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِي دَعْوَاهُمْ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

تنبيه

هذه الآية وأمثالها تدلّ على ذمّ التّقليد في المسائل الإعتقاديّة كالّتوحيد و النّبوة و المعاد و الإمامة على إختلافٍ في الأخير أعني به الإمامة بين الخاصّة و العامّة فالشّيعة إنّفقت كلمتهم على ذمّ التقليد فيها أيضاً لأنّها من الأصول الإعتقاديّة كالّتوحيد و النّبوة و المعاد.

و العامّة لا تقول به و عدّوها من الفروع و أمّا التّوحيد و النّبوة و المعاد فإنّفق الكلّ على عدم جواز التّقليد فيها قولاً واحداً و المقصود من عدم جواز التّقليد فيها أنّه يجب على المكلف البالغ العاقل قبل العمل بالتكاليف الشرعيّة الإعتقاد بالأصول الثلاثة بالبراهين العقليّة و النقلية بحسب إستعداده فمن أخذ أصول عقائده من أباءه و أسلافه تقليداً لا يقبل منه و هو في الأخيرة من الخاسرين ولكن مع الأسف نرى و نشاهد في أكثر المسلمين من العامّة و الخاصّة أنّهم قلّدوا فيها غيرهم و لم يأخذوا عقائدهم عمّن يعتمد عليه و تطمئنّ به النفس بل يقولون بأفواههم ما لا يوافق العقل و لا الثّقل و ليس هذا إلّا لعدم إعتناءهم بالأصول المعتمدة و قلّة مبالاهم في الدّين أعاذنا الله تعالى منه.

وَ كَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ

أخبر الله تعالى في هذه الآية أنّ تقليد الأباء و الأسلاف في التّوحيد و ما يتبعه من النّبوة و المعاد ليس منحصراً بأمة خاصّة بل هذه الرّؤية الرّديئة عمّت جميع الأمم الماضيّة أيضاً فالمشركون في عهد النّبي فعلوا ما فعل أسلافهم و أجدادهم، و أنّما خصّ المترفين بالذّكر مع أنّ تقليد الأباء لا يختصّ بهم لأنّهم بمنزلة الرّؤوس و سائر الأفراد بمنزلة الذنوب و الذّنوب تابع للرأس في الحركة و السّكون

ولا إستقلال له فيهما ألا ترى أنّ ذنب الحيوان يتبع رأسه ولا عكس، فالعوام بمنزلة الذنب والرؤساء والمترفون الذين صارت النعمة باعاً على طغيانهم بمنزلة الرؤوس ولذلك رؤوس المشركين في غزوة بدر وأحد وخيبر وخذق وغيرها من المترفين أمثال أبي سفيان وأبي جهل وعتبة وشيبة وهكذا. والسّر فيه أنّ المترف يريد أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، والدين يمنعه عن الظلم والتّعدي على الغير، وأما غيره فليس كذلك فالمترف في مخالفته للرّسول بصدد جلب منفعه ودفع مضاره، وأما من تبعه لا يعلم شيئاً وذنبه جهله وحماقته، هذا قال الشاعر:

كنا على أمة أبائنا و يقتدي الآخر بالأوّل

قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ

أي قال النذير وهو النبي الذي أرسل إليهم، أو لم جئتمكم بأهدى ممّا وجدتم عليه آباءكم، جواب، لو، محذوف أي فهل تقبلونه، قالوا في جواب النذير، إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ أي لا نقبل قولكم أبداً، وهذا كمال العناد فإنّ العاقل يأخذ بالأحسن إذا تبع عقله إلا أنّ حبّ الدنيا يعمي ويصم ولا سيّما إذا ضمّ إليه العناد فأنّه لا يقبل الحقّ قطعاً ولو كان عالماً به، وأنّي رأيت في بعض البلاد مترفاً من أهل السنّة معانداً للحقّ مع وضوحه، قال لي أنّي لا أقبل قولك أصلاً وأن كان حقّاً بل لو أمرني النبي بمتابعة عليّ بن أبي طالب <sup>عليه السلام</sup> أقول له أنت لست بنبيّ ولا أقبل قولك وهذا هو العناد الذي لا دواء له إلا الموت ودخول النار ومحصل الكلام في هذه الآيات هو أنّ الله تعالى جعل للناس في الدنيا حجّتين حجّة ظاهرة وحجّة باطنة.

أما الحجّة الظاهرة فهي الأنبياء والرّسل والأئمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢٥

الجلد الثاني

وَأَمَّا الْحِجَّةُ الْبَاطِنَةُ فَهِيَ الْعَقْلُ وَبِذَلِكَ قَدْ تَمَّتِ الْحِجَّةُ فَانْظُرْ مَاذَا تَكُونُ.

فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ

الفاء للتفريع يعني بعد إتمام الحجة تصل التوبة إلى الإنتقام و حيث أنهم لم يقبلوا الحق بعد ووضوحه فانتقمنا منهم أي من هؤلاء الكفار المعاندين فأهلكناهم بذنوبهم بما كسبت أيديهم مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ.

■

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (٣٠) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُم يَقْسِمُونَ رَحِمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمُ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيَبْوِثَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَ مَغَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِيَبْوِثَهُمْ أَبْوَابًا وَ سُرُرًا عَلَيْهَا



يَتَكَبَّرُونَ (٣٤) وَ زُحْرُفًا وَ إِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ  
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ  
 (٣٥) وَ مَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ  
 شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَ إِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ  
 عَنِ السَّبِيلِ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٧)  
 حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ بُعْدَ  
 الْمَشْرِقَيْنِ فَيُشَسِّسُ الْقَرِينُ (٣٨) وَ لَنْ يَنْفَعَكُمُ  
 الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ  
 (٣٩) أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّمَ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَ  
 مَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٠) فَأَمَّا نَذَبْنِ بِكَ  
 فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ (٤١) أَوْ نُرِيَّتَكَ الَّذِي  
 وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (٤٢)  
 فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوْحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى  
 صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣) وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ  
 وَ سَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤) وَ سَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ  
 قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ  
 إِلَهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى  
 بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ  
 رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ  
 مِنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧) وَ مَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا  
 هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ  
 لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨) وَ قَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ

أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ  
 (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ آلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ  
 (٥٠) وَ نَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ  
 أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنِ  
 تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا  
 الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَ لَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا  
 أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ  
 الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ  
 فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا  
 أَسَفُونَا أُنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥)  
 فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَ مَثَلًا لِّلْآخِرِينَ (٥٦)

### ◀ اللغة

بَرَاءٌ: أصل البرء و البراء و التَّبرِّي التَّفصِي مِمَّا يكره مجاورته و لذلك قيل  
 برأت من المرض و برأت من فلان.

فَطَرَنِي: أصل الفطر الشَّق طَوْلاً يقال فطر الله الخلق أي أوجده، و أبدعه.

سُخْرِيًّا: السُّخْرِيَّة بَضَمُ السَّيْنِ الإِسْتِهْزَاء.

أُمَّةٌ: (أُمَّة) بَضَمُ الْأَلْفِ الْمَلَّةُ و الجماعة.

مَعَارِجُ: العروج ذهابٌ في صعود يقال عرج عروجاً مشى مشى العارج أي  
 الذَّاهِب في صعود كما يقال درج إذا مشى مشى الصَّاعِد في درجة و لذلك قيل  
 المعارج الدَّرَج.

سُرُراً: بَضَمُ السَّيْنِ و الرُّء جمع سرير.

زُخْرَفًا: الزُّخْرَفُ ما يتخذُه النَّاسُ في منازلهم من الأثاث و قيل المراد به هاهنا الذَّهَبُ.

يَعْمَشُ: بضمَّ الشَّين و قرئ بفتحها أيضاً العمى أي يعمى.

نَقِيضٌ: يقال قَيْضٌ له كذا أي سَهْلٌ و يَسَرٌ.

لَيَصُدُّونَهُمْ: الصَّدُّ المنع.

و مَلَأْنَاهُ: الملاء القوم.

كَشَفْنَا: أي رفعنا.

يَنْكُثُونَ: النِّكَثُ التَّقْصُ.

مَهِينٌ: بفتح الميم و كسر الهاء الضَّعِيفُ و قيل معناه، فقير.

أَسْوَرَةٌ: جمع سوار و هو الَّذي يلبس في اليد.

أَسْفُونًا: الأسف التَّحَسُّرُ و الحزن، و المراد به في المقام الغضب.

## الإعراب

بَرَاءٌ بفتح الباء و همزة واحدة و هو مصدر في موضع إسم الفاعل بمعنى بري و قد قرئ به أيضاً من الْقَرَّتَيْنِ أي من إحدى القريتين، مكة، و الطَّائِفَ لِيُؤْتِيَهُمْ هو بدل بإعادة الجار أي لبيوت من كفر سُقُفًا جمع سَقْف مثل رهن و رهن لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ اختلفوا في فاعل الفعل على وجهين:

أحدهما: أَنْكُمْ، و ما عملت فيه أي لا ينفعكم تأسيكم في العذاب.

الثاني: أن يكون الفاعل، ضمير، التَّمْنِي المدلول عليه بقوله يا ليت بيني و بينك، أي لن ينفعكم تَمْنِي التَّبَاعِد فعلى هذا يكون أَنْكُمْ بمعنى (لأنكم) إِذْ ظَلَمْتُمْ إِذْ، ظرف زمانٍ ماضٍ، ولن ينفعكم و فاعله و اليوم المذكور ليس بماضٍ، فقيل أُنْ، إِذْ، بدل من اليوم حتَّى كأنها مستقبله أو كأنَّ اليوم ماضٍ الكلام محمولٌ على المعنى و المعنى أنْ ثبوت ظلمهم عندهم يكون يوم القيامة فكأنَّه قال ولن ينفعكم اليوم إِذْ صَحَّ ظلمكم عندكم فهو بدل أيضاً.

فياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس

و قال آخرون التّقدير بعد إذ ظلمتم فحذف المضاف للعلم به، و قيل إذ، بمعنى أن أي لأن ظلمتم و قيل غير ذلك و ما ذكرناه أحسن الأقوال فيها أَمْ أَنَا خَيْرٌ أَمْ هَاهُنَا مَنْقُطَةٌ فِي اللَّفْظِ لَوْ قَوَّعَ الْجُمْلَةُ بَعْدَهَا وَ هِيَ فِي الْمَعْنَى مُتَّصِلَةٌ مُعَادِلَةٌ إِذِ الْمَعْنَى أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ أَمْ لَا أَسُورَةٌ جَمَعَ سَوَارٌ سَلَفًا وَاحِدٌ فِي مَعْنَى الْجَمْعِ مِثْلَ النَّاسِ وَ الرَّهْطِ وَ أَمَّا سَلَفًا بَضَمْتَيْنِ فَهُوَ جَمَعَ مِثْلَ أَسَدٍ وَ أَسَدٌ أَوْ جَمَعَ سَالَفٍ مِثْلَ صَابِرٍ وَ صَبِرَ.

### ◀ التفسير

وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ إِنِّي بِرَآءٍ مِّمَّا تَعْبُدُونَ  
إبراهيم الخليل عليه السلام كان ابنًا لتارخ و كان أبوه تارخ مؤمنًا موحّدًا لله تعالى لم يسجد لصنم قطّ و شهد بذلك قوله تعالى: الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ، وَ تَقْلُبَكَ فِي السَّاجِدِينَ<sup>(١)</sup> و قد فسّر بأنّ روح نبيّنا و نطفته كانا يتقلّان من صلب ساجدٍ إلى صلب ساجدٍ و أنّ جميع أباءه صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى آدم كانوا موحدين ساجدين لله تعالى وحده دون غيره و منهم إبراهيم الخليل و أبوه تارخ.

و قد ورد عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: لم أزل أُنْقَلُ مِنْ أَصْلَابِ الطَّاهِرِينَ إِلَى أَرْحَامِ الطَّاهِرَاتِ أَنَا وَ أَخِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى إِفْتَرَقْنَا فِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَ عَمِّي أَبِي طَالِبٍ وَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَبَائِي مُشْرِكًا نَجَسًا إِذَا عُرِفَتْ هَذَا.

فأعلم أنّ أذر الذي ذكره الله تعالى في الآية و سمّاه أبًا له، هو عمّ إبراهيم بعد موت أبيه تارخ في كفالته و أنّ إطلاق الأب على العمّ شائع عند العرب و خاصّة إذا كان العمّ قائمًا بكفالة ابن أخيه و تربيته و من ذلك قوله تعالى حكاية عن أولاد

يعقوب:

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ  
مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ  
إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ<sup>(١)</sup>.

و من المعلوم أنَّ إسماعيل كان عمًّا ليعقوب و قد عدَّوه في آباءه و على كلِّ  
فقد إتَّفقت كلمة أهل البيت و أتباعهم من الشيعة على إسلام والد إبراهيم و إيمانه  
بالله و أحاديثهم بذلك متواترة فلا إعتبار لقول الجاهلين و كان مولده في قرية من  
قرى الكوفة بالعراق يقال لها (لوثاربا) و كان أبوه تارخ من أهلها و كانت أمُّه و أمُّ  
نبيِّ الله لوط أختين صالحتين و هما بنتان لنبيٍّ كان اسمه لالخج و كان منذراً و لم  
يكن مرسلاً و كانت ولادة الخليل في عصر الملك الجبار نمرود بن كنعان و كان  
مع قومه يعبدون الأصنام و كان أذر عمَّ إبراهيم منجمًا له و صاحب أمره و وزيره و  
كان يَتَّخِذُ الْأَصْنَامَ لَهُ وَ لِلنَّاسِ وَ يَدْفَعُهَا إِلَى وَلَدِهِ  
فَيُبْعِيْعُونَهَا فِصَادَفَ أَنَّ نَمْرُودَ رَأَى فِي مَنَامِهِ كَانَ كوكبًا طلع فذهب بضوء الشَّمْسِ وَ  
القمر و لما سأل المنجمين عن رؤياه أخبروه عن طريق التَّنْجِيمِ بأنَّه يولد غلام  
يذهب ملك نمرود على يده و ينسخ دينه و يدعوا إلى دين آخر، و قد مرَّ الكلام  
فيما مضى عند تفسير الآيات المربوطة ما يغنيك عن المراجعة إلى كتاب آخر.

إذا عرفت هذا فلنرجع إلى تفسير الآية و نقول: وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَيُّ  
لَعَمَهُ أَذْرَ لَأَنَّ أَبَاهُ تَارَخَ مَاتَ قَبْلَ نَبُوْتِهِ وَ قِيلَ قَبْلَ وَلادته و الضَّمير في (قومه)  
راجع إلى أذر و قيل إلى إبراهيم نفسه إذ قال لقومه: إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ  
معناه أَنِّي بَرِيٌّ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ وَ الْأَوْثَانِ.

إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ

في القرآن في تفسير

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

و التَّقْدِير سيهديني حذفت الياء تخفيفاً و الإستثناء قيل أنه متصل لأنهم أي قومه كانوا يعبدون الله مع أهتهم و يقولون الله ربنا مع عبادة الأوثان، و قيل أنه منقطع أي لكن الذي فطرني و خلقتني فهو يهدين أي يهديني الى طريق الحق.

### وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

قيل الضمير، في، جعلها، عائد على قوله: **إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي** و ضمير الفاعل في، جعلها، لله عز و جل، أي و جعل الله هذه الكلمة و المقالة باقية في عقبه أي أولاده و ذريته أي أنهم توارثوا البراءة عن عبادة غير الله و أوحى بعضهم بعضاً في ذلك و قال السدي هم آل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قيل في الكلام تقديم و تأخير و المعنى أنه سيهدين لعلهم يرجعون، و جعلها كلمة باقية في عقبه أي قال لهم ذلك لعلهم يتوبون عن عبادة غير الله.

و قال قتادة الكلمة الباقية، لا إله إلا الله، و لا يزال من عقبه من يعبد الله الى يوم القيامة، و قيل الكلمة، أن لا تعبدوا إلا الله، و قيل هي أسلمت لرب العالمين، و قيل هي النبوة، و قال ابن زيد هو الإسلام.

**أقول** ما ذكروه في معنى الكلمة لا بأس به إلا أن ظاهر الآية أن المراد بها ما قاله إبراهيم لأذر و قومه، و هو قوله: **إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ، إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي** فإنه عليه السلام تبرأ عن عبادة الأصنام أولاً ثم إستثنى الذي فطره و خلقه، و أثبت العبادة له و في قوله هذا إشارة الى أن النفي مقدّم على الإثبات بدليل أنه قدّم نفي عبادة الأصنام على عبادة الخالق، فقوله هذا من قبيل قوله تعالى: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** حيث قدّم النفي على الإثبات ففي قوله: **لَا إِلَهَ نفي** الألوهية عن كل شيء و في قوله: **إِلَّا اللَّهُ** أثبتها، للذات الواجب الوجود المستجمع لجميع الصفات الكمالية فالتوحيد لا يثبت إلا بعد التبري عن كل ما سوى الله تعالى و بعبارة أخرى إثبات الألوهية على وجه الإحضار لا يمكن إلا بعد نفيها عن جميع ما سواه و هذا هو المراد بالكلمة

في الآية و أما قوله: فِي عَقِبِهِ أَي فِيمَنْ تَبِعَهُ عَلَى مَا قَالَهُ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَ قَوْلُ الْمَفْسِّرِينَ أَنَّ الْمَرَادَ بِهِ أَوْلَادُهُ وَ ذُرِّيَّتُهُ لَا يُمْكِنُ الْمُسَاعَدَةُ عَلَيْهِ عَلَى الْكَلْيَةِ ضَرُورَةٌ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَوْلَادِ إِبْرَاهِيمَ لَوْلَا أَكْثَرُهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَ الْمَوْحِدِينَ بَلْ كَانُوا كَافِرِينَ ظَالِمِينَ فَكَيْفَ يُقَالُ أَنَّهَا أَى كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ الْحَقِيقِيِّ كَانَتْ مَجْعُولَةً فِي ذُرِّيَّتِهِ، وَ لَا دَلِيلَ عَقْلًا وَ نَقْلًا عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِالْعَقَبِ هُوَ الذَّرِيَّةُ وَ الْأَوْلَادُ فَقَطْ بَلِ الْحَقُّ أَنَّ الْمَرَادَ بِهِ مَا يَتَّبِعُهُ سِوَاءَ كَانُ فِي الْوُجُودِ أَمْ فِي الْمَسْلُوكِ وَ الْمَذْهَبِ وَ عَلَى فَرْضِ التَّسْلِيمِ فَالْحُكْمُ بِإِعْتِبَارِ الْأَعْمَ وَ الْأَغْلَبِ، وَ قَوْلُهُ: لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ أَي لَكِي يَرْجِعُونَ عَنِ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ هَذَا وَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِهَا دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ قَوْمَهُ إِلَى التَّوْحِيدِ وَ الْمَرَادُ بِبَقَائِهَا فِي عَقْبِهِ هُوَ بَقَاءُ الدَّعْوَةِ فِي الْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ بَعْدَهُ وَ لَعَلَّ هَذَا الْمَعْنَى أَرَادَ مِنْ قَالَ الضَّمِيرُ فِي جَعَلَهَا رَاجِعٌ عَلَى النَّبُوَّةِ فَأَنَّ النَّبُوَّةَ كَانَتْ بَاقِيَةً فِي أَوْلَادِهِ إِلَى خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَ قَوْلُهُ: لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ مَعْنَاهُ لَكِي يَرْجِعُونَ أَي يَرْجِعُونَ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ وَ صَارَتْ دَعْوَتُهُ كَامِلَةً شَامِلَةً لِجَمِيعِ النَّاسِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ<sup>(١)</sup>.

اللَّهُمَّ عَجِّلْ لَوْلِيكَ الْفَرَجَ فَإِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ.

بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَ آبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَ رَسُولٌ مُبِينٌ، وَ لَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَ إِنَّا بِهِ كَافِرُونَ

قال في المفردات المتوع الإقتداد و الإرتفاع يقال متع النهار و متع النبات إذا إرتفع في أول النبات و المتاع إنتفاع ممتد الوقت يقال متعه الله بكذا و أمتعته و تمتع إنتهى.

بَابُ الْقِيَامَةِ فِي الْقُرْآنِ

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: **بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ** مَعْنَاهُ أُعْطِيَتْهُمْ مِنَ الْمَالِ وَالْمَتَاعِ فِي الدُّنْيَا مَا يَتِمَّتَعُونَ بِهِ، وَقَوْلُهُ: **هَؤُلَاءَ** إِشَارَةٌ إِلَى الْكَفَّارِ الْحَاضِرِينَ فِي عَصْرِ النَّبِيِّ وَقَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ هُمْ أَهْلُ مَكَّةَ وَالْمَرَادُ بِآبَاءِهِمْ أَسْلَافُهُمْ وَأَجْدَادُهُم الَّذِينَ بَقُوا عَلَى الْكُفْرِ حَتَّى مَاتُوا وَلَمْ يَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى نِعْمِهِ مَعَ أَنَّ الشُّكْرَ عَلَى النِّعْمَةِ وَاجِبٌ عَقْلًا، وَمَعْنَى الْآيَةِ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ الْكَفَّارَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ، وَهُوَ الرَّسُولُ، أَوْ هُوَ الْكِتَابُ وَالرَّسُولُ مُبِينٌ لَهُمْ أَحْكَامَهُ وَالْمَقْصُودُ إِنَّا أَتَمْنَا عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ فِي الدُّنْيَا بِإِعْطَاءِ النِّعَمِ وَإِسْالِ الرُّسُلِ بَعْدَهُ، وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ، أَيْ ظَاهِرٌ، أَيْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ وَكَفَرُوا بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا إِنَّا بِهِ، أَيْ بِمَا جِئْتُمْ مِنَ التَّوْحِيدِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ كَافِرُونَ، وَفِي الْآيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى خُبْتِ ذَوَاتِهِمْ وَسُوءِ سِرَائِرِهِمْ وَأَنَّ مَتَاعَ الدُّنْيَا صَارَ بَاعَةً عَلَى طُغْيَانِهِمْ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ كَانُوا مِنْ عَقَبِ إِبْرَاهِيمَ.

**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**

قِيلَ الْمَرَادُ بِالْقَرْيَتَيْنِ مَكَّةَ وَالطَّائِفَ وَبِالرَّجُلِ الْعَظِيمِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ الْقُرَشِيِّ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَحَبِيبُ ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَنِيرٍ مِنَ الطَّائِفِ وَهُوَ الثَّقَفِيُّ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ يَعْنِي بِالَّذِي مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَقَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَالَّذِي مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ ابْنُ عَبْدِ الْبَلِيلِ، وَقَالَ قَتَادَةُ يَرِيدُونَ بِالَّذِي مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ الْوَلِيدَ بْنَ الْمَغِيرَةِ وَالَّذِي مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ، وَقَالَ السُّدِّيُّ الَّذِي مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ كِنَانَةُ بْنُ عَمْرِو وَأَنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ لِأَنَّ الرَّجُلَيْنِ كَانَا عَظِيمِي قَوْمَهُمَا وَذَوِي الْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ فِيهِمَا فَدَخَلَتِ الشُّبُهَةُ عَلَيْهِمْ فَأَعْتَقَدُوا أَنَّ مِنْ كَانَ كَذَلِكَ أَوْلَى بِالنُّبُوَّةِ فَقَالَ تَعَالَى فِي جَوَابِهِمْ.

**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ**



الدُّنْيَا وَ رَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا  
سُخْرِيًّا وَ رَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ

الظاهر أن المراد بالرحمة في الآية النبوة سميت بالرحمة لأنها أي النبوة  
توجب إرشاد الخلق الى الحق وإعراضهم عن الباطل وبالجملة سعادة الدارين و  
أي رحمة من الله أحسن منها و لذلك من الله بها على الخلق دون غيرها من النعم  
حيث قال:

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا  
عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ  
لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ <sup>(١)</sup>.

نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ إِذَا مَلَكَ يَكُنْ أَمْرُ الدُّنْيَا  
اليهم فكيف أمر النبوة اليهم و في قوله: وَ رَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ  
دَرَجَاتٍ

أي وجعلنا بعضهم مالكا و بعضهم مملوكا، و بعضهم غنيا و بعضهم فقيرا و هكذا  
لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا إختلف المفسرون في المراد بقوله: سُخْرِيًّا  
على قولين:

أحدهما: أنه من التسخير و التسلط و ذلك لأن الإختلاف في الرزق بين  
الخلق في الضيق و السعة زيادة على ما فيه من المصلحة فيه تسخير بعض العباد  
لبعض آخر لسبب إحتياجهم اليهم و فيه حفظ النظام و دوام العيش.

الثاني: أنه من السخرية بمعنى الإستهزاء أي ليستهزئ الغني بالفقير ثم قال: وَ  
رَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ أي مما يجمعه هؤلاء الكفار من متاع الدنيا  
و زخارفها.

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

و محصل الكلام أن جميع الأمور بيده تعالى فكأنه يعطي المال والمقام لمن شاء وأراد يعطي النبوة والإمامة لمن شاء وأراد كل ذلك على أساس المصلحة التي لا يعلمها إلا هو إلا أن النعم المادية تعم المؤمن والكافر بخلاف المعنويات فأنها تختص بالمؤمن والنبوة من هذا القبيل بل هي أصلها وأساسها.

و لَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ

قيل معناه، لولا أنهم يصيرون كلهم كفاراً، لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبیوتهم سقفاً من فضةٍ ومعارج أي درجاً عليها يظهرون، لكن لم نجعل ذلك لما ذكرناه من صيرورتهم كفاراً حباً منهم للدينا و زخارفها وإذا كانت الدنيا وما فيها عند الله من الهوان بحيث يجعل بيوت الكفرة و درجها ذهباً و فضةً فما ظنك بها و متاعها. و قال الحسن المعنى لولا أن يكفر الناس جميعاً بسبب ميلهم إلى الدنيا و تركهم الآخرة لأعطيناهم في الدنيا ما وصفناه لهوان الدنيا عند الله عز وجل و على هذا أكثر المفسرين.

و عن الكسائي أنه قال المعنى، لولا أن يكون في الكفار غني و فقير المسلمین مثل ذلك لأعطينا الكفار من الدنيا هذا الهوانها.

أقول ما ذكره الله تعالى حق لا مزية فيه و من أصدق من الله قيلاً، و الدليل عليه، من العقل و النقل.

أما العقل فلأنه يحكم بأن الدنيا و ما فيها من النعم فانية زائلة و لا بقاء لها و ما لا بقاء له لا يعتمد عليه و هذا بخلاف الملكات الفاضلة و النعم الأخروية فأنها باقية لا زوال لها فيجب الأخذ بها إذ فيها سعادة الدارين و لذّة النشأتين هذا كله مضافاً إلى أن النعم الدنيوية محفوفة بالآلام و الأوجاع كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: الدنيا

دارُ بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة وما كان كذلك فتركه أولى.  
أما النّقل فالآيات والأخبار والآثار في ذمّها والإعتماد عليها كثيرة جداً نحتاج  
إلى إطالة الكلام فيها بعد نصوص القرآن.

قال الله تعالى: **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ  
بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ  
يَهْبِجُ فَتَرِيهِ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ  
مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ، سَابِقُوا إِلَى  
مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ  
آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ  
الْعَظِيمِ<sup>(١)</sup>.**

والإنصاف أنّه لولا في ذمّ الدنيا ومتاعها والرّكون إليها في الكتاب إلّا هذه الآية  
لكفى فضلاً عن الآيات الكثيرة وقد مرّ الكلام في هذا الباب بما لا مزيد عليه و  
سيأتي الكلام فيها أيضاً في المستقبل.

**وَلِيُبَيِّنَ لَهُمْ أَبْوَابَ وَسْرَرًا عَلَيْهَا يُتَبَكَّرُونَ، وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ  
لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ**

الواو للعطف في الموضوعين وهاتان الأيتان معطوفتان على الآية السابقة عليهما  
وهو قوله تعالى: **وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً** أي ولجعلنا لبيوتهم  
سقفاً من فضة وأبواباً وسراً يتكئون عليها وزخرفاً أي ذهباً، وقيل هو الفرش و  
متاع البيت والزّخرف المزيّن، وقيل الزّخرف المنقوش، وكيف كان فإنّ الآية  
مصرّحة بأنّه تعالى قادرٌ على كلّ شيء إلّا أنّه لم يفعل ذلك لأجل المصلحة التي  
رأها فلا ينبغي للغني أن يفتخر على الفقير بغناه ولا للفقير أن يظنّ أنّ الله أعطى

في القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس

الغني لحبه إياه و لعمرى أن الأيات المذكورة من أحسن المواعظ لمن تدبّر فيها و لكن قليل من عباده الشكور و الحمد لله على كل حال.

و أما قوله: **وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** فإن مخففة من المثقلة و أدخل اللام في، لما، للفصل بين النفس و الإيجاب، و ما، زائدة و المعنى و أن كل ذلك متاع الحياة الدنيا **وَ الْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ** لا لغيرهم من الكفار و الفساق و أتباع الشيطان و هو واضح.

**وَ مَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**

قرأ ابن عباس و عكرمة، و من يعيش، بفتح الشين و قرأ الباقر بضمها فمن قرأها بالفتح جعل الفعل من عشي يعشي مثل رضى يرضى و معناه يعمى يقال عشي يعشى عشا إذا عمى و رجل أعشى و امرأة عشاء إذا كان لا يبصر و منه قول الأعشى:

رأت رجلاً غائب الوافد      بن مختلف الخلق أعشى ضريباً  
و من قرأها بالضم و هى الأشهر و عليها المصاحف جعل الفعل من عشا يعشو مثل دعا يدعو إذ ألحقه ما يلحق الأعشى و قال الخليل العشو هو النظر ببصرٍ ضعيف و منه قول الشاعر:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره      تجد خير نارٍ عندها خير موقدٍ  
و معنى الآية من يعرض عن ذكر الرحمن، نقیض له شيطاناً فهو له قرين، في معناه أقوال:

**أحدها:** معناه نخلي بينه و بين الشيطان الذي يغويه و يدعو به إلى الضلالة فلا يمنعه منه، قاله الحسن.

**الثاني:** معناه، نجعل له شيطاناً يقال قیض له كذا أي سهل و يسر.

**الثالث:** قال قتادة نقیض له شيطاناً في الآخرة يلزمه حتى يصير به إلى النار

فحينئذ يتمنى البعد عنه ذكر هذه الوجوه الشَّيْخ في التَّبيان.

وقال بعض المفسرين معناه نسب له شيطاناً جزاءً له على كفره، فهو له قرين، في الدُّنيا يمنعه من الحلال وبيعته على الحرام وينهاه عن الطَّاعات و يأمره بالمعصية.

قال في المجمع **نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا** أي نسب و قدَّر له شيطاناً من قِيَض كذا أي قدَّره فجعل الله ذلك جزاءه.

وقال الرَّاغب في المفردات، نَقِيضٌ له شيطاناً، أي نَجَّحَ ليستولي عليه إستيلاء القِيَض على البيض وهو القشر الأعلى.

**أقول** هذه الكلمات حول تفسير اللَّفْظ متحدة المأل من حيث المعنى و أنما الاختلاف في الألفاظ و أحسن الأقوال ما قاله الرَّاغب و ذلك لأنَّ في التَّسبيب و التَّقدير شائبة الجبر بخلاف التَّنجي كما لا يخفى على المتأمل فمعنى الآية من أعرض عن ذكر الرَّحمن أعرض الله عنه و خلَّى بينه و بين الشَّيْطان و فيه هلاك العُبد في الدَّارين و توضيح ذلك إجمالاً هو أنَّ الشَّيْطان عدوٌّ مبين، بصريح الآيات و لا يمكن لأحدٍ التخلُّص من شرِّه إلَّا بتوفيقٍ من الله.

قال الله تعالى: **وَمَا أَبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي** (١).

قال الله تعالى: **فَبِعِزَّتِكَ لأُعَوِّبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** (٢).

فإذا أعرض الإنسان عن ربِّه فلا محالة يستولي الشَّيْطان عليه لوجود المقتضى و فقد المانع و المراد بالذِّكر في الآية ليس الذِّكر باللفظ فقط بل المراد الذِّكر القلبي الذي يسري إلى الأعضاء و الجوارح و بعبارة أخرى التَّوجه إلى ربِّه في جميع شئونه و أنَّه تعالى شاهدٌ و ناظرٌ بأعماله و أقواله و أن شئت قلت المراد به الذِّكر

في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس

العملي الذي لازمه فعل الواجبات و ترك المحرّمات فمن كان كذلك لا سبيل للشيطان عليه لقوله: **إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ** <sup>(١)</sup> والإخلاص أعلى وأفضل منه. وأما قوله: **فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** فمعناه أَنَّ الشَّيْطَانَ لا يتركه ولا يدعه بل هو قرينه و جليسه و أنيسه في جميع أفعاله، و القرين الصّاحب و من كان له الشَّيْطَانُ قريناً فساء قريناً لأنّه أقسم بالله تعالى و قال: **فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**، **إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ** فلا ينجو من شرّه اَنَّ المخلص لله في طاعته و الاخلاص لله لا يتحقق من المعرض عن ذكره و لذلك قال تعالى ما قال في هذه الآية و أمثالها، نعوذ بالله منه.

**وَ إِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ**  
الضمير في يصدّونهم، راجع على الشياطين أي أَنَّ الشياطين ليصدّونهم و يمنعونهم، أي الكفّار عن سبيل الحقّ الذي هو الإسلام و الإيمان و يحسبون، الكفّار، أَنَّهُمْ مهْتَدُونَ، إلى طريق الحقّ و ذلك لأنّ كلّ حزبٍ لما لديهم فرحون، و المراد بالصدّ الذي هو المنع، الإغواء بالوسوسة لأنّ الشياطين يوسوسون في صدور النّاس و يزيّنون أعمالهم في أعينهم فهم يحسبون أَنَّهُمْ يحسنون صنعا و يستمرّ ذلك إلى يوم القيامة كما قال تعالى:

**حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَبْسُ الْقَرِينُ**

قرأ أبو عمرو و حمزة و الكسائي و حفص (جاءنا) على التوحيد و هي المشهور و عليها المصاحف يعني حتّى إذا جاءنا الكافر يوم القيامة.

و قرأ الباقون جاءنا، على التثنية يعني إذا جاءنا و هما الكافر و قرينه أعني به

الشَّيْطَانُ.

**أقول الظاهر** أنَّ قراءة التَّوْحِيدِ أولى وأقوى من قراءة التَّنْثِيَةِ بدليل قوله تعالى بعد جاءنا، **قَالَ**، ولم يقل، **قالا**، أي حتَّى إذا جاءنا قال الَّذي جاءنا، فلو كان الجائي اثنين لقال تعالى، **قالا**، اللهم إلَّا أن يقال في الكلام حذف و تقديره، قال كل واحدٍ منهما ياليت كذا وكذا وهذا وأن كان ممكناً إلَّا أنَّه خلاف الأصل بل خلاف العقل إذ لو أراد التَّنْثِيَةُ من الفعل لقال، **قالا**، وهو أحسن من التَّقْدِيرِ، وكيف كان إذا جاء الكافر يوم القيامة و رأى العذاب و ندم عن متابعة الشَّيْطَانِ في الدُّنْيَا قال مخاطباً إِيَّاهُ، ياليت بيني وبينك بعد المشرقين، أي بعد المشرق و المغرب غلب أحدهما على الآخر و قيل أراد مشرق الشَّتَاءِ و مشرق الصَّيْفِ كما قال ربَّ المشرقين و ربَّ المغربين و كيف كان فالمقصود البعد، أي ياليت لم تكن لي قريناً و الدليل عليه قوله بعد ذلك، فبئس القرين، أي أنت بئس القرين.

و من المعلوم أنَّ النَّدَمَ يوم القيامة لا ينفع إذ للشَّيْطَانِ أن يقول في جوابه، في الصَّيْفِ ضِيَعَتِ اللَّبَنُ كما قال تعالى:

**وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ**

كلمة، **لَنْ** للتَّنْهِي المؤيِّد أي لا ينفعكم النَّدَمُ اليوم أبداً، إذ ظلمتم، في الدُّنْيَا أَنْتُمْ في العذاب مشتركون، يقول الله تعالى أَنْتُمْ، أي التَّابِعِ و المتبوع و الإمام و المأموم في العذاب مشتركون، و ذلك لِأَنَّ الظُّلْمَ في الحقيقة صدر منهما فالعذاب أيضاً لهما أمَّا الشَّيْطَانُ فلا ضلاله و أمَّا الكافر فلقبوله الإِضْلال مع أنَّه كان قادراً على عدم قبوله و قد ثبت أنَّ الإِمْتِنَاعَ بالإِختِيَارِ لا ينافي الإِختِيَارَ.

**أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّمَ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَ مَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**

في القرآن  
في تفسير  
البقرة

جزء ٢٥

الجلد الخامس  
في

الخطاب للنبي ﷺ و الهَمزة للإنكار، أي أنت لا تقدر على إسماع الصم الذي لا يسمع، و هداية العمي و هو الذي لا يبصر، و من كان في ضلالٍ ظاهرٍ. أعلم أن قيمة كلٍّ موجودٍ و شرفه و فضيلته بالأثار المترتبة عليه و إلا فالموجود بما هو هو مع قطع النظر عن الأثار لا قيمة له ألا ترى أن الشيطان موجودٌ كغيره من الموجودات و لا فرق في الموجودات من حيث الوجود فلا يمكن أن يقال أن وجود الشيطان غير وجود الإنسان و ذلك لأن الوجود واحدٌ في الجميع و هذا ممّا لا خلاف فيه عقلاً و أنما الفرق في الأثار المترتبة على الوجود من خيرٍ و شرٍّ و حسنٍ و قبحٍ.

فإذا قلنا، العالم خير من الجاهل ليس معناه أن وجوده خير من وجوده بل المعنى أن الأثار المترتبة على وجوده من تعليم الجاهل و إرشاد الناس خير من الأثار المترتبة على وجود الجاهل من الأكل و الشرب و غيرهما و ذلك لأن هذه الأثار مترتبة على وجود الحيوان أيضاً و كذلك إذا قلنا أن المؤمن خير من الكافر و الأمين خير من الخائن و الصادق من الكاذب و العادل من الظالم فإن جميع هذه الأوصاف يرجع إلى أثار الوجود لا إلى نفس الوجود بما هو هو بل نقول لا فرق بين الأنبياء و غيرهم إلا من جهة الأثار فالأثار المترتبة على وجود كلٍّ موجودٍ هي العلة الغائية للإيجاد بمعنى أن الموجود خلق لأجلها و قد ثبت أن العلة الغائية مؤخرّة عن الموجود في الوجود الخارجي و لكنها مقدّمة عليه في الوجود العلمي الذّهني إذ لو لم يوجد الموجود في الخارج لا يوجد الأثر و أمّا في الواقع و نفس الأمر فهو أي الأثر مقدّم على إيجاده إذ لولاه لما يوجد الخالق إذا عرفت هذا فنقول:

من جملة الموجودات في نظام الخلقة، الإنسان بل هو أشرف المخلوقات لو عرف نفسه و لا شك أنه مركّب من الرّوح و البدن و أيضاً لا شك أن حياة البدن



بالرُّوح و قد جعل الله تبارك و تعالى للبدن أعضاء و جوارح من السَّمع و البصر و اليد و الرُّجل و القلب و غيرها و جعل لكل واحدٍ منها أثراً و أثراً مخصوصة به فالسَّمع للإستماع و العين للرؤية و الذائقة للذوق و الشَّامة للشَّم و القلب للتفهُق و هكذا فقالت الفلاسفة هي الآثار المطلوبة المترتبة على الأعضاء و القوى الموجودة في البدن، و لم يعلموا أنَّ هذه الآثار من الآثار التكوينية الموجودة في الحيوان أيضاً فلو كان أثر السَّامعة الإستماع و الباصرة الرؤية و هكذا فما الفرق بين الحيوان و الإنسان بل هي في أكثر الحيوانات أقوى و أكمل منها في الإنسان فلا فرق بين الإنسان و الحيوان بل بعض الحيوانات أكمل من الإنسان من هذه الجهة و ذلك لأنَّ الإستماع بالسَّمع و الرؤية بالعين و هكذا سائر الأعضاء و القوى من الآثار المترتبة على الموجود المتَّصف بها تكويناً حيواناً كان أو إنساناً.

فالحقُّ أن يقال أنَّ الآثار في الموجود الذي لا عقل له كالحيوان و النباتات و الجماد فهي مختصة بالتكوينية و أمَّا الموجود العاقل فليس كذلك فإنَّ الأثر المترتب على فعله لا بد أن يكون عقلياً، فالإستماع بالسَّمع مثلاً كما للحيوان ليس كملاً للإنسان بل الكمال للإنسان هو الإستماع الذي يترتب عليه أثر عقلي و هو الإنتفاع بالإستماع لا مجرد الإستماع و هكذا في الباصرة حيث أنَّ الأثر العقلي المترتب عليها هو الإنتفاع بالرؤية لا مجرد الرؤية و لذلك قال الله تعالى في الإنسان **أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ** و لم يقل ذلك للحيوان مع أنَّه ينظر أيضاً و على هذا فالإنسان الذي يسمع ينتفع به أو يبصر و لا يعتبر فهو كمن لا يسمع و لا يبصر أصلاً و أي فرق بين من يسمع و لا يترتب عليه الأثر العقلي، و بين الصمِّ الذي لا يسمع أصلاً و الجامع عدم الإنتفاع.

و ملخص الكلام هو أنَّ الآثار المطلوبة من السَّمع و البصر و غيرها هو الإنتفاع و هو الأثر العقلي المترتب على وجود الأعضاء على ما فصلنا البحث فيه و بذلك تثبت فضيلة الإنسان على غيره من الموجودات و إلا لا فرق بينه و بين

الجماد إذا عرفت هذا فلنرجع إلى تفسير الآية ونقول:  
 في قوله تعالى: **أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي أَعْمَى** إشارة إلى أن هؤلاء الكفار لا يتفهمون بما يسمعون و يبصرون وإذا كان كذلك فسواء عليهم أوعظت لهم أم لم تكن من الواعظين كما حكى الله تعالى عنهم بقوله: **قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أُوْعِظَتْ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ**<sup>(١)</sup> وفي الآية إشارة بل دلالة على أن القابلية في المعلول شرط في تأثير العلة لأن تأثير العلة في المعلول يتحقق بشرطين: أحدهما: وجود المقتضى، والثاني، رفع المانع، وعدم القابلية مانع عن التأثير والتأثر.

**فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ**

فأما، أصلة، فإن ما، وإن شرطية ولما دخلت، ما، على حرف الشرط أشبه للقسام في التأكيد والإيذان بطلب التصديق فدخلت النون المثقلة في الكلام لذلك لأن النون تلزم في جواب القسم ولا تلزم في الجزاء لأنه شبه به، والخطاب في الآية للنبي ﷺ بعد إنكار القوم بنبوته وإذاءهم وإستهزاءهم أياء فقال الله تعالى تسلياً لنبية **فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ** على سنتنا فيمن قبلك من الأنبياء بالموت فإننا منهم، أي من هؤلاء الكفار منتقمون في القيامة أو في الدنيا بعد موتك.

**أَوْ نُرِيَنَّكَ أَلَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ**

الكلام في، إمّا، مثل الآية السابقة، والمعنى وأما نريئك في الحياة الدنيا، الذي وعدناهم، أي هؤلاء الكفار من العذاب فإننا عليهم مقتدرون، فَأَنْ رَبَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يمكن لأحد من المخلوق الفرار من حكمته.

وحاصل الكلام في الأيتين هو أن العقاب ثابت لهم لكفرهم وظلمهم، أما في الدنيا بإهلاكهم وإستئصالهم وأما في الآخرة بدخولهم النار وخلودهم فيها، وأما

فيهما أي في الدنيا والآخرة، وأما أنت يا محمد إما أن تبقى في الدنيا فتري ما يقع بهم وإما أن تموت فتري عذابهم في الآخرة.

وقال المفسرون قد أراه الله إهلاكهم وعقابهم في الدنيا يوم بدر إذ أهلك الله فيه صناديد المشركين المستهزئين كأبي جهل وعتبة وشيبة وحنظلة ووليد و أمثالهم وهكذا في سائر الغزوات مثل، خندق، وخيبر و حنين وغيرها فأَنَّ الله تعالى نصر نبيّه و دينه كما وعد و أهلك أعداءه كما أوعد و قد تحقّق ما وعد الله به نبيّه يوم الفتح أي يوم فتح مكّة و كسره أصنام المشركين و هذا واضح لا كلام فيه على مذاق القوم.

قال صاحب الكشف والمعنى فإن قبضناك قبل أن ننصرك عليهم و نشفي صدور المؤمنين منهم، فإنّا منتقمون أشدّ الإنتقام في الآخرة.

كما قال تعالى: **أَوْ تَتَوَفَّيْنَكَ فَالَيْنَا يُرْجَعُونَ**<sup>(١)</sup> وإن أردنا أن ننجز في حياتك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم و هو يوم بدر فهم تحت ملكتنا و قدرتنا لا يفوتونا و صفهم بشدّة الشكيمة فى الكفر و الضلال ثم أتبعه شدّة الوعيد بعذاب الدنيا و الآخرة إنتهى ما ذكره في تفسير الآية و على ذلك جميع مفسري العامه بعده و قبله و تبعهم على ذلك أكثر أصحابنا أيضاً لولا كلّهم.

و الحاصل أن إجماع المفسرين على ذلك و هو ممّا لا بأس به ظاهراً و الذي يختلج بالبال في تفسير الآية شيء آخر على ما إستفدناه من الأخبار الواردة عن أهل البيت و هو أن معنى قوله: **فَإِنَّمَا نَذْهَبَنَّ بِكَ** نذهب بك من مكّة الى المدينة، **فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ** أي إنّنا من المشركين منتقمون في المدينة في غزوة بدر و غيرها بيد علي بن أبي طالب فإنّ يده يد الله و اليد كناية عن القدرة.

قال الله تعالى: **يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** أي قدرته فوق قدرتهم و حيث أنّ

جاء القرآن في تفسير

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

أمير المؤمنين عليه السلام كان مظهر قدرة الحق يقال له يد الله أي قدرته والدليل على ذلك أنه لولا أمير المؤمنين في غزوة بدر لم يكن للمسلمين غلبة على الكفار قطعاً وهكذا سائر الغزوات وقد شهدت التواريخ بذلك فالإنتقام من الكفار كان بيد علي عليه السلام بأمر من الله تعالى ولذلك نسب الإنتقام الى نفسه وقال: **فَأَنَا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ** ولا ينكره إلا معاند مكابر عقله وهذا الذي قلناه في تفسير الآية يقتضيه ظاهر الآية أيضاً وذلك لأن إرادة الموت من الذهاب بعيد جداً لغةً وعرفاً وعقلاً.

أما لغةً فواضح إذ لم يقل أحد من أهل اللغة أن ذهب بمعنى مات ولم يحكم أحد من أهل اللغة بصحة قول القائل ذهب زيد أي مات، فإن قال قائل أريد منه الموت مجازاً أو أنه كناية عن الموت.

قلنا أي شبهة بين الموت الذي هو إزهاق الروح عن الجسد وبين الذهاب الذي هو طي المسافة من مكان إلى مكان آخر حتى يحكم بصحة الكناية والاستعارة وأي وجه شبه بينهما.

وأما عرفاً فهو أوضح إذ لم يقل أحد ولا يقول بل ولن يقول أن الذهاب بمعنى الموت أو كناية عنه.

وأما عقلاً فإن الذهاب والمجي في المسافة والموت يقال في قطع العلائق وأي عقل يحكم بصحة إرادة الموت من الذهاب فثبت وتحقق أن الذهاب في الآية يراد به ما ذكرناه وأيدناه بالعقل والنقل واللغة.

ومن المعلوم أن حمل الكلام على ظاهره المتعارف منه أولى من حمله على ما ينكره العقل والنقل والعرف هذا ومن أنكر ذلك فعليه بالدليل.

**أما الآية الثانية:** وهي قوله: **أَوْ تُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ** فالذي يقوي في النفس أنها ناظرة إلى الفتن التي حدثت بعد موت النبي كما أن الآية الأولى كانت ناظرة إلى المشركين الحاضرين في مكة وتوابعها،

فَقُولْ: نُرِيكَ إِشَارَةَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى حَيْث قَالَ:

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا<sup>(١)</sup>.

وقد أراه الله هذه الرؤيا في المدينة بالمنام وقصة رؤيا النبي وصعود القردة و الخنازير وغيرهما من أنواع الحيوانات على منبره ﷺ مشهورة بين الخاصة و العامة وقد ذكرناها عند كلامنا حول الآية في سورة الأسرى ذكرها المفسرون في تفاسيرهم والمحدثون في كتبهم وقد ورد في الأخبار أنَّ النبي ﷺ بعد رؤية الرؤيا و نزول الآية ما زال متقبضاً ولم ينبسط ضاحكاً حتى لقي الله.

و أما قوله: فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ فهو حق لا مرية فيه وذلك لأنه تعالى أهلك بني أمية و بني المروان و بني العباس بتسليطه عليهم شرار خلقه فسلب بني العباس على بني أمية و سلط التتار و المغول على بني العباس مع أنَّ أتباع السقيفة و علماء السوء رَوَوْا في كتبهم أنَّ رسول الله قال لعنه العباس خذ ياعم أبا الأملاك (يعني عبد الله بن عباس) إلى يوم القيامة.

و في حديث آخر رَوَوْا عنه ﷺ أَنَّهُ قَالَ: الخلافة في أولاد العباس إلى نزول عيسى بن مريم من السماء، و غير ذلك من الأحاديث المزعومة لأجل الدرهم و الدينار، ولم يعلموا أنَّ الملك يبقى مع الكفر و لا يبقى مع الظلم و هذا معنى قوله: فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ هذا ما فهمناه و إستفدنا من الآية و الله أعلم بما قال.

فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

أمر الله نبيه بالتَّمسك بما أوحى إليه من قبل الله تعالى ثم أعلمه أنه على صراطٍ مستقيم رغماً لأنوف الكفار الذين كذبوه و نسبوه إلى الجنون و حملوا معجزاته على السحر ولم يعلموا أن الذي يوحى إليه لا يكون إلا على طريق الحق. ثم قال تعالى (و أنه) أي هذا القرآن، لذكر لك، أي شرف لك، و قيل حجة تؤدّي إلى العلم لك و لكل أمتك، و سوف تسألون، أنت و أمتك من القيام بحقه و العمل به يوم القيامة هكذا فسروا الآية.

و لقائل أن يقول قد إتفقوا على أن مرجع الضمير لآبده من أن يكون مقدماً عليه لفظاً أو معنى أو حكماً، و ليس في المقام ذكر من القرآن بالوجوه المذكورة فكيف يقال أنه أي القرآن لذكر لك، و الحق أن الضمير راجع على، صراط مستقيم، أي أن الصراط المستقيم شرف لك و لقومك و سوف تسألون عنه يوم القيامة.

وَسَّئِلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ  
إِلَهَةً يُعْبَدُونَ

الخطاب للنبي ﷺ أي و إسأل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا. قال قتادة و الضحاك أي سل من أرسلنا يعني أهل الكتابين التوراة و الإنجيل و هم علماء يهود و النصارى.

و قال ابن زيد أنما يريد الأنبياء الذين جمعوا ليلة الإسراء.

و قد نقل القرطبي قصة الإسراء في تفسيره عن ابن عباس و ابن زيد، قال: لما أسري رسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بعث الله له آدم و من ولد من المرسلين و جبرئيل مع النبي ﷺ فأذن جبرئيل ثم أقام الصلاة ثم قال قم يا محمد فتقدم و صل فلما فرغ رسول الله ﷺ عن الصلاة قال

له جبرئيل سل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا أبعلنا من دون الرحمن ألهة يعبدون فقال رسول الله ﷺ لا أسأل قد إكفيت.

قال ابن عباس وكانوا سبعين نبياً منهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فلم يسألهم لأنه كان أعلم بالله منهم إنتهى ما رواه عن ابن عباس.

ثم قال و فى غير رواية ابن عباس، فصلوا خلف رسول الله سبعة صفوف المرسلون ثلاثة صفوف و النبئون أربعة و كان يلي ظهر رسول الله إبراهيم خليل الله و على يمينه إسماعيل و على يساره إسحاق ثم موسى ثم سائر المرسلين فأتهم ركعتين فلما إفتل قام فقال: أن ربي أوحى إلي أن أسألكم هل أرسل أحد منكم يدعوا إلى عبادة غير الله فقالوا يا محمد أننا نشهد إنا أرسلنا أجمعين بدعوة واحدة أن لا إله إلا الله و أن ما يعبدون من دونه باطل و أنك خاتم النبيين و سيد المرسلين قد إستبان ذلك لنا بامامتك إيانا و أن لا نبي بعدك إلى يوم القيامة إلا عيسى بن مريم فإنه مأمور أن يتبع أثرك إنتهى ما نقله القرطبي.

أقول و قد ذكر علي بن إبراهيم القمي في تفسيره هذه القصة بنحو آخر، قال رحمه الله: حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن أبي حمزة الثمالي عن أبي الربيع قال حججت مع أبي جعفر عليه السلام في السنة التي حج فيها هشام بن عبد الملك و كان معه نافع بن الأزرق مولى عمر بن الخطاب فنظر نافع إلى أبي جعفر عليه السلام في ركن البيت و قد إجتمع عليه الناس فقال لهشام يا أمير المؤمنين من هذا الذي تتكفاه عليه الناس فقال هذا نبي أهل الكوفة هذا محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب فقال نافع لأتيت

فلأسأله عن مسائل لا يجيبني فيها إلا نبي أو وصي نبي أو ابن نبي فقال هشام فأذهب إليه فلعلك أن تخلجه فجاء نافع وإتكا على الناس ثم أشرف على أبي جعفر فقال يا محمد بن علي إني قد قرأت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وقد عرفت حلالها وحرامها وقد جئتك أسألك مسائل لا يجيبني فيها إلا نبي أو وصي نبي أو ابن وصي نبي فرفع إليه أبو جعفر رأسه فقال سل، فقال أخبرني كم بين عيسى ومحمد ﷺ من سنة فقال أبو جعفر أخبرك بقولي أو بقولك قال أخبرني بالقولين جميعاً فقال ﷺ أما قولي فخمسة مائة سنة وأما بقولك فست مائة سنة قال فأخبرني عن قول الله تعالى: وَسَلُّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا مَنْ ذَا الَّذِي سَأَلَ مُحَمَّدًا ﷺ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِيسَى خَمْسَ مِائَةِ سَنَةٍ قَالَ فَتَلَى أَبُو جَعْفَرٍ هَذِهِ الْآيَةُ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا فَكَانَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي أَرَاهَا اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ حِينَ أُسْرِيَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ أَنْ حَشَرَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ثُمَّ أَمَرَ جَبْرَائِيلَ فَأَذَّنَ شَفْعاً وَأَقَامَ شَفْعاً ثُمَّ قَالَ فِي إِقَامَتِهِ حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ ثُمَّ تَقَدَّمَ مُحَمَّدًا ﷺ وَصَلَّى بِالْقَوْمِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلُّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَا تَشْهَدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ، قَالُوا نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنْكَ رَسُولَ اللَّهِ أَخَذْتَ عَلَى ذَلِكَ مَوَاقِفَنَا وَعَهْدُنَا قَالَ نَافِعٌ صَدَقْتَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ يَا أَبَا جَعْفَرٍ



أنتم و الله أوصياء رسول الله و خلفاؤه في التّوراة و أسماءكم في الإنجيل و في الذّبور و في القرآن و أنتم أحقّ بالأمر من غيركم إنتهى كلامه.

أقول ما ذكره قُتَيْبٌ في تفسير الآية كامل لا نحتاج معه إلى شيءٍ آخر فأنه في هذا الحديث قد أوضح المسؤول عنه حقّ الإيضاح.

فأن قلت لا شك أنّ الرّسول يدعو النّاس إلى من أرسله إلى الخلق يدعو إلى غيره فما وجه السّؤال عنه.

قلت نعم الأمر كذلك في حقّ الرّسول و النّبى، إلّا أنّ وجه السّؤال هو إفحام الخصوم الذين كانوا يدعون أنّهم من أمة عيسى أو موسى أو غيرهما من الأنبياء و مع ذلك كانوا كافرين بالله لقولهم بألوهيّة عيسى و عزيز و القول بالأب و الإبن و روح القدس و عبادتهم الأصنام و الأوثان و أنّهم شفعاؤهم و أمثال ذلك من العقائد السّخيفة الرّديئة و بعبارة أخرى وجه السّؤال أنّ الأنبياء و المرسلين كانوا منزّهين عن الشّرك و الدّعوة إليه و أنّما قال من إدعى متابعتهم ما قال من عند نفسه.

و الحاصل أنّهم أي أهل الكتاب نسبوا إلى أنبيائهم ما لا يليق بشأنهم كذباً و إفتراءً عليهم، فالآية نزلت في الرّد عليهم.

و لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِِّ الْعَالَمِينَ

قد بيّنا نسب موسى و كيفيّة ولادته و نبوته و سائر ما يتعلّق به فيما مضى مفصّلاً فلا نحتاج إلى الإعادة، قال المفسّرون هذا قسم من الله تعالى.

أقول غرضهم أنّ اللّام في لقد، لام القسم أخبر الله تعالى في هذه الآية أنّه أرسل موسى إلى فرعون بالآيات الدّالة على أنّ الله تعالى هو الذي ينبغي أن يعبد

سُبْحَانَ الْقُرْآنِ فِي تَفْسِيرِهِ

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

لا غيره، و الآيات جمع، آية، وهى العلامة و قد فصلنا الكلام فيها فى سورة بني إسرائيل و قلنا أنه تعالى أنزل على نبيه موسى آيات تسع كما قال: **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ<sup>(١)</sup>** وهى العصا، واليد البيضاء، والطوفان، و الجراد، و الطاعون، و القمل، و الضفادع، و الدّم، و فلق البحر و إغراق فرعون و قومه، و قوله، و ملاء، يعنى قومه و من تبعه و هم القبط، فقال موسى له و لقومه إني رسول رب العالمين، و فى هذا الكلام تكذيب لما ادّعاه فرعون و قال لقومه أنا ربكم الأعلى، و ذلك لأن معنى رب العالمين أنه لا رب غيره فى عالم الوجود ثم أخبر الله تعالى فقال:

**فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ**

أي أنهم لما رأوا الآيات إستهزؤا بها و لم يقبلوها بل كانوا يضحكون و الضحك فى أمثال هذا المقام علامة الإستهزاء.

**وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**

ما، نافية بمعنى، ليس، و فى الآية دلالة على أن الله أراهم، أي فرعون و قومه جميع الآيات النازلة على موسى واحدة بعد أخرى، لعلّه يتذكر أو يخشى و أيضاً فيها إشارة إلى أن الآيات بعضها أكبر من بعض و مع ذلك كله لم يرجع فرعون و قومه إلى الحق فأخذهم الله بالعذاب لعلهم يرجعون أي أراهم الآيات التي فيها العذاب لعلهم يرجعون أي لكي يرجعون عما كانوا عليه من الكفر و الإلحاد و لعل المراد بالآيات التي أشار الله إليها بقوله: **لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ<sup>(٢)</sup>**.

فَأُولَ آيَةِ أَرَاهِمُ اللَّهُ هِيَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ، وَ الْآيَةُ الثَّانِيَةُ الْعَصَا وَ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا، وَ الثَّالِثَةُ الطُّوفَانُ وَ هِيَ أَكْبَرُ مِنَ الْعَصَا، وَ الرَّابِعَةُ الْجَرَادُ، وَ الْخَامِسَةُ الطَّاعُونُ، وَ السَّادِسَةُ الْقُمَّلُ، وَ السَّابِعَةُ الضَّفَادِعُ وَ الثَّامِنَةُ الدَّمُ وَ التَّاسِعَةُ فَلَقُ الْبَحْرِ وَ إِغْرَاقُ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ وَ هِيَ أَكْبَرُ وَ أَشَدُّ مِنَ الْجَمِيعِ إِذَا هَلَكُوا وَ مَاتُوا وَ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا اللَّعْنَةُ وَ سُوءُ الدَّارِ وَ أُنَمَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَى سَبِيلِ التَّدْرِيجِ وَ لَمْ تَنْزَلِ الْآيَاتُ دَفْعَةً وَاحِدَةً إِذْ فِي نَزُولِ الْعَذَابِ تَدْرِيجًا إِمَهَالًا لِلظَّالِمِ وَ اللَّهُ تَعَالَى رُوِّفٌ بِعِبَادِهِ لَا يَرْضَى بِالْعَذَابِ بِلَا إِمَهَالٍ وَ لِذَلِكَ قَالَ فِي آخِرِ الْآيَةِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ أَيْ أُنَمَا فَعَلْنَا ذَلِكَ وَ لَمْ نَهْلِكْهُمْ دَفْعَةً وَاحِدَةً لَكِي يَرْجِعُونَ إِلَى الْحَقِّ وَ اللَّهُ تَعَالَى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ قَبْلَ الْمَوْتِ.

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ أَيْ أَنْ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ لَمْ يَرْجِعُوا عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَ الظُّلْمِ وَ الْإِنْكَارِ وَ الْإِسْتِهْزَاءِ بَلْ قَالُوا لِمُوسَى أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ، مِنْ نَزُولِ الْعَذَابِ (إِنَّا لَمُهْتَدُونَ) أَيْ إِنَّا عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، وَ قَالَ قَوْمُ أَتَاهُمْ قَالُوا ذَلِكَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ فَقَوْلُهُمْ: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ يَعْنِي بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ مِنْ كَشْفِ الْعَذَابِ، إِنَّا لَمُهْتَدُونَ أَيْ إِنَّا مُؤْمِنُونَ بِكَ مُهْتَدُونَ بِهَدَايَتِكَ، وَ أُنَمَا قَالُوا لِمُوسَى يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ لِأَتَاهُمْ نَادَوْهُ بِمَا كَانُوا يَنَادُونَهُ بِهِ وَ لَمْ يَقْصِدُوا الدَّمَ فَاتَّهَمُوا كَانُوا يَسْمُونُ الْعُلَمَاءَ سَحَرَةً فَنادوه بِذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّعْظِيمِ وَ بِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ حَيْثُ قَالَ.

أَرَادُوا بِقَوْلِهِمْ: يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ يَا أَيُّهَا الْعَالِمُ وَ كَانَ السَّاحِرُ فِيهِمْ عَظِيمًا يُؤَقِّرُونَهُ وَ لَمْ يَكُنِ السَّحَرُ صِفَةً ذَمًّا. وَ قَالَ بَعْضُهُمْ مَعْنَى يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ الَّذِي غَلَبْنَا بِسَحَرِهِ كَقَوْلِ الْعَرَبِ خَاصِمْتَهُ فَخَصِمْتَهُ أَيْ غَلَبْتَهُ بِالْخُصُومَةِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢٥

الجلد الخامس عشر

و قيل يحتمل أن يكون أرادوا به السَّاحِر على الحقيقة على معنى الإستفهام فلم يلمهم على ذلك رجاء أن يؤمنوا، و قيل قالوا ذلك لجهلهم بنبوته و صدقه وإعتقاد أنهم كانوا مسحورين، و غرضهم من هذا الكلام أنه متى كشف عنهم ذلك العذاب إهتدوا و رجعوا إلى الحق.

### فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ آلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ

قالوا في الكلام حذف لأنَّ تقديره، فدعا موسى و سأل ربه و ضرع إليه أن يكشف عنهم العذاب فكشف الله عنهم ذلك فإذا هم عند ذلك ينكثون، و النكث نقض العهد يقال لأصحاب الجمل ناكثون، لنكثهم عقد البيعة و نقضه هذا ما قيل في تفسير الآية.

أقول يظهر من كلام المفسرين أنَّ قوم فرعون قالوا ذلك بعد ما رأوا العذاب فإلتمسوا من موسى أن يدعو ربه ليكشف عنهم العذاب ليؤمنوا بعد ذلك بموسى و يهتدوا بهدايته فلما دعا ربه و كشف الله العذاب عنهم نكثوا و نقضوا ما عاهدوا الله عليه من الإيمان بالله و رسوله فأن كان الأمر على هذا المنوال فكيف قالوا: يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ثُمَّ قالوا: أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ و لم يقولوا يا أَيُّهَا النَّبِيُّ، أو كيف لم يقولوا، يا موسى و قالوا يا أَيُّهَا السَّاحِر و أما قولهم أن السَّاحِر ليس صفة ذم بل هو صفة مدح في عرف القوم فهو بعيد غاية البعد، هذا أولاً.

ثانياً: لم قاوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ و لم يقولوا رَبَّنَا أليس كلامهم هذا دالاً على عدم إعتقادهم بالله و رسوله و جعلهم موسى في زمرة السَّاحِرِينَ لا في جملة الأنبياء. و محصل الكلام أنَّ تعبير القوم عن نبي الله موسى بالسَّاحِر أدل دليل على أنهم إعتقدوا أنَّ موسى <sup>عليه السلام</sup> كان ساحراً بمعناه اللُّغوي المتعارف عند النَّاس في جميع الأعصار.

و أما قوله: بِمَا عَهْدَ عِنْدَكَ فمعناه بما عهد عندك من العذاب، و أما قول

المفسرين في تفاسيرهم بما عهد عنك من كشف العذاب و رفعه فلا دليل عليه و من أين علموا أنَّ الله تعالى عهد إلى موسى كشف العذاب حتَّى يحمل الكلام عليه بل المظنون بالظنِّ القوي أنَّ الله عهد إلى موسى وغيره و من الأنبياء نزول العذاب على الكفَّار في صورة عدم الإيمان و الدليل على ذلك كثير من الآيات. و محصل الكلام أنَّ تفسير الآية على ما ذكره غير معقول و الذي يختلج بالبال في تفسير الآية و الله أعلم.

هو أنَّ الله تعالى أرسل إلى فرعون و قومه موسى ليرشداهم إلى طريق الحق و يهديهم إلى سواء السبيل كما هو شأن جميع الأنبياء و المرسلين ثمَّ أمر موسى أن يخوِّفهم من عذاب الله في صورة عدم الإيمان بعد تمامية الحجة عليهم فوعظهم موسى أولاً و أظهر لهم المعجزات و الكرامات من قبيل اليد البيضاء و العصا التي صارت حيّة عظيمة و أبطلت سحر السحرة و هكذا ثمَّ خوِّفهم و أوعدهم عذاب الله في صورة إصرارهم على الكفر إلّا أنَّهم لم يؤمنوا به كما هو شأن المعاند و قالوا لموسى على صورة الإستهزاء.

يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ مِنَ الْعَذَابِ بَعْدَ عَدَمِ قَبُولِ الْإِيمَانِ، و قولهم إِنَّا لمهتدون، أي لمهتدون بفرعون و لا نحتاج بك، فلمَّا قالوا ذلك أنزل الله العذاب عليهم و يدلّ على ذلك قوله تعالى حيث قال:

وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنُشْخَرْنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ<sup>(١)</sup>.

دلّت الآية أنَّهم حملوا معجزات موسى على السحر و لمَّا قالوا ذلك إبتلاهم الله بآية ثالثة و هي الطّاعون و كان هذا المرض الخبيث مهلكاً لهم قيل أَنَّهُ أَهْلَكَ مِنْهُمْ سَبْعِينَ أَلْفًا لَمْ يَمْتَ وَاحِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَعَ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمَهُ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى لِيَرْفَعَهُمْ هَذَا الْبَلَاءَ وَ وَعَدَهُ بِاطِّلاقِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ حَيْثُ قَالَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْقُرْآنُ فَانْ فِي تَفْسِيرِهِ  
الْجُلْدُ الْخَامِسُ

جزء ٢٥

الْجُلْدُ الْخَامِسُ

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَ لَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ، فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُوءِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ<sup>(١)</sup>.

و لما نكت فرعون و قومه زاد غضب الله عليهم فابتلاهم بما أخبر به:

قال الله تعالى: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَ الْجَرَادَ وَ الْقُمَّلَ وَ الضَّفَافِعَ وَ أَلَدَمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ<sup>(٢)</sup>.

فأرسل عليهم بعد الطاعون الطوفان إلى آخر ما قال و قد مرّ الكلام في تفسير الآيات في سورة الأعراف و لا نطيل الكلام بتفسيرها ثانياً و الغرض أن الآيات الواردة في الباب تفسر بعضها بعضاً كما قيل أن القرآن يفسر بعضه بعضاً فلما طلبوا من موسى ما عهد عنده ربه من العذاب و نزل العذاب و رأوا ما رأوا منه طلبوا منه كشف العذاب و وعدوه إطلاق بني إسرائيل فلما كشف الله عنهم العذاب لم يفوا بعهدهم كما قال تعالى: فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ هذا ما إستفدناه من الآية بضميمة غيرها من الآيات الواردة في الباب و لا أقول أنني أصبت الحق و أنما أقول هذا ما فهمته و الله أعلم بما قال:

وَ نَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ

الهمزة في قوله: أَلَيْسَ للإنكار من قبيل قوله تعالى: أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ أي كافٍ، حكى الله تعالى عنه أنه قال لقومه أن ملك مصر و الأنهار التي تجري من تحتي كلها مملوك لي و أنا مالكة أفلا تبصرون، أن الأمر كذلك أي ليس في مصر حاكمٌ غيري و الناس كلهم مطيعون لي و إذا كان كذلك فما يقول موسى، و أنما قال فرعون ما قال، لأن موسى وعده البقاء على الحكومة في صورة الإيمان، و

لذلك قال فرعون ما قال أي ليس لرب موسى قدرة على مصر فكيف وعدني موسى بما وعد، ولم يعلم فرعون أو تجاهل بما قال عند العوام كالأنعام أن قوله هذا كذب محض، والله تعالى هو الذي خلقه وخلق غيره فهو نفسه مملوك لله تعالى والدليل على ذلك أن الله أهلكه كما أهلك من قبله ولو كانت الفراعنة قبله أحياء لم يكن له ملك مصر وحكم الأمثال واحد ثم قال فرعون.

**أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ**

قال بعض المفسرين، معنى، أم، بل فكأنه قال بل أنا خير من هذا الذي هو مهين، يعني موسى وصفه بالمهانة إستخفافاً له أي لا عز له عند الخلق فهو يمتهن نفسه في حاجاته لحقارته وضعفه.

و وصفه ثانياً، بأنه لا يكاد أن يفصح في كلامه لأن في لسانه عقدة، فوصفه أولاً بالذلة والحقارة وثانياً بعدم الفصاحة في الكلام، وأما أنا فعزیز في قومي وفصيح في كلامي فأنا خير منه.

قال القراء في، أم، وجهان، إن شئت جعلتها من الإستفهام الذي جعل، بأم، لإتصاله بكلام قبله، أي أنا خير أم هو، وإن شئت جعلتها نسقاً على قوله: أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ و قيل هي زائدة.

و قال الأخفش، في الكلام حذف والمعنى أَقْلًا تُبْصِرُونَ أم تبصرون، الخليل المعنى أَقْلًا تُبْصِرُونَ أم أنتم بصراء وعلى هذا ففيها معنى المعادلة لأنهم لو قالوا، نعم لكان بمنزلة قولهم أنت خير وكيف كان فغرضه من هذا الكلام الإهانة والإستخفاف بموسى لأن المهانة الضعف والذل وقيل الفقر ومن كان ضعيفاً حقيراً لا يقدر على التكلم على وجه الفصاحة فلا قدرة له بزعم فرعون ومن تبعه إلى يوم القيامة، وحق لهم أن يقولوا ذلك لأنهم لم يعرفوا الإنسان وزعموا أن العزة والشرف في المال والجاه والأولاد والشهرة والأتباع وأمثال ذلك من العناوين العرفية التي لا بقاء لها ولا إعتبار.

قال أمير المؤمنين في نهج البلاغة:

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى ابْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَذَارِعُ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا الْيَصِيُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ خَالِ الْفَقْرِ وَالذَّلِّ فَهَلَّا أَلْقَى عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ.

قوله عليه السلام: وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَأَنْبِيَانِيهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبَانِ وَمَعَادِنِ الْعِيقَانِ وَمَعَارِسِ الْجَنَانِ وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِينَ لَفَعَلَ وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ وَبَطَلَ الْجَزَاءُ وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ وَلَمَّا وَجَبَ لِلْقَائِلِينَ أَجُورُ الْمُبْتَلِينَ وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُخْسِنِينَ وَلَا لَزِمَتْ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيَتِهَا وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أَوْلَى قُوَّةٍ فِي غَزَائِهِمْ وَضَعْفَةٍ فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ خَالَاتِهِمْ مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونُ غِنًى وَخَصَاصَةً تَمْلَأُ الْأَبْصَارَ الْأَسْمَاعَ أَذًى.

فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ أَسْوَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ  
أسورة جمع سوار، وقرأ بعضهم (أساوره) بألف، وهي جمع، أسورة، و  
أسورة جمع سوار، وهو الذي يلبس في اليد أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ  
مُقْتَرِنِينَ يعني متتابعين على قول قتادة.

و قال مجاهد، أي يمشون معه، و قال ابن عباس أي يعاونونه على من خالفه و  
المعنى هلاً ضم إليه الملائكة التي يزعم أنها عند ربّه حتّى يتكثّر بهم و يصرفهم  
على أمره و نهيه فيكون ذلك أهيب في القلوب قيل أنّ فرعون أوهم قومه أنّ رسل  
الله ينبغي أن يكونوا كرسل الملوك في الشاهد ولم يعلم أنّ رسل الله أنما أيدوا



بالجنود السماوية وكل عاقل يعلم أن حفظ الله موسى مع تفرده و وحدته من  
 فرعون مع كثرة أتباعه وإمداد موسى بالعصى واليد البيضاء كان أبلغ من أن يكون  
 له أسورة أو ملائكة يكونون معه أعواناً في قول مقاتل أو دليلاً على صدقه في قول  
 الكلبي وليس يلزم هذا لأن الإعجاز كاف وقد كان في الجائز أن يكذب مع مجي  
 الملائكة كما كذب مع ظهور الآيات وذكر فرعون الملائكة حكاية عن لفظ  
 موسى لأنه لا يؤمن بالملائكة من لا يعرف خالقهم إنتهى ما ذكره.

### فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ

يقال و أستخفه أي حملة على الجهل، و قيل أستخف قومه أي وجدهم  
 خفاف العقول و تقدير الكلام أنه وجد قومه خفاف العقول فدعاهم إلى الغواية  
 فأطاعوه.

و قيل أستخف قومه و قهرهم حتى أتبعوه، و قيل أستخف به إذا أهانه، و  
 حاصل معنى الآية أن فرعون وجد قومه خفاف العقول فأدعى الربوبية فأطاعوه  
 على ما دعاهم إليه و قالوا برَّبوبيته إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ أي خارجين عن  
 طاعة الله أو خارجين عن طاعة العقل، و فى الآية إشارة إلى أن الإعراض عن  
 الحق و الإقبال إلى الباطل و قبول دعوة شياطين الجن و الإنس  
 مشروطاً بالحمافة و الجهل، و هذا لا يختص بقوم فرعون و مصر، بل هو سيرة  
 مستمرة من صدر الخلقة إلى زماننا هذا فأف الفراغة كثيرة و الجهال و الحمقاء  
 أيضاً كذلك إلا أن الدعاة إلى الباطل مختلفة الأسماء فمنهم من سمي بفرعون و  
 نمرود و منهم من سمي بمعاوية و يزيد و عبد الملك و السفاح و المنصور و  
 أمثالهم:

عبارتنا شتى و حسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير

و ملخص الكلام هو أن خفة العقول و الجهل في العوام بمنزلة القابلية للمعلول

في تأثره من العلة وهذا هو الأصل في تسلُّط الأشرار على الأخيار والصلحاء و  
إشاعة الفساد والفحشاء وإمامة المعروف ورواج المنكرات كما نشاهده في  
زماننا هذا أعادنا الله من شرورهم.

### فَلَمَّا أَسْفَوْنَا أَتَيْنَهُمْ مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ

أي فلما غاضونا وأغضبونا، وقيل أي أسخطونا، والمقصود لما أتممنا عليهم  
الحجة بإرسال النبي وأقمنا الدلائل والبراهين الدالة على التوحيد بواسطة نبينا  
موسى، من اليد البيضاء، والعصى، وغيرهما من الآيات على ما مرَّ بيانه، ولم  
يقبلوا قول النبي ولم يؤمنوا بالله و نكثوا عهدهم، فلا جرم أهلكناهم وأغرقناهم  
في البحر وجعلناهم عبرة لمن اعتبر بهم:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يسمَى بمكة سامرٌ  
وليس جزاء الظالم المعاند المعرض عن الحق، إلا الموت بأقبح الوجوه في  
الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة وما ربك بظلام للعبيد:

قال الله تعالى: حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ  
بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ<sup>(١)</sup>.

إلا أن جبرئيل أخذ كفًا من حمأة البحر و ضرب به على فمه:

قال الله تعالى: الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ  
نُنَجِّكَ بِيَدِنَا لِنَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا  
لَغَافِلُونَ<sup>(٢)</sup>.

وقد مرَّ تفسير الآيات في سورة يونس وينبغي أن يعتبر الاعتبار بها ويعلم أن  
الله شديد العقاب مع أن رحمته وسعت كل شيء، إلا أنه الاعتبار قليل، و قليل من  
عبادي الشكور، اللهم إجعلنا من الشاكرين المعتبرين بحق محمد وآله الطاهرين.

وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ.



وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ  
يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا  
ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ  
(٥٨) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ  
مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ (٥٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا  
مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ (٦٠) وَإِنَّهُ  
لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَذَا  
صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَا يَصُدَّكُمْ الشَّيْطَانُ  
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٢) وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى  
بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَ لِأَبِينَ  
لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ  
أَطِيعُوا (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ  
فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٤) فَاخْتَلَفَ  
الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ  
عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ (٦٥) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ  
أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٦)  
الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا  
الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَ  
لَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَ  
كَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَ  
أَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ  
بَصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَ أَكْوَابٍ وَ فِيهَا مَا

تَشْتَهِيهِ الْآنَفُسُ وَ تَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَ أَنْتُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ (٧١) وَ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا  
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ  
مِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ  
جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِيهِ  
مُبْلِسُونَ (٧٥) وَ مَا ظَلَمْنَاهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا هُمْ  
الظَّالِمِينَ (٧٦) وَ نَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا  
رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ  
بِالْحَقِّ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) أَمْ  
أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا  
لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَ نَجْوَاهُمْ بَلَى وَ رُسُلُنَا  
لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠) قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ  
فَأَنَّا أَوَّلُ الْغَائِبِينَ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ  
السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا  
يَصِفُونَ (٨٢) فَذَرَهُمْ يَخْوَضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتَّى  
يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ (٨٣) وَ هُوَ  
الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَ هُوَ  
الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤) وَ تَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ  
السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ عِنْدَهُ  
عِلْمُ السَّاعَةِ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥) وَ لَا يَمْلِكُ  
الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ  
شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ

مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٨٧) وَ  
 قِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (٨٨)  
 فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٨٩)

### ◀ اللِّغَةُ

يَصِدُّونَ: الصَّد المنع.

تَمَثَّرْنَ: أي لا تشكَّونَ، و المرية الشك.

الْأَخِلَاءُ: هو جمع خليل مثل أطباء جمع طبيب.

بِعُتَّةٍ: البعثة الفجأة.

بِصَحَافٍ: هي جمع صحيفة و هي الجامات التي يؤكل فيها ألوان الأطعمة.

أَكْوَابٍ: بفتح الألف جمع كوب، قيل هو إناء على صورة الإبريق لا أذن له ولا  
 خرطوم.

مُيْلَسُونَ: أي يائسون من رحمة الله و لذلك يقال للشيطان إبليس.

مُبْرُمُونَ: الإبرام، الإحكام، يقال أبرموا، أي أحكموا.

يُؤْفَكُونَ: الإفك الإنصراف و الانقلاب يقال، أفكه، إذا صرفه.

فَاصْفَحْ: الصَّفح العفو.

### ◀ الإِعْرَابُ

مَثَلًا هو مفعول ثان (جعل مثلاً) و قيل هو حال أي ذكر ممثلاً به أَنْ تَأْتِيَهُمْ  
 هو بدل من الساعة بدل الإشتمال لَا يُفَقَّرُ عَنْهُمْ هي حال أو خبر ثان إِنَّ كَانَ  
 لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ إن بمعنى، ما، و قيل هي شرطية أي إن قلت ذلك وَ هُوَ الَّذِي فِي

السَّمَاءِ إِلَهُ صَلَ، الَّذِي لَا تَكُون إِلَّا جَمْلَةً وَ التَّقْدِير هُنَا، وَ هُوَ الَّذِي هُوَ إِلَه فِي السَّمَاءِ، وَ فِي، مَتَّعِلَقَةً بِإِلَه، أَي مَعْبُودٌ فِي السَّمَاءِ وَ مَعْبُودٌ فِي الْأَرْضِ وَ قِيلَهُ بِالنَّصْبِ وَ فِيهِ أَوْجَه:

أحدها: أَنْ يَكُون مَعْطُوفًا عَلَى سَرِّهِمْ أَي يَعْلَم سَرِّهِمْ وَ قِيلَهُ.  
 الثَّانِي: أَنْ يَكُون مَعْطُوفًا عَلَى مَوْضِع السَّاعَةِ أَي وَ عِنْدَهُ أَنْ يَعْلَم السَّاعَةَ وَ قِيلَهُ.  
 الثَّالِث: أَنْ يَكُون مَنْصُوبًا عَلَى الْمَصْدَرِ أَي وَ قَالَ قِيلَهُ، وَ يَقْرَأُ بِالرَّفْعِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ يَا رَبِّ خَبْرَهُ وَ قِيلَ الْخَبَرُ مَحْذُوفٌ أَي قِيلَهُ يَا رَبِّ مَسْمُوعٌ أَوْ مَجَابٍ وَ قَرِيٌّ بِالْجَرِّ عَطْفًا عَلَى لَفْظِ السَّاعَةِ.

### ◀ التفسير

وَلَمَّا ضَرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ

اختلفوا في سبب نزول الآية على قولين:

أحدهما: مَا اخْتَارَهُ قِتَادَةُ وَ مُجَاهِدٌ وَ هُوَ أَنَّهُ لَمَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَ سَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ<sup>(١)</sup> مَضَى تَفْسِيرُهَا تَعَلَّقَ الْمُشْرِكُونَ بِأَمْرِ عِيسَى وَ قَالُوا مَا يَرِيدُ مُحَمَّدٌ إِلَّا أَنْ نَعْبُدَهُ (نَتَّخِذَهُ إِلَهًا) كَمَا اتَّخَذَتِ النَّصَارَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ إِلَهًا وَ ذَلِكَ أَنَّ قَرِيشًا قَالَتْ إِنَّ مُحَمَّدًا يَرِيدُ أَنْ نَعْبُدَهُ كَمَا عَبَدَ قَوْمُ عِيسَى فَانْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ.

الثَّانِي: مَا اخْتَارَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ هُوَ أَنَّهُ أَرَادَ بِالْآيَةِ مَنَاطِرَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي شَأْنِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ أَنَّ الضَّارِبَ لِهَذَا الْمَثَلِ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ السَّهْمِيُّ حَالَةَ كُفْرِهِ لَمَّا قَالَتْ لَهُ قَرِيشٌ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ يَتْلُو إِلَهُكُمْ وَ مَا

في القرآن  
بمفسر  
القرآن



المجلد الخامس  
في تفسير القرآن

تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ<sup>(١)</sup> فقال لو حضرته لرددت عليه قالوا وما كنت تقول له، قال كنت أقول له هذا المسيح تعبدونه النصارى و اليهود تعبدون عزيزاً، أفهما من حصب جهنم فعجبت قريش من مقالته و رأوه أنه قد خصم، و ذلك معنى قوله: يَصِدُّونَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ<sup>(٢)</sup>.

أقول يظهر من هذه القصة على فرض صحتها أن ابن الزبيرى كان جاهلاً بالعربية و نقاطها و دقائقها و ذلك لإتفاق علماء الأداب على أن كلمة، ما، حيث تستعمل يراد بها غير ذوي العقول كما أن كلمة، من، لذوي العقول و الآية التي إستدل بها على مدعاه فيها كلمة، ما، دون، من، و على هذا فالمراد بقوله تعالى: وَ مَا تَعْبُدُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ غَيْرِ ذَوِي الْعُقُولِ وَ هُوَ الْأَصْنَامُ وَ الْأَوْثَانُ فلا تشمل عيسى و لا عزيزاً، و من كان جهله بهذه المثابة كيف يناظر النبي فضلاً عن كلام الله.

و أيضاً روي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لقريش لا خير في أحدٍ يعبد من دون الله، قالوا أليس تزعم أن عيسى عليه السلام كان عبداً نبياً و عبداً صالحاً فإن كان كما تزعم فقد كان يعبد من دون الله فأنزل الله تعالى: وَ لَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ أَي يَضْجُونَ كضجيج الإبل عند حمل الأثقال.

و قرأ نافع و ابن عمر و الكسائي و يصدون، بضم الصاد، و معناه يعرضون و كسر الباقون الصاد و هى المشهور و عليها المصاحف. و قال الكسائي هما لغتان مثل، يعرشون، و يعرشون، و معناه يَضْجُونَ و به قال صاحب الكشاف أيضاً و قال مثل يعكف و يعكف.



وقال بعض المفسرين في تفسير الآية المراد بذلك لما ضرب الله المسيح مثلاً بأدم في قوله: **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ** <sup>(١)</sup>.  
 اعترض على النبي ﷺ قوم من كفار قريش فأنزل الله تعالى هذه الآية ووجه الإحتجاج في شبه المسيح بأدم، أن الذي قدر أن ينشئ أدم من غير ذكرٍ قادرٌ على إنشاء المسيح من غير ذكرٍ فلا وجه لإستنكاره من هذا الوجه لما ذكر المسيح بالبراءة من الفحشاء وأنه كأدم في الخلقة فقالوا هذا يقتضي أن نعبده كما عبده النصارى هذا ما ذكروه في شأن نزول الآية و تفسيرها و لكل من الوجوه وجهٌ وجيه.

### تنبيه

روى العامة و الخاصة عن النبي ﷺ أنه قال لعلي: **لولا أُنِّي أخاف أن يقال فيك ما قالت النصارى في عيسى عليه السلام لقلت فيك قولاً لا تمر إلا أخذوا التراب من تحت قدميك**.

أنكر ذلك جملة من المنافقين و قالوا لم يرض أن يضرب له مثلاً إلا بالمسيح فأنزل الله الآية.

**أقول** هذا من أحسن الأقوال في وجه نزول الآية إلا أن المعاندين لا يقبلونه و أن كان حقاً و الدليل على أنه حق أنه تعالى قال في آخر الآية **إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ** أي يضجّون كضجيج الإبل عند حمل الأثقال.

و من المعلوم أن الضجّة من قريش في إثبات فضيلة للمسيح و غيره من الأنبياء لا معنى له و أما بالنسبة إلى أهل البيت و لا سيّما أمير المؤمنين فهو أثقل عليهم من حمل الأثقال و الجبال و لذلك إجتمعوا على غصب ماله و حقّه بعد موت الرسول ﷺ مع أن الخلافة كانت حقّه عقلاً و نقلاً و الله أعلم.

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ

أي قال الكفار لرسول الله ﷺ ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ أي أم عيسى عندك يا محمد وبعبارة أخرى أن ألهتنا عندك ليس بخير من عيسى عليه السلام وإذا كان عيسى حصب جهنم، كان أمر ألهتنا هيناً، فقال تعالى لنبيه: مَا ضَرَبُوهُ، أي ما ضربوا هذا المثل إلا لأجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب الميز بين الحق والباطل.

بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ أي شديد الخصومة دأبهم اللجاج وذلك لأن الله تعالى أراد (بما) في ما تعبدون، غير ذوي العقول من الأصنام والأوثان، وقد مرَّ الكلام فيه.

والحاصل أنهم يقولون ولا يعلمون ما يقولون وأما غرضهم الجدل والعناد ومن كان كذلك لا يليق أن يجاب ثم أشار الله تعالى إلى مقام عيسى ومنزلته عند الله فقال:

إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ

إن، نافية بمعنى، ليس، وهو، راجع على عيسى وإن شئت قلت راجع على ابن مريم أي ليس ابن مريم إلا عبدٌ من عبادنا الصالحين وقد أنعمنا عليه بنعمة الرسالة وجعلناه مثلاً، أي موعظةً وعبرةً لهم يعتبرون به ويتعظون به، وصف الله تعالى رسوله بأوصاف ثلاثة:

أحدها: العبودية.

ثانيها: أنعم الله عليه.

ثالثها: أنه تعالى جعله مثلاً لبني إسرائيل، ولعمري أن هذه الأوصاف من أحسن الأوصاف بحيث لا يوجد وصفٌ فوقها.

أولها: العبودية وإليها الإشارة بقوله عبدٌ من عبادنا الصالحين وأما قيد

عبوديته بالصّلاح لأنّ العبد في اللّغة يطلق على كلّ بشرٍ خلقه الله فكلّ النّاس عبدٌ له من هذه الجهة و أمّا العبد المتّصف بالصّلاح فهو لا يطلق إلّا على من كان كذلك و لذلك نقول أنّه لا مقام فوق مقام العبوديّة بهذا المعنى و قد إتّفقوا على أنّها فوق مقام التّوبة و الرّسالة فضلاً عن غيرهما من المقامات وصف الله نبيّه الخاتم به و قال: **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَلَمْ يَلْ يَلْبَسْهُ أَوْ رَسُولَهُ** و هذا ممّا لا كلام فيه.

**ثانيها:** وصفه بأنّ الله أنعم عليه بالرّسالة و التّوبة و آية نعمة فوق الرّسالة و هذا يدلّ على قابليّته لتلك النّعمة الجليلة العظيمة.

**ثالثها:** وصفه بأنّه مثلّ لبني إسرائيل أي موعظة و عبرة ليعتبروا بها على قول المفسّرين لأنّ الله تعالى خلقه من غير أبٍ من جنس البشر و أنّه تكلم في المهد و أقرّ بجميع الأوصاف المذكورة فيه كما حكى الله تعالى عنه بقوله: **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا** <sup>(١)</sup>.

ففي قوله: **إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ** إقرار بالعبوديّة و في قوله **آتَانِيَ الْكِتَابَ** و جعلني نبياً، إقرار بالنّعمة، و في تكلمه في المهد و هو صبيّ إشارة بكونه مثلاً لبني إسرائيل أي أنّه مثلّ للحقّ أي مظهرٌ كامل لقدرته تعالى و عظمته و إذا كان المسيح لا يستنكف أن يكون عبداً لله تعالى فما يقولون هؤلاء الجهال الذين يعبدونه.

إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ  
آتَانِيَ الْكِتَابَ  
و جَعَلَنِي نَبِيًّا

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

**وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ**

أي لو نشاء لجعلنا منكم، أي بدلاً منكم معاشر بني آدم، ملائكة في الأرض يكونون خلفاً عنكم غير أنّه تعالى أنشأ بني آدم لإسباق النّعمة عليهم. قيل المقصود من هذا الكلام أنّه ليس في إسكاننا الملائكة في السّماء شرفٌ

حَتَّى يَعْبُدُوا أَوْ يُقَالَ لَهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ.

وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ  
إختلف المفسرون في مرجع الضمير في (أنه) فقال قوم أنه راجع الى  
عيسى عليه السلام ظهوره يعلم به مجيء الساعة لأنه من أشراتها و هو قول ابن عباس و  
مجاهد و قتادة و غيرهم.

و قال قوم أن الضمير يعود الى القرآن يعلمكم بقيامها و يخبركم عنها و عن  
أحوالها، و إختار في الكشف أولهما و قال: لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ أي شرط من أشراتها  
تعلم به فسمى الشرط علماً لحصول العلم به و قرأ ابن عباس (لعلم للساعة) و هو  
العلامة، و قرئ، للعلم، و قرأ أبي (لذكر) على تسميته ما يذكر به ذكرًا كما يسمى ما  
يعلم به علماً و نقل في آخر كلامه قول الثاني و هو أنه القرآن إنتهى كلامه.  
أقول الظاهر أن الضمير راجع على عيسى لتقدم ذكره في الآية السابقة و أنه لا  
شك في أن نزول عيسى من أشرط الساعة و هذا بإجماع المفسرين.

فقد روى الزمخشري من طريق العامة في ذلك حديثاً في تفسيره قال الحديث  
أن عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها، أفيق، و عليه مصرتان و  
شعر رأسه دهين و بيده حربة و بها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس و الناس في  
صلاة الصبح و الإمام يؤم بهم فيتأخر الإمام فيتقدمه عيسى و يصلي خلفه على  
شريعة محمد ﷺ ثم يقتل الخنازير و يكسر الصليب و يخرب البيع و  
الكنائس و يقتل النصارى إلا من آمن به إنتهى حديثه و كلامه.

أقول نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان مما لا خلاف فيه عند المسلمين و أما  
الحديث الذي رواه الزمخشري في المقام فألفاظه و ما ذكر فيه من المطالب تنادي  
بأعلى صوتها أنه من الموضوعات التي وضعها أبو هريرة و أنس و أمثالهما من

الكذابين الوضاعين من عند أنفسهم و الزمخشري نقله و لم يقل من أين نقله و ممن نقله، بل قال و في الحديث، نعم ذكره القرطبي في تفسيره و نسبه الى أبي هريرة عن النبي ﷺ و لم يعلم أن النبي مع علمه و فصاحته في الكلام أجل شأنًا من هذا الكلمات و للبحث فيه مقام آخر.

و الذي نقول به في المقام أن نزول عيسى من أشراف الساعة و هذا القدر مما لا خلاف فيه و أما كيفية النزول و ما يتعلق به فهو خارج عن موضع الكتاب و له مقام آخر.

و أما قوله: فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا فَالْمَرِيَّةُ الشَّكُّ أَي لَا تَشْكُونُ فِيهَا وَ أَتَّبِعُونَ أَي وَ أَتَّبِعُوا هُدَايَ وَ شَرْعِي أَوْ رَسُولِي، و قيل هذا أمرٌ لرسول الله ﷺ أن يقول للأمة لَا تَشْكُونُ فِي السَّاعَةِ وَ أَتَّبِعُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

وَ لَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ  
الصَّدَّ الْمَنْعُ أَي لَا يَمْنَعُكُمُ الشَّيْطَانُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ أَنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ ظَاهِرٌ، لَا خِفَاءَ فِيهِ.

وَ لَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَ لِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونَ

نبي الله عيسى عليه السلام هو من أولى العزم الخمسة، أولهم نوح و ثانيهم إبراهيم و ثالثهم موسى و رابعهم عيسى و خامسهم محمد ﷺ و هو أفضلهم و أشرفهم و أكملهم صلوات الله عليهم أجمعين، و أمه مريم ابنة عمران من نسل النبي سليمان ابن داود ثم أنه لما بعث أتاه الله من المعجزات و الكرامات و خوارق العادات و الحكم و المواعظ و غيرها، من احياء الموتى و إبراء الأكمه و الأبرص و الأسقام كلها ما لم يجعل لغيره في زمانه و هذا هو المراد بالبينات في الآية: قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ أَي قَالَ عيسى لبني إسرائيل قد جئتكم بالحكمة و

في القرآن في تفسير

جزء ٢٥

الجلد الثاني

المواعظ الحسنة وَ لَا يُبَيِّنْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ قِيلَ المراد بالبعض ها هنا الكلَّ كَأَنَّهُ قَالَ وَ لَا يُبَيِّنْ لَكُمْ جميع ما تختلفون فيه.

و قِيلَ المراد بالبعض، يعني أمر دينكم دون أمر دنياكم، و قيل معناه لأبَيِّنْ لَكُمْ في الإنجيل بعض الَّذِي تختلفون فيه من تبديل التَّوراة و قيل غير ذلك.

أقول الآية لا تحتاج الى هذه التكلِّفات و ذلك لأنَّ الإختلاف في الأحكام بعد موت موسى في بني إسرائيل كان في بعضها لا في جميعها و عليه فمعنى الكلام لأبَيِّنْ لَكُمْ بعض الأحكام المختلف فيه و أمَّا الأحكام الَّتِي لا إختلاف فيها فلا نحتاج الى البيان لأنَّه من تحصيل الحاصل و أمَّا قوله: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا نِيَّانِي فَأَجْتَنِّبُوا الْمَعَاصِيَ وَ أَفْعَلُوا الطَّاعَاتِ وَ أَطِيعُوا نِيَّانِي فَمَا أَمَرَكُم بِهِ وَ أَنْهَيْكُم عَنْهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا نِيَّانِي عَصِيَانِي فَمَا آتَاكُم الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا.

إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ

ثمَّ أمر عيسى عليه السلام أتباعه و قال لهم أُنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَاعْبُدُوهُ أَدَاءً لِحَقِّ شُكْرِ الْمَنِّعِ الَّذِي يَحْكُمُ الْعَقْلَ بِوَجُوبِهِ وَ هَذَا أَيُّ عِبَادَةِ اللَّهِ هِيَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي لَا عِوَجَ فِيهِ يَقْضِي بِكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَ ثَوَابِ اللَّهِ.

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَوْمِ

الأحزاب جمع حزب قيل المراد بالأحزاب اليهود و النَّصارى.

و قال قتادة يعني الفرق الَّذِينَ تَحَزَّبُوا فِي أَمْرِ عِيسَى فَقَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ ابْنُ اللَّهِ وَ قَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ اللَّهُ وَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْعَقَائِدِ الْبَاطِلَةِ وَ لِذَلِكَ هَدَّاهُمُ اللَّهُ وَ خَوَّفَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ الْمَوْثِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ لَمَّا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ وَ جَعَلُوا عِيسَى عليه السلام إِبْنَهُ.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

النَّظَرُ هُنَا الْإِنْتِظَارُ أَيُّ هَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ وَ الْأَسْتِفْهَامُ لِلإِنْكَارِ وَ التَّوْبِيخُ أَيُّ لَا يَنْتَظِرُونَ هَؤُلَاءِ الْأَحْزَابُ الَّذِينَ إِخْتَلَفُوا فِي عَيْسَى إِلَّا السَّاعَةَ وَ هِيَ الْقِيَامَةُ، سَمِيَتِ الْقِيَامَةُ السَّاعَةَ لِقَرَبِ أَمْرِهَا لِأَنَّهَا تَكُونُ فِي سَاعَةٍ وَ فِي قَوْلِهِ: تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْمَكْلَفَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ لَا يَغْفَلَ عَنِ الْمَوْتِ وَ الْحِسَابِ بَعْدَهُ فَإِنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي بَغْتَةً أَيُّ فِي حَالِ الْغَفْلَةِ وَ عَدَمِ التَّوَجُّهِ إِلَيْهِ.

الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ

الْأَخِلَاءُ جَمْعُ خَلِيلٍ، حَكَّمَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ أَنَّ الْأَخِلَاءَ وَ الْأَصْدِقَاءَ فِي الدُّنْيَا، بَعْضُهُمْ لِبَعْضِهِمْ عَدُوٌّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ اسْتَشْنَى مِنْهُمْ الْمُتَّقِينَ فَأَنْهَاهُمْ لَيْسُوا كَذَلِكَ وَ تَوْضِيحُ الْكَلَامِ أَنَّ الْخَلَّةَ تَارَةً تَكُونُ فِي الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ، وَ أُخْرَى تَكُونُ فِي الدُّنْيَا لِأَجْلِ الْآخِرَةِ فَهِيَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، فَالْخَلَّةُ بِالْمَعْنَى الْأَوَّلِ تَنْقَلِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْعَدَاوَةِ وَ الْبَغْضَاءِ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرَى الذَّنْبَ لِصَاحِبِهِ وَ يَقُولُ لَهُ أَنْتَ الَّذِي أَوْقَعْتَنِي فِي الْعَذَابِ. وَ أَمَّا الْخَلَّةُ بِالْمَعْنَى الثَّانِي وَ هُوَ أَنْ تَكُونَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَلَيْسَتْ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْخَلِيلِينَ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْجَنَّةِ.

يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ

يَا عِبَادِ بِكسر الدَّالِّ وَ الْأَصْلُ فِيهِ يَا عِبَادِي حَذَفَتِ الْيَاءَ بِحَرْفِ النِّدَاءِ وَ بَقِيَتِ الْكُسْرَةُ لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهِ ( وَلَا )، فِي لَا خَوْفٍ، لِنَفْيِ الْجَنَسِ، وَ الْيَوْمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَ الْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لَهُمْ أَيُّ لِلْمُتَّقِينَ، يَا عِبَادِي لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ، نَفَى اللَّهُ عَنْهُمْ جِنْسَ الْخَوْفِ أَيُّ نَوْعٍ كَانَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ نَفَى عَنْهُمْ الْحُزْنَ وَ الْغَمَّ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ وَ قَدْ رَوَى أَنَّ الْمَنَادِي يَنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ فَيَرْفَعُ الْخَلَائِقَ رُؤُسَهُمْ وَ يَقُولُونَ نَحْنُ عِبَادُ اللَّهِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْعِبَادَ

بكسر العين جمع عبد و العبد في اللغة يطلق على كل فرد من أفراد البشر ولذلك يرفعون رؤسهم و يقولون نحن عباد الله ولم يعلموا أَنَّ المراد بالعبد المأمون عن الخوف و الحزن هو عبدٌ عمل في الدنيا بوظائف عبوديته من الطاعة و ترك المعصية و لذلك ينادي المنادي ثانياً و يقول:

الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ

أي مطيعين منقادين لأوامر الله و نواهيه فهذه الآية ترفع الإبهام عن لفظ العبد و تخصّه بالمؤمن المطيع و فى الآية إشارة الى أَنَّ الإيمان مشروط بالعمل فأنَّ الإطاعة و الانقياد لا يتحققان إلا بالعمل و قد مرّ الكلام في معنى الإيمان و الإسلام و الفرق بينهما غير مرّة فيما مضى و أَنَّ الإيمان لا يتحقّق إلا بالعمل الصالح.

أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَ أَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ

أي للذين آمنوا بآياتنا و كانوا مسلمين، أدخلوا الجنة أنتم و أزواجكم اللاتي كنّ مؤمنات، و قيل المراد بالأزواج قرنائهم من المؤمنين، و قيل زوجاتكم من الحور العين تحبرون، أي تسرون، فيها و الحبور السُرور الذي يظهر في بشرة الوجه أثره.

و قال قتادة و ابن زيد، معناه، تنعمون، و قال السّدي، تكرمون.

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصُحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَ أَكْوَابٍ فِيهَا مَا تَشْتَهُيهِ  
الْأَنفُسُ وَ تَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَ أَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

بعد ما أمرهم الله بدخول الجنة أشار في هذه الآية و ما بعدها بما أنعم عليهم فيها فقال: يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصُحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَ أَكْوَابٍ قِيلَ الصحف الجامات التي يؤكل فيها ألوان الأطعمة واحدها صحفة، و الأكواب، إناء، على صورة الأبريق لا أذن له خرطوم كالكأس للشّراب.



وقال السّديّ الصحاف القصاع وأما الذّين يطوف بذلك الوصف الحور العين  
الذّين يخلفهم الله في الجنّة وقيل هم الغلمان وهذا بعض ما أنعم الله عليهم و  
لذلك قال: وَ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَ تَلَذُّ الْأَعْيُنُ أَي وفي الجنّة تُوجد  
جميع النّعم ممّا تشتهيهِ الأنفس من المأكولات والمشروبات و تَلَذُّ الأعين من  
رؤيته من القصور والأشجار والحور العين وغير ذلك وبالجملة التّعيش فيها تامّ  
من جميع الجهات ولا نقص فيه.  
قال أمير المؤمنين عليه السلام:

دَرَجَاتُ مُتَقَاعِصَاتٍ وَ مَنَازِلُ مُتَقَاوَنَاتٍ لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا وَ لَا يَطْعَنُ مُقِيمُهَا وَ  
لَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا وَ لَا يَبْأَسُ سَاكِنُهَا<sup>(١)</sup> الى اخر ما قال عليه السلام.

وسياتي الكلام منا في هذا الباب بوجه أبسط في المستقبل إن شاء الله تعالى.  
وقوله: وَ أَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ أَي لا تخرجون منها أبداً.

وَ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ  
في هذه الآية إشارة بل دلالة على أنّ الأعمال الصالحة في الدُّنيا تكون سبباً أو  
علة للدّخول فيها و التّنعيم بنعمها كذلك.

روي المجلسي عليه السلام في البحار عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول  
الله ﷺ لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا  
مَلَائِكَةً يَبْنُونَ لِبْنَةً مِنْ ذَهَبٍ وَ لِبْنَةً مِنْ فِضَّةٍ وَ رِبْمًا أَمْسَكُوا فَعَلَتْ  
لَهُمْ مَا بِالْكَفِّ رِبْمًا بَنَيْتُمْ وَ رِبْمًا أَمْسَكْتُمْ فَقَالُوا حَتَّى تَجِيئَنَا النُّفَقَةُ  
فَعَلَتْ لَهُمْ وَ مَا نَفَقْتُمْ فَقَالُوا قَوْلَ الْمُؤْمِنِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ  
وَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ اللَّهُ أَكْبَرُ، إِذَا قَالَ بَنَيْنَا وَإِذَا أَمْسَكَ أَمْكَسْنَا

فيما، القرآن في تفسير

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

إِنْتَهَى<sup>(١)</sup>.

و في قوله: **أُورِثْتُمُوهَا** إشارة الى أَنَّ الْجَنَّةَ ومقاماتها يرثها المتقي فلقائل أن يقول مِمَّنْ يرثها، والإرث عبارة عن إنتقال المال الى شخص آخر بسبب الموت حتَّى أَنَّ الإنتقال في الحياة لا يطلق عليه الإرث بل لا بدَّ في إطلاق الإرث من الموت وإذا كان كذلك فكيف أطلق في الآية على الجنة التي أعطاهها الله المؤمن بسبب أعماله الإرث وعبارة أخرى الآية تدلَّ على أَنَّ الجنةَ ونعيمها مسببة عن العمل الصالح لقوله: **يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** فَأَنَّ الباءَ للسَّبَبِ، وهذا ينافي الإرث الذي يحصل للإنسان بعد موت المورث ولا دخل للعمل فيه ولا ليس التعبير بالوراثة بهذه الآية.

قال الله تعالى: **الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**<sup>(٢)</sup>.قال الله تعالى: **تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا**<sup>(٣)</sup>.قال الله تعالى: **وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**<sup>(٤)</sup>.قال الله تعالى: **وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ**<sup>(٥)</sup>.

وحاصل الكلام في هذه الآيات أَنَّهُ ما الوجه في التعبير بالميراث عن الجنة و نعيمها.

والجواب يظهر من حديثٍ رواه في البحار بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال عليه السلام: ما خلق الله خلقاً إلا جعل له في الجنة منزلاً وفي النار منزلاً فإذا سكن أهل الجنة وأهل النار النار، نادى مناد يا أهل الجنة أشرفوا فيشرفون على أهل النار وترفع لهم منازلهم في النار ثم يقال لهم هذه منازلكم التي لو عصيتم ربكم دخلتموها

قال عليه السلام: فلو أنّ أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة في ذلك اليوم فرحاً لما صرف عنهم العذاب، ثمّ ينادون يا معشر أهل النار ارفعوا رؤسكم فانظروا الى منازلكم في الجنة وما فيها من النعيم يقال لهم هذه منازلكم التي لو أطعتم ربكم دخلتموها قال عليه السلام: فلو أنّ أحداً مات حزناً لمات أهل النار ذلك اليوم حزناً فيورث هؤلاء منازل هؤلاء و هؤلاء منازل هؤلاء و ذلك قول الله عزّ وجلّ: **أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفُرُودَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** إنتهى<sup>(١)</sup>.

و أنا أقول لم يتنبه المفسرون من العامة والخاصة إلى هذا الإشكال الذي أشرنا إليه و الجواب عنه و الإنصاف عن الجواب عنه صعبٌ مستصعب و لولا الحديث الذي ذكرناه لا تقدر على الجواب و لا يبعد أن يكون سكوت المفسرين عن الإشكال هو عجزهم عن الجواب و لذلك سكتوا عنه ثمّ أنظر إلى أهل البيت عليهم السلام كيف فسّروا كلام الله و عند التأمل فيما ذكرناه تعلم صدق كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حيث قال: **أنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي أهل بيتي، الحديث.**

و لم جعلهم الله الراسخين في العلم و أمرنا بإتباعهم و الإستمداد منهم في حلّ مشكلات القرآن سلام الله عليهم أجمعين.

**لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ**

أي لكم في الجنة فاكهة كثيرة لا حدّ لها و لا يمكن إحصاؤها منها تأكلون، ثمّ بعد ذلك أشار الله إلى أحوال المجرمين فقال:

**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ، لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِيهِ**

في آيات القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

## مُبْلِسُونَ

المُجْرِم بضم الميم من إرتكب الجرم أعني به معصية الله تعالى أخبر الله تعالى في الآية أَنَّ المجرمين العاصين في عذاب جهنم خالدين فيها أبداً كما أَنَّ المطيعين في الجنة خالدين فيها والفرق أَنَّ المجرمين في العذاب والمطيعين في الجنة فأختر أيها المكلف ما شئت منهما.

وفي قوله: لَا يُقْتَرُّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ أصل الفتور ضعف الحرارة والإبلاس اليأس من رحمة الله بتخفيف العذاب عنهم والمعنى أَنَّ عذابهم لا يفتر ولا يضعف بل هو على ما كان ولا رجاء لهم برفع العذاب عنهم سمي الشيطان بإبليس لأنه لا يرجو رحمة الله أي مأیوس عنها.

## وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ

أي ما ظلمناهم في دخول النار ولكن كانوا ظلموا أنفسهم بسبب إرتكابهم المعاصي التي صارت باعثة على العذاب بإختيارهم وسوء سريرتهم أما أَنَّ الله لم يظلم لأن الظلم التعدي قبيح على الله وهو منزلة عن إرتكاب القبيح.

وأن شئت قلت الظلم وضع الشيء في غير محله كما أَنَّ العدل وضعه في محله وحيث قد ثبت أَنَّ العذاب مسبب عن الأعمال والعمل يصدر عن المكلف بإختياره فهو سلط العذاب على نفسه بإختياره إذ المفروض أَنَّهُ كان قادراً على ترك المعصية وفعل الطاعة ففي الحقيقة لم يعذبه الله بل عذبه عمله فهو أي العبد ظالم على نفسه والله تعالى بريء منه وذلك واضح.

فإن قلت أَنَّ الله تعالى خلق النار وأمر بإلقاء فيها، لا هو نفسه فكيف يقال أَنَّ العبد ظالم والله الذي ألقاه في النار ليس بظالم.

قلت أنما ألقاه في النار عمله الذي كان سبباً له فإذا وجد السبب وجد المسبب والله تعالى خلق دار الجزاء إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً وخلق العبد وأعطاه العقل و

هو نبيّ الباطن وأرسل الرسول وهو نبيّ الظاهر ثم كلف المكلّف وجعله مختاراً في فعله وحكم بأنّ هذا الجزاء يترتب على هذا الفعل فللمكلّف أن لا يفعل الفعل الباعث على دخول النار وفي المثل جعل الله القصاص على قتل العمد وأعلم المكلّف بذلك بواسطة النبي ولم يجبر المكلّف على القتل فإذا ارتكب القتل في حال الإختيار بسوء سريره يقتل لا محالة قصاصاً يجوز على العاقل أن يقول أنّ الله ظلمني حيث حكم بقتلي وهذا ظاهر.

### و نَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ

أخبر الله في هذه الآية أنّ المجرمين من شدة العذاب يلتمحون إلى مالك خازن جهنّم ويقولون له يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ أي أدع ربك أن يحكم فينا، إمّا بالموت وإمّا بالخروج منها ولم يعلموا أنّ الموت ليس هناك والخروج منها وأن كان ممكناً إلا أنّ الله حكم بخلودهم فيها ولذلك يجيبهم مالك ويقول لهم أنكم ما كنتم أي لا بشن.

إعلم أنّ المفسرين من العامة والخاصة فسّروا كلام الله لِيَقْضِ عَلَيْنَا أي ليقض علينا بالموت حتّى نتخلّص من العذاب وأما نحن فسّرنا الكلام بغير ما فسّروه وقلنا ليقض علينا إمّا بالموت وإمّا بالخروج منها ولم نخصّ القضاء بالموت فقط، وذلك لأنّ القضاء ليس بمعنى الموت ولا يراد به الموت فقط وتوضيحه إجمالاً:

أنّ القضاء الحكم والحكم في حقّ المجرم تارة يكون بالموت وأخرى برفع التهمة والخلاص من السجن مثلاً، فإذا كان المجرم محكوماً بالحبس وكان المحبس عذاباً له وإستدعى من القاضي الحكم في حقّه من شدة العذاب ليس معناه أن يحكم عليه بالموت بل معناه أن يحكم عليه بالفرج من المحبس إمّا بالموت وإمّا بالخلاص من الحبس والعذاب فتخصيص القضاء في الآية بالإماتة

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس

و هو قولهم أي ليميتنا حتى نتخلص من العذاب لا دليل عليه لا مكان التخلص  
 بغير الموت وهو إخراجهم عن النار وكونهم خالدين فيها لا ينافي إمكان الخروج  
 عقلاً إذا أراد الله و شاء و يمكن أن يستفاد هذا من جواب مالك لهم بقوله: إِنَّكُمْ  
 مَا كِثُونَ فَأَنَّ الْمِثَّ اللَّبَثُ يقال لبث بالمكان، أقام به ملازماً له، إلى ما شاء الله  
 تعالى و لذلك لم يقل في جوابهم لا  
 تخرجون، أولن تخرجوا، و قال: إِنَّكُمْ مَا كِثُونَ أي أنكم مقيمون فيها فعلاً إلى  
 ما شاء الله.

لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ

هذه الآية في الحقيقة بمنزلة التعليل للآية السابقة أي إذا قال المجرمون لم  
 أدخلتنا النار يقال لهم لقد جئناكم بالحق، أي أرسلنا إليكم رسلنا و أنزلنا الكتاب و  
 الميزان و دعوتكم إلى متابعة النبي فعصيتهم و أنكرتم الحق لكرهتكم إياه و من  
 كان كذلك فلا يلومن إلا نفسه فَأَنَّ الإعتذار بعد تمامية الحجة لا معنى له.

أَمْ أَبْرِمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ

قال مقاتل نزلت في تدبيرهم المكر بالنبي ﷺ في دار الندوة حين إستقر  
 أمرهم على ما أشار إليه أبو جهل عليهم أن يبرز من كل قبيلة رجل ليشركوا في  
 قتله فتضعف المطالبة بدمه فنزلت هذه الآية و قتل الله جميعهم بيدٍ و الإبرام  
 الإحكام يقال أبرموا الأمر إذا أحكموه.

و قال صاحب الكشاف، أم أبرموا، مشركوا مكة، أمراً من كيدهم و مكرهم  
 برسول الله، فَإِنَّا مبرمون، كيدنا كما أبرموا كيدهم إنتهى ما ذكره.

و لم يتعرض لكيدهم و لم يبينه و كيف كان فالأمر سهل بعد وضوح المعنى  
 فهو من قبيل:

قوله تعالى: وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ.

أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ  
يَكْتُبُونَ

و المعنى أم يحسبون هؤلاء الكفار، أننا لا نسمع سرهم و نجواهم، أي ما  
يسرون في أنفسهم و يتناجون به بينهم في الخلوات بلى و رُسُلْنَا و هم  
الملائكة الذين وكلهم الله على أولاد آدم ليكتبوا ما يقول العبد و ما يفعله و يعبر  
عنهم بالكرام الكاتبين، فأما ما يكتبونه هو المسمى بصحيفة الأعمال يوم القيامة.  
قال الله تعالى: **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَامًا كَاتِبِينَ** <sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: **فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ** <sup>(٢)</sup>.

و سيأتي الكلام فيه في موضعه إن شاء الله.

**قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ**

في تفسير الآية أقوال:

**أحدها:** أن العابدين بمعنى الأنفين و المعنى أن كان للرحمن ولد فأنا أول  
الأنفين من عبادته لأن من كان له ولد لا يكون إلا جسمًا محدثًا و من كان كذلك لا  
يستحق العبادة لأنه لا يقدر على النعم التي يستحق بها العبادة.

**الثاني:** ما قاله ابن زيد و أسلم و قتادة و هو أن (إن) في قوله: **إِنْ كَانَ** بمعنى،  
ما، التافية و تقديره ما كان لرحمن ولد، فأنا أول العابدين لله.

**الثالث:** هو أنه لو كان له ولد لعبده على ذلك كما تقول لو دعت الحكمة إلى  
عبادة غير الله لعبده لكنه لا تدعوا إلى عبادة غيره، و كما تقول لو دلّ الدليل على  
أن له ولد لقلت به، لكنه لا يدلّ فهذا تحقيق نفى الولد لأنه تعليق محالٍ بمحالٍ،  
إنتهى ما ذكره الشيخ رحمته الله في التبيان من الأقوال.

و أما سائر الأقوال فهو راجع إلى ما ذكرناه و نقلناه عنه و قد ذكر القرطبي في

في تفسير القرآن  
الأنفين من عبادته  
لأن من كان له ولد  
لا يكون إلا جسمًا  
محدثًا و من كان  
كذلك لا يستحق  
العبادة لأنه لا  
يقدر على النعم التي  
يستحق بها العبادة.

جزء ٢٥

الجلد  
العدد  
الكتاب

تفسير الآية أقوالاً كثيرة لا نحتاج إلى ذكرها لأنها ترجع في الحقيقة إلى ما قاله الشيخ في التبيان إن شئت فراجع تفسيره و الحق ما ذكره الشيخ رحمته في ثالث الأقوال وهو أن الكلام تعليق محالٍ بمحالٍ وهذا ممّا لا إشكال فيه عقلاً.

و على هذا فالآية على ظاهرها ولا نحتاج إلى تفسير العابدين بالأنفين، أو بالخارجين كما نقله القرطبي أو الجاحدين و أمثال ذلك، فمعنى الآية إن كان للرحمن ولد لعبده لأن عبادة الولد في الحقيقة عبادة الوالد لأنه جزء منه و لكن ليس له ولد فأعبد الله وحده و أنما قلنا ذلك لأن المعلق على المحال محالٌ عقلاً و بعبارة أخرى عبادة الولد معلقٌ على وجوده إذا المعدوم لا يعبد، و قد ثبت عقلاً و نقلاً استحالة وجود الولد له تعالى والذي يستحيل وجوده يعدّ من الممتنع و ما كان كذلك فما علّق عليه هو أيضاً محالٌ فهذا من قبيل قول القائل لو كان لله شريك فأنا أول العابدين له، من حيث أن العبادة معلقة على وجود ممتنع الوجود فالعبادة أيضاً ممتنعة التحقق، و لا فرق في إمتناع الوجود بين شريك الباري و الولد و الدليل قائم على استحالة وجودهما، بل نقول هذا أصلٌ أصيلٌ و حكمٌ متينٌ في جميع الأمور من التوحيد و النبوة و الإمامة.

### سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ

لَمَّا نَزَّ اللَّهُ تعالى نفسه عن الولد على ما قرّرناه نَزَّ نفسه عَمَّا لا يليق بجنابه على الوجه الكلّي فقال سبحانه رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَهُ به من إتخاذ الولد و قبول الشريك في عبادته و أن يد الله مغلوله، أو أنه فرغ عن الأمر افوَّض الأمر إلى عباده أو أنه خلق الكفر في عباده و جعل العبد مجبوراً في أفعاله ثم يعاقبه عليه و أمثال ذلك من الأباطيل فأن الله تعالى مَنَزَّه عن جميعها فقلوه: عَمَّا يَصِفُونَ عامٌ يشمل جميع القائنات الإمكانية.



فَذَرَهُمْ يَخْضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ  
 ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَنُبَيِّهَ فَذَرَهُمْ أَيُّ أَتْرَكَهُمْ، يَخْضُوا وَ يَلْعَبُوا، يَعْنِي كَفَّار مَكَّةَ  
 حِينَ كَذَبُوا نُبُوتَكَ وَ أَنْكَرُوا عَذَابَ الْآخِرَةِ، حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ، وَ  
 هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ  
 قِيلَ هَذَا تَكْذِيبٌ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فِي أَنَّ لِلَّهِ شَرِيكاً وَ وَلِداً وَ الْمَعْنَى هُوَ الْمُسْتَحَقُّ  
 لِلْعِبَادَةِ فِي الْأَرْضِ وَ فِي السَّمَاءِ فَلَا مَعْنَى لِقَوْلِهِمْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ كَمَا لَا وَجْهَ  
 لِقَوْلِهِمْ أَنَّ عَزِيراً ابْنُ اللَّهِ وَ أَنَّ عِيسَى ابْنُ اللَّهِ أَوْ الْأَصْنَامُ وَ الْأَوْثَانُ شُرَكَاءُ لِلَّهِ فِي  
 الْمَعْبُودِيَّةِ كُلِّ ذَلِكَ بَاطِلٌ عَاطِلٌ فَإِنَّ إِلَهَ الْأَرْضِ وَ إِلَهَ السَّمَاءِ وَاحِدٌ وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ  
 السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْخَالِقُ لَهُمَا هُوَ الْمَعْبُودُ فِيهِمَا لَا غَيْرُهُ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ،  
 بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ.

وَ تَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ عِنْدَهُ  
 عِلْمُ السَّاعَةِ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

تَبَارَكَ مَاخُودٌ مِنَ الْبَرَكِ وَ هُوَ الثَّبُوتُ وَ مَعْنَاهُ، جَلَّ الثَّابِتُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَ لَا  
 يَزَالْ، وَ قِيلَ مَعْنَاهُ جَلَّ الَّذِي عَمَّتْ بَرَكَةُ ذِكْرِهِ ثُمَّ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ الَّذِي خَلَقَ  
 السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، أَيُ الْقِيَامَةِ أَيُ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَتَى تَقُومُ  
 الْقِيَامَةُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَ قَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِيهَا وَ قُلْنَا أَنَّ عِلْمَ السَّاعَةِ مُنْهَضَرٌ بِهِ تَعَالَى  
 لِقَوْلِهِ تَعَالَى: قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي.

وَ أَمَّا قَوْلُهُ: وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فَمَعْنَاهُ وَاضِحٌ إِذْ كُلُّ شَيْءٍ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلِهِ إِنَّا لِلَّهِ وَ  
 إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ بَعْدَ الْمَوْتِ.

وَ لَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ

## هُمَّ يَعْلَمُونَ

قال المفسرون أراد بالذين يدعون من دون الله، عيسى و عزيزاً و الملائكة و المعنى لا يملك هؤلاء الشفاعة إلا لمن شهد بالحق و أمن على علم و بصيرة.  
و قال بعضهم يقول الله تعالى مخبراً، أن الذين يدعونه الكفار إلهاً و يوجهون عبادتهم إليه من الأصنام و الأوثان و غيرها لا يملكون من دون الله الشفاعة ثم إستثنى من جملتهم من شهد بالحق و هم عالمون بذلك و هم الملائكة و عيسى و عزيز و قيل المعنى و لا يشفع الملائكة و عيسى و عزيز إلا من شهد بالحق يعلم الحق ذكره مجاهد.

و قال قوم إلا من شهد بالحق الملائكة و عيسى و عزيز، لهم عند الله شهادة بالحق، و قيل المعنى إلا من يشهد بأنه أهل العفو عنه و هم يعلمون ذلك و هؤلاء أصحاب الصغائر و الذين تابوا من الكبائر، ذكر هذه الوجوه في التبيان.  
أقول الذي نفهم من الآية هو شيء آخر غير ما ذكره المفسرون و تكلّفوا أنفسهم في تفسيرها و ذلك أن الكفار كانوا يزعمون أن هؤلاء الأصنام و الأوثان شفعاء لهم عند الله كما حكى الله تعالى عنهم حيث قال: وَ يَعْْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنْتَبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ<sup>(١)</sup>.

فهذه الآية كما ترى تخبرنا بأنهم كانوا يعتقدون شفاعة الأصنام و الأوثان عند الله، فقال الله تعالى في ردّهم أن الأمر ليس كما زعمتموه و أن الشفاعة ليست إلا لمن شهد بالحق عالماً به و هو لا يكون إلا نبياً أو وصياً أو مؤمناً صالحاً فأنهم يشهدون بالحق عن علم و أما الأصنام و الأوثان فلا لأنّها من الجماد الذي لا عقل له و لا شعور و الشهادة بالحق فرعٌ عليها و على هذا فزعمكم باطلٌ فمعنى شهد بالحق، أن يكون مؤمناً مصداقاً بالحق و الجماد ليس كذلك.

و قال ساحل الكشّاف في معنى شهد بالحقّ، هو توحيد الله و هو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وإيقان وإخلاص هو الذي يملك الشّفاة و هو إستثناء منقطع و يجوز أن يكون متصلاً لأنّ في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة إنتهى كلامه.

و هو قريب ممّا ذكرناه.

وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ

الإفك بكسر الالف يقال لكلّ معروفٍ عن وجهه الذي يحقّ أن يكون عليه و منه قيل للرياح العادلة عن المهاب مؤتفكة، خاطب الله نبيّه و قال له: وَ لَسِنُ سَأَلْتَهُمْ أي سألت هؤلاء الكفار، من خلقهم ليقولنّ الله، و لا يقولون خلقنا الأصنام والأوثان و الملائكة وهكذا بل يقولون أنّ الله خلقنا وإذا كان كذلك أي يقرّون بأنّ الله خالقهم، فأنّى يؤفكون، أي يصرفون عن الحقّ و الاعتقاد إلى الباطل و من الصدق في المقال إلى الكذب و من الجميل في الفعل إلى القبيح و بعبارة أخرى لم يصرفون عن الحقّ إلى الباطل و يصرفون المعبودية عن الخالق الذي خلقهم إلى الأصنام والأوثان.

وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ

قريّ قيله بالحركات الثلاث، النّصب و الجرّ و الرّفْع، فمن نصبه حمله على أمّ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَ نَجْوَاهُمْ<sup>(١)</sup> وقيله، لم و إمّا الجرّ فأنّه مَعْطُوف على لفظ السّاعة في قوله تعالى: وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ و أمّا الرّفْع فعلى الإبتداء و الخبر ما بعده و يجوز عطفه على عِلْمُ السّاعَةِ على تقدير حذف المضاف أي و عنده علم السّاعة و علم قيله، و القيل مصدر كالقول، و الضمير في، قيله، راجع

في آيات القرآن في تفسير

جزء ٢٥

الجلد الثاني

على الرّسول أي و قول الرسول أنّ هؤلاء قومٌ لا يؤمنون، باللّٰه و رسوله و القيامة.

**فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**

ثمّ أمر الله نبيّه بالصّفح و الإعراض عنهم فقال فأصّح يا محمد يائساً عن إيمانهم ودعهم و أتركهم، و قل لهم سلامٌ، أمره الله بتوديعهم بالسّلام ولم يجعله تحيةً لهم، و قيل معناه، تسلّم منكم و متاركة، و قيل رفع، سلامٌ على تقديره و هو عليكم سلامٌ أي ما سلم به من شرّهم و أذاهم.

و قال الحسن، و قل سلامٌ، اسلم عنهم، ثمّ هدّدهم الله بقوله، فسوف تعلمون، غداً يوم القيامة.



## سُورَةُ الدُّخَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْ (١) وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ مُوقِنِينَ (٧) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُخَيِّى وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ (٨) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩) فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (١٠) يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢) أَتَى لَهُمُ الدِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (١٤) إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ (١٦) وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَ جَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَدَّوْا إِلَى عِبَادَ

اللَّهُ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨) وَ أَنْ لَا تَعْلُوا  
 عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٩) وَ  
 إِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (٢٠) وَ  
 إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ (٢١) فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ  
 هُوَ لَا يَهْدِي قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (٢٢) فَأَسْرِعْ بَعَادِي لَيْلًا  
 إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٢٣) وَ أَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ  
 جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (٢٤) كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَاتٍ وَ  
 عُيُونٍ (٢٥) وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَ نِعْمَةً  
 كَانُوا فِيهَا فَافْكِهِنَّ (٢٧) كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا  
 قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ  
 الْأَرْضُ وَ مَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩) وَ لَقَدْ نَجَّيْنَا  
 بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ أَلْمُهِنِ (٣٠) مِنْ  
 فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) وَ  
 لَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٢) وَ  
 آتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ (٣٣) إِنْ  
 هُوَ لَا يَلْقَوْنَ إِلَّا هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى  
 وَ مَا نَحْنُ بِمُشْشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ  
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٦) أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعَ وَ  
 أَلَدِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا  
 مُجْرِمِينَ (٣٧) وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَ  
 الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا  
 إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩) إِنْ

يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لَا  
يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ  
(٤١) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ  
(٤٢) إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤)  
كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلِي الْحَمِيمِ  
(٤٦) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧)  
ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨)  
ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَذَا مَا  
كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٠) إِنَّ الْأَمْتَقِينَ فِي مَقَامٍ  
أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَ عِوْنٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ  
مِنْ سُنْدُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَ  
زَوْجَانَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ  
فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا  
الْمَوْتَ الْأُولَى وَ وَقِيَهُمْ عَذَابِ الْجَحِيمِ (٥٦)  
فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٥٧)  
فَاتِمَّا يَسِّرْنَاهُ لِبِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨)  
فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ (٥٩)

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

◀ اللغة

فَارْتَقِبْ: الإرتقاب الإنتظار أي فانتظر.  
بِدُخَانٍ: الدُّخَان بضم الدال الظلمة التي كانت تغطي الأبصار.

يَعْشَى: الغشي اللباس الذي يغمر الشئ والغاشية من الناس الجماعة يغشون.  
 تَوَلَّوْا: أي أعرضوا التَّوَلَّى الإعراض.  
 نَبَطْشُ: البطش الأخذ بشدة.  
 فَتَنَّا: الفتنة الإختبار و الإمتحان.  
 أَدُّوْا: فعل أمر من، أديؤد أي أرسلوا.  
 تَعْلُوْا: من العلو بمعنى الطغيان بإفتراء الكذب.  
 تَرْجُمُون: الرَّجْم هاهنا السَّتم و قيل هو الرَّجْم بالحجارة.  
 رَهْوَ: الرَّهْو السكون يقال حشيش راه إذا كان خفضاً و ادعا و قيل الرَّهْو، السهل.

أَلْمُهِن: بضم الميم الشديد.  
 عَالِيًّا: من العلو أي متجبراً متكبراً.  
 مِنَ الْمُسْرِفِينَ: الإسراف التَّجاوز عن الحدِّ ممَّا يجوز فعله إلى ما لا يجوز.  
 بِمُسْتَرْبِن: النَّشر البسط و المراد به البعث بعد الموت، أي بمبعوثين.  
 أَلَزُّقَوْم: ما أكل بتكرره شديد.  
 كَالْمَهْل: المهمل بالضم الشئ الذي يذاب في النَّار حتَّى يشتدَّ حره كالفضة و الرصاص.

يَغْلِي: الغلي إرتفاع المانع من الماء و نحوه بشدة الحرارة.  
 فَاعْتَلَوْهُ: العتل زعزعة البدن بالجفاء و الغلظة للإهانة.  
 تَمْتَرُونَ: أي تشكَّون، و المرية الشك.  
 سُنْدُسٍ: الحرير.  
 وَ اسْتَبْرَقٍ: الإستبرق الديباج الغليظ.  
 وَ وَقِيَهُمْ: الوقي الحفظ.  
 فَارْتَقَبْ: أمر من الإرتقاب و هو الإنتظار.



## ◀ الإعراب

أَنْزَلْنَاهُ هُوَ جَوَابُ الْقِسْمِ وَ إِنَّا كُنَّا مُسْتَأْنَفٍ وَقِيلَ هُوَ جَوَابُ آخِرٍ مِنْ غَيْرِ  
 عَاطِفٍ فِيهَا يُفَرِّقُ صِفَةً لِلَّيْلَةِ وَ إِنَّا مُعْتَرِضٌ بَيْنَهُمَا أَمْرًا قِيلَ هُوَ مَفْعُولٌ،  
 مُنْذِرِينَ وَقِيلَ هُوَ مَفْعُولٌ لَهُ وَالْعَامِلُ فِيهِ، أَنْزَلْنَاهُ أَوْ مُنْذِرِينَ أَوْ يَفْرُقُ، وَقِيلَ هُوَ  
 حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي حَكِيمٍ وَقِيلَ هُوَ فِي مَوْضِعِ الْمَصْدَرِ، وَقِيلَ هُوَ مَصْدَرُ أَيِ  
 أَمْرُنَا أَمْرًا وَقِيلَ هُوَ بَدَلٌ مِنَ الْهَاءِ فِي أَنْزَلْنَاهُ مِنْ عِنْدِنَا صِفَةً لِأَمْرٍ أَوْ مُتَعَلِّقٌ بِيَفْرُقُ  
 رَحْمَةً مَفْعُولٌ مُرْسَلِينَ، أَوْ مَفْعُولٌ لَهُ، أَوْ مَصْدَرُ أَيِ رَحْمَانِكُمْ رَحْمَةً وَقِيلَ هُوَ فِي  
 مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ فِي، مُرْسَلِينَ رَبِّ السَّمَوَاتِ بِالزَّفْعِ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مُحذُوفٌ  
 أَيِ هُوَ رَبُّ السَّمَوَاتِ أَوْ هُوَ مُبْتَدَأٌ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْخَبَرُ، وَبِالْجَزِّ بَدَلًا مِنْ رَبِّكَ  
 رَبُّكُمْ أَيِ هُوَ رَبُّكُمْ يَوْمَ تَأْتِي هُوَ مَفْعُولٌ، فَارْتَقِبْ الَّذِي كَرِي مُبْتَدَأٌ، وَلَهُمُ الْخَبَرُ  
 يَوْمَ نَبْطِشُ هُوَ بَدَلٌ مِنْ، تَأْتِي، أَوْ ظَرْفٌ، لِعَائِدُونَ عِبَادَ اللَّهِ أَيِ يَاعِبَادِ اللَّهِ وَ أَنَّ  
 هَؤُلَاءِ مَنْصُوبٌ بِدَعَا وَ رَهْوَ حَالٌ مِنَ الْبَحْرِ وَقِيلَ هُوَ مَفْعُولُ ثَانٍ أَيِ صَبَّرَهُ مِنْ  
 فِرْعَوْنَ هُوَ بَدَلٌ مِنَ الْعَذَابِ بِإِعَادَةِ الْجَارِ أَيِ مِنْ عَذَابِ فِرْعَوْنَ وَمِنَ الْمُتَسْرِفِينَ  
 خَبَرٌ آخَرٌ أَوْ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي، عَالِيًا، عَلَى عِلْمٍ حَالٌ مِنَ ضَمِيرِ الْفَاعِلِ  
 أَهْلَكْنَاهُمْ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي الصَّلَةِ لِأَعْيُنٍ حَالٌ وَ أَجْمَعِينَ تَوْكِيدٌ لِلضَّمِيرِ  
 الْمَجْرُورِ يَوْمَ لَا يَغْنِي بَدَلٌ مِنْ يَوْمِ الْفَصْلِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ هُوَ إِسْتِثْنَاءٌ مُتَّصِلٌ أَيِ مِنْ  
 رَحْمَةِ اللَّهِ يَغْلِي حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي الْكَافِ أَوْ مِنَ الْمَهْلِ يَذْعُونَ حَالٌ مِنَ الْفَاعِلِ  
 فِي زَوْجِنَا لَا يَذْوَ قُونَ حَالٌ أُخْرَى مِنَ الضَّمِيرِ فِي، يَدْعُونَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى  
 قِيلَ الْإِسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعٌ أَيِ مَاتُوا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَقِيلَ هُوَ مُتَّصِلٌ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ عِنْدَ مَوْتِهِ  
 فِي الدُّنْيَا بِمَنْزِلَتِهِ فِي الْجَنَّةِ لِمَعَايِنَتِهِ مَا يُعْطَاهُ مِنْهَا وَقِيلَ، إِلَّا، بِمَعْنَى بَعْدَ.

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

## ◀ التفسير

حَمَّ

قد بيّنا في ما مضى أنّ الحروف المقطّعة في أوائل السُّور لا يعلم معناها إلا الله و الذي يعتمد عليه من الأقوال هو أنّها أسماء للسُّور و العلم بها عند الله.

## وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ

هو القرآن و جرّه بأنّه قسم، و قيل تقديره و ربّ الكتاب المبين و إنّما وصف بأنّه مبين لأنّه بمنزلة النّاطق بالحكم الذي فيه فلا يحتاج إلى إستخراج الحكم من مبين غيره سمّي به لأنّه مظهر للأحكام.

## إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ

الظاهر أنّ المراد بالليّلة المباركة، ليّلة القدر، لقوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ<sup>(١)</sup>.

و قال قوم المراد بها ليّلة النّصف من شعبان و الأوّل أقوى و أشهر و أصحّ لما ذكرناه من الآية و هى كالنّص و سيأتي تفصيل الكلام فيها في سورة القدر إنشاء الله و قوله: إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فالإنذار الإعلام بموضع الخوف و الله تعالى قد أنذر عباده من طريق العقل و السّمع، و قد أعذر من أنذر، و دفع الضرر المحتمل واجب عقلاً فضلاً عن المقطوع به كما في إنذار الله و أنبيائه.

## فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ

الضمير راجع على الليّلة، أي في هذه الليّلة المباركة التي أنزل القرآن فيها، يفرق أي يفصل و يقسم الآجال و الأرزاق و غيرها و فى قوله: حَكِيمٍ إشارة إلى أنّ تفريق الآجال و الأرزاق و المقدّرات كلّها على وجه الحكمة و المصلحة و لهذا سمّي حكيماً لأنّ أفعاله و مقدراته صدرت على وجه الحكمة.

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ

أي أَنَّ الأمر الذي به يقسم الآجال والأرزاق هو أمرٌ من عندنا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ،  
الأنبياء والرُّسل إلى الخلق لإرشادهم وهدايتهم إِيَّاهُمْ إلى الحقِّ.

رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

أي إرسال الرُّسل رحمةً من الله إلى خلقه أَنَّهُ تعالى يسمع ويعلم، أي يسمع  
ما يقول خلقه ويعلم مصالحهم ومفاسدهم.

وقلنا سابقاً أَنَّ السَّمْعَ والبصر في حقِّه تعالى غيرهما في حقِّ خلقه فَأَنَّا نسمع  
ونبصر بالجوارح والله يسمع ويبصر بمعنى أَنَّهُ عالمٌ بالمسموعات والمبصرات.

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ

أي هو ربَّ السموات والأرض وما بينهما من الموجودات كما وصف نفسه  
بذلك حيث قال: **أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** والرَّبُّ في الأصل التَّربية وهو إنشاء  
الشيء حالاً فحالاً إلى حدِّ التَّمام فالرَّبُّ مصدر مستعار للفاعل ولا يقال الرَّبُّ  
مطلقاً إلاَّ لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات وعلى هذا:

قال الله تعالى: **وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا** <sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: **وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ** <sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: **إِتَّخِذُوا أَنْبَاءَهُمْ وَرُؤُسَاءَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ** <sup>(٣)</sup>.

والمعنى لا تتخذوهم ألهة وتزعمون أَنَّهُم البارئ مسبب الأسباب والمتولَّى  
لمصالح العباد، وأما بالإضافة فلا مانع من إستعمال اللفظ في غير الله كما يقال

بهاء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

الجلد الثاني

رَبِّ الدَّارِ وَ رَبِّ الْفَرْسِ وَقَوْلُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ وَلِلْبَيْتِ رَبٌّ، وَعَلَى هَذَا قَالَ يُوسُفُ الصَّدِيقُ كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُ أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ أَيَّ عَزِيزٍ مِصْرَ، وَ قَالَ فِرْعَوْنُ: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الرَّبَّ الْمَطْلُوقَ بِدُونِ الْإِضَافَةِ مُخْتَصَّ بِاللَّهِ تَعَالَى وَأَمَّا مَعَهَا فَيَطْلُقُ عَلَى غَيْرِهِ تَعَالَى أَيْضًا.

وَأَمَّا فِي الْمَقَامِ فَالرَّبُّ أَضْيَفُ إِلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَوْجُودَاتِ فَالْمُرَادُ بِهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَهُوَ لَا يَكُونُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى فَكَأَنَّهُ قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

وَقَوْلُهُ: **إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ** وَقِيلَ فِي وَجْهِ الْإِحْتِجَاجِ بِالْآيَةِ بِذِكْرِ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ هَاهُنَا، أَنَّ الَّذِي دَبَّرَهُمَا عَلَى مَا فِيهِ مَصَالِحُ الْعِبَادِ هُوَ الَّذِي دَبَّرَ الْخَلْقَ بِإِرْسَالِ الرَّسُولِ رَحْمَةً مِنْهُ بِعِبَادِهِ عَلَى مَا فِيهِ مَصَالِحُهُمْ وَمَعْنَى قَوْلِهِ: **إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ** أَيَّ إِنْ كُنْتُمْ مِمَّنْ يَطْلُبُ الْيَقِينَ فِهَذَا طَرِيقُ الْيَقِينَ وَهُوَ حَالُ يَجِدُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ عِنْدَ التَّعَقُّلِ وَلِهَذَا يَقَالُ مَنْ وَجَدَ بَرْدَ الْيَقِينَ كَانَ مِنَ الْيَقِينَ وَلِذَلِكَ لَا يُوصَفُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْيَقِينَ وَأَنْ وَصَفَ بِأَنَّهُ عَالِمٌ وَعَلِيمٌ إِنْتَهَى.

**أَقُولُ** مَا ذَكَرَهُ **رَبُّكَ** فِي قَوْلِهِ: **إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ** لَا بَأْسَ بِهِ فَأَنَّهُ مِنَ الْمَحْتَمَلِ، وَلَنَا فِي الْمَقَامِ إِحْتِمَالٌ آخَرٌ وَهُوَ أَنَّ الْمَعْنَى **إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ** بِأَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا خَالِقٌ فَهُوَ اللَّهُ لَا غَيْرَهُ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ بِأَنَّ لَهُمَا خَالِقًا وَتَعْتَقِدُونَ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَا خَالِقَ لَهُمَا فَلَا كَلَامَ لَنَا مَعَكُمْ لِأَنَّ هَذَا الْإِعْتِقَادَ خَارِجٌ عَنْ طُورِ الْعَقْلِ ضَرُورَةٌ أَنَّهُ يَحْكُمُ بِأَنَّ الشَّيْءَ لَا يَوْجُدُ نَفْسَهُ وَلَا يَوْجُدُ بِدُونِ الْعِلَّةِ وَالْمَوْجُودُ إِذَا فَرَضْنَا أَنَّ لَهُ مَوْجِدًا فَمِنْ هُوَ وَهَذَا إِسْتِدْلَالٌ قَوِيٌّ لَا مُخْلَصَ لِأَحَدٍ مِنْهُ.

**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ**

أَيَّ لَا إِلَهَ فِي عَالَمِ الْوُجُودِ إِلَّا هُوَ الَّذِي يَحْيِي وَيُمِيتُ، رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ

الأوليين فهو الذي يستحق العبادَةَ فقلوه: **يُحْيِي وَ يُمِيتُ** يعني يحيي الخلق بعد موتهم ويميتهم بعد إحياءهم، أو يحيي الخلق بالإيجاد ويميتهم بالأجل وكيف كان لا شك أنَّ الحياة والموت بيده فكما أنَّه خلقكم ورباكم خلق آباءكم الأولين فإنَّ حكم الأمثال واحد.

### بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ

أخبر الله تعالى عن الكفار بعدم يقينهم وأنهم على شك بما أخبرناك يا محمد فهم مع ذلك يلعبون و يسخرون ينكرون التوحيد والنبوة والمعاد ولم يعلموا أنَّ دفع الضرر المحتمل واجب قطعاً فضلاً عن المقطوع وإذا كان كذلك.

### فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ، يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ

الإرتقاب الإنتظار والمعنى فانتظر يا محمد يوم تأتي السماء بدخان، وهو الظلمة التي كانت تغطي أبصار المشركين من قریش لشدة الجوع. قال ابن مسعود و ذلك حين دعا عليهم النبي فقال: **اللهم سنين كننين يوسف.**

و قال ابن عباس الدخان، آية من أشراط الساعة تدخل في مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس الحنيد ونصيب المؤمن منه مثل الزكمة، تغشى الناس يعني الدخان يغشى الناس، و قيل معنى الآية إحفظ قولهم هذا لشهد عليهم يوم تأتي السماء بدخان مبين، ولذلك سمى الحافظ رقيباً، الدخان أقوال من المفسرين غير ما ذكرناه.

ومنها، أنَّه يمكث في الأرض أربعين يوماً يملأ ما بين السماء والأرض، فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام وأما الكافر والفاجر فيدخل في أنوفهم فيثقب مسامعهم ويضيق أنفاسهم وهو من آثار جهنم يوم القيامة.

و منها، أَنَّهُ دُخان يَهِيجُ بالنَّاسِ يومَ القِيامةِ يأخذُ المؤمنُ مِنه كالزَّكَمَةِ و ينفخُ الكافرُ حتَّى يَخرجَ مِن كُلِّ مَسمعٍ مِنه.

و منها، ما رواه عن صحيح مُسلم قال: أَطَلَعَ النَّبِيُّ و قال: أَنَّهُا لَن تَقُومَ حتَّى تَروا قَبلَها عَشرَ آياتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَ الدَّجَالَ، وَ الدَّابَّةَ، وَ طُلُوعَ الشَّمْسِ مِن مَغربِها، وَ نزولَ عيسى بنِ مَريمَ، وَ خَروجَ يَاجُوجَ وَ مَأجُوجَ وَ ثَلاثَةَ خَسُوفٍ، خَسْفٌ بِالمَشرقِ، وَ خَسْفٌ بِالمَغربِ، وَ خَسْفٌ بِجَزيزَةِ العَرَبِ وَ آخِرُ نَارٍ تَخرجُ مِن اليَمَنِ تَطرُدُ النَّاسَ إلى مَحشَرِهِم، وَ في رِوايةٍ أَنَّ السَّاعَةَ لا تَكونُ حتَّى تَكونَ عَشرَ آياتٍ، خَسْفٌ بِالمَشرقِ وَ خَسْفٌ بِالمَغربِ وَ خَسْفٌ في جَزيزَةِ العَرَبِ وَ الدُّخَانُ وَ الدَّجَالُ وَ دَابَّةُ الأَرْضِ وَ يَاجُوجَ وَ مَأجُوجَ وَ طُلُوعَ الشَّمْسِ مِن مَغربِها وَ نَارٌ تَخرجُ مِن قَعرِ عَدَنَ تَرحَلُ النَّاسُ وَ الأَقوالُ في البابِ كَثيرَةٌ كُلُّها مِن المَحمُلاتِ الَّتِي لا يَمكنُ الإِستِنادُ إليها في تَفسيرِ الآيةِ وَ الأَحسنُ حَمَلُ الآيةِ على ظاهِرها وَ أَنَّ الدُّخَانَ ما هُوَ وَ كيفَ يَكونُ فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

و قولُه: يَعْشَى النَّاسَ هَذا عَذابٌ أَلِيمٌ فَمَعنَاها أَنَّ الدُّخَانَ يَغشى النَّاسَ وَ هَذا أَيُّ الدُّخَانِ الموصوفِ بِما وَصفناهُ عَذابٌ أَلِيمٌ، لَهم أَيُّ لَهوِلاءِ الكُفَّارِ المَنكَرِينَ لِلحِشرِ وَ لَذلكَ يَقولونَ كَما حَكَى اللَّهُ عَنْهُم.

رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا آلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ

أَيُّ يَقولونَ بَعدَ رَؤيتِهِم العَذابَ، رَبَّنَا أَكْشِفْ عَنَّا العَذابَ وَ هُوَ الدُّخَانُ إِنَّا مُؤْمِنونَ، بَكِ أَوِ بِالْحِشرِ وَ قِيلَ مَعنَاها نَومَنَ بِكَ إِنْ كَشَفْتَهُ عَنَّا فَيَقالُ في جَوابِهِم.

أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَ قَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ

أَيُّ كيفَ لَهمُ الذِّكْرَى أَوِ مِن أَيْنَ لَهمُ الذِّكْرَى وَ قَدْ جَءَهُم رَسلٌ مُبِينٌ، في الدُّنْيا وَ حُثُّهُمَ على ذَلكَ فَلَم يَقْبَلوا مِنه بَل كَذَّبواهُ وَ أنكَروهُ فَقولُهُم: إِنَّا مُؤْمِنُونَ بَعدَ رَؤيتِهِم العَذابَ لا فَائدةَ فيه بَعدَ سَقوطِ التَكليفِ عَنْهُم في القِيامةِ وَ أَنما يَنفَعُ

ذلك في دار التَّكْلِيفِ لِسَلْبِ الإِخْتِيَارِ عَنْهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ فَلَا تَقْبَلُ لَهُمْ تَوْبَةَ بَعْدِهِ.

**ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَجْنُونٌ**

أَيُّ أَتَمُّ كَانُوا فِي الدُّنْيَا مُعْرِضِينَ عَنِ الرَّسُولِ الَّذِي كَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَ قَالُوا أَنَّ الرَّسُولَ مُعَلِّمٌ مَجْنُونٌ، مُعَلِّمٌ، بِفَتْحِ اللَّامِ أَيُّ عَلَّمَهُ بَشَرًا أَوْ عَلَّمَهُ الشَّيَاطِينُ وَ الكَهْنَةُ وَ مَعَ ذَلِكَ هُوَ مَجْنُونٌ وَ لَيْسَ بِرَسُولٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

**إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ**

قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ أَمَّا قَالَ تَعَالَى ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّبَكُّيْتِ لَهُمْ عَلَى شِدَّةِ عِنَادِهِمْ، إِنَّا لَوْ كَشَفْنَا عَنْكُمْ الْعَذَابَ وَ رَفَعْنَاهُ عَنْكُمْ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ عَلَى شِرْكِكُمْ وَ إِنكَارِكُمُ الْحَقِّ كَمَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ فَمَنْ قَالَ أَنَّ الْعَذَابَ بِالْدُّخَانِ عِنْدَ رَفْعِ التَّكْلِيفِ قَالَ، إِنَّكُمْ عَائِدُونَ فِي الْعَذَابِ وَ هُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ وَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ فِي الدُّنْيَا مَعَ بَقَاءِ التَّكْلِيفِ قَالَ مَعْنَاهُ، إِنَّكُمْ عَائِدُونَ، إِلَى الضَّلَالِ وَ هُوَ قَوْلُ جَمَاعَةٍ، هَذَا مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ فِي التَّبْيَانِ.

وَ قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ، أَيُّ رَيْثِمًا نَكْشَفَ عَنْكُمْ الْعَذَابَ تَعُودُونَ إِلَى شِرْكِكُمْ لَا تَلْبِثُونَ غَبَّ الْكَشْفِ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّضَرُّعِ وَ الْإِبْتِهَالِ.

**فَأَنْ قُلْتَ كَيْفَ يَسْتَقِيمُ عَلَى قَوْلٍ مِنْ جَعَلَ الدُّخَانَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَوْلُهُ: إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا.**

قُلْتَ إِذَا أَتَتْ السَّمَاءُ بِالْدُّخَانِ تَصَوَّرَ الْمُعَذَّبُونَ بِهِ مِنَ الْكَفَّارِ وَ الْمُنَافِقِينَ وَ غَوِثُوا وَ قَالُوا رَبَّنَا أَكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ مَنِيُونٌ فَيَكْشِفُ اللَّهُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَرَيْثِمًا يَكْشِفُهُ عَنْهُمْ يَرْتَدُّونَ وَ لَا يَتَمَهَّلُونَ إِنْتَهَى.

**أَقُولُ** يَظْهَرُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: **يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ** هُوَ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْقِيَامَةِ وَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ يَوْمَ الْبَعْثِ، إِذْ لَوْ كَانَ فِي الْقِيَامَةِ لَمْ يَقُلْ أَنْكُمْ عَائِدُونَ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ الْآخِرَةِ وَ الْقِيَامَةُ حَالَةٌ يَعُودُونَ إِلَيْهَا، هَذَا فَقَوْلُهُمْ رَبَّنَا

بَابُ الْقُرْآنِ فِي تَعْلِيلِ الْقَوْلِ

جزء ٢٥

الجلد الخامس

أَكْشَفَ عَنَّا الْعَذَابَ بَعْدَ رُؤْيَتِهِمُ الدُّخَانَ الَّذِي هُوَ نَوْعٌ مِنَ الْعَذَابِ وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّكُمْ عَائِدُونَ، أَنْتُمْ عَائِدُونَ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ قَبْلَ الدُّخَانِ.

يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ

البطش تناول الشئ بصولة:

قال الله تعالى: وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطْشَتُمْ جَبَّارِينَ<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ<sup>(٣)</sup>.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَرَادَ بِالْيَوْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ أَنَّ الْمَرَادَ بِهِ هُوَ مَا جَرَى عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، وَالَّذِي يَقْوَى فِي النَّفْسِ أَنَّ الْبَطْشَ بَطْشَانِ، صَغِيرٌ وَكَبِيرٌ.

أَمَّا الْبَطْشَةُ الصُّغْرَى هِيَ يَوْمَ الْبَعْثِ وَإِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ.

وَأَمَّا الْكُبْرَى فَهِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّتِي يُؤْخَذُ فِيهَا بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ وَكَيْفَ

كَانَ لَا شَكَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَأْخُذُ حَقَّ الْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَعْبرُ عَنْهُ بِالْإِنْتِقَامِ أَيْ أَنَّهُ يَنْتَقِمُ مِنَ الظَّالِمِ لِلْمَظْلُومِ كَمَا هُوَ مُقْتَضَى الْعَدْلِ إِذْ لَوْ لَمْ يَأْخُذْ حَقَّ الْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ لَزِمَ الظُّلْمُ عَلَى الْمَظْلُومِ وَهُوَ مَنْزَعٌ عَنْهُ الْإِنْتِقَامُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِأَجْلِ التَّشْفِي الْقَلْبِيِّ كَمَا هُوَ فِينَا كَذَلِكَ.

وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ

أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ فَتَنَ وَامْتَحَنَ قَبْلَ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا كَرِيمًا وَهُوَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعْنَى هَذِهِ الْفِتْنَةِ وَالْإِبْتِلَاءِ هُوَ الْأَمْرُ



بالطاعة و المعنى عاملناهم معاملة المختبر فأرسلنا اليهم موسى، فكذبوه ولم يقبلوا قوله فأهلكوا جميعاً فهكذا نفعل بأعداءك يا محمد إن لم يؤمنوا بك و في الكلام إشارة الى أن العذاب بعد إتمام الحجة و هو كذلك و أنما وصف الرسول بالكريم لأنه كان كريماً في قومه، أو أنه كان كريماً الأخلاق و الصفات بالتجاوز و الصفح عن المذنبين الخاطئين و قيل كان كريماً على ربه إذ اختصه بالنبوة و إسماع الكلام و هذا الوصف لا يختص بموسى <sup>عليه السلام</sup> بل كل الأنبياء كانوا كذلك على قدر مراتبهم و منازلهم:

بَعَثَ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ لِنَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْأَعْدَارِ إِلَيْهِمْ فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَشَفَ الْخُلُقَ كَشْفَةً لَا أَنَّهُ جَهْلٌ مَا أَخْفَوُهُ مِنْ مَصُونٍ أَسْرَارِهِمْ وَمَكُونُونَ ضَمَائِرِهِمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً وَالْعِقَابُ بَوَاءً<sup>(١)</sup>.

أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ

لما أشار الله تعالى في الآية السابقة أنه جاءهم رسول كريم، أشار في هذه الآية و ما بعدها الى ما دعاهم موسى اليه و هو أمور.

أحدها: أن موسى قال لفرعون و قومه، أن أدوا، أي أرسلوا، إلي عباد الله، و أطلقوهم من العذاب و المراد بهم قوم بني إسرائيل، فهو من قبيل قوله أرسل معنا بني إسرائيل، فقوله: عِبَادَ اللَّهِ منصوبٌ على أنه مفعولٌ، و قيل هو منصوب على النداء أي يا عباد الله أدوا ما أمركم به فأني لكم رسول أمين، على ما أدعوكم إليه. ثانيها: وَ أَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ أي لا تطغوا على الله بإفتراء الكذب عليه أو لا تبغوا عليه بكفرنعمه، أو لا تتكبروا على الله

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس

بترك طاعته وإتباع أمره و قيل معناه أن لا تبغوا على أولياء الله بالبغي عليهم.  
**إِنِّي أَتَيْكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ** السُّلْطَانُ الْحِجَّةُ والبرهان للغلبة على الخصم و  
 المعنى أَنِّي أَتَيْكُمْ بِحِجَّةٍ وَاضِحَةٍ الَّتِي مَعَ ظُهورِهَا يَظهرُ الْحَقُّ وَ هِيَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ وَ  
 الْعَصَا وَ أَمْثَلُهُمَا مِنَ الْآيَاتِ عَلَى مَا مَرَّ تَفْصِيلُهُ فِي مَوْضِعِهِ.  
**ثَالِثُهَا: وَإِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ** قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ  
 كَأَنَّهُمْ تَوَعَّدُوهُ بِالْقَتْلِ فإِسْتَجَارَ بِاللَّهِ وَ قَالَ إِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي الَّذِي خَلَقَنِي وَ خَلَقَكُمْ  
 أَنْ تَرْجُمُونِي بِالْحِجَارَةِ.

و قال ابن عَبَّاسٍ تَشْتُمُونِي فَتَقُولُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ.

**أَقُولُ** أَمَّا قَالُوا ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ الْكَلَامِ أَنَّ الرَّجْمَ ظَاهِرٌ فِي الرَّمْيِ بِالْأَحْجَارِ عَرَفًا  
 وَ الْإِفْهَوْ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ يُطْلَقُ عَلَى مَطْلُوقِ الرَّمْيِ سِوَاءِ أَكَانَ بِالْحِجَارَةِ أَوْ بِالشَّمِّ أَوْ  
 بِالتَّكْذِيبِ وَ الْإِفْتِرَاءِ وَ التُّهْمَةِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ فَحَمَلَ الْكَلَامَ عَلَى مَعْنَاهُ الْعَامِّ الشَّامِلِ  
 لِجَمِيعِ الْمَصَادِيقِ أَوَّلَى وَ كَيْفَ كَانَ لَا خَفَاءَ فِي الْمَعْنَى فَلَا نَحْتَاجُ إِلَى بَسْطِ الْكَلَامِ  
 فِيهِ.

**وَابْعَثْهُمْ: وَإِنْ لَمْ تَأْمُنُوا لِي فَأَعْتَزِّلُونِ** قِيلَ، اللَّامُ فِي لِي لَامٌ لِأَجْلِ، وَ  
 الْمَعْنَى أَنَّ لَمْ تَصَدَّقُونِي وَلَمْ تَأْمُنُوا بِاللَّهِ لِأَجْلِ بَرَهَانِي، فَأَعْتَزِّلُونِ أَيِ فَاغْتَرِلُونِي  
 وَدَعُونِي كِفَافًا لَا، لِي، وَلَا، عَلَيَّ، وَ قِيلَ مَعْنَاهُ كُونُوا بِمَعْرِزِلٍ مِنِّي، وَأَنَا بِمَعْرِزِلٍ مِنْكُمْ  
 إِلَى أَنْ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ، وَ قِيلَ مَعْنَاهُ، فَخَلُّوا سَبِيلِي وَ كَفُّوا عَن  
 أَذَائِي، وَ الْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ.

**أَقُولُ الظَّاهِرُ** أَنَّ الْمَخَاطَبَ بِهَذَا الْكَلَامِ هُوَ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ تَبِعَهُ وَ هُمُ الَّذِينَ مَنَعُوا  
 مُوسَى عَنِ إِخْرَاجِ قَوْمِهِ عَنِ مِصْرَ، وَ عَلَى هَذَا فَقَوْلُهُ: **فَأَعْتَزِّلُونِ**،  
 هُوَ خَطَابٌ لِفِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ وَ مَعْنَاهُ إِنْ لَمْ تَأْمُنُوا لِي، فَاغْتَرِلُونِ أَيِ خَلُّوا بَيْنِي وَ بَيْنَ  
 بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ هَذَا ظَاهِرٌ وَ مُحْصَلُ الْكَلَامِ فِي الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ هُوَ أَنَّكُمْ أَنْ لَمْ  
 تَأْمُنُوا بِي فَلَا تَمْنَعُوا قَوْمِي عَنِ الْإِيمَانِ فَأَنَّ هَذَا مِنْ أَقْبَحِ الظُّلْمِ وَ أَشْنَعِ الْكَفْرِ.

فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ

أخبر الله تعالى في هذه الآية أنَّ موسى لما يشس منهم أن يؤمنوا به، دعا ربه فقال: **أَنَّ هَؤُلَاءِ** أي فرعون و من تبعه، **قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ** إمتنعوا من إطلاق بنى إسرائيل و من الإيمان و من كان كذلك فقد حَقَّت عليه كلمة العذاب.

فَأَسْرِبِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ

الفاء وقعت موقع الجواب الكلام، فدعا فأجيب بأن قيل له فأسر بعبادي، فهي عطف وقع موقع جواب الدُّعاء فأمره الله تعالى بأن يسير بأهله و المؤمنين ليلاً، أي قبل الصُّباح، و أنما أمره بذلك ليلاً يردوهم إذا رأوهم نهاراً، و أعلمه أنهم متَّبِعُونَ، أي يتبعهم فرعون و قومه و يخرجون خلفهم و قد تقدّم تفصيل ذلك فيما مضى في البقرة و الأعراف، و طه و الشعراء و يونس فلا نعيد الكلام بذكره ثانياً و بينا هناك إغراق فرعون و إنجاء موسى بما لا مزيد عليه.

وَ أَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهَوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ

الرَّهْو بفتح الراء و سكون الواو و الهاء إختلفوا في معناه فقبل معناه السكون أي ساكناً على ما هو به، معناه الطَّرِيق، أي طريقاً، و قيل معناه السَّهْل، أي سهلاً، و قيل أي يبسا و قيل غير ذلك.

قال الرَّاعِب في المفردات، و أترك البحر رهوًا، أي ساكناً و قيل سعةً من الطَّرِيق و هو الصَّحِيح و منه الرَّهَاء للمفاضة المستوية و يقال لكلِّ حوقةٍ مستوية يجتمع فيها الماء رهوً، و المعنى و أترك البحر سهلاً بلا تعب و مشقة.

و قوله: **إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ** فالضمير عائد على فرعون و قومه حكم الله بأنهم مغرقون في البحر ثم أشار الله تعالى إلى ما تركوه من الأموال بعد الغرق و الموت فقال:

كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ

أي كم تركوا من بساتين و عيون جارية لم تدفع عنهم عذاب الله.

و زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ

زروعٌ جمع زرع و المراد بها الأراضي المستعدة للزرع، و مقام كريم، قيل هو المجلس الشريف، و قيل مقام الملوك و الأمراء و الحكماء، و قيل المنازل الحسنة، و قيل المنابر و قيل المقام الكريم هو الذي يعطي اللذة كما يعطي الرجل الكريم الصلّة و قيل غير ذلك و قد مضى تفسير هذه الآية في الشعراء، و كلمة (كم) في الآية للتكثير أي تركوا كثيراً من الأموال و الذخائر.

و نَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ

الواو للعطف أي وكم تركوا أيضاً من أنواع النعم التي كانوا منها متمتعين في الدنيا من المأكول و المشروب و الملبوس و القصور و غير ذلك و الفاكه المتمتع بها بضروب اللذة كما يتمتع الأكل بضروب الفاكه، قيل أن النعمة بكسر النون من المنّة و هو الإفضال و العطية و بالفتح من التّنعيم و هو سعة العيش و الراحة، و قرأ أبو رجاء و الحسن و أبو الأشهب و الأعرج و غيرهم (فكهين) بغير ألف و معناه، أشربين بطرين قال الجوهري، فكه الرجل، بكسر الكاف فهو فكه إذا كان طيب النفس مزاحاً، و الفكه، أيضاً الأشر و البطر هذا و المشهور بين القراء (فاكهين) و عليه المصاحف أي لاهين مازحين، و كيف كان ففي الكلام إشارة الى أن الدنيا و ما فيها من النعم ليست إلا لعباً و لهواً فالمغبون من غرته الدنيا و يعتمد عليها.

كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ

أي كذلك حال الدنيا و ما فيها من النعم فلا بقاء لها و العاقل لا يعتمد على ما لا بقاء له و في قوله تعالى: وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ إشارة الى أن مالك الدنيا هو





البيان عن ذكره فخلصهم الله تعالى عن العذاب حين أهلك فرعون وقومه و  
وفقهم للإيمان بموسى <sup>عليه السلام</sup> وإلى هذا المعنى أشار الله بقوله، من فرعون كأنه قال  
قائل وممن أنجاهم الله فقال تعالى: **مِنْ فِرْعَوْنَ ثُمَّ** وصف الله فرعون بوصفين:  
**أحدهما: العلو.**

**الثاني: الإسراف.**

فقال: **إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ** هذا إذا كان تقدير الكلام وهو من  
المسرفين ويمكن أن تكون، من، بيانية، أي أنه كان عالياً مسرفاً وذلك لأن  
الإسراف من مصاديق العلو الذي هو التجاوز عن الحدّ و **العلو بضم العين واللام**  
ضدّ السفّل، و العلوّ الإرتفاع يقال، علا يعلو علواً وهو عالٍ.

قال الله تعالى: **وَإِنْ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ** <sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: **إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيَعًا** <sup>(٢)</sup>.

ومن المعلوم أنّ العالي مسرفٌ لأنّه تجاوز عن حدّ الاعتدال ولا نعني  
بالمسرف إلا هذا.

**وَ لَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**

الإختيار هو إختيار الشئ على غيره بالإرادة له لتفضيله عليه ومثله الإيثار،  
أخبر الله تعالى مقسماً بأنّه إختار موسى وقومه على العالمين وأنّ هذا الإختيار  
كان مسبقاً بالعلم والإرادة فكان على سبيل الإستحقاق.

**وَ اتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ**

المراد بالآيات، العصا، واليد البيضاء والطوفان، والجراد، والطّاعون، والقمل،  
والصفّادع، والدّم، و فلق البحر وإغراق فرعون وقومه وكلّها معجزات خارقات  
يعجز البشر أن يأتي بواحدة منها وقوله: **فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ** فالبلاء الإختبار إذا كان

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

بسبب النعمة، والعذاب إذا كان بالنعمة.

قال القراء البلاء قد يكون بالعذاب وقد يكون بالنعمة، والمبين، الظاهر أي فيما أعطيناهم من الآيات بلاءً ظاهراً بالنعمة وهي أن الله أهلك فرعون وقومه و آية نعمة أحسن من تخليصهم من شر فرعون وقومه.

إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ

قيل هؤلاء إشارة إلى المشركين من كفار قريش في عهد النبي أخبر الله تعالى عنهم أنهم قالوا:

إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ

أي ليس بعد الموت حياة وفيه إنكار البعث، وما نحن، أي لسا بعد الموته الأولى بمبعوثين ولا معاودين.

فَأَتُوا بِآبَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

أي قال الكفار للمسلمين أتوا بآبائنا، الذين ماتوا قبلنا، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في قولكم بالمعاد وأن الله تعالى يحيي الموتى لأن القادر على النشأة الثانية قادر على إعادة الأباء وإحياءهم بطريق أولى.

و أجاب المفسرون عنه بأن إعادة في النشأة الثانية أمّا وجبت للجزاء لا للتكليف فلا تلزم إعادة الأباء ولا تجب، والأحسن أن يقال في الجواب أن إعادة الأباء قبل يوم البعث لا فائدة فيه لأن إعادة تجب للجزاء فتكون قبل يوم الجزاء عبثاً وليس ذلك مما يدل على عدم قدرة الله فإن الله لا يفعل عبثاً.

أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعِ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ



تُبَّعَ بَضْمُ النَّاءِ وفتح الباء المشددة، قيل أنهم كانوا رؤوساً سموا بذلك لإتباع بعضهم بعضاً في الرئاسة والسياسة وقيل تبَّعَ ملِكٌ يتبعه قومه والجمع التبَّاعية، قاله في المفردات.

و قال الطبري في تفسيره في قوله تعالى: أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تَبَّعَ ذكر لنا أنَّ تَبَّعاً كان رجلاً من حمير سار بالجيوش حتى حير الحيرة ثم أتى سمرقند فهدمها وذكر لنا أنه كان إذا كتب بإسم الذي تسمى وملك برأ و بحرأ، وذكر لنا أنَّ كعباً كان يقول نعت نعت الرجل الصالح ذمَّ الله قومه ولم يذمه إنتهى.

و قال القرطبي ليس المراد بتبَّع رجلاً واحداً بل المراد به ملوك اليمن فكانوا يسمون ملوكهم التَّابِعة فتبَّعَ لقبٌ للملك منهم كالخليفة للمسلمين، و كسرى للفرس و قيصر لرُّوم.

و قال أبو عبيدة سمي كل واحدٍ منهم تبَّعاً لأنه يتبع صاحبه و قال الجوهري و التَّابِعة ملوك اليمن واحدهم تبَّعَ إنتهى موضع الحاجة من كلامه.

إذا عرفت هذا فنقول الهمزة في قوله: أَهْمُ للإنكار أي أنَّ هؤلاء الكفار المنكرين للبعث و الجزاء ليسوا خيراً من قوم تبَّعَ و الأمم المهلكة قبلهم و إذا أهلكتنا أولئك فكذا هؤلاء، و قيل المعنى أهم أظهر نعمةً و أكثر أموالاً أم قوم تبَّعَ، و قيل أهم أعزَّ و أشدَّ و أمتع أم قوم تبَّعَ.

و حاصل المعنى، أنهم ليسوا خيراً منهم و حكم الأمثال واحد فكما أهلكتنا قوم تبَّعَ و من قبلهم كذلك نهلكهم و ذلك لوحدة الملاك فيهم و هو الجرم و الكفر و المجرم يستحق العذاب كائناً من كان.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ

يقال لعب فلان إذا كان فعله غير قاصدٍ به مقصداً صحيحاً، أخبر الله تعالى في هذه الآية أنَّ خلق السَّمَوَاتِ والأرض وما بينهما من الموجودات لم يكن لعباً بل

كان لمقصدٍ صحيحٍ وهو العبادة التي هي فرعٌ على المعرفة وذلك لأنَّ فعل اللَّعب لا يصدر من الله تعالى لأنَّه خالقٌ حكيمٌ ومن كان كذلك لا يخلق شيئاً عبثاً لا فائدة فيه ولذلك قال تعالى:

مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

ما، نافية أي ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق أي لغرضٍ صحيحٍ وهو المعرفة ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون ذلك يعني لا يعلمون صحة ما قلناه لعدولهم عن النَّظر فيه والاستدلال على صحته قيل وفي ذلك دلالة على بطلان قول من قال أنَّ المعارف ضروريةٌ وذلك، لأنها لو كانت لما نفي تعلُّق علمهم به.

وحاصل الكلام أنَّ أكثر النَّاس يظنون أو يقطعون أنَّا خلقناهم عبثاً فلا حساب ولا كتاب ولا بعث ولا نشور ولا سؤال ولا جواب ولم يعلموا.

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ

يوم الفصل هو يوم القيامة سَمِيَ بالفصل لأنَّه اليوم الذي يفصل فيه بين المحقِّ والمبطل فيشفي صدور المؤمنين ويغيظ قلوب الكافرين لما يروونه من العذاب المسبَّب عن الأعمال ثم وصف الله ذلك اليوم بقوله:

يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ

أي أنَّ يوم الفصل وهو يوم القيامة لا معين لهم ولا ناصر لأنَّه يوم يفر المرء من أخيه وصاحبه وبنيه فكلُّ إنسانٍ فيه مرهونٌ بعمله لا ينتفع بغيره وهذا لا ينافي شفاعَةَ الشَّافعين لأنَّ الشَّفاعَةَ لا تحصل إلا بأمر الله وإذنه والمراد في الآية أنَّه ليس لهم من يغني عنهم من غير أن يأذن الله له فيه على وجه الدَّفْع عنه والنَّصر له ويبيِّن ذلك بقوله: وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ثمَّ استثنى من قوله ولا هم

ينصرون.

**إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**

قال في التبيان، المولى ها هنا الصاحب الذي شأنه أن يتولّى معونة صاحبه على أموره فيدخل في ذلك ابن العمّ والحليف وغيره ممّن هذه صفته استثنى ما أشرنا اليه بقوله: **إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ** فأنّ من يرحمه الله أمّا أن يسقط عقابه ابتداءً أو يأذن في إسقاط عقابه بالشفاعة فيه إنتهى كلامه.

**أقول** ما ذكره عليه السلام لا بأس به إلا أنّه لا يكفي في تفسير الكلام، والحق أن يقال أنّ الإستثناء أمّا منقطع أو متصل.

**فعلى الأول:** معنى الكلام، لكن من رحم الله لا ينالهم ما يحتاجون فيه الى من يغنيهم من المخلوقين.

**على الثاني:** أعني به الإتصال معناه لا يغني قريب عن قريب إلا المؤمنين فأنّ الله يأذن لهم في شفاععة بعضهم لبعض، ويحتمل أن يكون المعنى، إلا من رحم الله من الكفار، كالمستضعفين منهم والصّيبان والسّفهاء وأمثالهم ممّن لا يقدر على معرفة الحقّ وكيف كان لا شك أنّ الله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب كذلك وهو لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون والدليل عليه أنّه العزيز الرحيم أي أنه القادر على كلّ شيء وهو الذي سبقت رحمته غضبه ومع ذلك وسعت رحمته كلّ شيء.

**إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ، طَعَامُ الْأَثِيمِ، كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ، كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ**

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن طعام الأثمين العاصين فقال: **إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ، طَعَامُ الْأَثِيمِ** وهو الذي يأثم ويعصي في الدنيا فيستحقّ العقاب بسبب معاصيه قيل المراد به ها هنا أبو جهل، و الزَّقُّوم بفتح الزاء وضمّ القاف المشددة أطعمة كريهة في النار ومنه أستعير، زقم فلان، و تزقم، إذا ابتلع شيئاً

جاء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس

كريبها ثُمَّ شَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى الزَّقُومَ بِأَنَّهُ مِثْلُ الْمَهْلِ، وَهُوَ الشَّيْءُ الَّذِي يَذَابُ فِي النَّارِ حَتَّى يَشْتَدَّ حَرُّهُ كَالْفِضَّةِ وَالرِّصَاصِ وَغَيْرَهُمَا مِمَّا يَمَاعُ بِالنَّارِ سَمِّيَ بِالْمَهْلِ، لِأَنَّهُ يَمُهِلُ فِي النَّارِ حَتَّى يَذُوبَ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْمَهْلُ مَا أُذِيبَ فِي النَّارِ كَالْفِضَّةِ، وَقِيلَ أَنَّهُ دَرَدِي الرِّيتُ فِي النَّارِ، ثُمَّ وَصَفَ اللَّهُ الْمَهْلَ بِأَنَّهُ، يَغْلِي فِي الْبَطُونِ، مِنْ حَرَارَةِ كَمَا يَغْلِي الْحَمِيمُ وَهُوَ الْمَاءُ الْمَغْلِي عَلَى النَّارِ فَالْمَهْلُ يَغْلِي فِي بَطُونِ أَهْلِ النَّارِ كَمَا يَغْلِي الْمَاءُ بِحَرِّ الْإِيقَادِ، وَالْحَمِيمُ الْحَارُّ، وَمِنْهُ أَحْمَمَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ لِقَاءِ أَيِّ أَدْنَاهُ وَقَرَبِهِ، لِأَنَّ مَا حَمَّ، فَلِلْأَسْرَاعِ، وَ مَا يُودُ فَلِلْأَبْطَاءِ وَمِنْهُ، حَمَّ رِيَشُ الطَّائِرِ إِذَا قَرُبَ خُرُوجُهُ، وَلَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى طَعَامَ الْكَافِرِ الظَّالِمِ فِي النَّارِ أَشَارَ إِلَى مَا يَتَلَوَّهُ مِنَ الْعَذَابِ فَقَالَ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ.

خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ، ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ، ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ، إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا يُلْحَقُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ بَعْدَ الطَّعَامِ فَقَالَ: خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ يَأْمُرُ الْمَلَائِكَةَ بِأَنْ يَأْخُذُوا الْكَفَّارَ وَأَنْ يَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ، يَعْنِي إِلَى وَسْطِهِ، وَ الْعَتْلُ زَعَزَعَةُ الْبَدَنِ بِالْجَفَاءِ وَ الْغُلْظَةُ لِلْإِهَانَةِ، وَقِيلَ الْعَتْلُ الْأَخْذُ بِتَلَابِيحِ الرَّجُلِ وَ جَرَّهُ إِلَيْكَ لِتَذْهَبَ بِهِ إِلَى حَبْسٍ أَوْ بَلِيَّةٍ يُقَالُ عَتَلْتَهُ عَتْلًا إِذَا جَذَبْتَهُ جَذْبًا عَنِيفًا، وَقَوْلُهُ: إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ أَيُّ إِلَى وَسْطِ الْجَحِيمِ، ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ، قِيلَ أَيُّ مِنْ مَاءِ دِمَاغِهِ الْجَحِيمِ فَيَصَّبُ الْمَلِكُ فَوْقَ رَأْسِهِ مَاءً حَمِيمًا، فَيَتَفَتَّتُ رَأْسُهُ مِنْ دِمَاغِهِ فَيَجْرِي عَلَى جَسَدِهِ فَيَقُولُ الْمَلِكُ لَهُ، ذُقْ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ، يُقَالُ لَهُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّهْجِينِ لَهُ بِمَا كَانَ يَدَّعِي لَهُ مِمَّا لَيْسَ بِهِ أَيُّ أَنْتَ كَذَلِكَ عِنْدَ نَفْسِكَ وَ قَوْمِكَ وَ مِنْ تَبَعِكَ مِنَ الْجَهَالِ قِيلَ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَعْنَى النَّقِيضِ كَأَنَّهُ قِيلَ

أنت الدليل المهين قيل أن الآية نزلت في أبي جهل و قد قال: (أنا أعز من بها و أكرم) ذكره قتادة، والحق أن المراد بها العموم و أن كان المورد خاصاً مع أن خصوصية المورد أيضاً لا دليل عليه و أنما قال قتادة ما قال من عند نفسه وكيف كان فلفظه خبر و معناه حكاية عمّن يقول له ذلك.

و أما قوله: **إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ** فالإمتراء الشك و معناه أن الذي ترونه من العذاب يوم القيامة هو الذي كنتم تشكون فيه في الدنيا.  
و لما بين الله تعالى حال الكفار في القيامة أشار الى أحوال المتقين الذين عرفوه ثم عبدوه و أطاعوه و إجتنبوا معاصيه في دار الدنيا.

### إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ

قال الجوهري، و أما المقام بفتح الميم و المقام بضمها فقد يكون كل واحدٍ منهما بمعنى الإقامة و قد يكون بمعنى موضع القيام لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح و إذا جعلته من أقام يقيم فمضموم لأن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم الميم لأنه مشبّه بنبات الأربعة نحو دحرج و هذا مدرجنا، و قيل المقام بالفتح المشهد و المجلس و بالضم يمكن أن يراد به المكان و يمكن أن يكون مصدراً و يقدّر فيه المضاف أي موضع الإقامة إنتهى.

و قوله تعالى: **أَمِينٍ** فهو من الامن أي يؤمن فيه من الأفات و الحوادث هو الفرق بين المقام في الجنة و المقام في الدنيا فأَنَّ المقام في الدنيا لا يؤمن من الأفات و آية آفة أعظم من زواله و هذا بخلاف المقام في الجنة فأَنه لا زوال له.

في القرآن  
في قوله  
المتقين

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

### فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ

هو بدلٌ من مقام أمين، كأنه قيل ما هذا المقام، فقال تعالى: **فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ** و الجنة البستان و **الْعُيُون** بضم العين جمع عين، و هي الماء الجاري تحت البساتين و المعنى أن المتقين في بساتين و عيون جارية، كقوله تعالى: **جَنَّاتٍ**

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ هَذَا مِنْ حَيْثُ الْمَقَامِ وَالْمَكَانِ.  
وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ اللَّبَاسِ فَهُمْ:

يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ

لا يرى بعضهم قفا بعض متواجهين يدور بهم مجلسهم حيث داروا،  
والسندُس بضم السين ما رق من الديباج والإستبرق ما غلظ منه، وقيل، السندس  
الحرير، والإستبرق الديباج الغليظ وقيل معنى متقابلين، أي يقابل بعضهم بعضاً  
بالمحبة لا متدابرين بالبغضة.

كَذَلِكَ وَرَوْنَاهُمْ حُمْرٍ عِينٍ

قيل الحور جمع حوراء من الحور وهو شدّ البياض.  
وقال قتادة، بحور، أي ببيض ومنه الحور لبياضه، وقوله: عِينٍ فالعين بكسر  
العين جمع، عيناء وهي الواسعة العين الحسنه، وقيل العيناء الشديدة السّواد،  
سواد العين الشديدة البياض بياضها والمقصود من ذلك كله هو بيان أوصاف  
الحور وأنها في أعلى درجة الحسن من جميع الجهات.

يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ

أي يستدعون في الجنة بكل فاكهة وثمرة شاءوا غير خائفين فوتها وزوالها،  
فأن فيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين، مع دوامه وبقائه وقد ورد في الأخبار أن  
شجرة الجنة مثمرة بكل الثمار وليست ثمرتها نوعاً خاصاً من الثمرات ولذلك  
قال يدعون فيها بكل فاكهة.

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقِيَهُمْ عَذَابُ  
الْجَحِيمِ

الذُّوقُ بفتح الذَّال وجود الطَّعم بالفم وأصله فيما يَقلّ تناوله دون ما يكثر فأَنَّ ما يكثر يقال له الأكل وإختير في القرآن لفظ الذُّوق في العذاب لأنَّ ذلك وأن كان في التعارف للقليل فهو مستصلح للكثير فخصّه بالذكر ليعمّ الأمرين وحيث أنَّ الموت نوعٌ من العذاب لأنَّه عبارة عن فراق الأحبة عبَّر عنه بالذُّوق، والمراد بالموتة الأولى الموت الذي لا بدَّ منه لكل مخلوق:

قال الله تعالى: كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ<sup>(٢)</sup>.

ومعنى الآية أنَّ المتقين لا يذوقون في الجنَّة الموت البتَّة لأنَّهم فيها خالدون والخلود ينافي الموت ثمَّ قال تعالى: وَوَقَّيْهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، أي أنَّ الله تعالى يحفظهم عن عذاب النَّار، وعلى هذا فالاستثناء في قوله: إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى مُنْقَطِعٌ، أي لكنَّ الموتة الأولى قد ذاقوها في الدُّنيا، وقيل أنَّ، إِلَّا، بمعنى بعد أي لا يذوقون فيها الموت بعد الموتة الأولى، وقيل (إِلَّا) بمعنى سوى أي سوى الموتة الأولى ذاقوها في الدُّنيا وهو كما تقول، ما ذقت اليوم طعاماً سوى ما أكلت أمس.

وقال بعضهم، إِلَّا الموتة الأولى، معناه أنَّ المؤمن إذا أشرف على الموت استقبلته ملائكة الرَّحمة و يلقى الرُّوح والرَّيحان، فكان موته في الجنَّة لإتصافه بأسبابها فهو إستثناء صحيحٌ والموت عرضٌ لإيذاءٍ ولكن جعل كالطَّعام الذي يكره ذوقه فاستعير فيه لفظ الذُّوق إنتهى.

أقول ما ذكره لا بأس به إلا أنَّ جميع الأقوال يرجع إلى قولٍ واحدٍ أنَّ المؤمن ذاق أو يذوق موتة الأولى كغيره من المخلوق وهذا ممَّا لا كلام فيه لأحدٍ وأما كيفية الموت فلا كلام لنا فيها فعلاً.

في القرآن فأن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

الجلد الخامس عشر

## فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

أي فعل الله تعالى ذلك بهم تفضلاً منه عليهم و قوله: فَضْلًا فهو منصوب على المصدر و تقديره فضل تفضلاً منه تعالى و أيّ فضل أحسن و أرجح من التوفيق في الدنيا إلى أعمالٍ صارت موجبة للدخول في الجنة و الخلود فيها و النعم بأنواع النعم التي لا يدرك ولا يوصف و لذلك قال تعالى: ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ذلك، إشارة إلى ما أعطاهم الله من المقام في الجنة وما يتبعه من النعم و من المعلوم أنه لا فوز ولا فلاح أعظم منه و هو ظاهر.

## فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

الضمير في، يسرناه، راجع على القرآن أي أنزلناه باللغة العربية التي تتكلم أنت و قومك بها لعلهم أي لعل قومك يتفقهوا و يتفكروا فيه فيعلموا أن الأمر على ما قلناه، و هذا هو السر في إنزال الكتب السماوية بلسان النبي و قومه لأنه يكون أتم حجة على القوم كما أن النبي المبعوث إليهم أيضاً كذلك:

قال الله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ<sup>(١)</sup>.

و قال في القرآن: وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ<sup>(٢)</sup>.

و إذا كان النبي و الكتاب المنزل عليه بلسان قومه فلا عذر لهم يوم القيامة و هو واضح.

## فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ

الإرتقاب الإبتظار أي فإنتظر يا محمد مجيء ما وعدتك به من أحوال الكفار و المتقين يوم القيامة، أنهم أي قومك أيضاً منتظرون ذلك اليوم لأنهم في شك فيما أنزلناه إليك و أخبرناهم به في الدنيا، و قيل المعنى أنهم منتظرون لك الموت، و قيل معنى الكلام إنتظر الفتح و النصر من ربك أنهم أيضاً منتظرون بزعمهم قهرك،



وقيل إنتظر أن يحكم الله بذلك بينك وبينهم فأنهم ينتظرون بك ريب الحدثان، و  
 قيل يغر ذلك و أنت ترى أن الأقوال متقاربة المعنى والمأل فيها واحد والجامع أن  
 ما وعدناك حق لا مرية فيه و من أصدق من الله قيلاً.



## سُورَةُ الْجَاثِيَةِ ﴿٧٥﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ  
 الْحَكِيمِ (٢) إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ  
 لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ  
 دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ  
 وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ  
 رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ  
 الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ  
 نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَ  
 آيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦) وَيُلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧)  
 يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ  
 مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ  
 (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا  
 أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩) مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَ  
 لَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا  
 مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠)  
 هَذَا هُدًى وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ

عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ (١١) اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ  
الْبَحْرَ لَتَجْرَىٰ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَ لَتَبْتَغُوا مِنْ  
فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَ سَخَّرَ لَكُم مَّا  
فِي السَّمَوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ  
فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) قُلْ  
لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ  
اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) مَنْ  
عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ  
إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥) وَ لَقَدْ آتَيْنَا  
بَنِي إِسْرَآئِيلَ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ وَ  
رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى  
الْعَالَمِينَ (١٦) وَ آتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا  
أَخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا  
بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا  
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى  
شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ  
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ  
اللَّهِ شَيْئًا وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ  
بَعْضٍ وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) هَذَا بَصَاطُ  
لِلنَّاسِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠)

## ◀ اللّٰغَةُ

يَبْتُ: الْبَثُّ فِي الْأَصْلِ التَّفْرِيقُ وَإِثَارَةُ الشَّيْءِ كَبْتُ الرِّيحِ التُّرَابَ.  
 ذَابَّةٌ: الذَّبُّ وَالذَّبِيبُ مَشْيٌ خَفِيفٌ وَيَسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي الْحَيَوَانِ، وَفِي  
 الْحَشَرَاتِ أَكْثَرُ وَيَسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ حَيَوَانٍ وَأَنْ إِيخْتَصَّتْ فِي التَّعَارُفِ بِالْفَرَسِ.  
 أَفَّاكٌ أَثِيمٌ: الْإِفْكَ كُلُّ مَصْرُوفٍ عَنْ وَجْهِهِ الَّذِي يَحَقُّ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ وَمِنْهُ قِيلَ  
 لِلرِّيَّاحِ الْعَادِلَةِ الْمُؤْتَفَكَةِ، وَالْأَثِيمُ، مَبَالِغَةٌ فِي الْإِثْمِ وَهُوَ الذَّنْبُ.  
 هَزُّوًا: الْهَزُّ السَّخَرِيَّةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ.  
 رَجَزٌ: الرَّجَزُ فِي الْأَصْلِ الْإِضْطِرَابُ وَالْمَرَادُ بِهِ هَاهُنَا الزَّلْزَلَةُ.  
 وَكَلَّبْتُمْوَا: الْابْتِغَاءُ الطَّلَبُ.  
 بَغِيًّا: الْبَغْيُ طَلَبُ التَّجَاوُزِ عَنِ الْحَدِّ.

## ◀ الإِعْرَابُ

آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ يقرأ بكسر التاء وفيه وجهان:  
 أحدهما: أَنَّ، أَنْ مضمرة حذف لدلالة الأولى عليها وليست آيات معطوفة  
 على آيات الأولى لما فيه من العطف على عاملين.  
 الثاني: أَنْ يكون كرر آيات للتوكيد لأنها من لفظ آيات الأولى و يقرأ بالرفع  
 على أنه مبتدأ، وفي خلقكم، خبره قدّم عليه نحو في الدار زيدٌ وقيل هي في  
 الرفع على التوكيد أيضاً وأما قوله وَاجْتِلَافِ اللَّيْلِ فمجرورة، بفي مقدرة غير  
 الأولى و، آيات بالكسر والرفع على ما تقدّم يسمّع هو في موضع جر على الصّفة  
 أو حال من الضمير في، أثيم، أو مستأنف وتثلي حال و كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا حال  
 أيضاً وَلَا مَا اتَّخَذُوا معطوف على ما كسبوا و، ما، فيها بمعنى الذي أو مصدرية  
 جميعاً منه متعلق بسخر أو هو نعت لجميع والباقي واضح.

## ◀ التفسير

حَمَّ

قد مرَّ الكلام في الحروف المقطعة التي في أوائل السُّور و قلنا أنَّ العلم بها مختصُّ بقائلها و هو الله تعالى و إذا كان كذلك فالسُّكوت عنها أولى من نقل الأقوال التي لا فائدة فيها و المشهور أنَّها أسامي السُّور و الله أعلم.

### تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ

وصف الله تعالى الكتاب بأنَّه تنزيلٌ من الله، قال بعضهم حم، مبتدأ و تنزيلٌ خبره، و قيل تنزيل الكتاب مبتدأ، و من الله، خبره، و الكتاب القرآن و المعنى أنَّ تنزيل القرآن من الله القادر العالم بمصالح العباد الذي هو حكيمٌ في فعله و تدبيره للأمور.

### إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ

الآيات جمع آية و هي العلامة و المراد بها في المقام الآيات الدالات على توحيده و أنَّه لا خالق إلَّا هو و أنَّما خصَّ ذلك بالمؤمنين، لأنَّ غير المؤمن بالله لا يقرُّ بذلك لإنكاره الخالق فضلاً عن فعله، و قد تقدَّم الكلام في هذا الباب غير مرَّة و لنعم ما قيل:

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ      تدلُّ على أنَّه واحدٌ

### و فِي خَلْقِكُمْ وَ مَا يَبْثُ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ

إن قلت قوله تعالى: إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ عامٌ يشمل خلق الإنسان و غيره ممَّا يَبْثُ من دابةٍ على الأرض، و بعبارةٍ أخرى أنَّ قوله: وَ فِي خَلْقِكُمْ داخل في قوله: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ فما وجَّه تخصيصه بالذكر ثانياً أليس هذا من التكرار.

قلت في الآية السابقة حكم الله حكماً كلياً و في الآية الثانية خاطب الإنسان

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

فَكَأَنَّهُ قَالَ أُنْ لَمْ يَكُنْ عِلْمٌ بِمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ عَجَائِبِ الْخَلْقَةِ وَأَنَّ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا فَأَنْظُرُوا إِلَى مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ خَلْقِ أَنْفُسِكُمْ وَغَيْرِكُمْ مِنَ الدُّوَابِّ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ فِي الْحَقِيقَةِ هَذِهِ الْآيَةُ نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ<sup>(١)</sup> فَأَنَّ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَوْجُودَاتِ مُحْسُوسَةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ وَالْمَحْسُوسُ مَقْدَمٌ عَلَى الْمَعْقُولِ ثُمَّ فَصَلَ الْكَلَامَ فِي الْمَحْسُوسَاتِ.

وَ اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ  
معنى إختلاف الليل والنهار تعاقبهما، وقيل زيادتهما ونقصانهما، ويحتمل أن يكون المراد باختلافهما اخلقهما في النور والظلمة، وإنزال الماء من السماء من الغيث والمطر وإحياء الأرض بالنبات بعد الجذب والقحط فيثبت الله بذلك رزق الحيوان والمراد بتصريف الرياح تغييرها وجريانها على ما تقتضيه المصلحة وقد تقدّم الكلام في جميع ذلك في سورة البقرة وغيرها وسمي المطر والغيث رزقاً لأنه سبب الرزق.

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَ آيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ

أي هذه آيات الله وحججه وبراهينه الدالة على وحدانيته وقدرته، نتلوها عليك بالحق، الذي لا مرية فيه لأنها من المحسوسات التي يدركها جميع العقلاء فإذا لم يؤمنوا بها فبأي حديث بعد حديث الله وآياته يؤمنون وبعبارة أخرى من أنكر كلام الحق الذي لا باطل ولا كذب فيه كيف يقبل الحديث من غيره وهو

يَحْتَمِلُ الصَّدَقَ وَالكُذْبَ، وَ أَنْ شئتَ قَلْتَ مِنْ أَنْكَرِ المحسوسات كيف يقبل المعقولات التي وراء المحسوسات وَ هو عالم الأخره وما فيها من الجنة وَ النار وَ فى الآية إشارة إلى أَنَّ الكفار لا يقبلون الحق فذرهم فى خوضهم يلعبون وَ سيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون.

### وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ

قيل، ويل، وادٍ فى جهنم وَ الأفَّاك الكذاب، فَأَنَّ الإفَّاك الكذب وَ قوله: أَثِيم أي مرتكبٌ للإثم، ذكر الله تعالى أَنَّ مَنْ كان متصفاً بالكذب وَ الإثم فى الدنيا، مأواه جهنم وَ بس المصير وَ أيُّ إفَّاكٍ أشنع وَ أقبح من الكذب على الله ثُمَّ أيُّ إثمٍ أعظم من معصية الله وَ إنكار توحيده قيل المراد به النَّضر بن الحارث وَ عن ابن عباس أَنَّهُ الحارث بن كلفة.

وَ حكى الثعلبى أَنَّهُ أبو جهل وَ أصحابه وَ لاحق أَنَّ الأفَّاك الأثيم، ماله إلى جهنم وَ مفره الويل فيها أيَّ شخصٍ كان.

### يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ

هذه الآية فى الحقيقة تفسر الآية السابقة، كَأَنَّهُ قيل، وَ من الأفَّاك الأثيم، الَّذي حكم الله بأنَّ له الويل، فقال تعالى هو الَّذي يسمع آيات الله تتلى عليه، يعنى آيات القرآن ثُمَّ يُصِرُّ أي يتمادى على كفره متعظماً فى نفسه عن الانقياد وَ الطاعة كَأَنَّهُ لم يسمعها، وَ الضَّمير ضمير الشَّان ثُمَّ قال تعالى لنبيه فَبَشِّرْهُ بعذابٍ أليمٍ أي مؤلم يوم القيامة.

ثُمَّ أخبر الله تعالى عن هذا المتكبر المعرض عن آيات الله بسبب إستكباره أَنَّهُ إِنَّا نَخَذُ آيَاتِ اللَّهِ هَزْؤًا.

وَ إِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ  
 أي وإذا علم المستكبر من آياتنا شيئاً قليلاً أو كثيراً إستهزاء بها ولم يتنبه أنه  
 حقٌ وهذا منه ذنبٌ آخر أعظم من الأول لأن الإستهزاء بكلام الله أعظم ذنباً من  
 إنكاره ولذلك قال أولئك لهم عذابٌ مهين، أي مخزٍ ومذلٍّ ثم حكم بأن من  
 وراءه جهنم، قال ابن عباس أي أمامهم جهنم.

مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا  
 من المال والأولاد والمقام وأمثال ذلك وقيل لا يغني عنهم ما كسبوا من  
 عبادة الأصنام والجامع لا يغني عنهم ما كسبوا من الدنيا في الآخرة وَلَا مَا  
 اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ وذلك لأن يوم القيامة  
 لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ  
 هذا، إشارة إلى القرآن وهو الكتاب الذي قال الله تعالى فيه: تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ  
 اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ<sup>(١)</sup> وصفه الله تعالى بأنه هدى أي هادٍ، وأهو نفس الهداية  
 مبالغة وإدعاءً نحو زيد عدلٌ والذين كفروا بآيات الله وأنكروها لهم عذابٌ من  
 رِجْزٍ أليم، الرِّجْز العذاب وقيل الرِّجْز القدر مثل الرِّجْس أي لهم عذابٌ من تجرّع  
 الشراب القدر، ووقله أليم، أي مؤلمٌ موجعٌ.

اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ  
 فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

و المعنى الله الذي سَخَّرَ لكم البحر، لا غيره من الأصنام والأوثان وأنما



سَخَّرَهَا لَكُمْ لِجَريِ أَلْفُلْكَ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَ لَتَبْتَغُوا أَي و لتطلبوا الرِّزْق من فضله بسبب التجارة و نقل الأمتعة من مكانٍ إلى مكانٍ آخر.

و من المعلوم أنَّ هذا منه تعالى إحسانٌ و إنعامٌ و قد حكم العقل بأنَّ شكر المنعم واجبٌ عقلاً، و لذلك قال: وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ أي لكي تشكرون، و بعبارةٍ أخرى أنه محسنٌ إليكم في فعله فهو مستحقٌ للشكر به على وجهٍ لا يجوز لغيره و من كفر فأَنَّ الله غنيٌّ عن العالمين.

وَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

الواو للعطف أي أنَّ الله تعالى سَخَّرَ لكم ما في السَّمَوَاتِ و ما في الأرض أيضاً، و التسخير في الأصل سِياقة إلى الغرض المختصَّ قهراً، و هو عبارة أخرى عن التَّسليط أي سلَّطكم على ما في السَّمَوَاتِ كما سلَّطكم على البحر و في هذه الآية إشارة إلى أنَّ الإنسان قادرٌ على تسخير السموات و الأرض بأذن الله تعالى بحسب إستعداده و لياقته لو عرف قدره.

و من المعلوم أنَّ مقام الإستعداد و القوَّة مقدَّم على مقام الفعلية فما ذكره الله تعالى إشارة إلى الأوَّل و أمَّا الخروج عن القوَّة إلى العقل فهو وظيفة العبد و قد شاهدنا في زماننا هذا أنَّ السُّفن الفضائية سَخَّرت كرة القمر و لا يبعد تسخير سائر الكرات أيضاً في المستقبل كما أنَّ الآية مشعرة به.

و حاصل الكلام أنَّ الإنسان الَّذي قال الله تعالى فِيهِ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ<sup>(١)</sup> لا يعرفه إلَّا خالقه الَّذي خلقه و جعله مسلطاً على جميع ما في السَّمَوَاتِ و الأرض، و هذا هو المراد بقوله جميعاً منه، أي أنَّ هذا التسخير جميعاً

جاء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

منه تعالى لأنه فعله و خلقه وإحسان منه وإنعام، و قرئَ جميعاً منه بكسر الميم و تشديد النون و تنوين الهاء منصوباً على المصدر، و المنة التفضل، أي أن تسخير ما في السموات و الأرض جميعاً من الله عليكم و تفضل و رحمة يجب الشكر عليه لمن كان له عقل كما قال أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون و من المعلوم أن التفكير للعاقل لا للمجانين.

**قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**

خاطب الله نبيه و أمره أن يقول للمؤمنين أن يغفروا و يعفوا للذين لا يرجون أيام الله، أي لا يخافون عذابه و هم الكفار و المشركون الذين لم يؤمنوا بالله و رسوله إذا أتاكم الأذى و المكروه منهم فأنهم لا يرجون ثوابه بالكف عنكم، و قيل معناه، للذين لا يرجون ثواب الله للمؤمنين، و المغفرة هاهنا ترك مجازاتهم على أذاهم و لا يكافوهم ليتولى الله مجازاتهم.

و قوله: **يَغْفِرُوا** جواب أمر محذوف دل عليه الكلام و تقديره، قل لهم اغفروا يغفروا و صار (قل لهم) على هذا الوجه يغني عنه ذكره الشيخ في التبيان. **أَقُولُ الظَّاهِرُ** أن الآية نزلت في الصَّفْح و العفو عن الكفار في أذاهم المؤمنين و لذلك قيل أنها نسخت بقوله تعالى: **أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمُوا** (١).

و الحق أنها غير منسوخة و الله تعالى أمر فيها بالصَّفْح و العفو عن الخاطي الجاهل المنكر للحساب يوم القيامة و ذلك لأن العفو أقرب في جذبته إلى الإسلام لأنه أي العفو من المدارة التي هي من أوصاف الأنبياء مع الكفار سيما نبي الإسلام الذي بنى تبليغ الأحكام على المدارة لا على الشدة و المعاملة بالمثل و هذا أصل أصيل في جذب المخالف إلى الحق و دونه خرط القتاد.

قُلْ  
الْقُرْآنُ  
فِي  
نَفْسِ  
الْقُرْآنِ

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

قال بعض المفسرين من العامة أنها نزلت في عمر بن الخطاب مع عبد الله ابن أبي في غزوة بني المصطلق فأنهم نزلوا على بئر يقال لها، المريسيع، فأرسل عبد الله غلامه ليستسقي و أبطأ عليه فقال له عبد الله، ما حسبك قال غلام عمر بن الخطاب قعد على فم البئر فما ترك أحداً يستسقي حتى ملأ قرب النبي ﷺ و قرب أبي بكر و ملأ لمولاه فقال عبد الله ما مثلنا و مثل هؤلاء إلا كما قيل، سمن كلبك يا كلك، فبلغ عمر قوله فإشتمل على سيفه يريد التوجه إليه ليقنتله فأنزل الله هذه الآية، قال هذه رواية عطا عن ابن عباس.

و روى عنه ميمون بن مهران قال، لما نزلت مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا<sup>(١)</sup> قال يهودي بالمدينة يقال له فنخاص، إحتاج ربّ محمد، فلا فلما سمع عمر بذلك إشتعل على سيفه و خرج في طلبه فجاء جبرئيل عليه السلام إلى النبي و قال أَنْ رَبِّكَ يَقُولُ: قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا ثُمَّ أَطَالَ الْكَلَامَ بِمَا لَا فَائِدَةَ فِي نَفْلِهِ وَ الْحَقُّ أَنَّهَا نَزَلَتْ لِبَيَانِ حُكْمِ كُلِّ فِي جَمِيعِ الْمَوَارِدِ وَ أَنَّ الْعَفْوَ وَ الصَّفْحَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنٌ مَمْدُوحٌ كَمَا مَرَّ.

و أما قوله: لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ أي ليجزي الله قوماً كذلك و قري، بضم الباء و فتح الزاء على الفعل المجهول و هو شاذّ و كيف كان فالمعنى واضح لا خفاء فيه فَأَنَّ الْمَقْصُودَ إِيكَالَ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى:

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ  
لما حكم الله تعالى في الآية السابقة بالعفو و الصّفْحَ عَنِ الْمَذْنِبِ الْمَسِيٍّ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَ الْأَفْعَالِ الْحَسَنَةِ حُكْمَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِأَنَّ مِنْ عَمَلِ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ أَي نَفْعُهُ عَائِدٌ إِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنْ أَسَاءَ فِي قَوْلِهِ وَ فَعَلَهُ فِي حَقِّ الْغَيْرِ فَضَرَرَهُ عَائِدٌ عَلَيْهِ أَيْضًا إِذْ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ثُمَّ إِلَىٰ

جاء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ بعد الموت لقوله تعالى: **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**.

و في يوم القيامة يحكم الله بين عباده فيجزي كل واحدٍ منهم جزاء عمله إن خيراً فخيئراً وإن شراً فشرّاً ولا يظلم ربك أحداً و محصل الكلام أن الإنسان مختار في فعله و قوله في الدنيا و لكل عمل ثمرة تختص به (ولمثل ذلك فليعمل العاملون).

**وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النَّبُوَّةَ وَ رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**

بنو إسرائيل قوم موسى ابن عمران و هم الذين أنجاهم الله من شرِّ فرعون و أعطاهم الكتاب و هو التوراة التي أنزلت على موسى، و الحكم، قيل هو الفصل بين الخصمين و بين الحق و الباطل.

و قيل هو ألفهم في التوراة، و النبوة، يعني جعل الله الأنبياء من وقت يوسف إلى زمن عيسى منهم و يعبر عنهم بأنبياء بني إسرائيل فمنهم من كان صاحب كتاب و شريعة كموسى و عيسى و منهم من لم يكن كذلك و هم كثيرون، و رزقناهم من الطيبات، إشارة إلى الأقوات و الثمار و الأطعمة و غيرها من النعم التي يحتاج الناس إليها في تعيشهم و بقائهم، و قيل المراد به المنّ و السلوى في التّيه و فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ أي على عالمي زمانهم، و التّفضيل جعل الشّي أفضل من غيره بإعطائه من الخير ما لم يعط غيره، أو بالحكم، لأنّه أفضل منه فإنّ الله تعالى فضّلهم بما أعطاهم من الخير على عالمي زمانهم، و قال قوم فضّلهم بكثرة الأنبياء منهم على سائر الأمم السّابقة.

**وَ آتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيَا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**

الواو للعطف على ما أعطاهم الله أي و أتيناكم أيضاً، بيناتٍ من الأمر، أي دلالات و براهين واضحات من الأمر، فما أختلفوا، أي لم يختلفوا، إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَلْعِلْمُ بَغْيًا وظلماً، بينهم، إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ فيما أختلفوا فيه يوم القيامة هذا تفسير ألفاظ الآية و في هاتين الآيتين نكات و دقائق لا بأس بالإشارة إليها إجمالاً:

**الأولى:** أَنَّ الله تعالى أعطى بني إسرائيل الكتاب و الحكم و النبوة، فالكتاب إشارة إلى الدين و أحكامه، و الحكم إشارة إلى العلم بالقضاء و رفع الخصومات بين الناس و إجراء العدالة بينهم، و النبوة إشارة إلى شرف البيت و تقرب أنبيائهم إلى الله و لا نعمة في عالم الوجود فوق هذه النعم، ثم رزقهم من الطيبات و هي النعم المادية، ففي الحقيقة أكمل الله النعم العقلية المعنوية و المادية على قوم بني إسرائيل.

**الثانية:** أَنَّ الله تعالى فضّلهم على سائر الأقوام و الملل بعد كونهم ضعفاء أذلاء في عصر فرعون و أعوانه الذين كانوا يسوّمونهم سوء العذاب فيقتلون أنبائهم و يستحيون نسائهم، و شرفهم و فضّلهم على عالمي زمانهم و هي أيضاً من أحسن النعم.

**الثالثة:** أَنَّهُ تعالى أتاها بينات الأمر و هي الدلالات و البراهين الواضحات التي لا خفاء فيها و هي أيضاً من أحسن النعم، ثم أَنَّهُم بعد ذلك إختلفوا و إختاروا طريق البغي و الظلم و الخروج عن حدّ الاعتدال و بعبارة أخرى لم يشكروا على ما أتاها الله من النعم بل كفروا بها أَن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار مع أَنَّ العقلاء قد أطبقوا على وجوب شكر المنعم، فالآية لا تدلّ على مدح بني إسرائيل بل تدلّ على ذمهم و كفرانهم و طغيانهم و أَنَّ الإنسان ليطغى أن رآه إستغنى و أمّا موارد إختلافهم في الإعتقادات فكثيرة جداً و أهمّها و أشنعها قولهم بأنّ عزير ابن الله كما حكى الله تعالى عنهم في كتابه حيث قال:

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

الجلد الخامس

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ<sup>(١)</sup>.

وأي اختلافٍ أشدَّ وأعظم من الاختلاف في التوحيد وجعل المخلوق شريكاً لله تعالى، وفي قوله تعالى: بَعْدَ مَا جَاءَهُمْ أَلْعِلْمُ إشارة إلى نقطة دقيقة وهي أن الشُّرك بالله سرى من علمانهم إلى جهالهم وهو عجيبٌ لأن وظيفة العالم إرشاد الجاهل إلى الحق لا إضلاله وإغواءه، ولذلك قال رسول الله ﷺ: إذا فسد العالم فسد العالم.

ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

خاطب الله نبيه ﷺ وقال، ثم، بعد أنبياء بني إسرائيل، جعلناك، يا محمد، على شريعة من الأمر، والشريعة السَّنة التي من سلك طريقها أدته إلى البغية كالشريعة التي هي طريق إلى الماء وأن شئت قلت الشريعة هي العلامات المنصوبة من الأمر والنهي المؤدية إلى الجنة، وأنما قال جعلناك على شريعة على وجه التَّنكير ولم يقل على شريعتهم أو على شريعته، لأن النبي ﷺ كان أفضل الأنبياء وأشرفهم ودينه وشريعته ناسخٌ لأديانهم والأفضل لا يكون تابِعاً للمفضول وأن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، فكما أن النَّبي كان أفضل كذلك دينه أكمل وأفضل وأشرف.

و على هذا فكانت شريعته مستقلة غير تابعة لغيرها من الشرائع ولذلك: قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ<sup>(٢)</sup> وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ

بناء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ<sup>(١)</sup>.

ثم أمر نبيه بمتابعة شريعته و قال: فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ أي ولا تتبع أهواء الجهال الذين لا علم لهم بحقيقة الأمر فيقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم وهم الكفار والمنافقين أو مطلق الجهال كائنًا من كان.

إِنَّهُمْ لَنْ يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ

هذه الآية بمنزلة البرهان على عدم متابعة الجهال وذلك لأن الله تعالى علل الحكم بأنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، أي أنهم لا يقدرّون على شيء أبداً و متابعة العاجز غير معقول ثم وصفهم بأنهم في خوضهم يلعبون فإن الظالم لا يكون إلا ولياً لظالم آخر مثله و أن كان ضمّ المعدوم إلى المعدوم لا فائدة فيه.

ثم قال: وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ لا غيره كما أن الشيطان وليّ الظالمين:

قال الله تعالى: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(٣)</sup> و غيرها من الآيات.

هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ

أي هذا القرآن الذي أنزل عليك، أو هذا الذي ذكرناه من قصة بني إسرائيل و أنك على شريعة من الأمر، بَصَائِرُ لِلنَّاسِ أي ما يتبصرون به وَ هُدًى أي دلالة

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

واضحة، وَ رَحْمَةً أَي وَ نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ بِمَا ذُكِّرْنَاهُ وَأَنَّهُ حَقٌّ  
لاَ مَرِيَّةَ فِيهِ، فَأَنَّ الشَّاكَّ بِالْمَوَاعِظِ الْحَسَنَةِ فَضْلاً عَنِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ الَّذِي لاَ دِينَ  
لَهُمْ إِيْتِقَادَ صَحِيحٍ.





أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ  
نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ  
(٢١) وَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ  
وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا  
يُظْلَمُونَ (٢٢) أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوِيَهُ وَ  
أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَ  
قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ  
مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣) وَ قَالُوا مَا هِيَ  
إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا وَ مَا يَهْلِكُنَا  
إِلَّا الدَّهْرُ وَ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا  
يَظُنُّونَ (٢٤) وَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا  
كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا بَابَانَا إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ (٢٥) قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ  
يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَ لَكِنَّ  
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٦) وَ لِلَّهِ مُلْكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ  
يَوْمَئِذٍ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ (٢٧) وَ تَرَى كُلَّ أُمَّةٍ  
جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ  
تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ  
عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ  
تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الْصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ  
هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠) وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا  
أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَ  
كُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٣١) وَ إِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ  
اللَّهِ حَقٌّ وَ السَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا  
نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَ مَا نَحْنُ  
بِمُسْتَتِقِينَ (٣٢) وَ بَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَ  
حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٣) وَ قِيلَ  
الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَ  
مَأْوِيَكُمْ النَّارُ وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٣٤)  
ذَلِكَ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَ  
غَرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ  
مِنْهَا وَ لَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ  
السَّمَوَاتِ وَ رَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦)  
وَ لَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧)

### ◀ اللِّغَةُ

أَجْتَرَحُوا: الإِجْتِرَاحُ الإِكْتِسَابُ وَ هُوَ مَا خُوِذَ مِنَ الْجِرْحِ وَ الْجِرَاحُ لِأَنَّهُ لَهُ تَأْثِيرٌ  
كَتَاثِيرِ الْجِرَاحِ.

خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ: الْخَتَمُ عَلَامَةٌ عَلَى كَفَرِهِ وَ ضَلَالِهِ.

غِشَاوَةً: الغشاوة الغطاء و السّتر.

كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ: الأمة الجماعة و إشتقاقه من أمّه يؤمّه إذا قصده و الجائية، مشتقة من الجنو و هو البروك على طرف الأصابع فهو أبلغ من الجنو.  
مَأْوِيَكُمْ: الموى المقام و المكان.  
هَزُؤًا: الهزو السّخرية.  
يُسْتَعْتَبُونَ: بصيغة المجهول طلب العتبي و الإعتذار.  
الْكِبْرِيَاءُ: السّلطان القاهر الغالب.

### ◀ الإعراب

سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَ مَمَاتُهُمْ يقرأ، سواءً بالرفع، فمحياهم مبتدأ و مماتهم معطوف عليه و سواء خبرٌ مقدّم، و يقرأ، بالنّصب أيضاً و فيه وجهان:  
أحدهما: هو حال من الضّمير في الكاف.

الثّاني: أن يكون مفعولاً ثانياً، لحسب و الكاف حال على عِلْم حال يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ هو بدل من يوم الأوّل كُلُّ أُمَّةٍ (كُلُّ أُمَّةٍ) مبتدأ و تُدْعَى خبره يَنْطِقُ حال من الكتاب أو خبرٌ ثانٍ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا يقرأ بالرفع على الإبتداء و ما بعده الخبر، و قيل هو معطوف على موضع، أن، و ما عملت فيه و يقرأ بالنّصب عطفاً على إسم، أن، فِي السَّمَوَاتِ يجوز أن يكون حالاً من الكبرياء و العامل فيه الإستقرار و أن يكون ظرفاً و العامل فيه الظرف الأوّل أو الكبرياء لأنّها بمعنى العظمة.

جاء القرآن في تفسير

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

### ◀ التفسير

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَ

عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ

قال بعض المفسرين يحتمل أن يكون، أم، بمعنى الهمزة الإستفهامية الكلام، أحسب الذين إجتروحوا السيئات، و الحسبان هو الظن و قيل هي أم المنقطعة و معنى الهمزة فيه إنكار الحسبان قاله الزمخشري في الكشاف.

و الإجتراح الإكتساب و منه الجوارح، و فلان جارحة أهله أي كاسبهم و المعنى أحسب الذين إكتسبوا السيئات بأعمالهم و أقوالهم، أن نجعلهم كالذين آمنوا بالله و رسوله و عملوا الصالحات قولاً و فعلاً في الدنيا، سواء محياهم و مماتهم، هو بدل من الكاف أي حسبوا أن محيا الكفار و مماتهم كمحيا المؤمنين و مماته، ساء ما يحكمون ليس الأمر كذلك و على هذا فقوله: نَجْعَلُهُمْ معناه نصيرهم و هو من جعل المتعدي إلى مفعولين.

أولهما: الضمير.

الثاني: الكاف و الجملة التي هي سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ بدل من الكاف لأن الجملة تقع مفعولاً ثانياً فكانت في حكم المفرد و حيث أن الإستفهام للإنكار فالمعنى أن المؤمن و الكافر أو الفاسق ليسوا على حد سواء حياً و ميتاً. أما حياً، فلأن المؤمن ينفع و لا يضر و الفاسق لا ينفع و يضر.

و أما ميتاً، فلأن الكافر و الفاسق يموتهما يستريح الناس من شرهما بخلاف المؤمن فأن موته ليس كذلك هذا في الدنيا و أما في الآخرة فواضحة لا خفاء فيها. و قال مجاهد المؤمن يموت على إيمانه و يبعث عليه و الفاسق و الكافر يموتان على الكفر و الفسق و يبعثان عليه.

وَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ لِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ

خلق الله السموات والأرض بالحق أي للحق لم يخلقهما عبثاً وإنما خلقهما لمنافع خلقه بأن يكلفهم فيها ويعرضهم للثواب الجزيل، وَلِتَجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْعِقَابِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ، أي لا يبخسون حقوقهم.

أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوِيَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

إله بكسر الهمزة جعلوه اسماً لكل معبودٍ لهم وسموا الشمس ألهة لاتخاذهم إياها معبوداً، وأله فلان يأله، عبد وقيل هو من أله، أي تحير وتسميته بذلك إشارة إلى ما قال أمير المؤمنين: كلٌّ دون صفاته، بتحير الصفات و ضلَّ هناك تصارييف اللغات وذلك أن العبد إذا تفكَّر في صفاته تحير فيها، وقيل، الله، أصله إله فحذفت همزته وأدخل عليه الألف واللام فخصَّ بالبارئ تعالى وقد تكلمنا في هذا الباب عند قوله تعالى: أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بما لا مزيد عليه والذي نقول في المقام أن المراد به المعبود.

وأما الهوى، قال في المفردات الهوى ميل النفس إلى الشهوة ويقال ذلك للنفس المائلة إليها وقيل سمي بذلك لأنه يهوى بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية وقد عظم الله تعالى ذمَّ إتباع الهوى في كثير من الآيات فقوله: أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوِيَهُ معناه أفرأيت يامحمد من إتخذ معبوده هوأه أي كل ما إشتاقت النفس إليه سواء كان من خشبٍ أو من حجارة أو غيرهما من الشمس والقمر والنار وأمثالها.

قال سعيد بن جبیر كان أحدهم يعبد الحجر فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر وقال مقاتل نزلت الآية في الحارث بن قيس السهمي أحد المستهزين لأنه كان يعبد ما تهواه نفسه.

و قال سفيان بن عيينة أنما عبدوا الحجارة لأن البيت حجارة.  
قال الشعبي أنما سمّي الهوى هوئاً لأنه يهوي بصاحبه في النار.  
روى بعض المفسرين عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن  
النبي ﷺ أنه قال: لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما  
جئت به، و قال أبو إمامة سمعت النبي ﷺ يقول ما عبد تحت  
السماء إله، أبغض إلى الله من الهوى.  
و قال رسول الله ﷺ: ثلاث منجيات و ثلاث مهلكات،  
فالمهلكات شح مطاع و هوئ متبّع، و إعجاب المرء بنفسه، و  
المنجيات، الخوف من الله في السر و العلن، و القصد في الغنى و  
الفقر، و كلمة العدل في الرضا و السخط.

و الأخبار الواردة في ذم الهوى كثيرة و كفى في ذلك:  
قال الله تعالى: **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ، فَإِنَّ  
الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ** <sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: **وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ** <sup>(٢)</sup>  
و الآيات كثيرة.

و قوله: **وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ** قيل في تفسيره أي على علم قد علمه منه،  
و قيل أضله عن الثواب على علم قد سبق عنده أنه سيضل، لا يستحقه.

و قال ابن عباس على علم قد سبق عنده أنه سيضل، و قيل على علم من عابد  
الصنم أنه لا ينفع و لا يضر.

و قال بعضهم قوله: **عَلَىٰ عِلْمٍ** حال من الفاعل أي أضله على علم منه به أي  
أضله عالماً بأنه من أهل الضلال في سابق علمه، و يجوز أن يكون حالاً من  
المفعول و المعنى أضله في حال علم الكافر بأنه ضال.

وقال في التّبيان معناه حكم الله بضلاله عالماً بعدوله عن الحقّ ويحتمل أن يكون المعنى يعدل الله به من طريق الجنّة إلى طريق النّار جزاءً على فعله و عالماً بأنّه يستحقّ ذلك إنتهى والذي يختلج بالبال في معنى الكلام أنّ الله تعالى أضلّه أي وكلّه إلى نفسه وتركه عن الهداية واللّطف وخذله على علم عالماً بأنّ ذلك لا يجدي عليه وأنّه ممّن لا لطف له أو مع علمه بوجوه الهداية وإحاطة بأنواع الألفاظ المحصّلة والمقرّبة، ذكره الزّمخشري في تفسيره وأظنّ أنّه أحسن الوجوه المذكورة في تفسير الكلام وأوفق بالفرار من الجبر الذي حكم العقل والشّرع بإستحالة و على هذا فمعنى قوله: **عَلَى عِلْمٍ** أنّه تعالى تركه وكلّه إلى نفسه ومنع اللّطف منه مع علمه تعالى بأنّ ذلك يوجب ضلّالته، وذلك لأنّ العلم بضلالته ليس علّة لها حتّى لزم الجبر وهو ظاهر، وعلى ذلك يحمل قوله: **وَ خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً** فإنّ العبد إذا تركه الله ومنع منه اللّطف يسمع ولا يتفّع به ويفهم بترتب أثر الفهم عليه ويرى ببصره ولا يعتبر به كأنّ على بصره غشاوة:

قال الله تعالى: **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**<sup>(١)</sup> وقد مرّ الكلام في هذا الباب عند تفسير الآية مفصّلاً. **فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** أي من وكلّه الله إلى نفسه فمن يهديه إلى طريق الحقّ بعد الله أفلا تذكرون، أي أفلا تعقلون. والسّرفيه أنّ العبد الممنوع عن اللّطف والتوفيق يصير عبداً للشّيطان لا محالة ومن كان كذلك لا يقدر على إرشاده أحد.

قال الله تعالى: **وَ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: **مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ**<sup>(٣)</sup>.

في القرآن في تفسيره

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ

الواو للعطف أي و قال الذي إتخذ إلهه هواه و أضله الله على علم الى آخر الآية، ما هي إلا حياتنا الدنيا، أي ليست الحياة إلا هذه الحياة التي نحن فيها في دار الدنيا، و أما بعدها فلا حياة لنا وفيه إنكار للبعث و إبطال للجزاء، و قوله: نَمُوتُ وَ نَحْيَا قيل معناه نموت نحن و نحيا أولادنا، و قيل معناه يموت بعضنا و يحيا بعضنا، و قال ابن مسعود فيه تقديم و تأخير أي نحيا و نموت، وَ مَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ يعني السنين و الأيام، و قيل أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَقُولُونَ، الدَّهْرُ هُوَ الَّذِي يَهْلِكُنَا وَ هُوَ الَّذِي يَحْيِينَا وَ يَمِيتُنَا فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

أقول القائلون بهذه المقالة يقال لهم الدهريون و قد يعبر عنهم بالطبيعون في زماننا هذا و لم يعلموا أنه لا مؤثر في الوجود إلا الله و لعل هذا هو المراد من قول من قال الدهر هو الله إذ ليس الدهر من الموجودات الخارجية التي ينسب الموت و الحياة اليه و ذلك لأن معطي الشيء لا يكون فاقداً له فإذا كان الدهر هو المحيي فلا محالة يكون حياً، موجوداً ذا شعور و إرادة لأنه خلق موجوداً له شعور و إرادة و هو الإنسان ثم بعد ذلك أماته، و المفروض أنه ليس إلا الليل و النهار و الشهور و السنين و الأوقات المتدرجة في الوجود فكيف يعقل أن يكون خالقاً لغيره و لا وجود له إلا في الوهم.

و الإنصاف أن هذا الكلام أشبه شيء بكلام المجانين الذين لا علم لهم بما يقولون، فثبت أن خالق العالم هو الله الذي لا إله إلا هو قادر على كل شيء عالم بكل شيء حكيم في أفعاله و إذا كان الإيجاد بيده فالموت أيضاً بيده المطلوب و لعلة الى هذه الدقيقة أشار بقوله: وَ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ أي ليس لهم علم بما يقولون إذ العالم لا يقول و ما يهلكنا إلا الدهر الذي وجوده و همي فرضي في المخيلات نعم هذا داخل في المظنون ثبت أن الظن لا

بناء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر



يغني من الحق شيئاً.

وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

أي وإذا تتلى على هؤلاء الكفار المنكرين آياتنا بَيِّنَاتٍ، من التدوينات و التكوينات في مسألة البعث لم يكن لهم في مقابلتها حجة و برهانٌ إِلَّا قولهم: اتُّوا بِآبَائِنَا الَّذِينَ مَاتُوا و بادوا، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في قولكم بالحياة بعد الموت و لم يعلموا أَنَّ هذا الكلام منهم أيضاً لا معنى له و ذلك لأن إحياء آباءهم قبل يوم الجزاء لا فائدة فيه بل هو عبث و لغو و الله تعالى منزّه عن فعل العبث، و أنما قلنا أنه عبث لأن يوم الجزاء لم يأت بعد فإذا فرضنا إحياء آباءهم و إرجاعهم الى الدنيا فلا محالة يكونون مكلفين بالتكاليف الشرعية، لأن الدنيا دار التكليف، و لا تكليف بعد الموت، و إن قلنا بعدم التكليف فوجودهم عبث لا فائدة فيه و لذلك قال تعالى: مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّوا بِآبَائِنَا و لم يعلموا أَنَّ هذا كلام باطل.

قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

أي قل لا محمد لهؤلاء الكفار المنكرين للبعث، الله يحييكم، في دار الدنيا، إذ لا يقدر على الإحياء أحدٌ سواه ثُمَّ يُمِيتُكُمْ بعد هذا عند بلوغ الأجل المقدر ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ بَأَن يبعثكم و يعيدكم أحياء الى يوم القيامة للحساب و الجزاء و لكنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يعلمون، فلسفة البعث والنشور.

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ

نبأ القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

المجلد الخامس عشر

أَيُّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَتَصَرَّفُ فِيهِمَا بِمَا يَشَاءُ مِنَ الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ، وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْسِرُ الْمَبْطُلُونَ، ثَوَابَ اللَّهِ وَ الْمَبْطَلُ مِنَ عَدْلِ عَنِ الْحَقِّ وَ فَعَلَ الْبَاطِلَ، قِيلَ مَفْعُولُ الْفِعْلِ مُحذُوفٌ وَ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ يَخْسِرُ الْمَبْطُلُونَ مَنَازِلَهُمْ فِي الْجَنَّةِ بِسَبَبِ إِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ وَ النُّشُورَ وَ الْقِيَامَةَ وَ الْحِسَابَ وَ الْجَزَاءَ.

وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

الْأُمَّةُ فِي الْأَصْلِ الْجَمَاعَةُ وَ الْمُرَادُ بِهَا فِي الْآيَةِ أَهْلُ كُلِّ مِلَّةٍ، وَ فِي الْجَاثِيَةِ أَقْوَالُ. قَالَ مُجَاهِدٌ، مَعْنَاهَا، مُسْتَوْفِرُهُ، وَ قَالَ سَفِيَانُ الْمُسْتَوْفِرُ الَّذِي لَا يَصِيبُ الْأَرْضَ مِنْهُ إِلَّا رَكْبَتَاهُ وَ أَطْرَافُ أَنْامِلِهِ وَ ذَلِكَ عِنْدَ الْحِسَابِ.

وَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَعْنَاهَا مُجْتَمِعَةٌ، وَ قَالَ عِكْرَمَةُ مُمْتِزَةٌ، وَ قِيلَ خَازِعَةٌ بِلُغَةِ قَرِيشٍ، وَ قِيلَ بَارِكَةٌ عَلَى الرُّكْبِ، وَ الْجَثْوُ الْجُلُوسُ عَلَى الرُّكْبِ يَقَالُ جَثَى عَلَى رَكْبَتَيْهِ.

قَالَ فِي الْمَفْرَدَاتِ وَ الْجَاثِيَةِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَ تَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً فَمَوْضُوعُ مَوْضِعِ الْجَمْعِ كَقَوْلِكَ جَمَاعَةً قَائِمَةً وَ قَاعِدَةٌ إِنْتَهَى.

أَقُولُ وَ إِلَى ذَلِكَ يَنْظُرُ قَوْلُ مَنْ قَالَ أَنَّ أَصْلَ الْجَثْوَةِ الْجَمَاعَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَ مِنْهُ قَوْلُهُ الشَّاعِرِ حَيْثُ قَالَ:

تَرَى جَثْوَتَيْنِ مِنْ تَرَابٍ عَلَيْهِمَا صَفَائِحَ صَمٍّ مِنْ صَفِيحٍ فَضِيدٍ

وَ مَعْنَى الْآيَةِ وَ تَرَى، يَا مُحَمَّدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٍ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ، تَدْعَى إِلَى كِتَابِهَا، الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهَا، فَالْمُسْلِمُ يَدْعَى إِلَى الْقُرْآنِ وَ الْيَهُودُ إِلَى التَّوْرَةِ وَ النَّصَارَى إِلَى الْإِنْجِيلِ وَ هَكَذَا، الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ، فِي الدُّنْيَا إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَ إِنْ شَرًّا فَشَرًّا وَ لِذَلِكَ سَمِيَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَوْمَ

الجزاء و يوم الحساب، و يوم الفصل و غير ذلك.

هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

المراد بالكتاب القرآن، يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ قيل جعل الله ثبوت ما فيه و ظهوره بمنزلة النطق و هو إستعارة يقال نطق الكتاب بكذا أي بيّن، و قوله: بِالْحَقِّ هو وصف لكتاب و الحق هو الخبر المطابق للواقع، و الحق هو الذي لا سبيل للبطان اليه، و الحق هو الثابت الذي لا يتغير و لا يتبدل و الحق المطلق هو الله تعالى و ما سواه باطل لثبوته تعالى و فناء غيره و منه قول الشاعر:

ألا كلَّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ وكُلَّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ

و إذا كان الحق بقولٍ مطلق هو الله تعالى فكلامه أيضاً حقٌّ إذ الحق لا يقول بالباطل و ملخص الكلام أن الله حق فكلامه و أفعاله أيضاً حق فلا سبيل للبطان اليه في ذاته و صفاته و أفعاله و أمّا قوله: إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فقول معناه، نستنسخ ما حفظت عليكم الملائكة الحفظة، الحفظة تستنسخ ما هو مدوّن عندها من أحوال بني آدم الجزائية قاله ابن عباس، و روي عن عليّ: أن لله ملائكة ينزلون في كل يوم يكتبون فيه أعمال بني آدم و معنى نستنسخ نستكتب الحفظة ما يستحقونه من ثواب و عقاب.

أقول لا شك أن الإستنساخ الإستكتاب عن نسخة الأصل و هي التي كتبها الملائكة الموكّلين على العباد المعبر عنهم بكرام الكاتبين و المقصود أن الملاك هو هذه النسخة و هي التي قد يعبر عنها بصحيفة الأعمال التي دوّنت الأعمال فيها، و أمّا قال تعالى، إِنَّا، ولم يقل أن الملائكة لأن ما أثبتته الملك بإذن الله فقد أثبتته الله و ما نفاه نفاه الله و لذلك نسب الله فعل الملك الى نفسه.

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ

في القرآن  
في تفسيره

جزء ٢٥

الجلد الخامس

## ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ

أخبر الله تعالى في هذه الآية أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا، بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ قَوْلًا وَفِعْلًا إِذَ الْإِيمَانِ لَا يَتَحَقَّقُ بِدُونِ الْعَمَلِ، فَيَدْخُلُهُمْ رَحْمَتُهُ فِي رَحْمَتِهِ، الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَ مِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الدَّخُولَ فِي رَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ، أَيِ الْفَلَاحِ الظَّاهِرِ وَ أَيْ فَلَاحٍ أَحْسَنَ وَأَظْهَرَ مِنْهُ.

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ

لَمَّا أَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ إِلَى أَحْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ فِي رَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشَارَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى أَحْوَالِ الْكَفَّارِ بَعْدَ الْمَوْتِ فَقَالَ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَ أَنْكَرُوا الْبَعْثَ وَ الْجَزَاءَ، أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا بِوَسْطَةِ النَّبِيِّ، وَ التَّقْدِيرِ الْكَلَامِ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا يُقَالُ لَهُمْ أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي الْآيَةِ وَ الْهَمْزَةُ لِلْإِنْكَارِ وَ التَّوْبِيخِ أَيْ بَلْ كَانَتْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ، فَاسْتَكْبَرْتُمْ، أَيِ مَنَعَكُمْ التَّكْبَرُ عَنْ قَبُولِهَا وَ الْإِسْتِكْبَارُ هُوَ طَلَبُ التَّعْظِيمِ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ فَهُوَ صِفَةٌ ذَمٌّ لِلْعِبَادِ وَ كَذَلِكَ الْمَتَكَبِّرُ لِأَنَّهَا تَقْتَضِي التَّعْظِيمَ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ، وَ صِفَةٌ مَدْحٌ فِي الْخَالِقِ، وَ هُوَ لَا يَلِيقُ إِلَّا بِاللَّهِ تَعَالَى وَ ذَلِكَ لِأَنَّ إِسْتِحْقَاقَ التَّعْظِيمِ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ لَا يَكُونُ إِلَّا لِمَنْ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ النِّقْصُ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ ذَاتًا وَ صِفَةً، وَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى لَا غَيْرَهُ كَائِنًا مَا كَانَ وَ لِذَلِكَ قَالَ: الْكِبْرِيَاءُ رَدَائِي فَمَنْ نَارَ عَنِي فِيهَا قَصَمْتَ ظَهْرَهُ رَسُولَ اللَّهِ مِنْ تَكَبُّرٍ وَضَعَهُ اللَّهُ وَ مِنْ تَوَاضَعٍ رَفَعَهُ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: وَ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ وَ أَيْ جَرِمٍ أَكْبَرَ وَ أَعْظَمَ مِنَ التَّكْبَرِ الَّذِي صَارَ بَاعِثًا عَلَىٰ إِنْكَارِ الْحَقِّ وَ الْإِقْبَالِ إِلَى الْبَاطِلِ.

وَ إِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ السَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي

## مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُصْتَقِينَ

هذه الآية في الحقيقة بمنزلة الدليل على إستكبارهم وإنكارهم الساعة وذلك لأنه إذا قيل لهم أن وعد الله حقٌ والساعة لا ريب ولا شك فيها قالوا في الجواب ما ندري أي ما نعلم أي شيء الساعة ولم يعلموا أن الإنكار من غير دليل دليل على الإستكبار ولا سيما إذا كان المخبر هو الله تعالى بواسطة أنبياءه وتوضيح ذلك إجمالاً أن المخبر يتصور على قسمين:

**أحدهما:** أن يكون معصوماً لا يكذب أبداً.

**الثاني:** أن لا يكون كذلك بل يجوز عليه الخطأ والكذب فيما أخبر به، وفي المقامين لا سبيل للإنكار من غير دليل.

**أما القسم الأول:** فواضح.

**أما القسم الثاني:** فهو أيضاً كذلك إذ الكلام منه يحتمل الصدق والكذب على الفرض ومن أين علم المخاطب المستمع أنه أي المخبر كاذب في إخباره مع أنه يحتمل الصدق أيضاً بل ينبغي للمخاطب التوقف في الحكم صدقاً وكذباً حتى يتبين له أحد الإحتمالين بالبينّة والبرهان هذا كله في الأخبار بالمحسوسات مثل مجي زيد وعدمه وأما في الأخبار بما وراء المحسوسات مثل الأخبار عن عالم البرزخ والقيامة والحساب والجزاء فلا مجال للتفحص فيها فإن كان المخبر بها صادقاً في إخباره مصوناً عن الكذب مثل إخبار النبي المعصوم فلا مجال للتوقف فيه وما نحن فيه من هذا القبيل ومن أصدق من الله قياً بقول الكفار إن نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وما نحن بمستيقنين ناش عن تكبرهم وعدم معرفتهم بالله ورسوله ومن لم يعرف الله كيف لم يحصل له اليقين قطعاً.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢٥

العبد المذنب

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَخَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ

أي أظهر لهم جزاء معاصيهم التي عملوها في دار الدنيا من العقاب و حاق بهم، أي حلَّ بهم، جزاء ما كانوا به يستهزؤون، بإخبار الله و إخبار نبيه من عذاب الله.

وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِيْكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا و مَاوِيْكُمْ النَّارُ و مَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِيْنَ

القاتل لهم الملائكة بأذن الله تعالى يقولون لهم أي لهؤلاء لكفار اليوم، و هو يوم القيامة، ننسيكم، أي نترككم في العقاب في قول ابن عباس كما تركتم في الدنيا يومكم هذا و تركتم العمل به، و مأواكم، و مسكنكم النار و ما لكم من ناصرين، أي ما لكم من ينصركم و يدفع عنكم العذاب ثم بيّن الله تعالى لم فعل بهم ذلك.

ذِكْرُكُمْ بِأَنِّكُمْ أَتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا و غَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ

ذلكم، إشارة إلى ما وقع بهم من العذاب و المعنى أنما وقعتم فيما وقعتم من العذاب لأجل أنكم إتخذتم آيات الله، أي حججه و براهينه، هزواً، أي سخرية و كنتم تستهزؤون بها في دار الدنيا و غرّتكم الحياة الدنيا أي خدعتكم زيتها فإغررتم بها، فالיום، أي اليوم الحاضر و هو يوم القيامة لا تخرجون منها أي من النار التي أوقدتموها بسبب أعمالكم و لا هم يستعتبون، أي لا يطلب منهم العتبي و الإعتذار لزوال التكليف.

قال صاحب الكشاف في قوله: وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ أي لا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أي يرضوه إنتهى.

و قرأ حمزة و الكسائي فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا بفتح الباء و ضمّ الراء، و

قرأ الباقون بضم الياء وفتح الراء على صيغة المجهول و هو المشهور و عليه المصاحف.

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَ رَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

اللام، في، لله للإختصاص أي أن الحمد مختص برّب السموات و الأرض رب العالمين، و ذلك لأنّ مثل هذه الرّبوبية العامّة يوجب الحمد و الثناء على كلّ مربوب، أداءً لحقّ شكره الواجب عقلاً.

وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

الكبرياء بكسر الكاف و سكون الباء الترفع عن الإنقياد و ذلك لا يستحقّه غير الله تعالى و إلى ذلك المعنى أشار النبي ﷺ بقوله حاكياً عن الله تعالى: أَنَّهُ قَالَ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَ الْعِظْمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي فِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَصَمْتَهُ، واللام في له، للإختصاص أي أن الكبرياء في السموات و الأرض لله تعالى لا لغيره و حقّ مثله أن يكبر و يعظم لأنّه خالق السموات و الأرض و ما بينهما و هو العزيز الحكيم، أي القادر العالم بمصالح الأمور و تمت كلمة ربك صدقاً و عدلاً و الحمد لله رب العالمين.

هذا آخر الكلام في الجزء الخامس و العشرين و يتلوه الجزء السادس و العشرون و المرجو من الله تعالى أن يؤفّقنا لإتمامه بمحمد و آله الطاهرين.



ضياء القرآن في تفسير القرآن



المجلد الخامس عشر



## الفهرست

سورة الزّمر ..... ٩

الآيات ٣٢ الى ٤٥ ..... ٩

اللّغة ..... ١٠

الإعراب ..... ١٠

التفسير ..... ١١

الآيات ٤٦ الى ٧٥ ..... ٢٣

اللّغة ..... ٢٥

الأعراب ..... ٢٦

التفسير ..... ٢٧



سورة المؤمن ..... ٥٩

الآيات ١ الى ٢٠ ..... ٥٩

اللّغة ..... ٦١

الإعراب ..... ٦١

التفسير ..... ٦١

ضياء القرآن في تفسير القرآن



المجلد الخامس عشر

٧٩.....	الآيات ٢١ الى ٣٧.....
٨٠.....	اللغة.....
٨١.....	الإعراب.....
٨١.....	التفسير.....
٩٩.....	الآيات ٣٨ الى ٦٠.....
١٠١.....	اللغة.....
١٠١.....	الإعراب.....
١٠١.....	التفسير.....
١٢٠.....	الآيات ٦١ الى ٨٥.....
١٢٢.....	اللغة.....
١٢٢.....	الإعراب.....
١٢٣.....	التفسير.....



## سورة فُصِّلَتْ ..... ١٤١

١٤١.....	الآيات ١ الى ٢٥.....
١٤٣.....	اللغة.....
١٤٤.....	الإعراب.....
١٤٤.....	التفسير.....
١٦٩.....	الآيات ٢٦ الى ٤٦.....
١٧١.....	اللغة.....
١٧١.....	الإعراب.....
١٧٢.....	التفسير.....

الآيات ٤٧ الى ٥٤ .....	٢٠٩
اللغة .....	٢١٠
الإعراب .....	٢١٠
التفسير .....	٢١١



## سورة الشُّورَى ..... ٢٢٣

الآيات ١ الى ٢٣ .....	٢٢٣
اللغة .....	٢٢٥
الأعراب .....	٢٢٦
التفسير .....	٢٢٧
الآيات ٢٤ الى ٤٤ .....	٢٧١
اللغة .....	٢٧٢
الإعراب .....	٢٧٣
التفسير .....	٢٧٤
الآيات ٤٥ الى ٥٣ .....	٣١٧
اللغة .....	٣١٨
الإعراب .....	٣١٨
التفسير .....	٣١٨



## سورة الزُّحُفِ ..... ٣٣١

الآيات ١ الى ٢٥ .....	٣٣١
اللغة .....	٣٣٢

٣٣٤	الإعراب.....
٣٣٤	التفسير.....
٣٤٩	الآيات ٢٦ الى ٥٦.....
٣٥١	اللغة.....
٣٥٢	الإعراب.....
٣٥٢	التفسير.....
٣٨٤	الآيات ٥٧ الى ٨٩.....
٣٨٦	اللغة.....
٣٨٦	الإعراب.....
٣٨٧	التفسير.....



## سورة الدُّخَانِ..... ٢٠٩

٢٠٩	الآيات ١ الى ٥٩.....
٢١١	اللغة.....
٢١٢	الإعراب.....
٢١٣	التفسير.....



## سورة أَلجَاثِيَةِ..... ٢٣٧

٢٣٧	الآيات ١ الى ٢٠.....
٢٣٨	اللغة.....

٤٣٩	الإعراب.....
٤٣٩	التفسير.....
٤٥١	الآيات ٢١ الى ٣٧.....
٤٥٢	اللغة.....
٤٥٣	الإعراب.....
٤٥٣	التفسير.....

